

اَعْرَافُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَبَيِّنَاتُهُ

تأليف الأستاذ
محيي الدين الدرويش
المجلد الأول

بَيْتُ الْأَوَّلَى — بَيْتُ الْبَنَاتِ — بَيْتُ الْبَنَاتِ — بَيْتُ الْبَنَاتِ

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

الإمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

الحمد لله الذي
وَبِشَاةٍ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة السابعة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طبعة منقحة ومصححة ومفهّمة
(تنضيد جديد)

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء
منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ
أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي
والمسموع أو الاختزان بالحاسبات
الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من دار اليمامة ودار ابن كثير،
دمشق - بيروت



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناية الجوالي
ص.ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأمالي - بناية الحديقة
ص.ب: ١١٣ / ٦٣١٨ - تلفاكس: ٠١٨١٧٨٥٧ - ٣٢٠٤٤٥٩



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - بزمكة - جانب الهجيرة والجوازات
ص.ب: ٣٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأمالي - بناية الحديقة
ص.ب: ١١٣ / ٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٢٨٥٣٥٨٦

إحزاب القرآن الكريم وبَيَّانُهُ

تأليف الأستاذ

محمي الدين الدرويش

ت ١٤٠٢ هـ

المجلد الأول

الجزء الأول - الجزء الثاني - الجزء الثالث - الجزء الرابع

دار البزك شير

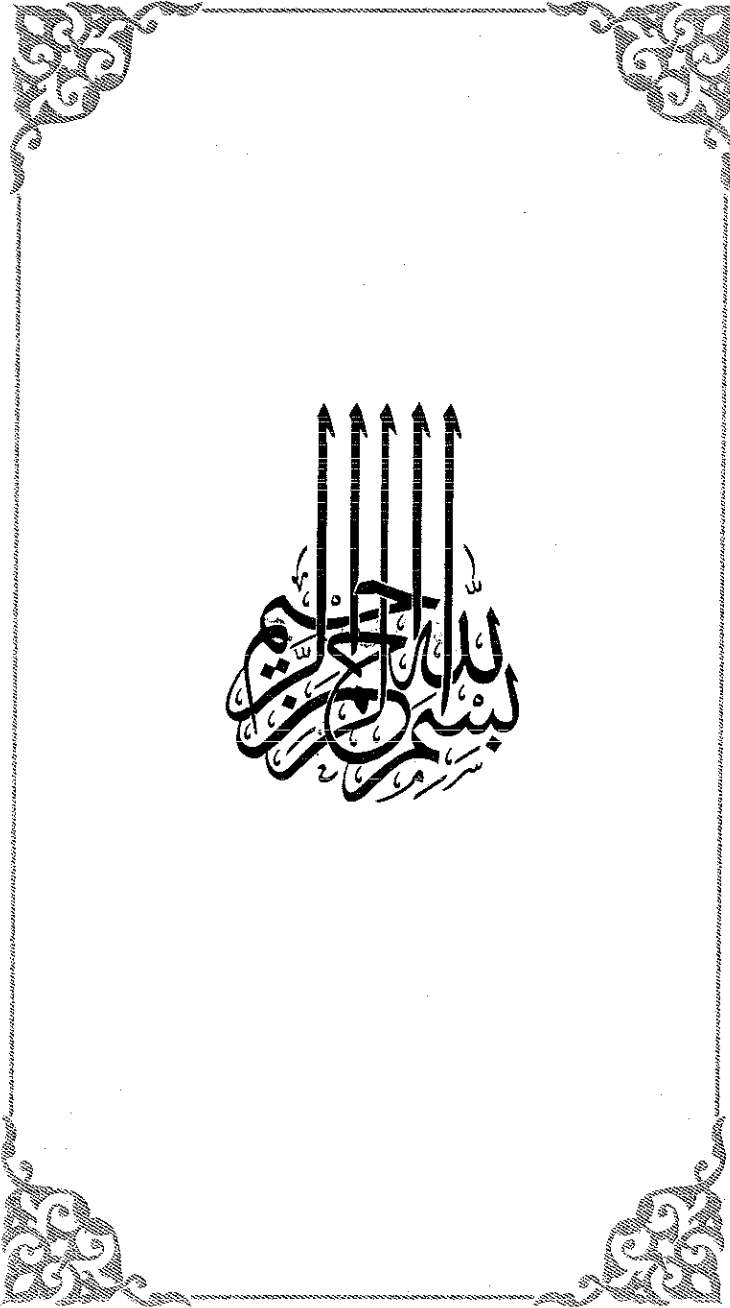
دمشق - بيروت

دار الإمامية

دمشق - بيروت

دار الإرساد للسؤون الجامعية

حرس - سورية



بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان، وصلى الله على سيدنا محمد العدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فلم يزل الموثوقُ بهم من علماء الأمة يستنبطون معاني التنزيل، ويستثيرون دقائقه، ويغوصّون على لطائفه، وهو الحمّالُ ذو الوجوه؛ فيعودُ ذلك تسجيلاً له بعد الغور، واستحكام دليل الإعجاز القرآني؛ الذي هو:

كالبدْر من حيث التفّت رأيتَه يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً
كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلادَ مشارقاً ومغارباً
فعن عُمر - رضي الله عنه - قال: تعلّموا السنة والفرائض واللّحن كما
تعلّمون القرآن.

والمعنى: تعلّموا الغريب والنحو؛ لأن في ذلك علم غريب القرآن ومعانيه، ومعاني الحديث والسنة، ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كتاب الله، ولم يُقِمّه، ولم يعرف أكثر الشُّنن.

وذكر الإمامُ الزمخشريُّ في خطبة كتابه «المفصّل» أنك لا تجد علماً من العلوم الإسلامية؛ فقهها، وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها؛ إلا وافتقاده إلى العربية بين لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنّع، ورأى أن الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب.

العناية بإعراب القرآن وبيانه:

قال الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة. يُقال: أعرَبَ عنه لسانه، وعَرَّبَ؛ أي: أبان وأفصح. وسُمِّيَ الإعرابُ إعراباً،

لتبيينه وإيضاحه . وعَرَّبَ منطقَه ؛ أي : هَدَّبه من اللَّحْن . وأعَرَّبَ كلامَه ؛ إذا لم يَلْحَنَ في الإعراب^(١) .

وقال أبو بكر بن الأنباري : جاء عن الثَّيِّبِ عليه السلام وعن أصحابه ، وتابعيهم مِنْ تفضيل إعراب القرآن ، والحضَّ على تعليمه ، وذمَّ اللَّحْنَ وكراهيته ، ما وَجَبَ به على قُرَّاء القرآن أَنْ يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلُّمه .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : «أَعْرِبُوا القرآنَ ، وَالتَّمَسُّوا غَرَائِبَهُ»^(٢) .

وقال عليه السلام : «أَعْرِبُوا الكلامَ كي تُعَرِّبُوا القرآنَ»^(٣) .

وروى أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ قرَأَ القرآنَ متَشَبِّهًا ، أو بإعرابٍ ، كان له بكلِّ حرفٍ فضلٌ أربعين حسنةً»^(٤) .

وقال ابنُ عطية : إعرابُ القرآنِ أصلٌ في الشريعة ؛ لأنَّ بذلك تقوم معانيه التي هي الشَّرْع .

وذكر أبو البقاء العكبري في حُطْبَةِ كتابه : «إملاء ما مَنَّ به الرحمنُ من وجوه الإعراب»^(٥) :

«إِنَّ أقومَ طريقٍ يُسَلِّكُ في الوقوف على معنى القرآن الكريم ، وَيُتَوَصَّلُ به إلى تبين أغراضه ، ومغزاه : معرفة إعرابه ، واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه ، والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات .

وَمِنْ هنا^(٦) كان على الناظر في كتاب الله ، الكاشف عن أسرارِه : النظرُ

(١) لسان العرب مادة (عرب) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٤٣٩/٢) وانظره في مجمع الزوائد (١٦٣/٧) .

(٣) ذكره صاحب كنز العمال (٦٠٧/١) .

(٤) المصدر السابق (٥٣٣/١) .

(٥) (ص ١) .

(٦) إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب ، إعداد : الأستاذ أيمن الشَّوَّا (ص ١٧) طبعة دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ١٩٩٥ م .

في اللغة العربية، ومعرفة الإعراب؛ الذي هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وهو من العلوم الجليلة التي خُصَّت بها العرب، فبه تميَّز المعاني، ويوقَّف على أغراض المتكلِّمين، ومقاصِّدهم في كلامهم، وقواعد هذا الكلام، وتأليف الجمل وفق أساليب علم المعاني.

ولا يخفى أنَّ جانب الإعراب من أهمِّ الجوانب التي يجب أن يلاحظها العالم، والفقيه، والمحدِّث؛ لأنَّ المعنى يتغيَّر، ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بُدَّ من اعتباره.

ولو التجأ أحدُهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس بغيره، من غير فهمه بالإعراب، لم يمكنه ذلك^(١)، وهذا لا تيسَّر معرفته إلاَّ بتحليل اللغة، وتحليل مفرداتها، وأدواتها، وروابطها.

هذا ومن أجل التفرقة الدقيقة بين وجوه المعاني قيل: الإعراب حليَّة الكلام ووشيه^(٢)، وأثنى العلماء على المُعَرِّب، العالم بوجوه الإعراب والمعاني في القرآن، أمَّا مَنْ لا يعرف الإعراب، ولا غيره، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده؛ لأنَّ اللفظ لم يرتبط عنده بالمعنى ارتباطاً وثيقاً.

ولا شك أنَّ النحويَّ الذي يُخرِّجُ وجهاً من وجوه الإعراب غير مُراعٍ إصابة المعنى المقصود، هو نحويٌّ لم يفهم صنعته، ولم يتمثِّل الغاية من علمه^(٣).

إنَّ إيضاح معاني القرآن هو ما توجَّاه معظمُ المفسِّرين والمُعَرِّبين؛ الذين أغنوا تراثنا بالمؤلَّفات الجمَّة في النحو والإعراب، إضافةً إلى بيان الصِّلَة الأكيدة بين القرآن وعلوم العربية، هذه الصِّلَة التي هي أكبر قيمة للغة العرب، وما عرَّف العالم أعمق أثراً من هذه الصِّلَة؛ فإنَّ أولى ما تقترحه

(١) الإيضاح، للزجاجي (ص ٩٦).

(٢) السبعة؛ لابن مجاهد (ص ٤٥ - ٤٦).

(٣) النحو العربي، للدكتور مازن مبارك (ص ١٦٠).

القرائح، وأعلى ما تجنحُ إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسَّر به فَهْمُ كتاب الله المنزَّل، ويتَّضح به معنى حديث نبيِّه المرسل؛ فإنهما الوسيلةُ إلى السعادة الأبدية، والدَّرِعة إلى تحصيل المصالح الدِّينية والدُّنيوية، وأصلُ ذلك: عِلْمُ العرب الهادي إلى صوب الصَّواب^(١).

أهمية إعراب القرآن الكريم:

لقد سعد المسلمون بهذا الكتاب الكريم؛ الذي جعل الله فيه الهدى القويم، وأيقنوا بالتجربة أنه لا شرف إلا والقرآن سبيلٌ إليه، ولا خير إلا وفي آياته دليلٌ عليه، فراحوا يبحثون عن معانيه ليقفوا على ما فيه من دروس وعبر، وأخذوا يتدبَّرون آياته ليستنبطوا من مضامينها ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

ومن الواضح أنَّ خدمة القرآن الكريم كانت الباعث وراء تطور علومه ونهضتها، وعلوَّ العربية، فمن أحبَّ العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همَّته إليها.

ومن منطلق الاهتمام بالقرآن العظيم تضافرت جهودُ العلماء على دراسة علوم القرآن؛ من أجل الوصول إلى المعاني التي يتضمَّنُها، فعنوا بإعراب القرآن الكريم العناية القصوى، وخصَّصوا للإعراب كتباً جليلة برزت في كل عصر من عصور الإسلام، قديماً وحديثاً.

المصنفات في إعراب القرآن الكريم:

صنَّف العلماء في إعراب القرآن؛ باعتبار القرآن كتاب الله عز وجل، ولأنه الأساسُ في الحفاظ على اللغة العربية، ومن تلك المصنفات:

* البيان في غريب إعراب القرآن؛ لأبي البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ).

* الفريد في إعراب القرآن المجيد؛ لحسين بن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣هـ).

(١) مقدمة مغني اللبيب؛ لابن هشام (ص ١٢).

- * إعراب ثلاثين سورة من القرآن؛ لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ).
- * إعراب الفاتحة؛ لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ).
- * التنبيه (إعراب الجزء الأخير من القرآن)؛ لإسحاق بن محمود بن حمزة، تلميذ ابن الملك.
- * إعراب مشكل القرآن؛ لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).
- * البرهان في علوم القرآن؛ لعلي بن إبراهيم الحوفي النحوي (ت ٣٣٠هـ).
- * التبيان؛ للعكبري (ت ٦١٦هـ).
- * المجيد في إعراب القرآن المجيد؛ لإبراهيم بن محمد السفاسي (ت ٧٤٢هـ).

* الدر المصون؛ للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ).

* الملخص في إعراب القرآن؛ ليحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ).

المؤلفات في معاني القرآن ومشكله ومجازه:

يتوجّه الحديث عن معاني القرآن - في المقام الأهم - حول إعرابه وبيانه، وقد رصد العلماء الكتب العديدة التي خلفها السلف - رحمهم الله تعالى - في هذا المجال، فكانت مكتبة زاخرة، ومن تلك المصنفات:

- معاني القرآن؛ للفراء، وغيره.

- رياضة الألسنة في إعراب القرآن ومعانيه، لأبي بكر بن أشته الأصبهاني.

- معاني القرآن وتفسيره ومشكله، لعلي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير.

نظرة موجزة حول أهم كتب علوم القرآن الكريم:

برزت من الكتب العديد التي أُلِّفت في هذا المجال: كُتِبَ الرَّجَّاج، ومكِّي، وابن الأنباري، والعكبري، وأبي حيان، والسمين الحلبي. وإليك - عزيزي القارئ - كلمة عن كل كتاب منها.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١١هـ):

الإمام الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري ألف مختصراً في إعراب القرآن ومعانيه، ولعله أهم آثاره التي بين أيدينا. وكان عنايته بالإعراب بارزة مقدّمة على المعنى، فهو يقول: «وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير؛ لأنه كتاب الله ينبغي أن يتبين، ألا ترى أن الله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢] فحَضَّنَا على التدبر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقلة أهل العلم».

وعني الزجاج بتفسير القرآن، فهو يستشهد على المعنى الذي يشرحه في آية بما يذكره في آية أخرى، قد تكون أصرح وأبين مما تدلُّ عليه الآية التي يشرحها، وهو في هذا الصدد بارع، واستشهاداته قوية في دلالتها على ما يريد.

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ):

هذا الكتاب من الكتب المتخصصة في إعراب الغامض والمشكل من آيات القرآن الكريم، وهو كتابٌ متفرد في مادته وأسلوبه، يذكر ما أشكل على العلماء من إعراب القرآن، فيفسّره، ويذكر علّله، معتمداً على السهولة والإيجاز؛ ليكون - كما يقول - خفيف المحمل، سهل المأخذ، قريب المتناول؛ لمن أراد حفظه، والاكتفاء به، فغايته الأولى الإيجاز، وعرضُ المشكلات الإعرابية فقط، ولهذا نراه يخصُّ كتابه من بلغ في النحو درجةً جيدة، ولا يخصُّ به من «لا يعلم في النحو إلا الخافض والمخفوض (الجار والمجرور) والفاعل والمفعول، والمضاف والمضاف إليه، وإنما ألفناه لمن شدا طرفاً منه، وعلم ظواهره وجمالاً من عوامله، وتعلق بطرف من أصوله».

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري (٥٧٧هـ):

قدّم المؤلفُ لكتابه مقدمة موجزة قال فيها: «فقد لخصت في هذا المختصر (غريب إعراب القرآن)، على غاية من البيان، توخياً للتفهيم، والله

تعالى ينفع به، إنه هو البؤ الرحيم، وهو كتاب خالص في إعراب القرآن الكريم، مبين للوجوه المحتملة في إعراب كثير من كلمات الآيات، ولكنه لا يخلط شرحه النحوي بأيّ شرح معنوي أو بلاغي إلا في النادر، ثم هو يتبع إعراب الكلمات التي تعددت الآراء فيها؛ ولذلك نراه ينتقل بين الآيات على حسب ترتيبها، منتقياً ما يحتاج إلى إعراب، تاركاً إعراب ما لا يحتاج إلى إعمال فكر، ولم تختلف فيه الآراء.

(٤) إملأ ما من به الرحمن للعكبري (٦١٦ هـ):

أملى الإمام محب الدين أبو البقاء العكبري كتاباً جليلاً - صغير الحجم، كثير العلم - في مجال إعراب القرآن سمّاه: «إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن» وبيّن في خطبة هذا المؤلف أن أحق ما صرف العناية إلى معاناته: «ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، وحاكماً عليها» ولها فيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك هو القرآن المجيد؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجز الباقي على الأبد، والمودع أسرار المعاني التي لا تنفذ، وحبل الله المتين».

وأشار إلى قيمة إعراب القرآن فقال: «إن أقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، ويتوصل به إلى تبين أغراضه ومغزاه: معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات».

ثم بيّن غايته في هذا المصنف - وكتب إعراب القرآن كثيرة - فقال:

«والكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جداً، مختلفة ترتيباً وهداً، فمنها المختصر حجماً، وعلماً، ومنها المطول بكثرة إعراب الظواهر وخلط الإعراب بالمعاني، وقلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدتها على ما وصفت أحببت أن أملئ كتاباً يصغر حجمه ويكثر علمه،

أقتصر فيه على ذكر الإعراب ووجوه القراءات، فأُتيَتْ به على ذلك».

(٥) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ):

عكف أبو حيان الأندلسي على تفسيره «البحر المحيط» سنين طويلة من عمره، ينتخب من كتب المتقدمين في هذا الفن الصفو واللُّباب، وينعمُ النظر فيما اقترحوه من تأليفهم، يُلخِّص مطولها، ويحلُّ مشكلها، ويقيّد مطلقها، مضيفاً إلى ذلك ما استخرجه من لطائف علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن، ومن دقائق علم الإعراب المستخرج من لسان العرب، وأرباب أهل الأدب «فكم حوى من لطيفة فكري مستخرجها، ومن غريبة ذهني منتجها، تحصلت بالعكوف على علم العربية، والنظر في التراكيب النحوية، والتصرف في أساليب النظم والنثر، والتقلُّب في أفانين الخطب والشعر».

ومن المنهج الواضح الذي اعتمده أبو حيان: أنه ذكر لنا في مقدِّمة كتابه الترتيب الذي اعتمده، والخطة التي نهجها بوضوح؛ مما جعل كتابه أصلاً لكلِّ مسألة لغوية ونحوية، ولكل قراءة بإسنادها وتوجيهها، وأسباب نزولها، وأصبح هذا الكتاب مرجعاً للنحويين يهتدون به في كل مسألة من علوم القرآن، وإعرابه وقراءاته بشكل خاص.

(٦) الدر المصون؛ للسَّمين الحلبي (٧٥٦هـ):

بيِّن الإمام السَّمين الحلبي في كتابه «الدر المصون»:

«أن على العاقل الأريب، والفظن اللبيب: أن يطلع من علوم القرآن على أهمها وآكدها، وهي بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم:

علم الإعراب، وعلم التصريف، وعلم الفقه، وعلم المعاني، وعلم البيان.

وقد أكثر العلماء - رحمهم الله - من البحث عن ذلك، واهتموا به غاية الاهتمام، فجزاهم الله عن سعيهم أفضل الجزاء يوم الفصل والقضاء.

ورأيت أن هذه العلوم الخمسة متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض، لا يحصل للناظر في بعضها كبير فائدة دون الاطلاع على بقيتها، فإنَّ مَنْ عرف كَوْنَ هذا فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ مثلاً، ولم يعرف كيفية تصريحه ولا اشتقاقه، ولا كيف موقعه من النظم لم يحل بطائل، وكذا لو عرف موقعه من النظم ولم يعرف باقيها.

وأوضح المؤلف عمله بأنه جمع أطراف هذه العلوم آخذاً من كل علم بالحظ الوافر، وكان إذا عرضت قاعدة كلية من قواعد هذه العلوم، أو ضابط لمسألة منتشرة الأطراف، ذكر ذلك محرراً له من كتب القوم، ولم يذكر إلا ما هو المختار عند أهل تلك الصناعة، ولم يأل جهداً في استيفاء الكلام على مسائل هذا الكتاب. وهذا الكتاب - في الحقيقة - نتيجة عمر المؤلف، وذخيرة دهره كما صرح، فإنه لبُّ كلام هذه العلوم.

مكانة كتاب «إعراب القرآن الكريم وبيانه» :

لقد قضى الأستاذ الدرويش - رحمه الله - سنين طويلة من عمره في تحبير هذا الإعراب والتفسير، حتى خرج بهذه الحلة العلمية القشبية، ومن تصفحه أدرك سعة علم الأستاذ، كما أدرك مبلغ العناية الذي كابد في وضع هذا الكتاب، والعناية التي بذلها في جميع مواده، وتنسيق مباحثه.

وأول ما يخطر للناظر فيه أنه لا ينظر في إعراب القرآن فقط، وإنما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن، تضمنت شرحاً لآياته، ثم تاريخاً وأدباً وفقهاً وأحكاماً، سوى الأصل الذي بُني عليه الكتاب، وهو إعراب القرآن.

وهذا الكتاب من أجل ما صُنّف في كتب أعاريب القرآن في العصر الحديث؛ الذي هو بأمس الحاجة إلى مكتبة قرآنية جامعة، فقد ضم اللغة، والتفسير، والإعراب، والبلاغة، وشذوراً من الملامح التاريخية، وأسباب النزول، وغيرها، ولا يعدو هذا الكتاب الذي هو تصنيف جامع أن يكون في الحقيقة نتيجة عمر المؤلف في خضم دراساته، وجهوده مع كتب التراث

العربي نحواً، وصرفاً، وبلاغة، فقد وجد المؤلفُ تراثاً ضخماً يتميز بالتكامل والنضج، وهو بحاجة إلى جمع وتنسيق، فذهب يختار ما تراحُ إليه نفسه من تراث النحو القرآني بعبارة سهلة، وفكرة واضحة، وتعبير طيِّع يدخلُ أعماقَ الفكر الإنساني بيسرٍ، وسهولة.

منهج الدرويش في «إعراب القرآن» :

أوجز المؤلف - رحمه الله - عمله بسطور معدودة، فقال :

«هذا كتابُ : إعراب القرآن وبيانه، أتيح له أن يظهر بعد أن طال احتجابه، وكثر طلابه، ولعله أوّل كتابٍ جَمَعَ البيان فأوعى، ورَسَمَ لشدة الآداب السبيل الأقوم والأسنى».

وكم كنا نرغبُ في أن يفصّلَ في بيان عمله، وذكر مصادره، وطريقة تأليفه، ونحو ذلك، لكنه اكتفى بالقول : ولست أدلّ به لأنه من أئمة البيان مقتبس، وفيه لمن رام البيان نعم الملتمس، ولن أتحدّث عنه فهو أولى بالحديث عن نفسه :

والمسكُ ما قد شَفَّ عنه ذاته لا ما غدا ينعتُه بائعُه

ومن حق هذا البحث الجليل، الذي تصدّينا له؛ أن نسأل أئمة البيان؛ الذين عناهم المؤلف بقوله : عن أئمة البيان مقتبسين، هل هم أئمة التفسير؟ أو أئمة النحو واللغة أو أصول الفقه وعلم البيان، أو أئمة الأحكام، وعلماء القراءات؟

والجوابُ المنصف لبيان عمل الشيخ الدرويش؛ الحديثُ عن مصادره ليربطنا بما ذكره الإمام الزمخشري، حين ذكر أنه لا يتصدّى عالمٌ لتفسير القرآن الكريم إلا إذا أتقن خمسة عشر علماً على وجه الدقة، بيّن من أولها : اللغة، والنحو، والصرف، والبيان، والمعاني . . وقد أدركها المؤلف - رحمه الله - فكانَ هذا الكتابُ موسوعة لعلوم القرآن، وقد سمّاه : «إعراب القرآن الكريم وبيانه» .

ومن الجدير بالذكر أن نعرض للقارىء الكريم صورةً بارزةً مجملةً لجهود المؤلف في هذا الكتاب، ونبين مدى استفادته من كتب التراث العربي الغني، ونضيه أبرز الإشارات التي عني بها في بيانه، وإعرابه.

ففي التفسير: اعتمد من التفاسير أوثقها، كجامع البيان للإمام الطبري، والمحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي، والدر المصون... وغيرها. وهو يورد آراء المفسرين ويناقشها، فيستحسن، ويوجّه، ويستدرك، ويوجز ذلك بكلام مختصر قريب من الفهم.

وفي النحو: يجد القارىء نفعاً كبيراً في الفوائد الإعرابية التي دونها المؤلف، واستقاها من المصادر المهمة في النحو العربي، فهو يسجل آراء أئمة النحو كسيبويه، والفراء، والكسائي، والزمخشري من مظان هذه الآراء، وخاصة كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعراب» للإمام ابن هشام، و«الكشاف» للزمخشري، و«التيان» للعكبري، وهي المصادر المعتمدة في تراثنا النحوي في إعراب القرآن الكريم.

وآية التوفيق في هذا الكتاب هو اختيار المؤلف لما هو أكثر ملاءمة للمنطق والذوق من تراكم العريية، وتوجيهها نحو ما يتفق مع معاني الآية القرآنية، والعناية بأصح التوجيهات والتقديرات، ومن هنا نرى المؤلف يردّ على ما يراه مجرد تكلف، ومجرد صناعة لا تمثّل إلى نحو القرآن بسبيل. كما اعتمد تلخيص ما كان يراه مفيداً نافعاً من آراء المعربين، والمفسرين، والفقهاء، والتي شغلت منهم وقتاً طويلاً، وجهداً واسعاً... جاءت عنده بالماح سريع لعله يفي بالغرض، ويحقق المطلوب.

على أنه ربّما استدعى فحوى بعض المسائل النحوية، والبلاغية، والصرفية مزيداً من البسط والتدليل على فهمها وتوضيحها، فكان المؤلف حريصاً على الإسهاب فيها، ومشدوداً إلى البسط الذي يحتاج فهمه إلى رهافة ذوق، وشفوف طبع، وربما أطال في مسألة نحوية، أو مبحث

صرفي، أو حديث عن أسرار الحروف، أو توضيح لما خفي من بيان إعراب الجمل، ومزايا الأفعال في العربية.

وكانت هذه الإطالة لأغراض مهمة، ولدواع أملت عليها ظروف الحديث عن الآية القرآنية، كأن يجد النحاة قد اضطرب كلامهم فيها اضطراباً شديداً، أو أن يجد أن بعض المراجع الحديثة قد خلط في بيان مسألة لغوية، فأضاع بذلك الطالب والمراجع في متاهات لا منافذ لها، أو أن يشعر أن هذه الفائدة اللغوية أو البلاغية من أسرار القرآن الكريم، فهي من الدقة والحسن بمكان يستحق البسط، والإطناب.

ومما يتصل بعنايته اللغوية أيضاً: تخصيصه فوائد نحوية، ولغوية، وبلاغية بأبحاث مستقلة؛ انطلاقاً من الآية القرآنية، وتوجيه قواعد النحو والتصريف الصحيحة منها، ويورد بعض الشروح اللغوية، مظهر براعته في تفصيلها، وفي إبداع بعض الآراء التي فاتت من سبقه، كما يذكر الكثير من أسرار الإعراب، وتذوق معنى القرآن؛ مما أغفل كثيراً منه المعربون القدامى، وكثير من المحدثين.

وكانت للمؤلف - رحمه الله - عناية كبرى بذكر القراءات القرآنية، واعتمادها حجة، وشاهداً على مسائل اللغة والنحو، فقد أبرز إعراب القراءة، وتوجيهها، وأقوال النحاة فيها، وقد درج على عدم الإشارة إلى قراءة ما إلا إذا كانت تنطوي على بحث مهم.

وما يتعلق بأحكام التجويد، وما يتبعه من الفوائد، فقد كان المؤلف حريصاً على تبيان أدق المصطلحات في هذا العلم - علم التجويد - كحديثه عن الإدغام، والإعلال، والقلب، وقد أفاض الحديث في كثير منها.

كما تعرّض المؤلف لإعراب الصعب والمشكل من الأحاديث النبوية؛ التي كان يسوقها في شرح الآية القرآنية.

ولم يخل الكتاب من الحديث الدقيق عن آيات الأحكام، وقد كان كتاب

«شرح المنهاج» لابن حجر عمدة المؤلف في بيان أحكام الفقهاء في التشريع، وبيان آراء العلماء في العقيدة، والفقه، والمعاملات، ونحوها.

وعني المؤلف في إعراب القرآن وبيانه بتلّس الفوائد المتكاثرة، والفرائد المتناثرة من أوجه إعجاز القرآن، والتقطها، وأبرزها في أسمى دليل بياني، ووجه فكري مُشرق.

وأما الشواهد الشعرية في الكتاب، فإن المؤلف مغرّم بها، على تنوعها من شواهد نحوية، وأدبية، وبلاغية، فلا يكاد يخلو بحث من بعض الشواهد، يستعين بها المؤلف لفهم الآية، وهذا ما يذكّرنا بقول عمر - رضي الله عنه -: أيها الناس! تمسّكوا بديوان شعركم في جاهليّتكم؛ فإنّ فيه تفسير كتابكم^(١).

غير أن المؤلف لم يقتصر على الشعر الجاهلي في احتجاجه، إنما ذكر أشعار من بعدهم كالمتنبي، وابن الرومي، ونحوهم. ويبدو أنّ المؤلف - رحمه الله - كان مولعاً بروائع شعرهم، فراح يربط المعاني السامية في الشعر العربي بما يجده مناسباً لتوضيح معاني القرآن الكريم وبيانه.

يُضاف إلى ذلك أن في الكتاب معالم عن الشعر العربي، وأغراضه وفنونه، كانت ماثلة في فكر المؤلف، وروحه، وصعب عليه - فيما أرى - أن يتركها، فضمّنها ما يُناسبها عند حديثه عن الآيات، وما فيها من فنون أدبية كان سلكها الشعراء الجاهليون في شعرهم.

وأخيراً، فإنّ هذا السفر النفيس ليفيد الطالب والأستاذ، فمؤلّفه - كما أوضحنا - جمع مكتبة قرآنية في كتاب، مع صفاء الأسلوب، وتحقيق علمي يأخذ بمجامع القلوب، ويأسر نفوس أولي النُهي.

ترجمة محيي الدين الدرويش^(١) ١٩٠٨-١٩٨٢ م

أديب مبدع، وشاعر مجدّد، وعالم باللغة والنحو، تخرّج على يديه أجيالٌ من الأدباء، والشعراء، ومحبي اللغة والبلاغة. وعلى الرغم من هذا المجد والتأثير، فإنه ظلّ مغموراً لا يذكره إلا الأقربون، أو الذين عرفوه حق المعرفة أستاذاً جليلاً، ولغوياً كبيراً.

وُلد محيي الدين الدرويش في مدينة حمص سنة (١٩٠٨ م)، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في بعض مدارس حمص، ونال الإجازة من دار المعلمين العليا بدمشق.

عمل في سلك التعليم مدرساً للغة العربية في مدارس حمص الرسمية والخاصة لمدة طويلة تربو على الأربعين عاماً، أصدر خلالها عدداً من الأعمال العلمية، ومنها:

- * تقويم اليد واللسان، بالاشتراك مع الشاعر رفيق فاخوري.
- * ديوان ديك الجن الحمصي، جمعه بالاشتراك مع عبد المعين الملوحي.
- * الصور الفنية المقتبسة من القرآن الكريم، سلسلة من الدراسات أصدرها في مجلته «الخمائل».
- * حديث الثلاثاء، نشره مسلسلاً في جريدة «السوري الجديد» الحمصية.
- * صور زاهية من تاريخنا العربي، سلسلة من الدراسات.
- * سوانح وبوارح، سلسلة نُشرت في الصحف المحلية الحمصية.
- * ديوان شعر كبير مخطوط.
- * إعراب القرآن وبيانه، وهو قمة إنجازاته الأدبية، واستغرق من حياته عشرين عاماً، وهو في ثلاثين جزءاً، يشهدُ على موسوعية المؤلف الفكرية، والأدبية، واللغوية، والتراثية.

(١) مراجع ترجمته: عبقریات؛ لعبد الغني العطري، والحركة الشعرية المعاصرة في حمص؛ لمحمد غازي التدمري، وشعراء حمص؛ لأحمد الدرويش، ومعجم المؤلفين السوريين؛ لعبد القادر عياش.

وقد جَمَعَ محيي الدين الدرويش بين الشعر والنثر، ويتمازُ نثره بلغته السليمة، وألفاظه المختارة. وهو محافظٌ فيما كتب، وألف، وحقَّق، و متمسكٌ بالقديم أدباً ولغة، نثراً وشعراً، وظلَّت لغته سليمة، رصينة، صافية.

وكان محيي الدين الدرويش يكتُم ما يعانیه من فقر وشقاء، ويخرج إلى الناس مُتهلِّل الوجه، هاشأً، باشأً، فيحسبه الكثيرون سعيداً، ويحسدونه على سعادته المزعومة، فلا يجد الشاعر بُدّاً من البوح بما يعانیه، فيقول:

قالوا لقد شاخ الزمانُ وأنت في شَرخ الشباب
وأصابك الخطبُ الممضُ فما أبهتَ لما أصاب
ومشئت بساحتك الصَّعَا ب فما شكوتَ من الصَّعاب
ونراك موفور السَّعادة ناعماً غَضَّ الإهاب
نشوان من فرط الحبور تهيمُ في كلِّ الشَّعاب
أبدًا تظلُّ مُنعمًا بين الأغاني والشُّراب
تصبو إلى ورد الخدود وتبتغي رَشف الرُّضاب
فأجبتهم: لا تعجبوا هذا النعيمُ صدى العذاب

ويبقى محيي الدين الدرويش علماً شامخاً، وشاعراً عملاقاً، وأديباً قديراً، ولغويّاً متمكِّناً، وصَرِّحاً أديباً شامخاً.

لَبَّى الدرويشُ نداءَ ربِّه في التاسع من أيلول سنة (١٩٨٢) ودُفِن في ثرى مدينة حمص.

رحمه الله رحمةً واسعة، وعوّضه عما عاناہ جنة عرضها السموات والأرض، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

منهج هذه الطبعة:

كان لا بُدَّ من إعادة صفَّ الكتاب من جديد، والعناية به عنايةً تليق بمكانته، وتراعي أهميته، بعد أن كتَب اللهُ عز وجل له القبول، فسرى بين طلبة العلم سريان النور في الأفق، وحظي برعاية العلماء وطلابهم، فأولوه

ما يستحقُّه؛ نظراً لاحتوائه على الدر الثمين، وكشفه عن إعراب القرآن، وبلاغته، وأسراره، أتمَّ كشف، وأجلى بيان.

وكان اعتمادنا على النسخة المطبوعة، وجرى التصحيح عليها، مع تنقيتها من شوائب الأخطاء المطبعية السابقة، وضبط الشعر الوارد من المظانِّ المعتمدة، والدواوين المتوافرة، والمجموعات الأدبية، مع العناية بعلامات الترتيم؛ لما لها من أهمية في تقسيم النص، وفهم مدلولاته.

وقد حلَّينا الكتاب بالآيات القرآنية المأخوذة من المصحف الشريف بخط عثمان طه، مع تخريج الآيات الشواهد، تخلصاً من الخطأ، واستبعاداً له أثناء تجارب التصحيح.

وكان لا بُدَّ من بعض التعليقات أو التصحيحات، كما أولَّينا عنايةً للفهارس العلمية، خدمةً لطالب العلم، وتحصيله للفائدة بأيسر سبيل، وأسرع وقت.

وكلُّنا أملٌ في أن تكون هذه الطبعة مُحَقَّقة لمبتغانا، لاسيما أنها خرجت بحلَّةٍ قشبية، وبلونين، بما يغني القارئ، ويفيده، ويسره.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل مَنْ مدَّ يد العون في إبداء ملاحظة، أو تقديم معلومة، أو تصحيح تجربة طباعية، وأخصُّ بالذكر الأستاذ الصديق، والخلِّ الوفي - على ندرة هذه الصنف من الناس في هذا الزمن - أيمن الشوا، فقد كان نِعَم الرجل - كعادته - فيما أشكل عليَّ.

وقد بذلنا جهدنا، فإن حقَّق خيراً فالحمد لله، وإن حدثت هفواتٌ، فكلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون، سائلين المولى العليَّ القدير أن يُقَيِّضَ لنا من يُطلِّعنا على ما ندَّ أو شرد، والله من وراء القصد، وهو سُبْحانه نِعَم المولى ونِعَم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

يوسف علي بدوي

دمشق في ٢٧/رمضان/١٤١٨هـ

٢٥/كانون الثاني/١٩٩٨م

مقدمة الطبعة الأولى

أما بعد حمد الله على آلائه، والصلاة والسلام على خاتمة رُسُلِهِ وأنبيائه، فهذا كتاب «إعراب القرآن الكريم وبيانه»، أتيح له أن يظهر بعد أن طال احتجابه، وكثر طُلَّابه، ولعلَّه أول كتاب جَمَعَ البيان فأوعى، ورسم لشداء الآداب السبيل الأقوم والأسنى، ولست أدلُّ به؛ لأنه عن أئمة البيان مقتبس، وفيه لمن رام البيان نعم الملتمس، ولن أتحدَّث عنه، فهو أولى بالحديث عن نفسه.

والمسك ما قد شَفَّ عنه ذاته لا ما غَدَا ينعُته بَائِعُهُ
وقد جعلته بعدد أجزاء القرآن الكريم^(١)؛ ليسهل تناوله، فلا يحتاجُ مقتنيه إلى كتاب في الإعراب والبيان، وقد قطعَتْ جُهيزةٌ قولَ كلِّ خطيبٍ بعد الآن.

محيي الدين الدرويش

حمص جمادى الأولى ١٤٠٠هـ

نيسان ١٩٨٠ م

(١) صدر هذا الكتاب أول مرة بعدد أجزاء القرآن، ثم جمع في عشر مجلدات، ويصدر في هذه الطبعة بثماني مجلدات إن شاء الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

☆ اللفظة:

﴿أعوذ﴾: أعتصم وأمتنع ﴿الشيطان﴾: إمّا أن يكون على وزن فعْلان، من: شاط يشيط بقلب ابن آدم، أي: مال به وأهلكه، وإمّا أن يكون على وزن فيعال، من شطن، أي: بُعد، كأنه بعد عن الخير، أو بعد غوره في الشرّ. ﴿الرجيم﴾: فعيل بمعنى مفعول، والمرجوم في اللّغة: المطرود الملعون، أو فعيل بمعنى فاعل، أي: يرجم غيره بالإغواء والتضليل وإلقاء النفس في المتألف.

○ الإعراب:

﴿أعوذ﴾ فعل مضارع مرفوع، وهو فعل معتل أجوف؛ لأن عين الفعل واو، والأصل أعوذ، على وزن أفعل، فاستثقلت الضمة على الواو، فنقلت إلى العين فصارت أعوذ، وهذه علّة ما كان من هذا الباب، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنا. ﴿بالله﴾: جار ومجرور متعلقان بأعوذ. ﴿من الشيطان﴾ جار ومجرور متعلقان بأعوذ أيضاً. ومن لابتداء الغاية، كما أن إلى لمتنهي الغاية. فإذا قلت: لزيد من الحائط إلى الحائط، فقد بيّنت به طرفي ماله، وإذا قال الرجل: لزيد عليّ من واحد إلى عشرة، فجائز أن يكون عليه ثمانية إذا أخرجت الحدين، وجائز أن يكون عليه عشرة إذا أدخلت الحدين معاً، وجائز أن يكون عليه تسعة إذا أدخلت حدّاً وأخرجت حدّاً. ﴿الرجيم﴾ نعت حقيقي للشيطان. وجملة الاستعاذة ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

☆ اللغة:

﴿اسم﴾ اختلف علماء اللغة في اشتقاق الاسم، فذهب البصريّون إلى أنه من السّموّ، وهو العلوّ، وذهب الكوفيّون إلى أنه مشتق من السّمة، وهي العلامة. وكلاهما صحيح من جهة المعنى. وفيه خمس لغات: اسم بكسر الهمزة، وأسم بضمّها، وسِم بكسر السين، وسُم بضمّها، وسُمى بوزن هدى. هذا والاسم هو واحدُ الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفادياً للابتداء بالسّاكن؛ لسلامة لغتهم من كل لكنة، وإذا وقعت في درج الكلام لم تفتقر إلى شيء.

﴿الله﴾ علم لا يطلق إلا على المعبود بحقّ خاص لا يشركه فيه غيره، وهو مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وإليه ذهب سيبويه في أحد قوليه، فلا يجوز حذف الألف واللام منه. وقيل: هو مشتق، وإليه ذهب سيبويه أيضاً. ولهم في اشتقاقه قولان:

(أ) أن أصله إله على وزن فِعال، من قولهم: أله الرجل ياله إلهة، أي: عبد عبادة، ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً لكثرة ورودها واستعمالها، ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الشّيع؛ الذي ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة من دون الله.

(ب) أن أصله لاه، ثم أدخلت الألف واللام عليه، واشتقاقه من لاه يليه إذا تستر كآته - سبحانه - يُسمّى بذلك لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار. وما أجمل قول الشريف الرّضي الشاعر:

تاهت العقلاء في ذاته تعالى وصفاته ؛ لاحتجاجها بأنوار العظمة . وتحيروا أيضاً في لفظ الجلالة ، كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعة بهرت أعين المستبصرين ، فاختلفوا: أسرياني هو أم عربي؟ اسم أو صفة؟ مشتق ومم اشتقاقه؟ وما أصله؟ أو غير مشتق؟ علم أو غير علم؟ .

﴿الزَّحْنُ﴾ : صيغة فعلان في اللغة ، تدل على وصف فعليّ ، فيه معنى المبالغة للصفات الطارئة كعطشان وغرثان . ﴿الزَّحْنُ﴾ صيغة فعل ، تدل على وصف فعليّ ، فيه معنى المبالغة للصفات الدائمة الثابتة ، ولهذا لا يُستغنى بأحد الوصفين عن الآخر .

○ الإعراب:

﴿يَسْمُ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف ، والباء هنا للاستعانة أو للإلصاق ، وتقدير المحذوف: أبتدىء ، فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدم ، أو ابتدائي ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، وكلاهما جيد . و﴿الله﴾ مضاف إليه . و﴿الزَّحْنُ﴾ ﴿الزَّحْنُ﴾ صفتان لله تعالى ، وجملة البسملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب .

□ البلاغة:

في البسملة طائفة من فنون البلاغة :

(أ) الأولى في متعلق بسم الله ، أن يكون فعلاً مضارعاً ؛ لأنه الأصل في العمل ، والتمسك بالأصل أولى ، ولأنه يفيد التجدد الاستمراري ، وإنما حذف لكثرة دوران المتعلق به على الألسنة . وإذا كان المتعلق به اسماً فإنه يفيد الديمومة والثبوت ، كأنما الابتداء باسم الله حتم دائم في كل ما نمارسه من عمل ، ونُرَدِّده من قول .

(ب) الإيجاز بإضافة العام إلى الخاص ، ويُسمَّى إيجاز قصر .

(ج) إذا جعلنا الباء للاستعانة ، فيكون في الكلام استعارة مكنية تبعية

لتشبيهها بارتباط يصل بين المستعين والمستعان به، وإذا جعلنا الباء للإلصاق فيكون في الكلام مجاز علاقته المحلية، نحو: مررت بزيد، أي: بمكان يقرب منه لا بزيد نفسه.

* الفوائد:

في البسملة فوائد لا يجوز الجهل بها، ومنها:

(أ) اعلم أن البسملة آية من سورة الحمد، وآية من أوائل كل سورة عند الشافعي، وليست آية في كل ذلك عند مالك. وعند أبي حنيفة وأحمد بن حنبل هي آية من أول الفاتحة، وليست آية في غير ذلك، والاحتجاج لذلك مبسوط في كتب الفقه والتفسير، فارجع إليها.

(ب) لم يوصف بالرحمن في العربية بالألف واللام إلا الله تعالى، وقد نعتت العرب مسيلمة الكذاب به مضافاً، فقالوا: رحمان اليمامة. قال شاعر منهم يمدح مسيلمة:

سموت بالمجد يابن الأكرمين أباً

وأنت غيثُ الورى لازلتَ رحمانا

(ج) تكتب بسم الله بغير ألف في البسملة خاصة، استغناء عنها بباء الاستعانة، بخلاف قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

(د) تُحذف الألف من الرحمن لدخول الألف واللام عليها.

(هـ) يقال لمن قال: بسم الله الرحمن الرحيم: مبسمل، وهو ضرب من النحت اللغوي، وقد ورد ذلك في شعر لعمر بن أبي ربيعة:

لقد بَسْمَلْتُ ليلي غداةً لقيتها

فيا حبّذا ذاك الحبيبُ المُبَسْمِل

ومثل بسمل: حوّل إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهليل إذا قال: لا إله إلا الله، وسبحل إذا قال: سبحان الله، وحمل إذا قال: الحمد لله،

وحیصل وحیعل إذا قال: حی علی الصلاة وحی علی الفلاح، وجعفل إذا قال: جعلت فداك.

هذا؛ والنحتُ عند العرب خاصٌّ بالنسبة، أي: أنهم يأخذون اسمين فينحتون منهما اسماً واحداً، فينسبون إليه كقولهم: حضرميَّ وعبقيسيَّ وعبشميَّ، نسبة إلى حضرموت وعبد القيس وعبد شمس، على أن الفراء ذكر عن بعض العرب: معي عشرة فأحْدُهُنَّ لي، أي: صيرهنَّ أحد عشر. وقال الفراء: معنى اللهم: يا الله آمنا بخير، أي: اقصدنا بخير، فكثرت في كلام العرب. ونحت العرب من اسمين، فقليل عن الصلدم إنه من الصلْد والصلْدَم، ومنه بلحارث لبني الحارث، ولعل الحَقْلَد - وهو السيء الخلق والثقيل الروح - منحوت من الحقد والثقل. ونحتوا من فعل وحرف فقالوا: الأزليَّ، وهو منحوت من: لم يزل، ونحتوا من اسم وحرف فقالوا من: لا شيء: تلاشي، ونحتوا من حرفين فقال الخليل: إن كلمة (لن) منحوتة من لا وأن، وأنها تضمّنت بعد تركيبها معنى لم يكن في أصلها مجتمعين. وإنما أوردنا هذه الأقوال، لا لأنها قاطعة، فهي موضع خلاف كما رأيت، ولكننا استأنسنا بها لتوافر همم المشتغلين باللغة على النحت، ففيه ثروة جديدة للغتنا، وتسهيل لكثير من التعابير الحديثة التي تفتقر إليها، فالنحت من أبرز الظواهر في اللغات الأجنبية الحديثة، بفضل ما يلحق بالأصل من لواحق سابقة أو لاحقة، أو بفضل ما يعطونه للغتهم من مرونة حين يؤلفون كلمة جديدة من اسمين، أو صفتين، أو فعلين، حتى إذا تألفت الكلمة، وأعطت مدلولاً خاصاً، سارت على الأفواه كلّ مسير، ومن أمثلة ذلك في اللغة الفرنسية قولهم المؤلّف من فعل واسم Essie - Main للمندبل المعدّ لتنشيف الأيدي، وقولهم المؤلّف من فعلين: Laiss ez Pass er للإذن المكتوب للمرور، وقولهم المؤلّف من اسمين: Oiseux Monches لنوع من طير صغير وغيرها.

(و) كانت قریش قبل البعثة تكتب في أول كتبها: «باسمك اللهم» وكان

أمية بن أبي الصلت أول من كتب: باسمك اللهم، إلى أن جاء الإسلام، ونزلت بسم الله الرحمن الرحيم. وروى محمد بن سعد في «طبقاته» أن رسول الله ﷺ كان يكتب كما تكتب قريش: باسمك اللهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَكْبَرُ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَحْرُوبَهَا وَمُرسَلَهَا﴾ [هود: ٤١] فكتب: باسم الله، حتى نزل قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فكتب باسم الله الرحمن، حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.



سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

☆ اللفظة:

﴿الْحَمْدُ﴾: الثناء بالجميل، والنداء عليه باللسان، والشكر هو: الثناء على النعمة خاصة، فبينهما عموم وخصوص. ﴿رَبِّ﴾ الرب: هو السيد، والمالك، والثابت، والمعبود، والمصلح. وزاد بعضهم الصاحب مستدلاً بقوله:

فدنا له ربّ الكلاب بكفه

بيض رهاف ريشهنّ مُقَرَّع

والمرىي: الذي يسوس من يربيه ويدبره، فهو اسم فاعل حذفت ألفه، كما

قيل : بَارٌّ وَبَرٌّ . وقيل : مصدر وصف به ، ويقيد بالإضافة ، نحو : ربّ الدّار ، من ربّه يربّه . وقيل : هو صفة مشبهة مصوغة من فعل متعدّد ، فلا بد من تقديره لازماً بالنقل إلى فعل بالضم . ﴿ الْعَلَمِينَ ﴾ جمع عالم - بفتح اللام - وجمع جمع المذكر السالم العاقل تغليياً ، والمراد به جميع الكائنات ، ولذلك أدرجه الثّحاة فيما ألحق بجمع المذكر . والنّكتة فيه هي : أن هذا اللفظ لا يطلق عند العرب على كل كائن وموجود كالحجر والتراب ، وإنما يطلقونه على كل جملة متميزة لأفرادها صفات تقرّبها من العاقل الذي جمعت جمعه وإن لم تكن منه ، فيقال : عالم الإنسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات . والعالم لا واحد له من لفظه ، ولا من غير لفظه لأنّه جمع لأشياء مختلفة ﴿ الدِّين ﴾ : الجزاء . ويوم الدّين : يوم الجزاء ، ومنه قول العرب : « كما تدين تدان » وقول الشاعر :

ولم يبقَ سوى العدو ن دناهم كما دانوا
والدّين أيضاً : الطاعة ، كقوله تعالى : ﴿ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ ، والدّين أيضاً : الملة ، قال المثقّب العبدئي :

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدأ وديني؟

﴿ الصِّرَاطِ ﴾ : الطّريق الواضح والمنهاج . قال جرير :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجّ المواردُ مُستقيم

وفي الصراط أربع لغات : السّراط بالسّين ، من سراط الشيء إذا بلعه ، وسُمّي الطريق سراطاً لجريان الناس فيه كما يجري الشيء المبتلع . والصراط ، وبالزاي خالصة ، وبإشمام الصاد الزاي . وكل هذه اللغات قد قرئ به ويُذكر ويُؤثّث ، وتذكيره أكثر .

○ الإعراب :

﴿ الْحَمْدُ ﴾ مبتدأ ﴿ لِلَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿ رَبِّ ﴾ : صفة لله أو بدل منه ﴿ الْعَلَمِينَ ﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة ؛ لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم . ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾

الرَّحِيمِ ﴿ صفتان لله تعالى أيضاً ﴿مَلِكٍ﴾ صفة رابعة لله، وقرىء ملك، وبينهما فرق دقيق وهو أن المالك هو ذو الملك بكسر الميم. والمملك: ذو الملك بضمها. قال أهل النحو: إن ملكاً أمدح من مالك، وذلك أن المالك قد يكون غير ملك، ولا يكون الملك إلا مالكا، وجمع الملك أملاك وملوك، وجمع المالك ملاك ومالكون ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ مضاف إليه ﴿إِيَّاكَ﴾ ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدّم للاختصاص ﴿نَعْبُدُ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره نحن ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عطف على إياك نعبد، ونستعين: فعل مضارع مرفوع، وهو معتل أجوف، والأصل فيه نستعون، فاستثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى العين، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فصار نستعين ﴿أَهْدِنَا﴾ فعل أمر مبني على حذف العلة، وهو هنا بمعنى الدعاء، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت ﴿الصِّرَاطَ﴾ مفعول به ثان، أو منصوب بنزع الخافض؛ لأن هدى لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد، وتتعدى إلى الثاني باللام كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ﴾ [الإسراء: ٩] أو بإلى كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] ولكن غلب عليها الاتساع فعداها بعضهم إلى اثنين. وقد نظم بعض الظرفاء أبياتاً ضمناها الأفعال التي تتعدى إلى واحد وإلى الثاني بحرف جر، وهي:

تعدى من الأفعال طوراً بنفسه وحيناً بحرف الجر للثان ماترى

دعا في النداء سمى كذا كنى وزوجه واستغفر اختار غيرا

أمرت صدقت الوعد كلت وزنته عفا وهدى منى كذا سأل اذكرا

ومجموعها ستة عشر فعلاً ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ صفة للصراط، وهو معتل، وعين الفعل فيه واو، والأصل مستقوم، فاستثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى القاف، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ﴿صِرَاطَ﴾ بدل مطابق من الصراط ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مضاف إليه في محل جر ﴿أَنْعَمْتَ﴾ فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك،

والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجملة أنعمت لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنعمت ﴿غَيْرِ﴾ بدل من الضمير في عليهم، أو من الذين، أو نعت للذين، وسيأتي بحث مسهب عن غير في باب الفوائد ﴿الْمَغْضُوبِ﴾ مضاف إليه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل للمغضوب؛ لأنه اسم مفعول ﴿وَلَا﴾ الواو حرف عطف ولا زائدة لتأكيد معنى النفي، وهو ما في غير من معنى النفي، وهذه الزيادة مطردة ﴿الضَّالِّينَ﴾ معطوفة على المغضوب عليهم مجرور، وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

□ البلاغة:

اشتملت هذه السورة - على قصرها - على أفانين متعددة من البلاغة ندرجها فيما يلي:

(١) جملة الحمد لله خبر، لكنها استعملت لإنشاء الحمد، وفائدة الجملة الاسمية ديمومة الحمد، واستمراره، وثباته.

(٢) في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فنّ التقديم، فقد قُدِّم الضمير لحصر العبادة والاستعانة بالله وحده، وقدمت العبادة على الاستعانة؛ لأن الاستعانة ثمرتها، وإعادة إياك مع الفعل الثاني تفيد أن كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات، فلا يستلزم كل منهما الآخر، ولأن الكاف التي مع إِيَّا هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل، أعني بقوله نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل، وهي كناية عن اسم المخاطب المنصوب بالفعل، فكثرت بِيَاءاً متقدمة، وكان الأفصح إعادتها مع كل فعل.

(٣) وفي قوله ﴿اللَّهُ﴾ فن الاختصاص للدلالة على أن جميع المحامد مختصة به، وكذلك بالإضافة في قوله ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ لزوال المالكين والأُملاك عن سواه في ذلك اليوم.

(٤) وفي هذه السورة فن الالتفات من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، ومن

لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة، والغرض من هذا الفن التطرية لنشاط الذهن جرياً على أساليبهم، ولأنه لما أثنى على الله بما هو أهل له، وأجرى عليه تلك الصفات العظيمة، ساغ له أن يطلب الاستعانة منه بعد أن مهد لذلك بما يبرر المطالبة، وهو - تعالى - خالق بالاستجابة، وللإشعار بأن أولى ما يلجأ إليه العباد لطلب ما يحتاجون إليه هو عبادته تعالى والاعتراف له بصفات الألوهية البالغة، وقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال: غير المغضوب عليهم فزوى لفظ الغضب عنه تحثناً ولطفاً، وهذا غاية ما يصل إليه البيان. وهذه مراتب الالتفات في هذه السورة:

(أ) عدل عن الغيبة إلى الخطاب بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لأن الحمد دون العبادة في المرتبة، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبد، فلما كانت الحال بهذه المثابة استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر، ولم يقل: الحمد لك.

(ب) ولما صار إلى العبادة، وهي قصارى الطاعات قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فخطب بالعبادة إصراحاً بها، وتقرباً منه عز وجل بالانتهاء إلى عدد محدود منها.

(ج) وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ عطفاً على الأول؛ لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه وآلائه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند إليه النعمة لفظاً، وزوى عنه لفظ الغضب تحثناً ولطفاً.

(د) وأتى بنون الجمع في قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ والمتكلم واحد؛ لأنه ورد في الشريعة أنه من باع أجناساً مختلفة صفقة واحدة، ثم ظهر للمشتري في بعضها عيب، فهو مخير بين رد الجميع أو إمساكه، وليس له تبعض الصفقة، برد المبيع وإبقاء السليم، وهنا لما رأى العابد أن عبادته

ناقصة معيبة لم يعرضها على الله مفردة، بل جنح إلى ضمّ عبادة جميع العابدين إليها، وعرض الجميع صفقة كاملة راجياً قبول عبادته في ضمنها؛ لأنّ الجميع لا يردّ البتّة، إذ بعضه مقبول، وردّ المعيب وإبقاء السليم تبعيض للصفقة، وقد نهى سبحانه عباده عنه، وهو لا يليق بكرمه العظيم، وفضله العميم، فبقي قبول الجميع.

(٥) وعلى ذكر استهلال القرآن بالفاتحة نذكر هذا الفنّ في الفاتحة، وهو براعة الاستهلال، وهو من أرقّ فنون البلاغة وأرشقها، وحدّه أن يبتدىء المتكلم كلامه بما يشير إلى الغرض المقصود من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة وإيماء بعيدة أو قريبة، والاستهلال في الأصل: هو رفع الصوت، وسمي الهلال هلالاً لأنّ الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته. ومن أمثلته في الشعر قول أبي تمام في مطلع قصيدته: «فتح عمورية»:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعبِ

فقد استهلّ قصيدته بذكر السيف، وفيه إيماءة قريبة جداً إلى الموضوع الذي نظمت القصيدة بصدده. وقد اشتهر أبو الطيب ببراعة مطالعه، ومن روائعها قوله:

أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الْعَشَّاقِ

تَحَسَّبَ الدَّمْعُ خَلْقَةً فِي الْمَآقِي

فقد ألمع إلى موضوع قصيدته - وهو الغزل - برشاقة زادها ابتكار المعنى في حسابان الدمع خلقة في المآقي حسناً وجمالاً.

(٦) الاستعارة التّصريحية في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس به أدقّ انحراف قد يخرج عن حدود الاستقامة؛ لأنّ الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وإن كان متعالياً عن الأمكنة، لكن العبد الطالب الوصول لا بدّ له من قطع المسافات، ومس الآفات، ليكرم بالوصول والموافاة.

(٧) التفسير بعد الإبهام، وذلك في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

(٨) التَّسْجِيعُ فِي ﴿الرَّحْمَةِ﴾ و﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ وفي ﴿نَسْتَعِينُ﴾ و﴿الضَّالِّينَ﴾ والتسجيع هو اتفاق الكلمتين في الوزن والرّوي.

* الفوائد:

انطوت هذه السورة على فوائد لا تحصى، وسنورد ما تهتم معرفته منها:
(١) الألف واللام في الحمد للجنس على الأصح؛ لأن حقيقة المحامد ثابتة لله تعالى.

(٢) وسميت هذه السورة «الفاتحة» لأنها أول القرآن وبراعة استهلاله، وتسمى أم الكتاب لانطوائها على المثل السامية، وهي مكية على الأصح، ومن أسمائها السبع المثاني، والوافية، والكافية، والشافية، والرقية، والكنز، والأساس، وغيرها.

(٣) ﴿غَيْرِ﴾ [الفاتحة: ٧] لفظ غير مذكر مفرد أبداً، إلا أنه إذا أريد به مؤنث جاز تأنيث فعله المسند إليه، تقول: قامت غير هند، وأنت تعني امرأة، وهي في الأصل صفة بمعنى اسم الفاعل وهو مغاير، ولذلك لا تتعرف بالإضافة، وقد يستثنى بها حملاً على إلا، كما يوصف بإلا حملاً عليها، وهي من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً أو تقديرًا، فإدخال الألف واللام عليها خطأ.

(٤) آخر الفاتحة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وأما لفظ آمين فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، وهو اسم بمعنى استجب، ويسنّ ختم الفاتحة به، وفيه لغتان: المد والتقصير. قال أبو نواس في المد:

صَلَّى إِلَهٌ عَلَى لُوطٍ وَشِيعَتِهِ أَبَا عَيْدَةَ قُلْ بِاللَّهِ: آمِينَ
وقال آخر في القصير:

تباعد مني فطَحَلْ إذ دعوته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

(٥) قد يقال: إن المؤمنين مهتدون، فما معنى طلبها؟ والجواب: أنَّ المطلوب هو الثبات على الهدى أو زيادته، وليس في كون بعض الناس لم يهتدوا ما يخرجهم عن أن يكون هدى، فالشمس شمس وإن لم يرها الضَّير، والعسل عسل وإن لم يجد طعمه الممرور، فالخبيبة كل الخبيبة لمن عطش والماء زاهر، ولمن بقي في الظلمة والبدر زاهر، وخبث والطيب حاضر.

(٦) الأرجح أن الفاتحة هي أول سورة كاملة نزلت، وأمر النبي ﷺ بجعلها أول القرآن، وانعقد على ذلك الإجماع، ونزول أول سورة العلق وهو: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ يعتبر بمثابة تمهيد للوحي المجمل والمفصل، فلا ينافي كونها أول سورة من القرآن، وذكر السيوطي في الإتيان: أن أول ما نزل من أي القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] و﴿يَتْلُوهُنَّ الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] وسورة الفاتحة.

* * *

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَ ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

☆ اللفظة:

﴿الْمَ﴾ : الحروف التي ابتدئ بها كثير من السور هي على الأرجح أسماء
للسور المبتدأة بها، أما ماهيتها والحكمة منها فقد اختلفت في ذلك الآراء،
وتشعبت المقاصد، حتى ليتعدّر - إن لم نقل يستحيل - على الباحث أن
يستوفيها، ويمكننا أن نصنف هذه الآراء إلى صنفين :

(١) أنها من التشابه به الذي نفوض الأمر فيه إلى الله، ويسعنا في ذلك
ما وسع صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم، قال هؤلاء: ليس من الدين في
شيء أن يتنطّع متنطّع فيخترع ما يشاء من العلل، التي قلّما يسلم مخترعها من
الزلل.

(٢) أنها كغيرها من الكلام الوارد في القرآن، فيجب أن نتكلم بها، ونسبر أغوارها، ونكتنه المعاني المندرجة في مطاويها، عملاً بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾؟ [النساء: ٨٢] وعلى هذا الرأي نُرجِّح أن معناها التحدي والإرهاص بأن هذا القرآن مؤلف من نفس الحروف التي ينظم بها العرب أشعارهم، ويؤلفون خطبهم وأسجاعهم، وهم مع ذلك عاجزون عن الإتيان بمثله أو محاكاته، وهذا تفسير يتمشى مع إعجاز القرآن الذي تميز به. وتقول «دائرة المعارف الإسلامية» في بحثها عن القرآن ما خلاصته: إن العلماء تعبوا كثيراً في فهم المقصود من هذه الحروف، وقد وردت هذه الحروف في تسع وعشرين سورة، كلها من العهد المكِّيِّ إلا ابتداء سورتي البقرة وآل عمران، فقد وردا في العهد المدني، وجملة الحروف التي تكررت في هذه الابتداءات أربعة عشر حرفاً.

وقد أعجبنا بحث كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه: «النثر الفني» فأحببنا أن نقبسَ منه ما يروق، قال صاحب «النثر الفني» ما خلاصته: كنت أبحث عن فواتح السور مع المسيو «بلانشو» فعرض عليّ تأويلاً جديراً بالاعتبار، جديراً بالدرس والتحقيق، وفحواه:

إن الحروف: الم. الر. حم. طسم هي الحروف: A. Q. I التي توجد في بعض المواطن من: Chan-son Degeste فهي ليست إلا إشارات وبيانات موسيقية، يشار إلى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة، فهي رموز صوتية، فليس من المستبعد أن تكون فواتح السور إشارات صوتية لتوجيه الترتيل. ولعل ما أورده الدكتور زكي مبارك يتصل اتصالاً قريباً أو بعيداً بما أورده من معنى التحدي وقرع العصا للمكابرين؛ الذين سبروا أغوار القرآن، وأدركوا بفطرتهم البلاغية ما يتميز به من بيان. وللسيطوي في كتابه الممتع: «الإتيقان» رأي يؤيد ما ذهبنا إليه؛ إذ قال: إنه أريد مفاجأة العرب، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، برموز وإشارات لا عهد لهم بها؛ ليزداد التفاتهم، وتتنبه أذهانهم ونفوسهم ﴿ رَيْبٌ ﴾: الريب: الشك وقلق النفس واضطرابها، وفي

الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». هذا وللريب في اللغة ثلاثة معان: أحدها: الشك، وهو المراد هنا، وثانيها: التهمة، قال جميل:

بشينة قالت: يا جميل أربتني فقلت: كلانا يا بشين مريب

وثالثها: الحاجة، قال:

قَضِينَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْرٍ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا

﴿يَنْفَقُونَ﴾ نفق الشيء ونفذ بمعنى واحد، وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء دالٌّ على معنى التفاد والخروج والذهاب، يقال: نفث الشيء من فيه: رمى به، ونفث في العقد. ومن أقوالهم: «لا بُدَّ للمصدور أن ينفث» و«هذه نفثة مصدور» ونفق الحمار: مات، والتقصي في هذا الباب يضيق عنه صدر هذا الكتاب، وهو من عجائب ما تميّزت به لغتنا الشريفة، وسيأتيك الكثير من أمثاله في هذا الكتاب العجيب ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ببغيتهم، الذين انفتحت أمامهم وجوه الظفر، وكل ما جاء مما فاؤه فاء وعينه لام دال على معنى الانفتاح والشقّ، نحو: فلق وفتح.

○ الإعراب:

﴿الْمَ﴾ كلمة أريد لفظها دون معناها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه ألم ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة في محل رفع مبتدأ واللام للبعد والكاف للخطاب ﴿الْكِتَابُ﴾ خبر ذلك، وهو أولى من جعله بدلاً من اسم الإشارة؛ لأنه قصد به الإخبار بأنه الكتاب المقدس المستحق لهذا الاسم تدعيماً للتّحذّي، والجملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب على أنه يجوز جعله بدلاً من اسم الإشارة، فتكون جملة لا ريب فيه خبراً لاسم الإشارة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا نافية للجنس، وريب اسمها المبني على الفتح في محل نصب اسم لا، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة خبر لذلك أو حال من الكتاب ﴿هُدًى﴾ خبر ثالث لذلك ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بهدى لأنه مصدر، ولك أن تجعله صفة لهدى ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر صفة للمتقين ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من

الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول ﴿بِالْغَيْبِ﴾ جار ومجرور متعلقان بيؤمنون ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ الجملة عطف على جملة يؤمنون داخلية في حيز الصلة ﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به ﴿وَمِمَّا﴾ الواو حرف عطف، ومما جار ومجرور متعلقان بينفقون ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ فعل ماض وفاعل ومفعول به، وجملة رزقناهم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة ما، والعائد محذوف أي: رزقناهم إياه ﴿يُنْفِقُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع معطوف على يقيمون داخل في حيز الصلة أيضاً ﴿وَالَّذِينَ﴾ الواو حرف عطف، واسم الموصول معطوف على الموصول الأول مندرج معه في سلك المتقين ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿بِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بيؤمنون ﴿أُنْزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على ما، أي: القرآن، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿إِلَيْكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأنزل ﴿وَمَا﴾ الواو حرف عطف وما عطف على بما أنزل إليك وجملة ﴿أُنْزِلَ﴾ لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، وهو أولى من تعليقها بأنزل ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ الواو حرف عطف، والجار والمجرور متعلقان بيقفون ﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿يُوقِنُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية وهي: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وسيأتي سر المخالفة بين الجملتين في باب: البلاغة ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ والكاف للخطاب ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لأولئك ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لهدى، والجملة استئنافية لا محل لها ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ﴾ أولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل أو عماد لا محل له ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبر أولئك، ولك أن تعرب هم مبتدأ والمفلحون خبره، والجملة الاسمية خبر أولئك.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة، نوردُها فيما يلي :

(١) التعريف : في تعريف الكتاب بالألف واللام تفخيماً لأمره، وهو في الأصل مصدر قال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤].

(٢) التقديم : فقد قدم الريب على الجار والمجرور؛ لأنه أولى بالذكر استعداداً لصورته حتى تتجسّد أمام السّامع .

(٣) وضع المصدر هدى موضع الوصف المشتق الذي هو هاد، وذلك أوغل في التعبير عن ديمومته واستمراره .

(٤) المجاز المرسل : في قوله ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وعلاقته اعتبار ما يؤول إليه، أي : الصّائرين إلى التقوى .

(٥) الإيجاز : في ذكر المتقين ؛ لأن الوقاية اسم جامع لكل ما تجب الوقاية منه .

(٦) الاستعارة التّصريحية التّبعيّة في قوله : ﴿ عَلَى هُدًى ﴾ تشبيهاً لحال المتقين بحال من اعتلى صهوة جواده، فحذف المشبه، واستعيرت كلمة على الدالة على الاستعلاء لبيان أنّ شيئاً تفوق واستعلى على ما بعدها حقيقة، نحو : زيد على السطح، أو حكماً نحو : عليه دين، فالدين للزومه وتحمله كأنه ركب عليه وتحمله، والدقة فيه أن الاستعارة بالحرف، ويقال في إجراءاتها : شبه مطلق ارتباط بين هدى ومهدي بمطلق ارتباط بين مستعلٍ ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل منها، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، ثم استعيرت على - وهي من جزئيات المشبه به - لجزئي من جزئيات المشبه، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية . ومثل الآية الكريمة قوله :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرُمَتْ يوماً على الآباء نَتَكِلْ

فتأمل هذا البحث فإنه من الدقة والحسن بمكان، وسيرد في القرآن الكريم نماذج منه كالسحر الحلال.

(٧) التكرار في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وفي تكرار اسم الموصول وإن كان الموصوف واحدًا، وقد يكون الموصوف مختلفًا فهو تكرار للفظ دون المعنى، وفائدته الترسخ في الذهن، والتأثير في العاطفة، ويكثر في الشعر.

(٨) الحذف في قوله ﴿الْمَرْءُ﴾ أي: هذه الم و﴿هُدًى﴾ أي: هو هدى فحذف المبتدأ، وفي قوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ أي: المال، فحذف المفعول به.

وقد استهوى الإنفاق في سبيل المحامد والمآثر نفوس شعراء العرب، وما أجمل قول دعبل:

قالت سلامة: أين المال؟ قلتُ لها:

المال - ويحك - لاقى الحمد فاصطحبا

(٩) حسن التقسيم: وهو فن من فنون البلاغة، فحواه استيعاب المتكلم جميع أقسام المعنى؛ الذي هو أخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئًا، فقد استوعبت هذه الآيات جميع الأوصاف المحمودة، والعبادات التي يعكف عليها المؤمنون؛ لأن العبادات كلها تنحصر في نوعين: بدنية ومالية، ولا بد من استيفائهما لتكون العبادات كلها مقبولة. وما أجمل الحديث الشريف القائل: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس» وقوله: مالي مالي: مفعول به لفعل محذوف، أي: أحب مالي، والثاني تأكيد للأول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

☆ اللغة:

﴿سَوَاءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواء، أجري مجرى المصادر، فلذلك لا يشترى ولا يجمع. قالوا: هما وهم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى قالوا: سيّان، وإن شئت قلت سواءان، وفي الجمع هم أسواء، وأيضاً على غير القياس: هم سَوَاسٍ وسواسية، أي: متساويان ومتساوون. والسواء: العدل الوسط بين حدّين. يقال: ضرب سَوَاءَهُ أَي: وسطه، وجثته في سواء النهار، أي: في منتصفه، وإذا كانت سواء بعد همزة التَّسْوِية فلا بُدَّ من أم اسمين كانت الكلمتان، أم فعلين، وإذا كان بعدها فعلاً بغير همزة التَّسْوِية عطف الثاني بأو، نحو: سواء عليّ قمت أو قعدت، وإذا كان بعدها مصدران عطف الثاني بالواو، أو: بأو، نحو: سواء عليّ قيامك وعودك، وقيامك أو قعودك ﴿غِشَوَةٌ﴾ فِعَالَةٌ من: غشاه أو غشيه إذا غَطَّاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصاة والعِمَامَة، ويجوز في الغين الكسر والضّم والفتح.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ إِنَّ واسمها، وجملة ﴿كَفَرُوا﴾ من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول ﴿سَوَاءٌ﴾ خبر مقدم أو خبر إن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بسواء ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ همزة الاستفهام بمعنى التسوية، وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أو فاعل لسواء الذي أجري مجرى المصادر، والجملة خبر إن ﴿أَمْ﴾ عاطفة متصلة، وسيأتي حكمها في باب الفوائد ﴿لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ لم: حرف نفي وقلب وجزم، وتنذرهم فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة معطوفة على جملة: أأنذرتهم ﴿لَا﴾ نافية ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه

ثبوت النون، والواو فاعل، وجملة لا يؤمنون خبر بعد خبر، ولك أن تجعلها تفسيرية لا محل لها من الإعراب ﴿خَتَمَ﴾ فعل ماضٍ ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بختم ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ عطف على قوله على قلوبهم ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ﴾ الواو استئنافية، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿غَشَّوْهُ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿وَلَهُمْ﴾ الواو حرف عطف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لعذاب، والجملة معطوفة على الجملة السابقة.

□ البلاغة:

(١) في إسناد الختم إلى القلوب استعارة تمثيلية، فقد شُبِّهَتْ قلوبهم في نبوّها عن الحقّ وعدم الإصغاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها، وهي قلوب البهائم، وهو تشبيه معقول بمحسوس، أو هو مجاز عقليّ وهو باب واسع عند العرب يقولون: سال بهم الوادي إذا هلكوا، وطارت بفلان العنقاء إذا طالت غيبته.

(٢) وُحِّدَ السمع لوحدة المسموع دون القلوب والأبصار؛ لتنوّع المدركات والمرئيات.

(٣) تنكير العذاب هنا فيه إشارة إلى أنه نوع منه مجهول الكمّ والكيف، ووصفه بعظيم لدفع الإيهام بقلّته وندرته، والتأكيد بأنه بالغ حدّ العظمة.

* الفوائد:

(١) همزة التسوية هي الواقعة بين سواء وبعد ما أبالي، وما أدري، وليت شعري، وضابطها: أنها الهمزة التي تدخل على جملة يصح حلول المصدر محلها كما تقدّم.

(٢) أم: لها حالان:

(أ) متصلة، وهي منحصرة في نوعين، وذلك لأنها إما أن تتقدّم عليها همزة التسوية كما في الآية، أو همزة يطلب بها التّعيين نحو: أزيد في الدّار

أم عمرو؟ وسُمِّيت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتُسَمَّى أيضاً معادلة لمعادلتها الهمزة في النوع الأول، إذ كلتاها تفيد التسوية.

(ب) منقطعة، وهي المسبوقه بالخبر المحض، نحو قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ﴾ [السجدة: ٢ و ٣] وسُمِّيت منقطعة لانقطاع ما بعدها عما قبلها، فكلُّ منهما كلام مستقل لا ارتباط له بالآخر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٨
يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ ﴿فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ﴾ ١٠

☆ اللفظة:

﴿النَّاسِ﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه، ومادته عند سيبويه والفراء: همزة ونون وسين، وحذفت همزته شذوذاً، وأصله أناس، وقد نطق القرآن بهذا الأصل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ اُنَاسٍ بِاِمْمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، وذهب الكسائي إلى أن مادته: نون وواو وسين، مشتق من النَّوَس، وهو الحركة، يقال: ناس ينوس نوساً، والنَّوَس: تذبذب الشيء في الهواء، ومنه: نوس القرط في الأذن، وسُمِّي أبو نواس بذلك لأن ذؤابتين كانتا تنوسان عند أذنيه، واسمه الحقيقي الحسن بن هانئ، وإنما أطلقنا في هذا البحث لأنَّ بعض المعاجم الحديثة خلط في أصله، فأورده في مادة أنس، وبعضها أورده في مادة نَوَس، وأضاعوا بذلك الطالب والمراجع في متاهات لا منافذ منها.

﴿يُخٰدِعُونَ﴾ الخداع في الأصل: الإخفاء، ومنه الأخدعان، وهما

عرقان مستبطنان في العنق، ومنه أيضاً المخدع وهو داخل البيت، ثم أطلق على إظهار غير ما في النفس .

﴿يَشْعُرُونَ﴾ الشعور: إدراك الشيء من وجه يدق ويخفى، وهو مشتق من الشعر لدقته، وقيل: هو الإدراك بالحاسة، فهو مشتق من الشعار، وهو: ثوب يلي الجسد، ومشاعر الإنسان: حواسه، وشعر بالأمر من بابي نصر وكرم: علم به وفطن له، ومنه يُسمَّى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته. والتحقيق: أن الشعور إدراك ما دق من حسي وعقلي .

﴿مَرَضٌ﴾: المرض: مصدر مرض، ويطلق في اللغة على الضعف والفتور، وقالوا: المرض في القلب: الفتور عن الحق، وفي البدن: فتور الأعضاء، وفي العين: فتور النظر، وهو جميل يتغنى به الشعراء قال:

مرضي من مريضة الأجفان عللاني بذكرها عللاني
ويطلق المرض فيراد به الظلمة قال:

في ليلة مَرِضَتْ من كل ناحية فما يحسُّ بها نجمٌ ولا قمرٌ

○ الإعراب:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لذكر المنافقين الذين آمنوا بالسنتهم وكفروا بقلوبهم، فقد افتتح سبحانه بذكر المتقين، ثم ثنى بالكافرين ظاهراً وباطناً، وثلث بالمنافقين، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر، ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر، كأنه قيل: ومن الناس ناس، وسيأتي بحثها ﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب صلة لمن إذا كانت موصولة، وصفة لها إذا كانت نكرة موصوفة ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول للقول ﴿يَاللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بآمنّا ﴿وَالْيَوْمِ﴾ عطف على بالله ﴿الْآخِرِ﴾ نعت لليوم ﴿وَمَا﴾ الواو

حالية، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ﴿هُم﴾ ضمير منفصل في محل رفع اسم ما ﴿يُؤْمِنِينَ﴾ الباء حرف جر زائد للتوكيد؛ لأنه ليس في القرآن حرف جر زائد، ولكنه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك، فهو عند البلاغيين حرف لا يستغنى عنه، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال ﴿يُخَادِعُونَ﴾ فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، كأنه قيل: لم يتظاهروا بالإيمان؟ فقيل: يخادعون. ويحتمل أن تكون حالية من الضمير المستكن في: يقول، أي: مخادعين الله والذين آمنوا ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به ليخادعون ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الله ﴿ءَامَنُوا﴾ الجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول ﴿وَمَا﴾ الواو حالية وما نافية ﴿يَخْدَعُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة أو استئنافية، وما نافية ﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والجملة عطف على جملة وما يخدعون، أو مستأنفة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم ﴿فَرَضَ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاء حرف عطف، وزاد فعل ماض، والهاء مفعول به، والجملة عطف على ما تعلق به الخبر، ويحتمل أن تكون الفاء استئنافية، وجملة زادهم الله: دعائية لا محل لها ﴿اللَّهُ﴾ فاعل زادهم ﴿مَرَضًا﴾ مفعول به ثان، وزاد يستعمل لازماً ومتعدياً لاثنتين ثانيهما غير الأول ﴿وَلَهُمْ﴾ الواو عاطفة أو استئنافية، والجار والمجرور خبر مقدم ﴿عَذَابٍ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿أَلِيمٌ﴾ صفة لعذاب ﴿بِمَا﴾ الباء حرف جر للسببية، وما اسم موصول في محل جر بالباء ﴿كَانُوا﴾ كان واسمها ﴿يَكْذِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة خبر كانوا، وجملة كان واسمها وخبرها لا محل لها لأنها صلة الموصول، ويجوز أن تكون مصدرية. والمعنى على الأول بالذي يكذبونه، وعلى الثاني بسبب كونهم يكذبون. والجار والمجرور صفة ثانية لعذاب أو مصدر، أي: بسبب كونهم يكذبون.

□ البلاغة:

(١) المشاكلة في قولهم ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ﴾ لأن المفاعلة تقتضي المشاركة في المعنى، وقد أطلق عليه تعالى مقابلاً لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم، ومن أمثلة هذا الفن في الشعر قول بعضهم:
قالوا: التمس شيئاً نُجد لك طبخه

قلتُ: اطبخوا لي جبّةً وقميصاً

(٢) المجاز: في الخداع المنسوب إليه، لتعاطيهم أفعال المخادع، ظناً منهم أنهم يستطيعون ذلك لصدق نفيه، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾.

(٣) الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ قَرَضٌ﴾ حيث استعير المرض لما ران على قلوبهم من جهل وسوء عقيدة وما إلى ذلك من ضروب الجهالات المؤدية إلى المتالف.

* الفوائد:

(١) تأتي من نكرة موصوفة في موضع يختص بالنكرة، كقول سويد بن أبي كاهل:

ربّ من أنضجت غيضاً قلبه لو تمئى لي موتاً لم يطع

(٢) ما الحجازية هي العاملة عمل ليس، وإنما سميت حجازية لأن التنزيل جاء بلغة أهل الحجاز، وأحكامها مبسطة في كتب النحو.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

☆ اللفظة:

(الفساد): خروج الشيء عن حال استقامته، ونقيضه الصلاح، والفساد

في الأرض: تهيج الحروب، وإثارة الفتن، والإخلال بمعايش الناس.

(السفهاء): جمع سفيه، وهو المنسوب للسفه، والسفه: حقة رأي وسخافة يقتضيها نقصان العقل، ويقابله الحلم، يقال: سفه بكسر الفاء وضمها.

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا﴾ الواو استئنافية، والجملة بعدها مستأنفة لا محل لها، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، والجملة بعدها معطوفة على جملة يكذبون فتكون في موضع نصب عطفاً على خبر كان، والمعطوف على الخبر خبر، فهي بهذه المثابة جزء من السبب الذي استحقوا به العذاب الأليم، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه ﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره يعود على الله تعالى^(١)، وفي هذا التعبير بحث هام سيأتي في باب الفوائد، وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقيل ﴿لَا﴾ الناهية الجازمة ﴿تُفْسِدُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتفسدوا ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ ﴿مُصْلِحُونَ﴾ خبر نحن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿أَلَا﴾ حرف تنبيه يستفتح بها الكلام ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها ﴿هُمْ﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل له من الإعراب، ولك أن تعرب هم مبتدأ ﴿الْمُفْسِدُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن ﴿وَلَكِنْ﴾ الواو عاطفة، ولكن مخففة من الثقيلة لمجرد الاستدراك ﴿لَا﴾ نافية ﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع

(١) نائب الفاعل هو الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ كما جاء في: الفوائد. فانظره إن شئت.

مرفوع، والواو فاعل، والجملة معطوفة على ما تقدم ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ الواو استئنافية أو عاطفة، وقد تقدم الكلام عنها، وجملة قيل الفعلية في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقيل، وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿ءَامِنُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة، ونائب الفاعل مصدر، وهو القول، وقد أضمر لأن الجملة بعده تفسره، والتقدير: وإذا قيل لهم قول هو آمنوا؛ لأن الأمر والنهي قول، وقد منع النحاة أن تكون الجملة قائمة مقام الفاعل؛ لأن الجملة لا تكون فاعلاً فلا تقوم مقامه ﴿كَمَا﴾ الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف، والتقدير آمنوا إيماناً كإيمان الناس، واختار سيبويه أن يكون في محل نصب على الحال سواء أكانت الكاف حرفاً أم اسماً بمعنى مثل، وصاحب الحال هو المصدر المفهوم من الفعل المتقدم، وما مصدرية ﴿ءَامِنَ النَّاسُ﴾ فعل وفاعله ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، وإذا متعلقة بقالوا، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿أَتُؤْمِنُ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ونؤمن فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره نحن ﴿كَمَا﴾ تقدم إعرابها قريباً ﴿ءَامِنَ السُّفَهَاءُ﴾ فعل وفاعل ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم إعراب نظير هذه الجملة قريباً.

□ البلاغة:

(١) في الآية خروج الاستفهام من معناه الأصلي، وهو طلب العلم، إلى أغراض أخرى تفهم من مضمون الكلام، وتفصيله في علم المعاني، ومرد ذلك إلى الذوق السليم، وقد صدق فولتير حيث يقول: ذوقك أستاذك.

(٢) التغاير: وهو فنٌ يكاد يكون من المرقص، فقد وردت في الفاصلة الأولى ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ ووردت في الفاصلة الثانية ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لسرّ عجيب لا يدركه إلا الملهمون، وتفصيل ذلك: أن أمر الديانة، والوقوف على أن المؤمنين هم على الحق وأما المنافقون فهم على الباطل، هو أمر يحتاج إلى

بعد نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى اشتجار الفتنة، واستبحار الفساد في الأرض، فأمر دنيوي مبني على العادات، وهو معلوم عند الناس، بل هو بمثابة المحسوس عندهم فلذلك قال فيه: لا يشعرون، وأيضاً فإنه لما ذكر السّفه في الآية الثانية، وهو جهلٌ مطبق كان ذكر العلم أكثر ملاءمة فقال: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، وهذا من الدقائق، فتنّبّه له.

* الفوائد:

(١) نائب فاعل قيل: يقدره النحاة ضميراً لمصدره، وجملة النهي مفسرة لذلك الظرف، وقيل: الظرف نائب الفاعل فالجملة في محل نصب. واختلفوا في وقوع الجملة فاعلاً أو نائب فاعل، والوجه أن الجملة التي يُراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ نحو: «لا حول ولا قوة كثر من كنوز الجنة» وفي المثل: زعموا مطيّة الكذب، ولهذا لم يحتج الخبر إلى رابط.

(٢) ﴿آلَا﴾ قيل: هي حرف بسيط يفتح به الكلام، وينبّه على أن ما بعده مُتَحَقِّقٌ لا محالة، وقيل: هي حرف مركب من همزة الاستفهام وحرف النفي، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً، وأختها (أما) التي هي من مقدمات اليمين على حدّ قوله: **أَمَّا** والذي أبكى وأضحك والذي **أَمَاتَ** وأحيا والذي أمره الأمر

﴿وَإِذَا الْقَوْمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ١٤ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ١٥

☆ اللفظة:

(الطُّغْيَان) مصدر طغى طُغْيَانًا، بضم الطاء وكسرهما، ولام طغى قيل:

ياء وقيل: واو، ومعناها: مجاوزة الحد.

(يعمهمون) العمه: التردد والتحير، وهو قريب من العمى، إلا أن بينهما عمومًا وخصوصًا؛ لأن العمى يطلق على ذهاب نور العين وعلى الخطأ في الرأي، والعمه لا يطلق إلا على الخطأ في الرأي.

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا﴾ عطف على ما تقدّم، وقد تكرر إعراب إذا في قياس على ما تقدّم ﴿لَقُوا﴾ أصله لقيوا، وهو فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ونقلت حركتها إلى القاف، والواو فاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية مقول القول ﴿وَإِذَا﴾ عطف على وإذا المتقدمة ﴿خَلَوْا﴾ فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿إِلَى شَيْطَانِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخلوا، وإلى معناها انتهاء الغاية، وسيأتي بحثها في باب الفوائد ﴿قَالُوا﴾ فعل ماض، والجملة لا محل لها من الإعراب ﴿إِنَّا﴾ إن حرف مشبه بالفعل، ونا ضمير متصل في محل نصب اسمها ﴿مَعَكُمْ﴾ مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر إن، والكاف مضاف إليه، وجملة: إنا معكم اسمية في محل نصب مقول القول ﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة ﴿نَحْنُ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾ خبر نحن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية تأكيد لجملة إنا معكم، فهي داخلة في حيّز مقول القول، ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها مبنية على سؤال نشأ من ادعاء المعية، كأنه قيل لهم عند قولهم: إنا معكم فما بالكم تشايعون المؤمنين بكلمة الإيمان؟ فقالوا: إنما نحن مستهزئون،

أو أنها تعليلية للمعية ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً يعود على الله، والجملة الفعلية خبر ﴿يَوْمَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـيستهزئ ﴿وَيَمْدُهُمُ﴾ الواو عاطفة، ويمدّهم فعل مضارع مرفوع عطفاً على يستهزئ، والفاعل مستتر تقديره هو، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به ﴿فِي طُغْيَانِهِمُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيمدّهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب على الحال من الضمير في يمدّهم.

□ البلاغة:

انطوت هاتان الآيتان على فنون عديدة من فنون البلاغة، نوجزها فيما يلي:

(١) المفارقة بين الجمل، فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، وهي جملة آمنا، وخاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية وهي جملة إنا معكم، وذلك لأن الجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية، فإيمانهم قصير المدى لا يعدو تحريك اللسان، أو مدة التقائهم بالمؤمنين، وركونهم إلى شياطينهم دائم الاستمرار والتجدد وهو أعلق بنفوسهم، وأكثر ارتباطاً بما رسخ فيها.

(٢) المخالفة بين جملة مستهزئون وجملة يستهزئ، لأن هزء الله بهم متجدد وقتاً بعد وقت، وحالاً بعد حال، يوقعهم في متاهات الحيرة والارتباك زيادة في التشكيل بهم.

(٣) المشاكلة: فقد ثبت أن الاستهزاء ضرب من العبث واللغو، وهما لا يليقان بالله تعالى، وهو منزّه عنهما، ولكنه سمى جزاء الاستهزاء استهزاء، فهي مشاكلة لفظية لا أقل ولا أكثر.

(٤) الفصل الواجب في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ يَوْمَ﴾ لأن في عطفها على شيء من الجمل السابقة مانعاً قوياً؛ لأنها تدخل عندئذ في حيز مقول

المنافقين، والحال أن استهزاء الله بهم وخذلانه إياهم ثابتان مستمران سواء خلوا إلى شياطينهم أم لا، فالجملة متأنفة على كل حال لأنها مظنة سؤال ينشأ فيقال: ما مصير أمرهم؟ ما عقبي حالهم؟ فيستأنف جواباً عن هذا السؤال.

* الفوائد:

ذكر النحاة معاني لإلى الجارة، أحدها: الانتهاء، وهو الأصل فيها، وثانيها: المعية كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] أي: مع الله، وثالثها: التبيين، وهي المبنية لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب أو اسم تفضيل نحو: ﴿رَبِّ السَّجِّينِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣] ورابعها: مرادفة اللام نحو: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣]، وخامسها: موافقة (في) كقول النابغة الذبياني:

فلا تتركني بالوعيد كائنني

إلى النَّاسِ مَطْلِيَّ به القار أجربُ

وسادسها: موافقة (عند) كقول أبي كبير الهذلي:

أم لا سبيل إلى الشَّباب وذكره

أشهى إليَّ من الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وسابعها: التوكيد، كقراءة بعضهم: (أفئدة من الناس تهوى إليهم) بفتح

الواو في تهوى على تضمين تهوى معنى تميل.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ بِجَنَرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا

مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ

اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾

خبر أولئك ﴿أَشْتَرُوا﴾ فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل ﴿الضَّلَالَةَ﴾ مفعول به ﴿بِالْهُدَى﴾ الجار والمجرور متعلقان باشتروا، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿فَمَا﴾ الفاء حرف للعطف مع التعقيب، وما نافية ﴿رَبِحَتْ﴾ فعل ماض، والتاء تاء التأنيث الساكنة ﴿يَخْرُجْتُهُمْ﴾ فاعل ربحت ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة وما نافية ﴿كَانُوا﴾ كان فعل ماض ناقص، والواو اسمها ﴿مُهْتَدِينَ﴾ خبرها وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم ﴿مِثْلَهُمْ﴾ مبتدأ ﴿كَمَثَلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مثلهم، أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر، ومثل مضاف إليه ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة ﴿أَسْتَوْفَدَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح بمعنى أوقد، وهي استفعل بمعنى أفعل، ومثله أجاب واستجاب، وأخلف واستخلف، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، وجملة استوقد لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول واستعمل الذي في موضع الذين ولذلك قال فيما بعد: ﴿يُتَوَرَّعُونَ﴾. ﴿نَارًا﴾ مفعول به، وجملة مثلهم مستأنفة مسوقة لضرب المثل لحال المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى استحضاراً للصورة، ورفعاً للأستار عن الحقائق ﴿فَلَمَّا﴾ الفاء حرف عطف ولما ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط، وقيل: هي حرف وجوب لوجوب، وسماها ابن هشام رابطة ﴿أَضَاءَتْ﴾ فعل ماض، والتاء تاء التأنيث الساكنة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي ﴿مَا﴾ اسم موصول بمعنى المكان مفعول به ﴿حَوْلَهُ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ما، وزعم بعض اللغويين أن أضاء فعل لازم فيتعين أن تكون ما زائدة، أي: أضاءت حوله ﴿ذَهَبَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿يُتَوَرَّعُونَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بذهب ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر فيه جوازاً ومفعول به أول ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني لتركهم ﴿لَا﴾ نافية ﴿يُبْصِرُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة في موضع نصب

على الحال المؤكدة؛ لأن من كان في الظلمة لا يبصر.

□ البلاغة:

في هاتين الآيتين من فنون البلاغة ما تضيق عنه الصحف، وسنحاول تلخيص هذه الفنون:

(١) الاستعارة التصريحية الترشيحية، والمعنى: اختاروا واستبدلوا، وقرينة الاستعارة الضلالة ثم رشح لهذه الاستعارة بقوله: فما ربحت تجارتهم، فأسند الربح إلى التجارة، فالمستعار منه الذي هو الشراء رشح لفظي الربح والتجارة للاستعارة؛ لما بين الشراء والربح من الملاءمة، والترشيح: هو أن يبرز المجاز في صورة الحقيقة، ثم يحكم عليه ببعض أوصاف الحقيقة فينضاف مجاز إلى مجاز، ومن ذلك قول حميدة بنت النعمان بن بشير:

بكى الخز من روح وأنكر جلده

وعجّت عجيجاً من جذام المطارف

فقد أقامت الخز مقام شخص حين باشر روحاً بكى من عدم ملاءمته بقولها: وأنكر جلده، ثم زادت في ترشيح المجاز بقولها: وعجّت، أي صاحت مطارف الخز من قبيلة روح هذا، وهي قبيلة جذام، ومعنى البيت أن روحاً وقبيلته جذام لا يصلح لهم لباس الخز ومطارفه لأنهم لا عادة لهم بذلك، فكنى عنهم بما كنى في البيت.

(٢) الفرق بين اشتروا، واستبدلوا من وجهين:

أ - أن الاستبدال لا يكون شراء إلا إذا كان فيه فائدة يقصدها المستبدل منه، سواء كانت حقيقية أم وهمية.

ب - أن الشراء يكون بين متبايعين بخلاف الاستبدال، فإذا أخذت ثوباً من ثيابك بدل آخر يقال: إنك استبدلت ثوباً بثوب، فالمعنى الذي تؤدي إليه الآية أن أولئك القوم اختاروا الضلالة على الهدى لفائدة لهم بإزائها يعتقدون

الحصول عليها من الناس ، فهو معاوضة بين طرفين يقصد بها الربح ، وهذا - هو معنى الاشتراء ، ومثلهما البيع والابتيع ، ولا يؤديه مطلق الاستبدال ، إذا عرفت هذا أدركت السر في اختيار اشتروا على استبدلوا ، وتبينت أن القرآن - وهو أعلى درج البلاغة - لا يختار لفظاً على لفظ من شأنه أن يقوم مقامه إلا لحكمة في ذلك ، وخصوصية لا توجد في غيره .

(٣) التتميم في قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ وحده أن يأتي في الكلام كلمة أو كلام إذا طرح منه نقص معناه في ذاته أو في صفاته أو لزيادة حسنة ، فقله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ تتميم لما تقدم أفاد بأنهم ضالون في جميع ما يتعاطونه من عمل .

(٤) التشبيه التمثيلي : في قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ وحقيقة التشبيه التمثيلي : أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، أي : أن حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر ، كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئاً ، وهكذا يبدو لك أن التشبيه التمثيلي يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، ويريك للمعاني المتمثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البليان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويجعل الشيء القريب بعيداً ، ومن أمثله في الشعر قول بشار :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

فقد شبه ثوران النقع المنعقد فوق الرؤوس والسيوف المتلاحمة فيه أثناء الحرب بالليل الأسود البهيم تتهاوى فيه الكواكب ، وتتساقط الشهب . وقول أبي تمام يصف الربيع :

يَا صَاحِبِي تَقْصِيًا نَظْرِيكُمَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
تَرِيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمَرُ

شبه النهار المشمس في الروض البهي المكلل بالأزاهير بالليل المقمر الساجي .

(٥) المخالفة بين الضميرين ، فقد وَحَّدَ الضمير في استوقد وحوله نظراً إلى جانب اللفظ ؛ لأن المنافقين كلهم على قول واحد وفعل واحد ، وأما رعاية جانب المعنى في ﴿ يَتُورِهِمْ وَتَرْكُهُمْ ﴾ فلكون المقام تقبيح أحوالهم وبيان ذاتهم وضلالهم ، فإثبات الحكم لكل فرد منهم واقع .

(٦) مراعاة النظر : وهو فنٌ يعرف عند علماء البلاغة بالتناسب والائتلاف ، وحده أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة ، وهي هنا في ذكر الضوء والنور ، والسُرْفِي ذكر النور مع أن السياق يقتضي أن يقول بضوئهم مقابل أضاءت هو أن الضوء فيه دلالة على الزيادة ، فلو قال بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ، والغرض هو إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ، يؤكد هذا المعنى أنه قال : ذهب بنورهم ، ولم يقل : أذهب نورهم ، والفرق بينهما أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ، ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به معه ، والغرض : إفادة أنه لم يبقَ مطمع في عودة ذلك النور إليهم بالكلية ، إذ لو قيل : أذهب الله نورهم ، ربما كان يتوهم أنه إنما أذهب عنهم النور وبقي هو معهم ، فربما عوضهم بدل ما فاتهم ، فلما قال : ذهب الله بنورهم كان ذلك حسماً وانقطاعاً لمادة الأطماع من حصولهم على أي خير لهم أو منهم ، وهذا من أسمى ما يصل إليه البيان .

وقد تعلّق ابن الرومي بأهداب هذه البلاغة حين قال في وصف العنب الرّازقي :

لم يُتَقِ منه وَهَجُ الحرور إلا ضياء في ظروف نور

فجعل ماء العنب ضوءاً ؛ لأنه أشد توهجاً وأكثر لألاء من قشره ؛ الذي هو بمثابة نور يصون ذلك الضوء ويحفظه ، فما أبرع ابن الرومي في اقتباسه !

* الفوائد:

(١) لكاف التشبيه ثلاث حالات:

أ - يتعين أن تكون اسماً، وهي ما إذا كانت خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو مجرورة بحرف أو إضافة كما تقدم في الآية، وكقول أبي الطيب:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا؟!

ب - يتعين أن تكون حرفاً، وهي الواقعة صلة للموصول.

ج - يجوز فيها الأمران فيما عدا ذلك، وسيأتي المزيد من بحث الكاف في هذا الكتاب.

(٢) ترك: في الأصل بمعنى طرح وخلّى فيتعدى لواحد، وقد يتضمّن معنى التصيير فيتعدى لاثنين.

﴿صُمُّكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ١٨ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

☆ اللفظة:

﴿صُمُّ﴾ جمع أصَمّ، وهو الذي لا يسمع، يُقال: صَمَّ يَصُمُّ بفتح الصاد فيهما، أي: ثقل السمع منه، وقيل: أصله السدّ، وصممت القارورة، أي: سدّتها.

﴿بُكُمْ﴾: جمع أبكم، وهو الذي لا يتكلم أي: الأخرس.

﴿عُمًى﴾: جمع أعمى، والعمى: ظلمة في العين تمنع من إدراك

المبصرات، والفعل منها على وزن عمي على فعل بكسر العين، واسم الفاعل على أعمى، وهو قياس الآفات والعاهات.

(صَيَّبَ): هو المطر الذي يصب، أي: ينزل، وأصله: صيوب، اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء.

﴿السَّمَاءُ﴾ كلُّ ما علاك فأظلك فهو سماء، والسماء مؤنث وقد يُذكر.

قال:

فلو رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحِقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ

○ الإعراب:

﴿صُمُّ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم صم، والجملة مستأنفة ﴿بِكُمْ﴾ خبر ثانٍ ﴿عُنِيَ﴾ خبر ثالث، وهذه الأخبار وإن تباينت في اللفظ متحدة في المدلول والمعنى؛ لأن مآلها إلى عدم قبول الحق ﴿فَهُمْ﴾ الفاء عاطفة، وهم مبتدأ ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ لا نافية، ويرجعون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة خبرهم، والجملة عطف على هم صم، أي: لا يعودون إلى الهدى، والمعنى: أن مشاعرهم انتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك ﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتفضيل، أي: أن الناظرين في حالهم منهم من يشبههم بحال المستوقد، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب ﴿كَصَيَّبَ﴾ الجار والمجرور معطوفان على كمثل، ولا بد من تقدير مضاف، أي: كأصحاب صيب، بدليل ﴿يَجْعَلُونَ أَصْيَعَهُمْ فِيءًا إِذْ أَنَّهُمْ﴾. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لصيب ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ظَلُمْتُ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿وَرَعَدُ وَرَقُّ﴾ معطوفان على ظلمات ﴿يَجْعَلُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فكيف حالهم مع ذلك الرعد؟ فقيل: يجعلون ﴿أَصْيَعَهُمْ﴾ مفعول به ﴿فِيءًا إِذْ أَنَّهُمْ﴾ الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني ليجعلون ﴿مِنَ الصَّوْعِ﴾ الجار

والمجرور متعلقان بيجعلون، ومن سببية، وانظر الفوائد ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول لأجله ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو اعتراضية، والله مبتدأ ﴿يُحِيطُ﴾ خبر ﴿يَا الْكَافِرِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحيط، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها معترضة بين جملتين من قصّة واحدة، وهما: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ﴾ و﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ﴾. ﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ﴾ اسم يكاد المرفوع ﴿يَخْطَفُ﴾ فعل مضارع مرفوع من أفعال المقاربة التي تعمل عمل كان، وفيها لغتان: فعل وفعل، ولذلك يقال - كدت بكسر الكاف، وكُدت بضمها ﴿الْبَرْقُ﴾ اسم يكاد المرفوع ﴿يَخْطَفُ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على البرق؟ وجملة يخطف خبر يكاد، وخبر هذه الأفعال لا يكون إلا فعلاً مضارعاً، وجملة يكاد مستأنفة كأنها جواب قائل يقول: فكيف حالهم مع ذلك البرق؟ فقول: يكاد ﴿أَبْصَرْتُهُمْ﴾ مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿كُلَّمَا﴾ كل: منصوب على الظرفية الزمانية، وقد سرت الظرفية إلى كل من إضافتها لما المصدرية الظرفية، وما مع مدخولها ﴿أَضَاءَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة. وقيل: ما نكرة موصوفة، ومعناها الوقت، والعائد محذوف تقديره: كل وقت أضاء لهم فيه، فجملة أضاء في الأول لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول الحرفي، وفي الثاني محلها الجر على الصفة، وكلما برأسها متضمنة معنى الشرط والعامل فيها جوابها ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأضاء ﴿مَشَوْا﴾ فعل ماض مبني على الضم المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل، وجملة مشوا فيه لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمشوا ﴿وَإِذَا﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه ﴿أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على البرق، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليهم متعلقان بأظلم ﴿قَامُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَلَوْ﴾ الواو استثنائية؛ ولو: شرطية، وعبارة سيويه أنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وهي أحسن

من قول النحويين إنها حرف امتناع لامتناع، وستأتي مباحث طريفة عنها في هذا الكتاب ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، ومفعول المشيئة محذوف، وهذا الحذف سائغ في كلام العرب يكادون لا يذكرون مفعول شاء إلا في الأمر المستغرب، كقول الخريمي:

فلو شئت أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبرٍ أوسع

فأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول شئت؛ لأنه شيء مستغرب فحسن ذكره، ومثل شاء أراد في هذا الحكم ﴿لَذَهَبَ﴾ اللام واقعة في جواب لو، وذهب فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو ﴿يَسْمِعُهُمُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بذهب ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ عطف على يسمعهم ﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبه بالفعل ﴿اللَّهُ﴾ اسمها المنصوب ﴿عَلَى كُلِّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقدير ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه ﴿قَدِيرٌ﴾ خبر إن، وجملة لذهب لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة ﴿إِنَّكَ اللَّهُ﴾ تعليلية لا محل لها من الإعراب.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التصريحية: فقد شبههم بالصم والبكم والعمي، وطوى ذكر المشبه، واعتبره بعض علماء البلاغة في حكم المذكور، فهو عندهم تشبيه بليغ وارد في كلامهم كثيراً.

قال شاعرهم:

صمٌ إذا سَمِعُوا خيراً ذكرت به

وإن ذكرت بسوء عندهم دفنوا

ولكن بلغاء المحققين يتناسون المشبه، ويضربون عن توهمه صفحاً.

قال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني:

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأنَّ له حاجةً في السماء

فقد استعار الصعود من العلوِّ الحسيِّ للعلوِّ المعنوي على طريق

الاستعارة التصريحية، ثم بنى عليه ما يبنى على العلو في المكان ترشيحاً وتميماً للمبالغة، ولم يذكر المشبه.

(٢) التشبيه التمثيلي المتكرر: فقد شبه سبحانه المنافقين وإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر بمن استوقد ناراً ثم انقطعت، وذلك من ثلاثة أوجه:

أ- أن مستوقد النار يستضيء بنورها، وتذهب عنه وحشة الظلمة، فإذا انطفأت ذهبت الاستضاءة، وانتفى الانتفاع والاهتداء.

ب- أن مستوقد النار إذا لم يمدّها بالوقود ذهب ضوءها، كذلك المنافق إذا لم يستدم الإيمان ذهب إيمانه.

ج- أن مستوقد النار المستضيء بها هو في ظلمة ربداء من نفسه، فإذا ذهبت النار بقي في ظلمتين: ظلمة الليل وظلمة نفسه، ثم شبه الدين بالصيب؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من تشبيه الكفار بالظلمات، وما في ذلك من الوعد والوعيد بالبرق والرعد، وما يصيب الكفرة من الفتن والبلايا بالصواعق.

(٣) وإنما أفرد الرعد والبرق، وظاهر الكلام وسياقه يستوجبان جمعهما، كما جمع ظلمات، ولأن الجمع أبلغ من الأفراد، على حدّ قول البحتري:

يا عارضاً متلفعاً يروده يختال بين بروقه ورعوده

نقول: إنما جنح القرآن إلى الأفراد لنكتة هامة، وهي: أن البرق والرعد لما كانا في الأصل مصدرين، والمصادر لا تجمع يقال: رعدت السماء رعداً، وبرقت برقاً، روعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع؛ وهذه النكتة ذهل عنها البحتري، ولا يخفى أن من بين الألفاظ ما يعذب مفردة ويقبح جمعه وبالعكس، وسيأتي ذلك كله في مواطنه من هذا الكتاب العجيب.

(٤) المجاز المرسل في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا ذَاتِهِمْ﴾ لأن الإصبع

ليست هي التي تجعل في الأذن، فذكر الأصابع وأراد الأنامل، وعلاقته الكلية، والمجاز هنا أبلغ من الحقيقة؛ ولذلك عدل عنها إليه. وجمع الأصابع لأنه لم يرد أصبعاً معينة؛ لأن الحالة حالة دهش وحيرة، فأية أصبع اتفق لهم أن يسدوا بها آذانهم فعلوا غير معرّجين على ترتيب معتاد، أو تعيين مفترض.

* الفوائد:

زعم قاضي القضاة تاج الدين محمد بن عبد الرحمن بن عقيل شارح ألفية ابن مالك في النحو: أن من الصواعق متعلقان بحذر الموت، وفي ذلك تقديم معمول المصدر. قال ابن عقيل: إن الذي حمّله على ذلك أنه لو علّقه يجعلون لكان في موضع المفعول لأجله، ويلزم على ذلك تعدّد المفعول لأجله من غير عطف؛ وذلك ممتنع عند النحاة، وأجاب عن هذا الاعتراض أن المفعول لأجله الأول تعليل للجعل مطلقاً، والثاني تعليل له مقيداً بالأول، والمطلق والمقيد متغايران فالمعلّل متعدّد في المعنى وإن اتحد في اللفظ، وقد استدرك ابن هشام في «مغني اللبيب» على ابن عقيل، فارجع إليه إن شئت ففيه متعة وفائدة.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

☆ اللفظة:

أنداداً: جمع ندّ بكسر النون، وهو المثل، ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ. قال جرير:

أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدًّا وَمَا تَيْمٌ لَدِي حَسْبُ نَدِيدٍ

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيَّهَا﴾ يا: حرف نداء للمتوسط، ولم يقع النداء في القرآن بغيرها من أدوات النداء، وأي: منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب ﴿النَّاسُ﴾ بدل من أي على اللفظ ﴿اعْبُدُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل ﴿رَبِّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول نعت لربكم ﴿خَلَقَكُمْ﴾ فعل ماض، والكاف مفعول، والفاعل مستتر تقديره هو ﴿وَالَّذِينَ﴾ الواو حرف عطف، والذين اسم موصول معطوف على الكاف، أي: وخلق الذين ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الإعراب؛ لأنه صلة الموصول ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لعل حرف ترجٍ ونصب، والكاف اسمها ﴿تَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة الفعلية خبر لعل، وجملة لعلكم تتقون لا محل لها؛ لأن موقعها مما قبلها موقع الجزاء من الشرط، ويجوز أن تعرب حالية، أي: حال كونكم مترجين للتقوى طامعين فيها ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل نصب صفة ثانية لربكم ﴿جَعَلَ﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لفراشاً ثم تقدمت ﴿الْأَرْضُ﴾ مفعول جعل الأول إن كانت من الجعل بمعنى التغيير ﴿فِرَاشاً﴾ مفعول به ثان وإن كانت من الجعل بمعنى الخلق فتكون فراشاً حالاً مؤولة ﴿وَالسَّمَاءُ﴾ عطف على قوله الأرض ﴿بِنَاءٍ﴾ عطف على فراشاً ﴿وَأَنْزَلَ﴾ الواو حرف عطف، وأنزل عطف على قوله جعل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنزل ﴿مَاءً﴾ مفعول أنزل ﴿فَأَخْرَجَ﴾ عطف على أنزل ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بأخرج ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة وتقدمت ﴿رِزْقاً﴾ مفعول به ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لرزقاً ﴿فَكَلا﴾ الفاء

تعليلية، ولا: ناهية ﴿تَجْعَلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والجملة تعليلية لا محلّ لها بمثابة الاستثنائية، والمعنى أن هذا النهي متسبّب عن إيجاد هذه الآيات الباهرة ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع المفعول الثاني لتجعلوا ﴿أَنْدَادًا﴾ مفعول تجعلوا الأول ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر أنتم، والجملة الاسمية في موضع نصب على الحال.

* الفوائد:

(١) اضطرب كلام النحاة في إعراب الاسم المعرف بالألف واللام بعد يا أيها، فقال معظمهم: إنه صفة، وحجتهم أن كلاً من حرف النداء وأل أداة تعريف، وهم يكرهون أداتين لمؤدّي واحد، فأقحمت أي لتكون هي المنادى ظاهراً، والمحلى بأل صفة لها، ويرد بأنه جامد مثل: يا أيها الرجل، ويجب أن يكون وإن كان جامداً لكنه في حكم المشتق، أي: المتصف بالرجولية، والذي نراه أنه يقال في أن أي أو أية منادى، وها حرف تنبيه وما فيه أل بدل من المنادى إذا كان جامداً وإلا أعرب نعتاً.

(٢) إنما سميت الأرض أرضاً لأنها تتأرض ما في بطنها، يعني: تأكل ما فيها.

(٣) إذا ورد الترجي في كلام الله تعالى، ففيه ثلاثة تأويلات:

أ - إن لعلّ على بابها من الترجي والأطماع، ولكنه بالنسبة إلى المخاطبين، وقد نص على هذا التأويل سيبويه في كتابه، والزمخشري في كشّافه.

ب - إن لعلّ للتعليل، أي: اعبدوا ربكم لكي تتقوا، نصّ عليه قطرب، واختاره الطبري في تفسيره الكبير.

ج - إنها للتعرض للشيء ، كأنه قيل : افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا ، نص عليه أبو البقاء ، واختاره المهدوي في تفسيره الممتع .

(٤) إذا تقدم النعت على المنعوت أعرب حالاً ، وساغ لذلك أن يكون صاحب الحال نكرة مع أنه محكوم عليه أن يكون معرفة ؛ لأن الحكم على المجهول لا يفيد في الغالب ، وعليه قول الشاعر :

لَمِيسَةٌ مُّوَحَّشًا طَلَّلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَّلُ

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٣ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

☆ اللفظة:

(السورة) الطائفة من القرآن التي أفلها ثلاث آيات ، ومن معانيها : المرتبة الرفيعة ، قال النابغة الذبياني :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

﴿وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو ، وهو ما توقد به النار من حطب وغيره ، وأما بضمها فهو مصدر وقد ، وكذا يقال فيما جاء على هذا الوزن كالوضوء ، والطهور ، والسحور .

○ الإعراب:

﴿وَإِنْ﴾ الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق للرد على من ارتابوا في القرآن تعنتاً ولجأجأ وإن شرطية تجزم فعلين ﴿كُنْتُمْ﴾ كان فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، والفعل الناقص في محل جزم فعل الشرط ﴿فِي رَيْبٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كُنتُم ﴿مِمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لريب ، وما موصولة ﴿نَزَّلْنَا﴾ فعل ماض مبني على

السكون، ونا ضمير في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بنزلنا، والعائد محذوف، أي: نزلناه ولم يقل أنزلناه؛ لأن القرآن نزل منجماً على سبيل التدريج ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأن الجملة طلبية لا تصلح لتكون شرطاً، واثتوا فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿بِسُورَةٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان باثتوا ﴿مِنْ مِّثْلِهِ﴾ متعلقان بحسب عودة الضمير، فهو إما أن يعود على القرآن، فهما متعلقان بمحذوف صفة لسورة، وإما أن يعود على عبدنا، فهما متعلقان بقوله: فاثتوا، والمعنى على الأول يتناول عدة أمور:

أ - فاثتوا بسورة من مثله في حسن النظم، وبديع الوصف، وروعة الأسلوب وإيجازه.

ب - فاثتوا بسورة من مثله في غيبوبة أخباره وأحاديثه عن الماضين، وتحديثه عما يكون.

ج - فاثتوا بسورة من مثله فيما انطوى عليه من أمر ونهي، ووعد ووعيد، وبشارة وإنذار، وحكم وأمثال.

د - فاثتوا بسورة من مثله في صدقه وصيانيته من التحريف والتبديل، وغير ذلك من خصائصه.

هـ - فاثتوا بسورة من مثله في منطوياته البعيدة، وأحكامه المتمشية مع تطورات الأزمنة، وتقدم العلوم، ومواكبته للحضارة الإنسانية في مختلف ظروفها وأحوالها.

والمعنى على الثاني يتناول عدة أمور أيضاً:

أ - فاثتوا من مثل الرسول، أي: من أمي لا يحسن الكتابة على الفطرة الأصلية.

ب - فأتوا من مثل الرسول، أي من رسول لم يدارس العلماء، ولم يجالس الحكماء، ولم يتعاط أخبار الأولين، ولم يؤثر ذلك عنه بحال من الأحوال.

ج - فأتوا من مثل الرسول، أي: من كل رجل كما تحسبونه في زعمكم شاعر أو مجنون.

وكلا المعنيين - كما ترى - حسن جميل.

﴿وَادْعُوا﴾ عطف على قوله: فأتوا والواو فاعل ﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾ مفعول به لادعوا، والكاف في محل جر بالإضافة ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بادعوا، والمعنى: وادعوا من دون الله شهداءكم، والشهداء: إما جمع شهيد للمبالغة كعليم وعلماء، وإما جمع شاهد كشاعر وشعراء، ويحتمل أن يتعلقا بمحذوف حال من قوله شهداءكم، والتقدير: منفردين عن الله تعالى أو مغايرين لله ﴿إِنْ﴾ شرطية، وانظر بحثاً هاماً عنها في باب الفوائد ﴿كُنْتُمْ﴾ كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها ﴿صَادِقِينَ﴾ خبرها وجواب الشرط، أي: فافعلوا ذلك ﴿فَإِنْ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وقلب وجزم ﴿تَفْعَلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون ﴿وَلَنْ﴾ الواو اعتراضية، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ﴿تَفْعَلُوا﴾ فعل مضارع منصوب بلن، وعلامة نصبه حذف النون، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها معترضة بين الشرط وجوابه ﴿فَاتَّقُوا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واتقوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿النَّارِ﴾ مفعول به ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول في محل نصب صفة للنار ﴿وَقُودُهَا﴾ مبتدأ مرفوع، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿النَّاسِ﴾ خبر ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ عطف على الناس، والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿أُعِدَّتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأعدت، والجملة الفعلية

في محل نصب حال لازمة من النار، وإنما قلنا لازمة ردّاً على بعض المعربين كأبي حيان وابن عطية، فقد جعلوا الجملة استئنافية تفادياً لجعلها حالية من النار؛ لأن المعنى يصير: فاتقوا النار في حال إعدادها للكافرين بينما هي معدة لهم اتقوها أم لم يتقوها، ولكن إضافة لازمة تدفع هذه المظنة.

□ البلاغة:

(١) إيجاز القصر في قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ والإيجاز هو جمع المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح.

(٢) إيجاز الحذف في قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أيضاً، وإيجاز الحذف يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف؛ لأن من اتقى النار عصم نفسه عن جميع الموبقات التي يطول تعدادها، وترك المكابرة والمعاندة.

(٣) الاعتراض: في قوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ وهو يأتي في الكلام لأغراض كثيرة، والغرض هنا التأكيد بأن ذلك غير متاح لهم ولو جهدوا وتضافرت هممهم عليه، ومن روائعه قول عوف بن محلم الخزاعي:

إِنَّ الثَّمَانِينَ، وَبُلَّغْتَهَا،

قد أحوجت سَمْعِي إلى ترجمان

فقوله: وبلغتها، اعتراض بين اسم إن وخبرها، وفائدتها: الدعاء للمخاطب بأن يمتدّ عمره إلى الثمانين مع التنصل من مسؤولية عدم السمع بسبب كبر السنّ ووقر السمع، وقول المتنبي جميل للغاية:

وخفوق قلبٍ لو رأيت جحيمه

- يا جَنَّتِي - لظننت فيه جهنماً

والاعتراض في قوله: يا جنتي. وقول أبي نواس وقد عشق الأمين:

قد هامَ قلبي ولا أقولُ بمن أخافُ من لا يخافُ من أحدٍ

إذا تفكّرتُ في هواي له
 مسستُ رأسي هل طار عن جسدي؟
 إني - على ما ذكرت من فرقي -
 لآملُ أن أناله بيدي
 والاعتراض في قوله : على ما ذكرت من فرقي ، وفيه ما لا يكتنه حسنه .

* الفوائد :

(١) فشل محاولات التحدي : دعا القرآن قريشاً إلى أن تحاول محاكاة القرآن تحدياً لها في مواطن كثيرة، أبرزها الآية التي نحن بصدددها، ويظهر أنها حاولت أن تردّ على هذا التحدي فعجزت عن هذا في حياة النبي ﷺ، ولم تنقطع الرغبة في تقليد القرآن بعد حياته، فقد حاول مسيلمة الكذاب الذي ظهر باليمامة في بني حنيفة، وطليحة بن خويلد الذي تنبأ في بني أسد، والأسود العنسي الذي تنبأ في اليمن، وسجاح التي ظهرت في بني تغلب، ولا سبيل إلى الجزم بأن الكلام الذي جاء به هؤلاء منسوب إليهم حقيقة، بل نرجّح أنه من تخيل القصّاص المتأخرين، فمن هذا الكلام المتهافت الذي نسب إلى مسيلمة أنه كان يقول : «يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكذّرين، ولا الشارب تمنعين» وواضح تماماً أن هذا الهراء ليس من لغة الجاهلين في شيء، ومع هذا فقد خدع عنه الجاحظ، أو هو يسخر منه حين يقول : «ولا أدري ما الذي هيّج مسيلمة حتى ساء رأيه في الضفدع». وأما وحي الأسود العنسي - كما يقول - فكان ينزل به عليه - على زعمه - ملك أسماه : ذا ضمّار، وكان رجلاً فصيحاً، يجيد سجع الكهّان، وقد ضاع كلامه، ولم يصلنا منه شيء. وأما وحي طلحة فقد كان ينزل به عليه - فيما يزعم - ملك سمّاه ذا النون، ثم عدل عن ذي النون، وقال : لا بل هو جبريل، ولم يُعرف شيء عن قرآنه المزعوم. وأما سجاح فقد ادّعت قرآناً، إلا أن وحيها صمت حين لقيت مسيلمة وتزوجته ذلك الزواج الماجن المضحك، الذي تذكر

مخازيه كتب الأدب والتاريخ، وذكر ابن قَيِّم الجوزيَّة والباقلاني أن عبد الله بن المقفع عندما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] عدل عن إنشاء قرآنه وقال: هذا لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، وترك المعارضة، وأحرق ما كان اختلقه، ويقول الباقلاني: إن قوماً ادعوا أن ابن المقفع عارض القرآن في كتابه «الدرة اليتيمة» ولكنه لم يجد فيما أنشأ ابن المقفع في هذا الكتاب ما يصح أن يكون تقليداً للقرآن.

وكان شاعرنا العظيم أبو الطيب المتنبي قد تنبأ - فيما يقول الرواة - في بادية السماوة، وأنشأ كلاماً سماه قرآناً منه قوله: والنجم السيَّار، والفلك الدُّوَّار، والليل والنهار، إن الكافرين لفي أخطار. امض على سنتك، واقف من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه، وضلَّ عن سبيله. إلا أن المتنبي عدل عن هذه المحاولة، على أننا نشكُّ كثيراً في هذه الروايات؛ لأن المتنبي كان أحصف من أن ينسب إلى نفسه مثل هذا الهراء، ولأسباب أخرى لا مجال لبحثها الآن.

ومن الذين اتهموا أيضاً بهذه التهمة أبو العلاء المعري في كتابه «الفصول والغايات»، في محاذاة السُّور والآيات» ومما ورد في هذا الكتاب: سبحانه مؤبَّد الآباد، هل للمنية نسب إلى الرُّقاد؟ لا أتخيل إذا أنبعت أحداً من الأموات، إذا هجعت لقيني قريب عهد بالمنية، ومن فقدت منذ أزمان، أسألهم فيجيئون، وأحاورهم فيتكلمون، كأنهم بحبل الحياة مُعلَّقون، لو صدق الرقاد لسكنت إلى ما يخبر عنه سكان القبور، ولكن الهجعة كثيرة الكذاب. وقد ذكر مصطفى صادق الرافعي من أدبائنا المحدثين في كتابه الممتع: «إعجاز القرآن» ما نصه: وتلك ولا ريب فرية على المعري، أراد به عداً حادقاً؛ لأن الرجل أبصر بنفسه وبطبعة الكلام الذي يعارضه. أما الدكتور طه حسين فقد ذكر في كتابه: «مع أبي العلاء في سجنه» ما خلاصته: هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن في الفصول والغايات

كما ظن بعض القدماء؟ نعم ولا، نعم إن فهمنا من المعارضة مجرد التأثير والمحاكاة، ولا إن فهمنا من المعارضة أن أبا العلاء قد نظر إلى القرآن على أنه مثل أعلى في الفن الأدبي، فتأثره، وجدَّ في تقليده كما يتأثر كل أديب بما يعجب به من المثل الفنية العليا، ذلك شيء لا شك فيه، فأيسر نظر في كتاب «الفصول والغايات» يشعرك بأن أبا العلاء حاول أن يقلد قصار السور وطوالها، وليس المهم أنه وفق في هذا التقليد أو لم يوفق، بل من المحقق أن التوفيق لم يقدر له، كما لم يقدر لغيره.

(٢) نصَّ النحاة والأصوليون على أن إن الشرطية لا يعلّق عليها إلا مشكوك فيه، فلا تقول: إن غربت الشمس آتاك، بل إذا غربت آتيك، وأن إذا يعلّق عليها المشكوك فيه والمعلوم، والشك على الله محال، فكيف جاءت هنا؟ والجواب أن الخصائص الإلهية لا تدخل في أوضاع العربية، بل هي مبنية على خصائص الخلق، وهذا منزلٌ منزلةٌ كلامهم فيما بينهم، كأنه قيل: إن العادة بين الناس الشك في أمر الإله والرسول والمعاد، وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن إلا بعد قيام النظر وقيام الأدلة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿وَبَشِّرِ﴾: البشارة: الإخبار بما يظهر سرور المخبر به، ومنه البشارة لظاهر الجلد، وتباشير الصبح: ما ظهر من أوائل ضوءه، ولهذا التفسير اللغوي بحث فقهي طريف. قال الفقهاء: إذا قال لعبده: أئكم بشرني بقدم فلان فهو حرٌّ، فبشروه فرادى أعتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره

دون الباقيين؛ ولو قال مكان بشرني: أخبرني عتقوا جميعاً، لأنهم جميعاً أخبروه.

○ الإعراب:

﴿وَبَشِّرِ﴾ الواو عاطفة عطفت وصف جملة ثواب المؤمن على وصف جملة عقاب الكافر، وفاعل بشر ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَعَمِلُوا﴾ عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة، والواو فاعل ﴿الضَّلِيلِينَ﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل تنصب الاسم وترفع الخبر، وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض، وسيأتي بحثه في باب الفوائد ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ﴿جَنَّتِ﴾ اسمها المؤخر، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿تَجَرَّى﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتجري ﴿الْأَنْهَارِ﴾ فاعل مرفوع ﴿كُلَّمَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط، وما مصدرية أو نكرة مقصودة، وقد تقدم القول فيها قريباً ﴿رَزَقُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول، والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها أو في محل جر على الصفة، أي: كل وقت رزقوا فيه ﴿مِنْهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان برزقوا ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ الجار والمجرور بدل اشتمال من قوله منها، ومثاله: أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك، فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان ﴿رَزَقًا﴾ مفعول به ثان لرزقوا، والمفعول الأول هو نائب الفاعل الذي هو الواو، ويبعد أن يكون رزقاً مصدرأ منصوباً على المفعولية المطلقة، وجملة كلما رزقوا صفة ثانية لجنات أو حالية، ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط

غير جازم ﴿ هَذَا ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ
﴿ الَّذِي ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر، والجملة
الاسمية في محل نصب مقول القول ﴿ رَزَقْنَا ﴾ فعل ماض مبني للمجهول،
ونا ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، وجملة رزقنا لا محل لها لأنها
صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: رزقناه ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ من حرف جر
لا ابتداء الغاية، وقيل: ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً
لا معنى في محل جر بمن، والجار والمجرور متعلقان برزقنا أو بمحذوف
حال ﴿ وَأَتَوْا ﴾ الواو استئنافية، وأتوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو
نائب فاعل ﴿ بِهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأتوا، والجملة مستأنفة مسوقة
للإخبار عن هذا الذي رزقوه ﴿ مُتَشَبِّهًا ﴾ حال، أي: مشبهاً للثمر الذي
كانوا يألفونه في الدنيا؛ لأن الإنسان بالمألف آنس، وإليه أميل، وقيل:
يشبه بعضه بعضاً في اللون وإن تباين في الطعم، والمعنى الأول أرجح بدليل
ما تقدم وهو قوله: ﴿ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿ وَلَهُمْ ﴾ الواو حرف
عطف ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ فِيهَا ﴾ جار
ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ مبتدأ مؤخر، والزوج ما يكون
معه آخر فيقال زوج للمرأة والرجل، وأما الزوجة بالتاء فقليل، وقال الفراء:
إنها لغة ﴿ مُطَهَّرَةٌ ﴾ نعت لأزواج ﴿ وَهُمْ ﴾ الواو حرف عطف، وهم مبتدأ
﴿ فِيهَا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخالدون ﴿ خَالِدُونَ ﴾ خبرهم.

□ البلاغة:

- (١) المجاز المرسل في قوله: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾، والعلاقة
المحلية هذا إذا كان النهر مجرى الماء كما قال بعض علماء اللغة، أما إذا
كان بمعنى الماء في المجرى فلا مجاز فيه، وفيه لغتان فتح الهاء وسكونها.
- (٢) التشبيه البليغ في قوله: ﴿ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾. وسمي بليغاً
لأن أداة التشبيه فيه محذوفة، فتساوى طرفا التشبيه في المرتبة. ومن أمثله
قول أبي العلاء يصف ليلة:

ليلتي هذه عروسٌ من الزنـ ج عليها قلائد من جُمان
* الفوائد:

(١) قد يحذف الجار سماعاً، فيتنصب المجرور بعد حذفه تشبيهاً له بالمفعول به. ومنه قول جرير:

تَمْرُونُ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامٌ
أي: تمرّون بالديار، ويقاس سقوط حرف الجر قبل أن المصدرية، وأن المشبهة بالفعل المفتوحة الهمزة.

(٢) جمع غير العاقل يجوز وصفه بالجمع المناسب، قال تعالى:
﴿جَنَّتٍ مَّعْرُوشَتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] ويجوز في غير القرآن معروشة، وجمع التكسير الدال على العقلاء يجوز وصفه أيضاً بالمفرد المؤنث، ويجوز وصفه بالجمع كما في الآية، وهو: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ويجوز في غير القرآن مطهرات.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٧)

☆ اللغة:

﴿يَسْتَحْيِي﴾: الحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يُعاب به ويُذم. ومن أقوال العرب: فلان أحيّا من مخدرة.

وقالت ليلي:

وأحيا حياء من فتاة حيّة وأشجع من ليث يحقان خادر
 (البعوض) الحيوان العضوض المعروف، واشتقاقه من البعوض، وهو
 القطع، ومنه: بعض الشيء لأنه قطعة منه.
 (النقض): الفسخ وفك الترتيب.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل ﴿الله﴾ اسمها المنصوب ﴿لَا﴾ نافية
 ﴿يَسْتَحْيِ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود
 على الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ أن حرف
 مصدري ونصب، ويضرب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً، وأن
 وما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به إن كان يستحي يتعدّ
 بنفسه أو في محل نصب بنزع الخافض، وقد تقدم بحثه قريباً ﴿مَثَلًا﴾
 مفعول به ليضرب ﴿مَا﴾ فيها أقوال عديدة أرجحها فيما نرى أنها الإبهامية،
 وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته شيوعاً وعموماً وإبهاماً، تقول:
 أعطني كتاباً ما، تريد: أي كتاب شئت، وتعرب صفة للاسم قبلها
 ﴿بَعْوْضَةً﴾ بدل من مثلاً ﴿فَمَا﴾ الفاء عاطفة، وما اسم موصول في محل
 نصب معطوف على بعوضة ﴿فَوْقَهَا﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل
 له من الإعراب، لأنه صلة الموصول المراد، فما تجاوزها في المعنى الذي
 ضربت فيه مثلاً وهو القلة والحقارة، أو فما تجاوزها في الحجم، كأنه قصد
 بذلك ردّ ما استهجنوه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من
 البعوضة، تقول: فلان لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه، تريد
 الدرهم والدرهمين. وجميل حديث رسول الله ﷺ فيما يرويه مسلم عن
 إبراهيم عن الأسود قال: دخل شباب قريش على عائشة - رضي الله عنها -
 وهي بمنى، وهم يضحكون فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: خرّ على طنب
 فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا إني سمعت
 رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها

درجة ومحيت عنه خطيئة». يحتمل فيما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة، ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع ﴿فَأَمَّا﴾ الفاء استئنافية، وأما حرف شرط وتفصيل ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الذين ﴿فَيَعْلَمُونَ﴾ الفاء: رابطة لجواب الشرط، ويعلمون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وجملة يعلمون في محل رفع خبر الذين ﴿أَنَّهُ﴾ أن: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها ﴿الْحَقُّ﴾ خبرها، وإن وما في حيزها سدت مسدً مفعولي يعلمون ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَأَمَّا﴾ الواو حرف عطف، وأما حرف شرط وتفصيل ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ ﴿كَفَرُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها صلة الموصول ﴿فَيَقُولُونَ﴾ الفاء: رابطة لجواب الشرط، ويقولون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة خبر الموصول ﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لأراد، أو ما اسم استفهام وذا اسم موصول - هنا خاصة - في محل رفع خبر ما، والجملة في محل نصب مقول القول، وعلى الوجه الأول تعرب جملة أراد مقولاً للقول ﴿أَرَادَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح ﴿اللَّهُ﴾ فاعل أراد ﴿بِهَذَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بأراد ﴿مَثَلًا﴾ تمييز مؤكد أو حال من اسم الإشارة، أي: ممثلاً به، أو من الفاعل، أي: ممثلاً ﴿يُضِلُّ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو، والجملة الفعلية مستأنفة جارية مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأمّا، وقيل: في محل نصب صفة مثلاً، والمعنى: مثلاً يفترق الناس به إلى ضالين ومهتدين ﴿بِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيبضل ﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به ﴿وَيَهْدِي﴾ عطف على يضل ﴿بِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان يهدي ﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به ﴿وَمَا يُضِلُّ﴾ الواو حالية أو استئنافية وما نافية ﴿بِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيبضل ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ مفعول به، والجملة لا محل لها من الإعراب أو حالية

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر لأنه صفة للفاستقين ﴿يَنْقُضُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بينقضون ﴿مِيثَاقَهُ﴾ مضاف إليه والضمير يعود على اسم الله أو على العهد، وسيأتي تفسير طريف في الميثاق في باب الفوائد ﴿وَيَقْطَعُونَ﴾ عطف على قوله ينقضون ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿أَمَرَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح ﴿اللَّهُ﴾ فاعل أمر ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بأمر ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ أن حرف مصدرى ونصب، ويوصل فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من الضمير في به، والمعنى: ويقطعون ما أمر الله بوصله، أو مفعول لأجله، والتقدير: كراهية أن يوصل أو لئلا يوصل ﴿وَيُفْسِدُونَ﴾ عطف على يقطعون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الجار والمجرور متعلقان يفسدون ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ ﴿هُمْ﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل له ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ خبر أولئك، ولك أن تعرب هم مبتدأ، والخاسرون خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر أولئك.

□ البلاغة:

(١) التمثيل: عني العرب بالتمثيل عناية كبيرة، وذكر علماء البلاغة له مظهرين:

أ- أحدهما أن يظهر المعنى ابتداء في صورة التمثيل.

ب - وثانيهما: ما يجيء في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريرها في النفوس، وهو على الحالين يكسو المعاني بهجة وجمالاً، ويرفع من أقدارها، ويبعث فيها الحركة والحياة، ويجسدها للقارئ حتى ليكاد يتقراءها بلمس، وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهايم والطيور والحشرات. ومن أروع ما صنف العرب في ذلك كتاب «كليلة ودمنة» الذي

قيل إنه ترجمه عن الفارسية عبدالله بن المقفع، وفي الفرنسية قصص لافونتين.

وعن الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب للمشركين بهما المثل ضحكت اليهود، وقالت: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله سبحانه الآية. ومما يُرجَّح أنها أنزلت فيهم أنها اشتملت على نقض العهد، وهو من أبرز سماتهم. وأدبنا العربي حافل بضرب الأمثال بمختلف الهوامّ وسائر الحشرات، قال شاعرهم:

وإني لألقى من ذوي الضغن منهم

وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره

كما لقيت ذات الصفا من خليلها

وما انفكت الأمثال في الناس سائره

وذات الصفا: حية، تقول الأسطورة العربية: أنها كانت قتلت قرابة حليفها، فتواثقا بالله على أنها تدي ذلك القتل... إلى آخر تلك الأسطورة الممتعة.

(٢) الاستعارة المكنية: وذلك في قوله: ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ فقد شبه العهد بالحبْل المبرم، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من خصائصه أو لوازمه، وهو النقض؛ لأنه إحدى حالتي الحبْل وهما: النقض والإبرام.

(٣) المقابلة: وهي تعدُّ الطباق في الكلام، فقد طابق بين يضل ويهدي، وبين يقطعون ويوصل.

* الفوائد:

(١) (أما) حرف شرط وتفصيل، وقد تبدل ميمها الأولى ياء استثقالاً للتضعيف، كقول عمرو بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأيما بالعشي فيخصر

وفصل بين أما والفاء الجوابية بواحد من ستة :

أ- المبتدأ : كآية الأنفة الذكر .

ب- الخبر : نحو : أما في الدار فعلي .

ج- جملة الشرط كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٨٨ و ٨٩] .

د - اسم معمول لمحذوف كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ ﴾ [فصلت : ١٧] .

هـ- اسم منصوب لفظاً أو محلاً بالجواب ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الأعلى : ٩] .

و- ظرف معمول لأما لما فيها من معنى الفعل الذي نابت عنه نحو : أما اليوم فإني ذاهب .

هذا وتكون أما للتوكيد والشرط فتنب عن مهما ، نحو : أما بعد فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، والتقدير مهما يكن من شيء . وقد تنوب الواو عن أما فيقال : وبعد ، وهذا الاستعمال شائع في الخطب والمكاتبات ، وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله :

لقد علمت قيس بن عيلان أنني

إذا قلتُ : أما بعد أني خطيها

(٢) ماذا : فيها وجهان :

أ- أن تكون ذا مركبة مع ما مجهولتين اسماً واحداً للاستفهام ، وتعرب حسب موقعها .

ب- أن تكون ذا اسماً موصولاً بمعنى الذي فتكون خبراً لما الاستفهامية ، ويظهر أثر ذلك في جوابه ، ولهذا أوردنا الوجهين معاً في الإعراب ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ بنصب العفو ورفع على التقديرين ، وقال ليبد :

ألا تسألان المرء ماذا يُحاول

أنحب فيقضى أم ضلال وباطل؟

فقد روي: أنحب مرفوعاً على البدلية من ذا على الوجه الثاني، ولو قال: أنحباً على البدلية من ماذا كلها المنصوبة على المفعولية ليحاول لجاز.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

☆ اللغة:

﴿ أَسْتَوَىٰ ﴾: اعتدل واستقام وانتصب كالسهم المرسل.

﴿ فَسَوَّاهُنَّ ﴾: خلقهن أو صيرهن.

○ الإعراب:

﴿ كَيْفَ ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الحال، ومعنى الاستفهام هنا: التوبيخ ﴿ تَكْفُرُونَ ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل ﴿ بِاللَّهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتكفرون ﴿ وَكُنْتُمْ ﴾: الواو: حالية، وقد مقدرة بعدها على القاعدة المقررة، وهي أن الفعل الماضي إذا وقع جملة حالية فلا بُدَّ من قد ظاهرة أو مقدرة، وكان واسمها ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ خبر كان المنصوب، والجملة الفعلية في محل نصب على الحال ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ الفاء حرف عطف، وأحيا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والكاف مفعول به ﴿ ثُمَّ ﴾ حرف عطف للترتيب مع التراخي ﴿ يُمِيتُكُمْ ﴾ فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ عطف أيضاً، وإنما عطف بشم للتراخي الممتد

بين الحالين ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف أيضاً ﴿إِيَّاهُ﴾ جار ومجرور متعلقان بترجعون ﴿تَرْجَعُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة معطوفة ﴿هُوَ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل رفع خبر ﴿خَلَقَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بخلق ﴿مَا﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول ﴿جَمِيعًا﴾ حال من المفعول به الذي هو ما خلافاً لمن أعربه من المفسرين توكيداً لما، ولو كان ذلك لقليل جميعه ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب مع التراخي ﴿أَسْتَوَى﴾ فعل ماض معطوف على خلق ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلقان باستوى ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ الفاء حرف عطف، وسوى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ حال إذا كانت سوى بمعنى الخلق المجرد؛ لأنه دل على العدد المجرد؛ ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] أو على البدلية من الضمير في: فسواهن، وإذا كانت سوى بمعنى صير كانت مفعولاً ثانياً، وأنكر أبو حيان هذا الإعراب، ولا مسوغ لإنكاره ﴿وَهُوَ﴾ الواو استئنافية، وهو مبتدأ ﴿يَكُلُّ شَيْءًا﴾ الجار والمجرور متعلقان بعليم ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر هو.

* الفوائد:

كيف: اسم مبني على الفتح، وأكثر ما تستعمل استفهاماً، ومحلها من الإعراب إما خبر لما بعدها إن وقعت قبل ما لا يستغنى عنها، نحو: كيف أنت؟ وكيف كنت؟ وإما مفعول ثان لظن وأخواتها، نحو: كيف تظن الأمر؟ وإما نصب على الحال مما بعده إذا وقعت قبل ما يستغنى عنها، نحو: كيف جاء أخوك؟ أي: على أية حال جاء؟ وإما نصب على المفعولية المطلقة نحو: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ الواو استئنافية، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر، وهذا الإعراب هو الغالب على إذ المذكورة في أوائل القصص في القرآن، واختاره الزمخشري وابن عطية وغيرهما من المعربين، وقد رده أبو حيان والكرخي. ولعل من الممتع أن نورد نصاً طريفاً لأبي حيان بهذا الصدد قال: وليس بشيء لأن فيه إخراج إذ عن بابها، وهو أنه لا يتصرف فيه بغير الظرفية أو بإضافة الظرف الزماني إليها. ورد عليه ابن هشام بما تراه مفصلاً في باب الفوائد. ومضى أبو حيان يقول: والذي تقتضيه العربية نصبه بقوله: قالوا أتجعل؟ أي: وقت قول الله للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: أتجعل. كما تقول في الكلام: إذ جئتني أكرمتك، أي: وقت مجيئك أكرمتك، وإذ قلت لي كذا قلت لك كذا، فانظر إلى هذا الوجه السهل الواضح كيف لم يوفق أكثر الناس إلى القول به، وارتبكوا في دهياء، وخبطوا خبط عشواء. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿رَبُّكَ﴾ فاعل ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقال ﴿إِنِّي﴾ إن حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها ﴿جَاعِلٌ﴾ خبرها ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بجاعل إذا كانت بمعنى خالق، وفي محل نصب مفعول به ثان إذا كانت اسم فاعل من الجعل بمعنى التصيير، وجملة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ في محل نصب مقول القول ﴿خَلِيفَةً﴾ مفعول به لجاعل لأنه اسم فاعل ﴿قَالُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل، والجملة

لا محل لها لأنها استئنافية ﴿ أَتَجْعَلُ ﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي المجرد، كأنهم يطلبون استكناه ما خفي عليهم من الحكمة الباهرة، وتجعل فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت ﴿ فِيهَا ﴾ جار ومجرور، لك أن تعلقهما بجعل إذا كانت بمعنى الخلق، وأن تجعلهما في موضع المفعول الثاني المقدم إذا كانت بمعنى التصيير ﴿ مَنْ يُفْسِدُ ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿ فِيهَا ﴾ جار ومجرور متعلقان بيفسد ﴿ وَيَسْفِكُ ﴾ فعل مضارع معطوف على يفسد داخل حيز الصلة ﴿ الدِّمَاءِ ﴾ مفعول به ﴿ وَنَحْنُ ﴾ الواو حالية، ونحن ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿ نُسَبِّحُ ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن، والجملة الفعلية في محل رفع خبر نحن ﴿ بِحَمْدِكَ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسين بحمدك ﴿ وَنُقَدِّسُ ﴾ فعل مضارع معطوف على نسبح ﴿ لَكَ ﴾ جار ومجرور متعلقان بنقدس، وجعلها بعضهم زائدة، والكاف مفعول لنقدس، ﴿ قَالَ ﴾ فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة مستأنفة ﴿ إِنِّي ﴾ إن واسمها ﴿ أَعْلَمُ ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة خبر إن ﴿ مَا ﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿ لَا ﴾ نافية ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والجملة لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، وجملة ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ ﴾ الاسمية في محل نصب مقول القول.

□ البلاغة:

في الاستفهام الوارد في قوله: ﴿ أَتَجْعَلُ ﴾ خروج لمعناه الأصلي عن موضوعه فهو للتعجب كما اخترنا في الإعراب، وقيل: هي للاسترشاد، أي: أتجعل فيها من يفسد كمن كان فيها من قبل، وقيل: استفهموا عن أحوال أنفسهم، أي: أتجعل فيها مفسداً ونحن مقيمون على طاعتك لا نفر عنك طرفة عين، وقال آخرون: هي للإيجاب، والواقع أن كل لفظ استفهام ورد في كتاب الله تعالى لا يخلو من أحد الوجوه الستة الآتية: (١) التوبيخ

(٢) التعجب (٣) التسوية (٤) الإيجاب (٥) الأمر (٦) التقرير .

أما الاستفهام الصريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن؛ لأن المستفهم متعلّم ما ليس عنده والله عالم بالأشياء قبل كونها، فالتوبيخ نحو: ﴿أَذْهَبَتْكُمْ طِينِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٠] والتقرير: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ؟﴾ [المائدة: ١١٦] والتسوية نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [يس: ١٠] والإيجاب نحو: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، والأمر نحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] فعلى هذا يعرف ما جاء في كتاب الله، فاعرف مواضعه وتدبر.

* الفوائد :

(١) إذ ظرف للزمن الماضي، ولا تقع بعدها إلا الجملة، وقد تحذف الجملة، ويعوض عنها بالتنوين، ويسمى تنوين العوض، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ يُفْرِجُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤] والأصل يوم إذ غلبت الروم يفرح المؤمنون، فحذفت جملة غلبت الروم، وجيء بالتنوين عوضاً عنها، فالتقى ساكنان: ذال والتنوين فكسرت الذال على أصل التقاء الساكنين، ويتلخص إعرابها بخمسة أوجه :

أ - أن تكون ظرفاً نحو: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٤٠].

ب - أن تكون مفعولاً به: وهو الغالب على إذ المذكورة في أوائل التنزيل .

ج - أن تكون بدلاً من المفعول نحو: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ [مريم: ١٦] فإذا بدل اشتمال من مريم .

د - أن يضاف إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ نُخَبِّرُكَ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] .

هـ - وترد إذ للمفاجأة وتقع بعد بينا وبينما . قال الشاعر :

استقدر الله خيراً وارضىنَّ به فبينما العسرُ إذ دارت مياسير

وعندما تكون إذ للمفاجأة ماذا يكون إعرابها؟ عندئذ يكون الأرجح اعتبارها حرفاً للمفاجأة.

(٢) هذا وقد اختلفت الأقوال كثيراً في معرفة الكيفية التي عرف الملائكة أن ذرية آدم يفسدون في الأرض، وأقرب ما رأيناه فيها إلى المنطق أنهم علموا ذلك من لفظ خليفة، قالوا: الخليفة هو الذي يحكم بين الخصوم، والخصم إما أن يكون ظالماً أو مظلوماً، ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد في الأرض واستشرى.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

☆ اللفظة:

﴿آدَمَ﴾: اسم علم أعجمي كآذر وعابر وعاذر، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وأخطأ من زعم أنه مشتق من الأدمة، أي: السمرة، أو من أديم الأرض، أي: وجهها؛ لأن الاشتقاق من خصائص العربية. وللإمام الطبري زعم لا نعلم كيف صدر عنه، وهو أنه فعل رباعيٌّ سُمِّيَ به، ومن هذا الخطأ محاولتهم اشتقاق يعقوب من العقب، وإبليس من الإبلas، وإذاً يحق لنا أن نتساءل: لم منعت هذه الأعلام من الصرف لولا العلمية والعجمة؟ فتنبه لهذا الفصل.

○ الإعراب:

﴿وَعَلَّمَ﴾ الواو حرف عطف، وعلم فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على الله، والجملة معطوفة على جمل محذوفة تقديرها: فجعل في الأرض خليفة وسمَّاه آدم ﴿آدَمَ﴾

مفعول به أول ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ مفعول به ثان ﴿كُلُّهَا﴾ تأكيد للأسماء ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب مع التراخي ﴿عَرَضُهمْ﴾ عطف على جملة وعلم، أي: وعرض المسميات أو ألقاها في قلوبهم، وغلب العقلاء على غير العقلاء، وتلك سنة من سنن العرب في كلامهم ﴿عَلَى الْمَلَكَةِ﴾ جار ومجرور متعلقان بعرضهم ﴿فَقَالَ﴾ عطف على جملة عرضهم ﴿أَنْبِئُونِي﴾ فعل أمر، والمقصود من الأمر هنا التعجيز، وهو مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به ﴿يَأْسَمَاءُ﴾ الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني ﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم الإشارة مبني على الكسر في محل جر بالإضافة ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص، والتاء اسمها ﴿صَنَدِيقِينَ﴾ خبرها، وكنتم في محل جزم فعل الشرط، والجواب محذوف تقديره: فأنبئوني ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل ﴿سُبْحَنَكَ﴾ مفعول مطلق، وهو مصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوب بإضمار فعله كعماذ الله ﴿لَا﴾ نافية للجنس من أخوات إن المبشهة بالفعل ﴿عَلِمَ﴾ اسمها المبني على الفتح ﴿لَنَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿مَا﴾ مصدرية أو اسم موصول وهي مع مدخولها أو هي وحدها في موضع الرفع على البدلية من محل لا واسمها نحو: لا إله إلا الله، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه ﴿عَلَّمْتَنَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿إِنَّكَ﴾ إن واسمها ﴿أَنْتَ﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل لها ﴿الْعَلِيمُ﴾ خبر إن الأول ﴿الْحَكِيمُ﴾ خبر إن الثاني، ويجوز أن تعرب أنت مبتدأ خبراه العليم الحكيم، والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، والجملة ابتدائية لا محل لها ﴿يَقَادُمُ﴾ يا: حرف نداء للمتوسط، وآدم منادى مفرد علم مبني على الضم ﴿أَنْبِئْهُمْ﴾ فعل أمر مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول ﴿يَأْسَمَاءُ﴾ في موضع المفعول الثاني ﴿فَلَمَّا﴾ الفاء عاطفة على جملة محذوفة،

والتقدير : فأنبأهم بأسمائهم فلما أنبأهم ، وحذفت الجملة لوضوح المعنى ، ولما ظرفية بمعنى حين ، أو رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال ﴿أَنْبَأَهُمْ﴾ الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها إن جعلت لما ظرفية أو معطوفة إن كانت للربط ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأنبأهم ﴿قَالَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿أَلَمْ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري ، والهمزة إذا دخلت على النفي أفادت التقرير ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ﴿أَقُلُّ﴾ فعل مضارع مجزوم بلم ، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره : أنا ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ : أقل ﴿إِنِّي﴾ إن واسمها ﴿أَعْلَمُ﴾ فعل مضارع مرفوع ، والجملة الفعلية خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول ﴿غَيْبَ السَّمَوَاتِ﴾ مفعول أعلم ﴿وَالْأَرْضِ﴾ عطف على السموات ﴿وَأَعْلَمُ﴾ عطف على أعلم الأولى ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿تُبْدُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع ، وجملة تبدون لا محل لها لأنها صلة ﴿وَمَا﴾ عطف على ما الأولى ﴿كُنْتُمْ﴾ كان واسمها ﴿تَكْتُمُونَ﴾ الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم .

□ البلاغة :

الطباق بين السموات والأرض ، وبين تبدون وتكتمون . هذا وإن الطباق من الألفاظ التي خالفت مضمونها ؛ ولذلك سماه بعضهم التضاد والتكافؤ ، وهو الجمع بين معنيين متضادين . ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة واصطلاحاً ، فإنها في اللغة الموافقة . يقال : طابقت بين الشيئين إذا جعلت أحدهما على حدو الآخر . وابن الأثير يعجب لأنه لا يعرف من أين اشتقت هذه التسمية ، إذ لا مناسبة بين الاسم ومسمّاه ، وقدامة يُسمّيه التكافؤ ، ولا فرق بين أن يكون التقابل حقيقياً أو اعتبارياً ، أو تقابل السلب والإيجاب . ومن طباق السلب قول السموأل :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين نقول

فقد طابق بين نكر وهو إيجاب، وبين ولا ينكرون وهو سلب، ويصبح الطباق مقابلة حين يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقول البحرى:

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلاً

وما زال الناس يعجبون من جمع البحرى بين ثلاث مطابقات في قوله:
وأمةٍ كان قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا

دَهْرًا فأصبح حُسْنُ العدلِ يُرْضِيهَا

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة، وطابق بين خمسة وخمسة:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي

وأثنى وبياض الصبح يغري بي

فقد طابق بين الزيارة والثناء، وبين السواد والبياض، وبين الليل والصبح، وبين يشفع ويغري، وبين لي وبي.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذْ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَنْفَرٌ وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٧﴾﴾

☆ اللغة:

﴿إِبْلِيسَ﴾ اختلف فيه أهو مشتق أم لا؟ والصحيح أنه علم أعجمي، ولهذا لم ينصرف للعلمية العجمية ولو كان مشتقاً من الإبلّاس، أي: اليأس لانصرف، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

﴿رَغَدًا﴾ يقال: رغد العيش بالضم رغادة اتسع ولان، فهو رغيد،

ورغداً بالكسر رَغْدًا بفتحتين، فهو راغد.

﴿فَازَ لَهُمَا﴾ يحتمل معنيين أولهما: أظهر زَلَّتَهُمَا، وثانيهما: أبعدهما.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ الواو حرف عطف، وإذ ظرف لما مضى من الزمن ﴿قُلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جرٍّ بإضافة الظرف إليها ﴿لِلْمَلَكَةِ﴾ جار ومجرور متعلقان بقلنا ﴿أَسْجُدُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول ﴿لِأَدَمَ﴾ جار ومجرور متعلقان بأسجدوا ﴿فَسَجَدُوا﴾ الفاء عاطفة، وسجدوا فعل وفاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ﴿إِبْلِيسَ﴾ مستثنى بإلا متصل إن كان إبليس في الأصل من الملائكة، وقيل: منقطع لأنه ليس منهم ﴿أَبَى﴾ فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، والجملة الفعلية في محل نصب على الحال، أي: حال كونه رافضاً للأمر مستكبراً له كافراً به ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ الواو حرف عطف، واستكبر: فعل ماض معطوف على أبى ﴿وَكَانَ﴾ الواو حرف عطف، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان ﴿وَقُلْنَا﴾ الواو حرف عطف، وقُلْنَا فعل وفاعل معطوف على قلنا، واختلاف الزمانين ليس علة مانعة من عطف الفعل على الفعل ﴿يَتَّكِدُمْ﴾ يا حرف نداء للمتوسط، وآدم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب ﴿أَسْكَنْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ﴿أَنْتَ﴾ تأكيد للفاعل المستتر في اسكن ﴿وَزَوَّجَكَ﴾ الواو حرف عطف، وزوجك معطوف على الضمير المستكن في اسكن، وحسن عطف الظاهر على الضمير توكيده بالضمير المنفصل ﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به على السعة ﴿وَكَلَّا﴾ الواو حرف عطف، وكلا: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والألف ضمير متصل في محل رفع فاعل ﴿مِنْهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بكلا ﴿رَعْدًا﴾ صفة لمصدر محذوف، أي: أكلاً رعداً، فهو مفعول مطلق، ويجوز أن يعرب حالاً مؤولة بالمشتق،

أي : راغدين هانئين ﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان مبني على الضم متعلق بكلا ، وقد أطلق لهما الأكل والرغد في الجنة حتى يقطع عليهما منافذ العذر إذا خطرت لهما شجرة واحدة معينة ، وفي أشجار الجنة الكثيرة مندوحة عنها ﴿سِتْمًا﴾ الجملة الفعلية في محل جر بإضافة ظرف المكان إليها ﴿وَلَا نَقْرَبًا﴾ الواو حرف عطف ؛ ولا ناهية ، وتقربا فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف النون ، والألف فاعل ﴿هَٰذِهِ﴾ اسم إشارة في محل نصب مفعول به ﴿الشَّجَرَةَ﴾ بدل من اسم الإشارة ﴿فَتَكُونَا﴾ الفاء فاء السببية ، وتكونا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، والألف ضمير متصل في محل رفع اسم تكونا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونا ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ الفاء عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه سياق الكلام ، أي : فأكلا من الشجرة عينها : وأزلهما فعل ماض مبني على الفتح والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعل أزال ﴿عَنَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بأزلهما ، أو بمحذوف حال ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ عطف على أزلهما ﴿وَمِمَّا﴾ جار ومجرور متعلقان بأخرجهما ﴿كَانَا﴾ فعل ماض ناقص ، والألف اسمها ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانا ﴿وَقُلْنَا﴾ معطوف على ما تقدم ، وجملة كان لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿أَهْطُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والجملة مقول القول ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ ﴿لِبَعْضٍ﴾ متعلق بقوله ﴿عُدُّوْا﴾ وهو خبر المبتدأ أو متعلق بمحذوف حال ؛ لأنه كان في الأصل صفة لعدو ، وتقدمت عليه ، وجملة بعضكم إلخ جملة اسمية في محل نصب حال ، أي : متعادين ﴿وَلَكُمْ﴾ الواو حرف عطف ، ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أو بمحذوف حال ﴿مُسْنَقِرٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿وَمَنْعٌ﴾ عطف على مستقر ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع ، أي : ممتد إلى يوم القيامة .

* الفوائد:

﴿أَبَى﴾ من الأفعال الواجبة التي معناها النفي، ولهذا يفرغ ما بعد إلا معها كما يفرغ الفعل المنفي، قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيكَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزِّلَ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢] ولا يجوز ضربت إلا زيدا على أن يكون استثناء مفرغاً؛ لأن إلا لا تدخل في الواجب.

﴿فَلَقَىٰٓ ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ۖ﴾ ﴿فَلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿فَلَقَىٰٓ﴾ الفاء استئنافية، وتلقى فعل ماض مبني على الفتح المقدر ﴿ءَادَمُ﴾ فاعل ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتلقى ﴿كَلِمَتٍ﴾ مفعول به ونصب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿فَنَابَ﴾ الفاء حرف عطف على محذوف يقتضيه المقام، أي: فقالها فتاب ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلقان بتاب ﴿إِنَّهُ﴾ إن واسمها ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل له، ويجوز أن يكون مبتدأ ﴿النَّوَابُ﴾ خبر إن الأول ﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر إن الثاني، ويجوز أن يكونا خبرين لهو، والجملة الاسمية خبر لأن ﴿فَلْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿أَهْبَطُوا﴾ الجملة الفعلية مقول القول ﴿مِنْهَا﴾ متعلقان باهبطوا ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الواو، وجملة قلنا اهبطوا تابعة لجملة: وقلنا اهبطوا، تأكيداً لها، ولتناط بها زيادة جديدة ﴿فَإِمَّا﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وما زائدة للتأكيد ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ فعل الشرط مجزوم، وبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به ﴿مِنِّي﴾ الجار والمجرور متعلقان بياأتينكم ﴿هُدًى﴾ فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ﴿فَمَن﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ومن اسم

شرط جازم في محلّ مبتدأ ﴿تَبَعَ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره هو ﴿هُدَاىَ﴾ مفعول تبع وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المضافة إلى هدى، والفاء ومدخولها في محل جزم جواب الشرط ﴿فَلَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط وهو من، ولا نافية ﴿خَوْفٌ﴾ مبتدأ وساغ الابتداء به وهو نكرة لتقدم النفي عليه، وهو أحد مسوِّغات الابتداء بالنكرة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر خوف، ولك أن تعمل لا عمل ليس، فيكون خوف اسمها وعليهم خبرها ﴿وَلَا﴾ عطف على لا الأولى ﴿هُمْ﴾ مبتدأ أو اسم لا العاملة عمل ليس ﴿يَحْزَنُونَ﴾ الجملة الفعلية في محل رفع أو نصب خبرهم أو خبر لا، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من.

* الفوائد:

الراجح عند النحاة أن اسم الشرط إذا وقع مبتدأ وذلك إذا وقع بعده فعل لازم، نحو: من يذهب أذهب معه، أو فعل متعدي استوفى مفعوله نحو: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فالخبر هو جملة فعل الشرط، وهناك من النحاة من يجعل جملة الجواب هي الخبر، ومنهم من يجعل الخبر جملة فعل الشرط وجوابه معاً، وهذا ما وقع اختيارنا عليه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣٩)
يَلْبَسِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَارْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

☆ اللفظة:

﴿إِسْرَءِيلَ﴾: اختلفوا فيه، والأصح أنه علم أعجمي، ولهذا منع من الصرف، وهو مركب تركيب الإضافة، فإن إسرا هو العبد بالعبرية، وإيل هو

الله، وقد تصرّفت العرب فيه بلغات أصحها لغة القرآن، وهو لقب ليعقوب. وقرأ أبو جعفر والأعمش إسرائيل بياء بعد الألف من غير همز، وروي عن ورش إسرائيل بهمزة بعد الألف دون ياء وإسرا بال ألف محضة بين الراء واللام، وتروى قراءة عن نافع: إسرائيلين، أبدلوا من اللام نوناً كأصيلان، هذا؛ وتتعاقب اللام والنون في كلمات مسموعة منها: عنوان الكتاب وعلوانه، وأثبت الميت وأبّلت؛ إذا أثبت عليه بعد موته وغيرها.

○ الإعراب:

﴿وَالَّذِينَ﴾ الواو حرف عطف، والذين مبتدأ، والجملة معطوفة على قوله في الآية السابقة ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَا﴾ لأنها قسمه، وكان مقتضى التقسيم أن يقول: ومن لم يتبع هداي، ولكنه عدل عنه ليرز القسم مسجلاً عليه الكفر ﴿كَفَرُوا﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَكَذَّبُوا﴾ معطوف على كفروا داخل في حيز الصلة ﴿بِقَايَتِنَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بكذبوا ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ثان ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خبر أولئك، والجملة الاسمية خبر الذين ﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿فِيهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بخالدون ﴿خَالِدُونَ﴾ خبرهم، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ الذي هو أولئك، ويحتمل أن تكون في محل نصب على الحال، وأعربها بعضهم مفسرة لا محل لها لقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ لبيان أن صحبتهم للنار ليست لمجرد الاقتران بل هي للديمومة والخلود، وهو إعراب سائغ وجميل ﴿يَتَنَبَّيْ﴾ يا حرف نداء، وبني منادى مضاف، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وقد تغير بناء مفرده، وأصل ابن واوي، والبنوة دليل عليه. وقيل: أصله يائي لأنه مشتق من البناء، وهو: وضع الشيء على الشيء، والابن فرع عن الأب، فهو موضوع عليه، وجمع جمع تكسير فقالوا: أبناء، وجمع جمع سلامة فقالوا: بنون ﴿إِسْرَءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الفتحة نيابة على الكسرة لأنه ممنوع من الصرف،

للعلمية والعجمة ﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل ﴿نَعْمَتِي﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم، والياء مضاف إليه ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول في محل نصب نعت لنعمتي ﴿أَنْعَمْتُ﴾ فعل وفاعل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأنعمت، وجملة أنعمت لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَأَوْفُوا﴾ عطف على اذكروا ﴿يَعْبُدِي﴾ الجار والمجرور متعلقان بأوفوا ﴿أُوفِ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ﴿يَعْبُدُكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأوف ﴿وَأَيَّتِي﴾ الواو عطف وإياي ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم لارهبوا مقدر لاستيفاء: ﴿فَارْهَبُون﴾ مفعوله وهو الياء المقدرة، والأصل: فارهبوني ﴿فَارْهَبُون﴾ الفاء في هذا التركيب الذي تكرر في القرآن كثيراً، فيها قولان: أحدهما: أنها جواب مقدر تقديره: تنبهوا أو نحوه، كقولك: الكتاب فخذ، أي: تنبه فخذ الكتاب، ثم قدم المفعول إصلاحاً للفظ لثلاث تقع الفاء صدراً، وثانيهما: أنها زائدة ﴿وَعَامِنُوا﴾ عطف على ما تقدم ﴿بِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بآمنوا ﴿أَنْزَلْتُ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من اسم الموصول ﴿لِمَا﴾ اللام حرف جر مقوية للتعديّة، وما اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمصدقاً ﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول ﴿وَلَا﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية ﴿تَكُونُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون، والواو اسمها ﴿أَوَّل﴾ خبر تكونوا ﴿كَافِرٍ﴾ مضاف إليه ﴿بِهِ﴾ متعلقان بكافر ﴿وَلَا شَتَرُوا﴾ عطف على: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾. ﴿يَا أَيَّتِي﴾ الجار والمجرور متعلقان بتشتروا ﴿ثَمَنًا﴾ مفعول به لتشتروا ﴿فَلِيلًا﴾ صفة ﴿وَأَيَّتِي﴾ فَاتَّقُون تقدم إعراب هذا التركيب.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ فن يقال له التعطف، وفحواه: إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام، ويسميه بعضهم: فن المشاركة، ويدخل في عموم العهد عهد الله الذي أخذه عليهم وعلى البشر كافة، وهو: التدبر، ووزن كل ما يعرض لهم في حياتهم بميزان العقل والنظر، وهو ميزان لا يطيش، لا بميزان الهوى والغرور، وهو ميزان طائش.

* الفوائد:

انطوت هذه الآيات الأنفة على فوائد متعددة ندرجها فيما يلي:

(١) مقتضى القياس أن يقول: أول كافرين به ليطابق الواو في قوله: تكونوا، ولكنه عدل عن ذلك لأسباب هي:

أ- أنه على حذف الموصوف، والتقدير: أول فريق كافر به.

ب - النكرة المضاف إليها اسم التفضيل يجب إفرادها، نحو: أنت أفضل رجل، وأنتما أفضل رجل، وأنتم أفضل رجل.

(٢) نحو قوله: ﴿وَلِيَنبِئَنَّ فَآرَهُبُونَ﴾ هو من باب الاشتغال، وإيا فيه منصوبة بفعل محذوف يفسره المذكور، ولا يصح أن يكون الضمير مفعولاً مقدماً للفعل الذي يليه؛ لأن الفعل نصب الضمير الذي بعد نون الوقاية، والمحذوف للتخفيف.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَالْحَقِّ تَعْلَمُونَ﴾ ٤٢ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٣

☆ النسخة:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ يقال: لبست الشيء بالشيء؛ خلطته به، والمصدر: اللبس بفتح اللام المشددة.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، وتلبسوا: فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل ﴿الْحَقِّ﴾ مفعول به ﴿يَالْبَاطِلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتلبسوا، والباء للملابسة أو للاستعانة ﴿وَتَكْنُبُوا﴾: الواو عاطفة، وتكنبوا فعل مضارع مجزوم عطفاً على تلبسوا داخلة تحت حكم النهي، ولك أن تجعلها للمعية، وتكنبوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، وهي مسبقة بالنهي ﴿الْحَقِّ﴾ مفعول به ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وجملة تعلمون الفعلية خبر أنتم، وجملة وأنتم تعلمون الاسمية حالية ﴿وَأَقِيمُوا﴾ الواو عاطفة، وأقيموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿الصَّلَاةِ﴾ مفعول به ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ عطف على: أقيموا الصلاة ﴿وَأَزْكُوا﴾ عطف أيضاً ﴿مَعَ﴾ ظرف مكان متعلق باركعوا ﴿الرَّكْعَيْنِ﴾ مضاف إليه.

﴿أَتَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْتَبُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

☆ النّية:

﴿يَالْبِرِّ﴾ البر: - بكسر الباء - الصلة، والطاعة، والصلاح، والصدق. والبر: - بفتح الباء - الصحراء. والبر: - بضمها - القمح، والواحدة: برة.

﴿الْخَاشِعِينَ﴾ الخشوع: الخضوع والذل، ومن مجاز هذه المادة: أرض خاشعة، أي: متطامنة، وخشعت الجبال، وخشعت دونه الأبصار.

○ الإعراب:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، بل تجاوز هنا الإنكار إلى التوبيخ والتقريع والتعجب من حال هؤلاء اليهود؛ لأنه ليس هناك أقبح في العقول من أن يأمر الإنسان غيره بخير وهو لا يأتيه، وتأمرون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل ﴿ النَّاسِ ﴾ مفعول به ﴿ بِالْبَرِّ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتأمرون ﴿ وَتَنْسَوْنَ ﴾ عطف على تأمرون ﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾ مفعول به ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ الواو واو الحال، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿ تَتْلُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، وجملة تتلون الفعلية خبر أنتم، وجملة وأنتم الاسمية حالية من فاعل تنسون ﴿ أَلَكِتَابِ ﴾ مفعول به ﴿ أَفَلَا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء حرف عطف، ولا نافية ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وسيأتي سر هذا التركيب ﴿ وَأَسْتَعِينُوا ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ جار ومجرور متعلقان باستعينوا ﴿ وَالصَّلَاةِ ﴾ عطف على الصبر ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ الواو حالية، وإن واسمها ﴿ لَكَبِيرَةٌ ﴾ اللام هي المرحلة، وكبيرة خبر إن ﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر ﴿ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بكبيرة فهو استثناء مفرغ؛ لأن ما قبل إلا ليس فيه ما يتعلق بكبيرة لتستثنى منه، فهو كقولك: هو كبير علي؛ ولأن الكلام مؤول بالنفي، أي: وإنها لا تخف ولا تسهل إلا على الخاشعين، فتنبه لهذا فإنه من الدقائق ﴿ الَّذِينَ ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة للخاشعين ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ أَنْهُمْ ﴾ أن واسمها ﴿ مُلَقَّوْا ﴾ خبرها ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ مضاف إليه، وأن وما في حيزها سدت مفعولي يظنون ﴿ وَأَنْهُمْ ﴾ عطف على أنهم ﴿ إِلَيْهِ ﴾ جار ومجرور متعلقان براجعون ﴿ رَجِعُونَ ﴾ خبر أنهم.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ أَلَكِتَابِ ﴾ فقد صدر الكلام بالضمير زيادة في

المبالغة وتسجيلاً للتبكيك والتوبيخ عليهم، بعد أن عبّر عن تركهم فعلهم البر بالنسيان زيادة في مبالغة الترك، أي: فكأن البر لا يخالج نفوسهم، ولا يدور لهم في خلد؛ لأن نسيان الشيء يترتب عليه تركه، أو استعمال السبب في المسبب.

* الفوائد:

(١) القاعدة في العربية أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل، وقد كان مقتضى الظاهر أن يعود الضمير في قوله: ﴿أَنهَا﴾ على الصلاة؛ لأنها الأقرب جرياً على مقتضى الظاهر، وكف عن خبر الأول لعلم المخاطب بأن الأول داخل ضمناً فيما دخل فيه الآخر، وهو مُطَرَّد في كلامهم. قال الأنصاري:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والأمرُ مختلف

أراد: نحن راضون وأنت بما عندك راض، فكف عن خبر الأول إذ قام دليل على معناه. ومنه قول الآخر:

إن شرخَ الشَّبابِ والشَّعرِ الأسد

—ود مالم يُعاصَ كان جُنونا

وقيل: يعود على المصدر المفهوم من قوله ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ أي: الاستعانة.

(٢) إذا اجتمعت همزة الاستفهام وحرف العطف، ففيها مذهبان:

أ- مذهب سيويو، وهو: أن الهمزة في نية التأخير عن حرف العطف، ولما كان لها صدر الكلام قدمت عليه، وذلك بخلاف هل.

ب- مذهب الزمخشري، وهو: أن الواو والفاء وثم بعد الهمزة واقعة موقعها، وليس في الأمر تقديم ولا تأخير، ويجعل بين الهمزة وحرف العطف جملة مقدرة يصح العطف عليها، وتلائم سياق الكلام، فيقدر هنا: أتفعلون فلا تعقلون، ولا نرى مرجحاً لأحد المذهبين على الآخر.

(٣) اللام المزحلقة: هي لام الابتداء، زحلت إلى الخبر لدخول إن عليها، وقد تزحلق إلى الاسم نحو: «إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً».

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا
هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

☆ اللغة:

﴿عَدْلٌ﴾ بفتح العين وهو الفداء لأنه معادل للمفدي قيمةً وقدراً وإن لم يكن من جنسه، وبكسر العين هو المساوي في الجنس والجرم. ويقال: عدل وعديل.

○ الإعراب:

﴿يَا﴾ حرف نداء للمتوسط ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ منادى مضاف، وقد تقدم القول فيها قريباً ﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿نِعْمَتِيَ﴾ مفعول به ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول في محل نصب صفة لنعمتي ﴿أَنْعَمْتُ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنعمت، وقد تقدمت هذه الجملة بنصها، وإنما أعيدت للتوكيد، وقرع العصا، وتنبيه أذهانهم الكليلة عن سماع الخير ﴿وَأَنِّي﴾ الواو حرف عطف، وإن واسمها عطف على نعمتي، فهي في محل نصب ولذلك فتح همزتها ﴿فَضَّلْتُكُمْ﴾ الجملة في محل رفع خبر أني ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بفضلتكم، وأل في العالمين للعهد لا للجنس؛ لئلا يلتزم تفضيلهم على جميع الناس، والمراد على عالمي زمانهم ﴿وَاتَّقُوا﴾ الواو حرف عطف، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به على حذف مضاف، أي:

عذاب يوم أو هول يوم، ويجوز نصبه على الظرفية، والمفعول به محذوف تقديره: اتقوا العذاب يوماً ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَجْرَى﴾ فعل مضارع ﴿نَفْسٌ﴾ فاعل تجزي، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ليوماً ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتجزي ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به، ويجوز أن يكون انتصابه على المصدر، أي: لا تجزي شيئاً من الجزاء فيه، وفيه إشارة إلى القلة والضآلة ﴿وَلَا﴾ الواو حرف عطف، ولا نافية ﴿يُقْبَلُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلقان بتقبل ﴿شَفَعَةً﴾ نائب فاعل ﴿وَلَا﴾ عطف على ما تقدم ﴿يُؤْخَذُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلقان بيؤخذ ﴿عَدْلٌ﴾ نائب فاعل ﴿وَلَا﴾ عطف أيضاً ﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿يُنْصَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية خبرهم.

□ البلاغة:

أتى بالجملة المعطوفة الأخيرة وهي: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ اسمية مع أن الجمل التي قبلها فعلية للمبالغة والدلالة على الثبات والديمومة، أي: أنهم غير منصورين دائماً، ولا عبرة بما يصادفونه من نجاح مؤقت.

﴿وَإِذْ يَخِيفُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

☆ اللغة:

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من سامه خسفاً؛ إذا أولاه ظملاً. قال عمرو بن كلثوم:
إذا المَلِكُ سامَ النَّاسَ خَسْفًا أَبَيَّنَا أَنْ نَقَرَّ الدُّلَّ فِينَا
وأصله من سام السلعة؛ إذا طلبها.
﴿بَلَاءٌ﴾ محنة واختبار.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ الواو عاطفة، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن متعلق بذكر مقدره، وقد تقدم القول فيها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ فعل ماض مبني على السكون، ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنجيناكم، وفرعون مضاف إليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، للعلمية والعجمة. وفرعون يطلق على كل من ملك العمالة بمصر كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ الجملة في محل نصب على الحال، ويحتمل أن تكون مستأنفة ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ مفعول به ثان؛ لأن سام يتعدى لاثنيين؛ ويحتمل أن تكون منصوبة على المصدرية فهي صفة لمصدر محذوف، أي: يسومونكم سوماً سوء العذاب ﴿يُذَيِّبُونَ﴾ الجملة تفسيرية لا محل لها ولك أن تجعلها بدلاً من جملة يسومونكم ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ مفعول به ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ عطف على يذبحون، والاستحياء: الاستبقاء ﴿يَسَاءَ لَكُمْ﴾ مفعول يستحيون، والنساء جمع نسوة، ونسوة جمع امرأة من حيث المعنى، وقيل: النسوة والنساء جمعان لامرأة على المعنى ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ الواو مستأنفة، والجار والمجرور خبر مقدم ﴿بَلَاءٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿مِّنْ رَّيْبِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لبلاء ﴿عَظِيمٌ﴾ صفة ثانية لبلاء.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾
 ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْغُلَّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾
 ﴿عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

☆ النسخة:

﴿وَعَدْنَا﴾ ووعدنا بمعنى واحد، وليس هو من باب المفاعلة التي

تقتضي المشاركة، مثل قولك: عافاه الله، وعاقبت اللص.

﴿مُوسَى﴾ علم أعجمي لا ينصرف، وهو في الأصل مركب، والأصل موسى بالشين المعجمة؛ لأن الماء بالعبرية يقال له مو، والشجر يقال له شا، فعربته العرب وقالوا: موسى، أما موسى الحلق المعروفة فهي مشتقة من ماس يمس؛ إذا تبخر في مشيته، وقلبت الياء واواً لأنها وقعت بعد ضم كموقن؛ لأن موسى تتحرك عند الحلق بها، وقيل: هي مشتقة من أوسيت رأسه إذا حلقته، والموسى تذكر وتؤنث، وتجمع على مواسي وموسيات.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿فَرَقْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿بِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بفرقنا، أو بمحذوف حال، أي: فصلناه ملتبساً بكم، والمعنى: أن فرق البحر حصل بدخولكم إياه ﴿الْبَحْرَ﴾ مفعول به ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا﴾ عطف أيضاً ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ مفعول به، وفرعون مضاف إليه ﴿وَأَنْتُمْ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿نَنْظُرُونَ﴾ الجملة الفعلية في محل رفع خبر أنتم، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال من الكاف في ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ﴿وَإِذْ﴾ عطف على وإذ الأولى ﴿وَعَدْنَا﴾ الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول ﴿أَرْبَعِينَ﴾ مفعول به ثان، ولا يجوز أن ينصب على الظرفية لفساد المعنى، إذ ليس وعده في أربعين ليلة، وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ملفوظ، والعامل في هذا النوع اسم العدد قبله ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب مع التراخي ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ معطوف على واعدنا ﴿الْعِجْلَ﴾ مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف؛ لأنه مفهوم من سياق الكلام، أي: إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو حالية، وأنتم مبتدأ ﴿ظَالِمُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ عطف على ما تقدم ﴿عَنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بعفونا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الجار

والمجرور متعلقان بمحذوف حال، والإشارة إلى المصدر المفهوم من اتخذ، أي: من بعد ذلك الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لعل واسمها ﴿تَشْكُرُونَ﴾ الجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل، وجملة الرجاء حالية.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَهُوا إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ قَاُولُوا أَنْفُسُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

☆ اللفظة:

﴿لِقَوْمِهِ﴾: القوم: اسم جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده امرؤ، وقياسه ألا يجمع، وشدَّ جمعه قالوا: أقوام، وجمع جمعه قالوا: أقاويم قيل: يختص بالرجال، قال تعالى: ﴿لَا يَخْرُقُ مِنْ قَوْمٍ... وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ﴾ وقال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصنٍ أم نساء؟

وقيل: لا يختص بالرجال، بل يطلق على الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ والقول الأول أصوب، واندراج النساء في القوم هنا على سبيل الاتساع وتغليب الرجال على النساء، وسموا قوماً لأنهم يقومون بالأمر.

﴿بَارِيكُمْ﴾: الباري: الخالق، يقال: برأ الله الخلق، أي: خلقهم. وأصل مادة برأ يدل على انفصال شيء وتميُّزه عنه، يقال: برأ المريض من مرضه، إذا زال عنه المرض وانفصل، وبرىء المدين من دينه إذا زال عنه الدين وسقط، ومنه الباري في أوصاف الله تعالى؛ لأنه الذي أخرج الخلق من العدم، وفصلهم عنه إلى الوجود.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ تقدم القول فيها ﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول ﴿أَلَكُنَّابَ﴾ مفعول به ثان ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ الواو حرف عطف، والفرقان معطوف على الكتاب، والمراد بالكتاب: التوراة، والفرقان: ما يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلالة عطف عليه وإن كان المعنى واحداً ﴿لَقَلَّكُمُ﴾ لعل واسمها ﴿نَهْتَدُونَ﴾ الجملة الفعلية خبر لعل، وجملة الرجاء حالية ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ عطف على ما تقدم ﴿لِقَوْمِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقال ﴿يَقُومِرُ﴾ يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ﴿إِنَّكُمُ﴾ إن واسمها ﴿ظَلَمْتُمْ﴾ الجملة الفعلية خبر إن ﴿أَنفُسَكُمُ﴾ مفعول به ﴿يَأْتِخَاذِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بظلمتم، والباء للسببية، أي: بسبب اتخاذكم ﴿أَلْعَجَلُ﴾ مفعول به للمصدر: اتخاذ ﴿فَتُوبُوا﴾ الفاء تعليلية؛ لأن الظلم سبب التوبة، وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون ﴿إِلَىٰ بَارِيكُمُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتوبوا ﴿فَأَقْتُلُوا﴾ الفاء للعطف والتعقيب ﴿أَنفُسَكُمُ﴾ مفعول به، وسيأتي معنى القتل في باب البلاغة ﴿ذَلِكُمْ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخير؛ لأنه اسم تفضيل على غير القياس؛ إذ القياس أخير؛ ومثله شر والقياس أشر ﴿عِنْدَ﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿بَارِيكُمُ﴾ مضاف إليه ﴿فَتَابَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، والتقدير، ففعلتم ما أمركم فتاب ﴿عَلَيْكُمُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتاب ﴿إِنَّكُمْ﴾ إن واسمها ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل له ﴿التَّوَابُ﴾ خبر إن الأول ﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر إن الثاني، أو هو مبتدأ خبره التواب الرحيم، والجملة الاسمية خبر إن.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنفُسَكُمُ﴾ مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه، أي: أسلموها للقتل تطهيراً لها، أي: لينفذ هذا الحكم الصادر،

وهذا أحد الأقوال في القتل، وقيل: المراد بقتل الأنفس: تذليلها وكبح جماحها؛ فإن القتل يرد بمعنى التذليل، ومنه قول حسان بن ثابت في وصف الخمر:

إِنَّ التِّي ناولتني فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ، قُتِلَتْ! فهَاتِهَا لِم تَقْتُلْ
أراد: مزجها بالماء لتذهب سورتها.

(٢) الالتفات في قوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ والالتفات هنا من التكلم الذي يتطلبه سياق الكلام، إذ كان مقتضى المقام أن يقول: فوفقتكم فثبت عليكم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَقِّي نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ تقدم القول فيها ﴿قُلْتُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿يَا﴾ حرف نداء للمتوسط ﴿يَمْوِسِي﴾ منادى مفرد علم ﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال ﴿نُؤْمِنَ﴾ فعل مضارع منصوب بلن، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن، والجملة مقول القول ﴿لَكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنؤمن ﴿حَقِّي﴾ حرف غاية وجر ﴿نَرَى﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به ﴿جَهْرَةً﴾ مفعول مطلق لأنها مصدر جهر، أي: قرأ بصوت عال، فهي بمثابة الذي يرى بالعين، ويجوز أن تعرب نصباً على الحال، أي: جاهرين بالرؤية ﴿فَأَخَذَتْكُمُ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتكم فعل ماض، والتاء تاء التانيث الساكنة، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدّم ﴿الصَّعِقَةُ﴾ فاعل، والجملة معطوفة على قلتم ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿تَنْظُرُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، وجملة تنظرون خبر

أنتم، وجملة أنتم تنظرون في محل نصب حال ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب والتراخي ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾ فعل ماض وفاعل ومفعول به ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببعثناكم ﴿مَوْتَكُمْ﴾ مضاف إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لعل واسمها، وجملة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ خبرها، وجملة بعثناكم عطف على جملة فأخذتكم.

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلٰوٰى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧)

☆ اللفظة:

﴿الْغَمَامَ﴾ : السحاب الأبيض .

﴿وَضَلَّلْنَا﴾ : جعلناه يضللكم .

﴿الْمَنَّ﴾ : نبات خاص يستعمل طعاماً، ويسمى الترنجيبين .

﴿وَالسَّلٰوٰى﴾ : طير معروف يسمى السُّمَانَى بضم السين وفتح النون بعدها ألف مقصورة، ويعرف في بلاد الشام بالفري .

○ الإعراب:

﴿وَضَلَّلْنَا﴾ الواو عاطفة، وظللنا فعل وفاعل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بظللنا ﴿الْغَمَامَ﴾ مفعول به، وهذه الجملة متصلة بما قبلها في سياق الذكرى منفصلة عنها في الوقوع؛ فإن التظليل استمر إلى دخولهم أرض الميعاد، ولولا أن ساق الله إليهم الغمام يظللهم في التيه لسفعتهم الشمس ولفحت وجوههم، ولا معنى لوصف الغمام بالرقيق كما قال كثير من المفسرين، بل السياق يقتضي كثافته إذ لا يحصل الظل الظليل الذي يفيد حـرف التظليل إلا بحساب كثيف يمنع حر الشمس ووهجها ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ عطف على وظللنا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنزلنا ﴿الْمَنَّ﴾ مفعول

به ﴿وَالسَّلَوَاتِ﴾ عطف على المن ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وجملة كلوا في محل نصب مقول القول، أي: وقلنا: كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ جار ومجرور متعلقان بكلوا ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَمَا﴾ الواو حرف عطف، وما نافية ﴿ظَلَمُونَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على محذوف يقتضيه سياق الكلام، والتقدير: فظلموا أنفسهم بكفران تلك النعمة السابغة ﴿وَلَكِنْ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك أهمل لتخفيف نونه ﴿كَانُوا﴾ كان واسمها ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به مقدّم ليظلمون ﴿يَظْلِمُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة الفعلية خبر كانوا، وجملة لكن وما في حيزها في محل نصب على الحال.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

☆ اللفظة:

﴿الْقَرْيَةَ﴾ مشتقة من قرية، أي: جمعت لجمعها أهلها، تقول: قرية الماء في الحوض، أي: جمعته. واختلف في القرية فقيل: هي بيت المقدس، وقيل: هي أريحا، وهي قرية بغور الأردن.
﴿حِطَّةٌ﴾: فعلة - بكسر الحاء - من الحطّ.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ تقدم القول فيها ﴿قُلْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿ادْخُلُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿هَذِهِ﴾ الهاء حرف تنبيه، وهذه اسم إشارة في محل نصب على المفعولية اتساعاً ﴿الْقَرْيَةَ﴾ بدل من اسم الإشارة ﴿فَكُلُوا﴾ الفاء حرف عطف، وكلوا عطف على ادخلوا

﴿ مِنْهَا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بكلوا ﴿ حَيْثُ ﴾ ظرف مكان مبني على الضم متعلق بمحذوف حال، أي: متنقلين ﴿ شَتْمٌ ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿ رَعَدًا ﴾ مفعول مطلق أو حال ﴿ وَأَدْخُلُوا ﴾ عطف على ادخلوا ﴿ أَلْبَابَ ﴾ مفعول به على السعة ﴿ سُجَّدًا ﴾ حال، أي: متواضعين متطامنين كحال الساجد ﴿ وَقُولُوا ﴾ عطف على وادخلوا ﴿ حِطَّةٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطة، أو أمرنا حطة، والجملة الاسمية مقول القول، والأصل فيها النصب؛ لأن معناها: حط عنا ذنوبنا، ولكنه عدل إلى الرفع للدلالة على ديمومة الحط والثبات عليه ﴿ نَغْفِرْ ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ﴿ لَكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنغفر ﴿ خَطَيْنَاكُمْ ﴾ مفعول به ﴿ وَسَتَزِيدُ ﴾ الواو استئنافية، ونزيد فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن ﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ مفعول به.

* الفوائد:

كل ما كان من ظروف المكان محدوداً غير مشتق لا يجوز نصبه على الظرفية، بل يجب جرؤه بفي، نحو: جلست في الدار، وأقمت في البلد، وصليت في المسجد، إلا إذا وقع بعد دخل ونزل وسكن، فيجوز نصبه على الظرفية، أو على نزع الخافض، والصحيح: أنه منصوب على المفعولية اتساعاً.

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

☆ اللفظة:

(الرَّجْزُ) بكسر الراء وسكون الجيم: العذاب.

○ الإعراب:

﴿ فَبَدَّلَ ﴾ الفاء استئنافية، وبدل فعل ماضٍ ﴿ الَّذِينَ ﴾ اسم موصول

فاعل، وجملة ﴿ظَلَمُوا﴾ لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿قَوْلًا﴾ مفعول به ﴿غَيْرَ﴾ صفة لقولاً ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول مضاف إليه ﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان ب قيل ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ الفاء حرف عطف، وأنزلنا عطف على الجملة السابقة ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنزلنا ﴿ظَلَمُوا﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿رِجْزًا﴾ مفعول به ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرجزاً أو بأنزلنا ﴿بِمَا﴾ الباء حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء، أي: بسبب فسقهم ﴿كَانُوا﴾ كان واسمها، وجملة ﴿يَفْسُقُونَ﴾ خبرها.

□ البلاغة:

في هذه الآية ضرب من البلاغة دقيق المسلك، وهو وضع الظاهر موضع المضمرة زيادة في تقبيح أمرهم، وقد رماه البحتري في مطلع سينيته فقال:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي وترَفَّعْتُ عَنْ جِدَا كُلِّ جَبْسٍ

فلم يقل يدنسها، وإنما وضع الظاهر موضع المضمرة لهذا الغرض الجليل.

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَارًا قَالَ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهَا إِنَّهَا بِمَآثِرِ الْحَقِّ وَاشْرَبُوا
مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

☆ النّظرة:

﴿تَعْتُوا﴾ يقال: عثا يعثو، وعثي يعثى، أي: أفسد.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ تقدم القول فيها ﴿أَسْتَسْقَىٰ﴾ فعل ماض ﴿مُوسَىٰ﴾ فاعل

﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان باستسقى ﴿فَقُلْنَا﴾ الفاء عاطفة، وقلنا: فعل وفاعل ﴿أَضْرِبْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿يَعْصَاكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان باضرب ﴿الْحَجَرِ﴾ مفعول به ﴿فَأَنْفَجَرْتُ﴾ الفاء هي الفصيحة، وسيأتي الحديث عنها في الفوائد، وانفجرت فعل ماضٍ، والتاء تاء التانيث الساكنة، أي: فامتثل الأمر فضرب، أو: فإن ضربت فقد انفجرت ﴿مِنْهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بانفجرت ﴿أَثَلْنَا عَثَرَ﴾ فاعل انفجرت، وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمشى وعشرة جزء العدد المركب مبني على الفتح دائماً ﴿عَيْنًا﴾ تمييز ملفوظ ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق ﴿عَلِمَ﴾ فعل ماضٍ مبني على الفتح ﴿كُلُّ أَنَاثٍ﴾ فاعل ﴿مَشَرَبَهُمْ﴾ مفعول به، والجملة لا محل لها لأنها مستأنفة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، واشربوا عطف على كلوا ﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأي الفعلين شئت ﴿وَلَا تَعْتَوُوا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتعتوا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل ﴿فِ الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلقان بتعتوا، وجملة كلوا واشربوا: مقول قول محذوف، وقد تقدم نظيره ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال، وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

* الفوائد:

الفاء الفصيحة: سميت بذلك لأنها أفصح عن مقدر ذلك؛ لأنه لما ذكر عقب الأمر بالضرب الانفجار دلّ على أن المطلوب بالأمر الانفجار، فلذا حذف الضرب على تقدير: فضربه دلالة على أن المأمور التزم الأمر، أي: أن المحذوف قد يكون جملة هي السبب المذكور، فسميت فصيحة من باب المجاز العقلي.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنَا نَصِيرٌ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ فَإِذْ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا

تُنِيتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
 الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيِّطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأً ثُمَّ وَضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

☆ اللغة:

(البقل): كل ما تنبتة الأرض من النجم مما لا ساق له، وجمعه بقول.
 (القثاء): معروف، والواحدة قثاءة بكسر القاف وضمها؛ والهمزة
 أصلية لأن الفعل اقثأت الأرض، أي: كثر قثاؤها.
 (الفوم): الحنطة، وقيل: الثوم، ولعله أرجح بدليل قراءة ابن مسعود
 «وثومها».

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: مصدر ميمي من السكون والخزي؛ لأن المسكين
 قليل الحركة والنهوض لما به من الفقر، والمسكين مفعيل مبالغة منه،
 قالوا: ولا يوجد يهودي غني النفس.
 ﴿وَبَاءُوا﴾: رجعوا.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَكْفُرُونَ﴾ تقدم إعرابها قريباً ﴿لَنْ نَصْبِرَ﴾ لن حرف نفي
 ونصب واستقبال، ونصبر: فعل مضارع منصوب بلن، وفاعله ضمير مستتر
 وجوباً تقديره نحن ﴿عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنصبر ﴿وَلَجِدَ﴾
 صفة لطعام ﴿فَادْعُ﴾ الفاء استثنائية، وادع فعل أمر مبني على حذف حرف
 العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بادع
 ﴿رَبِّكَ﴾ مفعول به ﴿يُخْرِجُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بيخرج ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلقان بيخرج
 ﴿تُنِيتُ﴾ فعل مضارع ﴿الْأَرْضُ﴾ فاعل، وجملة تنبت الأرض لا محل لها
 لأنها صلة الموصول ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ الجار والمجرور بدل بإعادة الجار، أو
 بمحذوف حال من الضمير المحذوف، وهو العائد على الموصول، أي:
 تنبت ﴿وَوَشَّاءَ بِهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصْلَهَا﴾ أسماء معطوفة على بقْلِهَا ﴿قَالَ﴾
 فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والجملة
 استئنافية ﴿أَسْتَبْدِلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري مع التوبيخ،
 وجملة أستبدلون مقول القول ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول مفعول به ﴿هُوَ﴾
 مبتدأ ﴿أَذْفُ﴾ خبر، والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة
 ﴿يَا لَذِي﴾ الجار والمجرور متعلقان بتستبدلون ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ﴿حَيْرٌ﴾ خبر
 ﴿أَهْطُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة مقول
 قول محذوف، أي: قلنا ﴿مَضْرًا﴾ مفعول به بمعنى انزلوا ﴿فَإِنَّ﴾ الفاء
 تعليلية، وإن حرف مشبه بالفعل ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان
 بمحذوف خبر إن المقدم ﴿مَّا﴾ اسم موصول في محل نصب اسم إن،
 وجملة ﴿سَأَلْتُمْ﴾ لا محل لها من الإعراب لأنها صلة ﴿وَضُرِيتُ﴾ الواو
 استئنافية، وضربت فعل ماض مبني للمجهول، والتاء تاء التأنيث الساكنة
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بضربت ﴿الَّذِلَّةُ﴾ نائب فاعل وضربت
 ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ عطف على الذلَّة ﴿وَبَاءُ﴾ عطف على وضربت ﴿يَغْضَبُ﴾
 جار ومجرور متعلقان ببأوا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف
 صفة لغضب ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿يَأْتَهُمْ﴾ الباء حرف جر، وإن
 واسمها، وإن ما في حيزها في محل جر بالباء، أي: ذلك كله بسبب
 كفرهم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، والجملة استئنافية
 لا محل لها ﴿كَانُوا﴾ كان واسمها، والجملة خبر أن ﴿يَكْفُرُونَ﴾ الجملة
 الفعلية خبر كانوا ﴿يَايَنِّتِ اللَّهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيكفرون

﴿ وَيَقْتُلُونَ ﴾ عطف على يكفرون ﴿ النَّبِيِّنَ ﴾ مفعول به ﴿ يَغْيِرِ الْحَقَّ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حالة كونهم ظالمين متكرين للحق في اعتقادهم، ولو أنصفوا لاعترفوا بالواقع ﴿ ذَلِكَ ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿ بِمَا عَصَوْا ﴾ الباء حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك ﴿ وَكَانُوا ﴾ عطف على عصوا، وكان واسمها ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا.

□ البلاغة:

الكناية في ضرب الذلة والمسكنة، وهي كناية عن نسبة، أراد أن يثبت ديمومة الذلة والمسكنة عليهم، فكنى بضربها عليهم كما يضرب البناء. وقد رمق الشعراء سماء هذه الكناية، فقال الفرزدق يهجو جرير:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

* الفوائد:

الباء مع الإبدال تدخل على المتروك لا على المأتي به.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

☆ اللغة:

﴿ هَادُوا ﴾ تهودوا. يقال: هاد يهود وتهود ويتهود؛ إذا دخل في اليهودية، وهو هائد، والجمع هود.

﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ جمع نصران ونصراني، يقال: رجل نصران ونصراني وامرأة نصرانة ونصرانية، والياء في نصراني للمبالغة، سموا بذلك لأنهم

نصروا السيد المسيح، أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها: نصران أو ناصرة فسموا باسمها. قال سيويه: لا يستعمل في الكلام إلا مع ياء النسب.

﴿وَالصَّابِغِينَ﴾: جمع صابيء، من صبأ فلان إذا خرج من الدين، والصابئة قوم كانوا يعبدون النجوم، ومنهم أبو إسحاق الصابيء الكاتب الشاعر المشهور.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول اسمها ﴿ءَامَنُوا﴾ الجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الذين الأولى، وجملة ﴿هَادُوا﴾ لا محل لها، وجملة إن وما تلاها مستأنفة ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِغِينَ﴾ عطف على اسم إن ﴿مَنْ﴾ اسم موصول بدل من اسم إن، وجملة ﴿ءَامَنَ﴾ صلة الموصول لك أن تجعلها شرطية في محل رفع مبتدأ ﴿يَاللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بآمن ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عطف على الله ﴿وَعَمِلَ﴾ عطف على آمن ﴿صَالِحًا﴾ مفعول به لعمل، أو مفعول مطلق، أي: عمل عملاً صالحاً ﴿فَلَهُمْ﴾ الفاء جيء بها لتضمن الموصول معنى الشرط، أو رابطة لجواب الشرط، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿أَجْرُهُمْ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر إن إذا جعلنا من موصولة، أو في محل جزم جواب الشرط إذا جعلناها شرطية، والجملة بكاملها في محل رفع خبر إن ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الظرف متعلق بمحذوف حال، أي: مستحقاً أو مستقراً ﴿وَلَا خَوْفٌ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر خوف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب نظيرها تماماً.

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا

مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

☆ اللفظة:

﴿الظُّور﴾: من جبال فلسطين، ويطلق على كل جبل كما في القاموس.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ تقدم إعراب نظائرها، وجملة أخذنا في محل جر بإضافة
الظرف إليها ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ مفعول به ﴿وَرَفَعْنَا﴾ عطف على أخذنا ﴿فَوْقَكُمْ﴾
الظرف متعلق برفعنا ﴿الظُّور﴾ مفعول به ﴿خُذُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف
النون، والواو فاعل، والجملة مقول قول محذوف، أي: قلنا: خذوا،
وجملة القول حالية، والتقدير: قائلين خذوا ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول
خذوا، وجملة ﴿ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ لا محل لها من الإعراب لأنها صلة ما ﴿يَفُوقَ﴾
الجار والمجرور في محل نصب حال، والمعنى: خذوا ما آتيناكم حال
كونكم عازمين على الجد والعمل ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ عطف على خذوا ﴿مَا﴾ اسم
موصول مفعول اذكروا ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل
له؛ لأنه صلة الموصول ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لعل واسمها، وجملة ﴿تَتَّقُونَ﴾ خبرها
﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عطف يفيد التراخي إشعاراً بأن هناك امثالاً للأمر ثم إعراضاً
عنه ﴿مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتوليتهم ﴿فَلَوْلَا﴾ الفاء
عاطفة، ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ مبتدأ
خبره محذوف تقديره موجود ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بفضل
﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ عطف على فضل ﴿لَكُنْتُمْ﴾ اللام واقعة في جواب لولا،
وكان واسمها ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم،
والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم.

* الفوائد:

(لولا) حرف امتناع لوجود، وتختص بالجملة الاسمية، والاسم الواقع

بعدها مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسدّ جواب لولا مسده في حصول الفائدة، وحكم اللام في جوابها أن الكلام إن كان مثبتاً، فالكثير دخول اللام كما في هذه الآية ونظائرها، وإن كان منفيّاً فإن كان حرف النفي ما، فالكثير فيه حذف اللام، ويقلّ الإتيان بها.

قال المتنبي:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سُبلا
وإن كان حرف النفي غير ما، فترك اللام واجب.

قال عمر بن أبي ربيعة:

عُوجِي علينا ربّة الهودج لولاك في ذا العام لم أُحْجِج
لثلا يتوالى لآمان، ومثل لولا في جميع أحكامها لوما.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

○ **اللمعة:**

﴿ السَّبْتِ ﴾: في الأصل مصدر سبت، أي: قطع العمل، وهو إما مأخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدّعة، وإما من السَّبْت وهو القطع؛ لأن الأشياء فيه سبتت، وتمّ خلقها، ثم سمي به هذا اليوم من الأسبوع.

﴿ خَاسِئِينَ ﴾: مبعدين مطرودين، من الخسوء، وهو الصّغار والطرود.

﴿ نَكَالًا ﴾: النكال: المنع والنكل اسم للقيّد من الحديد، وسمي العقاب نكالاّ لأنه يمنع غير المعاقب أن يفعل فعله، ويمنع المعاقب أن يعود إلى فعله الأول.

○ **الإعراب:**

﴿ وَلَقَدْ ﴾ الواو استئنافية، واللام قسم محذوف، وقد حرف

تحقيق ﴿عَلِمْتُمْ﴾ فعل وفاعل ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿اعْتَدُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير في اعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ والجار والمجرور متعلقان باعتدوا، لأنه ظرف الاعتداء وقيامهم بصيد السمك وقد نهوا عنه ﴿فَقُلْنَا﴾ الفاء عاطفة، وقلنا: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة اعتدوا ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بقلنا ﴿كُونُوا﴾ فعل أمر ناقص مبني على حذف النون، والواو اسمها ﴿قِرْدَةً﴾ خبرها ﴿خَلْسَيْنِ﴾ خبر ثان، ولا مانع من جعلها صفة، وقيل: كلاهما خبر وإنهما نزلا منزلة الكلمة الواحدة، وهو قول جيد ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الجملة معطوفة على ما تقدم ﴿نَكَالًا﴾ مفعول جعلنا الثاني، وإنما أتى الضمير في جعلناها لأنه يعود على المسخة المفهومة من مطاوي الكلام ﴿لَمَّا﴾ اللام حرف جر، وما اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور صفة لنكالا ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ الظرف معلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ﴿وَمَا﴾ عطف على ما ﴿خَلْفَهَا﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة ما الثانية ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ عطف على نكالا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الجار والمجرور صفة لموعظة.

* الفوائد:

للمفسرين كلام طويل في قصة هذا الاعتداء، وخلاصتها أنه تعالى حرّم العمل عليهم وصيد الحيتان في يوم السبت، فكان يكثر ظهورها فيه وتذهب بذهابه، فتحيلوا في صيده بأنواع الحيل كحفر حفيرة أو ربط الحيتان، فإذا مضى السبت أخذوه، ثم كثر ذلك حتى صار ديدناً لهم، إلى آخر تلك القصة الممتعة التي تصور طبيعة اليهود، وتفنتهم في الكيد.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا

قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: تكرر إعراب نظائرها ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها، وجملة ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ خبرها ﴿أَنْ﴾ حرف مصدري ونصب ﴿تَذَبَّحُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وإن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن تذبحوا بقرة ﴿بَقْرَةً﴾ مفعول به ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل ﴿أَنْتَجِدُنَا﴾ الهمزة للاستفهام الاستنكاري، وتتخذنا: فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول ﴿هُزُوا﴾ مفعول به ثان، والجملة الفعلية مقول القول ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ، وفاعله هو، وجملة ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ مقول القول ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ أن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: من أن أكون، واسم أكون مستتر تقديره أنا ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ خبرها.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ
عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرؤن ﴿٦٨﴾

☆ الفظة:

(الفارض): المسئلة لأنها فرضت سنّها، أي: قطعتها وبلغت آخرها.

(البكر): الفتية الصغيرة.

(العوان): النصف في السن، والجمع عون بضم العين وسكون الواو، وقال الكسائي: العوان: التي قد كان لها زوج، ومنه قيل: حرب عوان.

○ الإعراب:

﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل ﴿ادْعُ﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة مقول القول ﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بادع ﴿رَبَّكَ﴾ مفعول به ﴿يُبَيِّنْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب

الطلب ﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بيبين ﴿مَا﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ﴿هِيَ﴾ ضمير منفصل في محل رفع خبر، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول بيبين ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ ﴿إِنَّهُ﴾ إن واسمها، وكسرت همزة إن لسبقها بالقول، وجملة ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ﴾ خبر إن، وجملة إن وما في حيزها مقول القول ﴿لَا﴾ نافية ﴿فَارِضٌ﴾ صفة بقرة ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ عطف على ما تقدم وإذا وصفت النكرة بما دخل عليه لا كررت وكذلك الخبر والحال ﴿عَوَانٌ﴾ صفة أيضاً لبقرة ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الظرف متعلق بمحذوف صفة لعوان، وذلك مضاف إليه، وقد نابت الإشارة عن الشئيين حيث وقعت مشاراً بها إلى الفارض والبكر معاً، ومثله قول عبدالله بن الزبعرى يوم أحد قبل إسلامه:

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَى وكلا ذلك وَجْه وقيل

﴿فَافْعَلُوا﴾ الفاء هي الفصيحة، وافعلوا فعل وفاعل ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول به، وجملة ﴿تُؤْمَرُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: به، وأجاز بعضهم أن تكون ما مصدرية، أي: فافعلوا أمركم، ويكون المصدر بمعنى المفعول، أي: مأموركم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تُسَرُّ النَّظِيرِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

☆ اللغة:

﴿فَاقِعٌ﴾: شديد الصفرة، يقال في التوكيد: أصفر فاقع، كما يقال: أسود حالك، وأبيض بَقَقَ، وأحمر قَانٍ، وأخضر ناضر.

﴿لَا ذُلُولٌ﴾ : لم تذلل للحراثة وإثارة الأرض .

﴿شِبَعٌ﴾ : بكسر الشين : العلامة ، والمراد : لا لمعة فيها من لون آخر سوى الصفرة .

○ الإعراب :

﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل ﴿أَدْعُ﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، والجملة مقول القول ﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بادع ﴿رَبِّكَ﴾ مفعول به ﴿يُبَيِّنُ﴾ جواب الطلب ﴿لَنَا﴾ متعلقان بيبين ﴿مَا﴾ اسم استفهام مبتدأ ﴿لَوْ نُهَى﴾ خبر ، والجملة في محل نصب مفعول ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ ﴿إِنَّمَا﴾ إن واسمها ، وجملة ﴿يَقُولُ﴾ خبرها ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ إن واسمها وخبرها ، والجملة مقول القول ﴿صَفْرَاءُ﴾ نعت لبقرة ﴿فَاقِعٌ﴾ صفة ثانية ﴿لَوْ نُهَى﴾ فاعل فاقع ويجوز أن يكون فاقع خبراً مقدماً ، ولونها مبتدأ مؤخر ، والجملة صفة ثانية لبقرة ، وكلاهما جيد ﴿تَسْرُ النَّظِيرِ﴾ فعل مضارع ، وفاعل مستتر ، ومفعول به ، والجملة صفة ثالثة لبقرة ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾ تقدم إعرابها بحروفه ، فجدد به عهداً ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل ﴿الْبَقَرِ﴾ اسمها ، والجملة تعليل للسؤال لا محل لها ﴿تَشَبَّهَ﴾ فعل ماضٍ ، وفاعله هو ، والجملة خبر إن ﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بتشابهه ﴿وَإِنَّا﴾ الواو حرف عطف ، وإن واسمها ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم ﴿شَاءَ﴾ فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ، وجواب إن محذوف تقديره : اهتدينا ﴿لَمْ يَهْتَدُوا﴾ اللام المزحلقة ، ومهتدون خبر إن ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ ﴿إِنَّمَا يَقُولُ﴾ إن واسمها ، وجملة يقول خبرها ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ تقدم إعراب نظيرها تماماً ﴿لَا﴾ نافية ﴿ذُلُولٌ﴾ صفة بقرة ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ الجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية ، والمقصود نفي إثارتها للأرض ﴿وَلَا﴾ الواو حرف عطف ، ولا مزيدة لتأكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي ، على أن الفعلين صفتان للذلول ، فكانه قيل لا ذلول صفتها أنها مثيرة وساقية ، فالنفي مسلط على الموصوف

وصفته، ونرجى القول في هذا التركيب العجيب إلى باب الفوائد ﴿سَقَى﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به ﴿مُسْلَمَةً﴾ صفة ثالثة، أي: سلمها الله من العيوب ﴿لَا﴾ نافية للجنس من أخوات إن ﴿شَيْئَةً﴾ اسمها المبني على الفتح ﴿فِيهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، والجملة صفة رابعة ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل ﴿أَفَنَ﴾ ظرف زمان متعلق بجئت ﴿جِئْتُ﴾ جملة جئت مقول القول ﴿يَا لِحَقٍّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبساً بالحق ﴿فَذَبَّحُوهَا﴾ معطوف على محذوف يتطلبه السياق، أي: فطلبوها فوجدوها وذبحوها، ولك أن تجعل الفاء فصيحة، أي: فلما حصلت لهم هذه البقرة الجامعة لأشتات هذا الوصف ذبحوها ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة، وما نافية ﴿كَادُوا﴾ كاد واسمها؛ لأنها من أفعال المقاربة العاملة عمل كان، وجملة ﴿يَفْعَلُونَ﴾ خبر كادوا.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآيات المتقدمة فن التكرير، وهو داخل في باب الإطناب، كأنهم يكررون السؤال استكناهاً لحقيقة البقرة وعن النبي ﷺ: «لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم، ولكن شددوا فشد الله عليهم».

(٢) أسرار كاد في العربية كثيرة، فهي تدخل على الفعل لإفادة معنى المقاربة في الخبر، فإذا أدخلت عليها النفي لم تكن إلّا لنفي الخبر، كأنك قلت: إذا أخرج يده يكاد لا يراها، فكاد هذه إذا استعملت بلفظ الإيجاب كان الفعل غير واقع، وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل بعدها قد وقع، ولهذا اختلف في معنى الكيدودة هنا، وعلى كل حال هي صورة مجسدة لطبائع اليهود ولجوئهم إلى اللجاج والمكابرة، فقد فعلوا الذبح بعد لجاج طويل وتعت ما عليه مزيد.

* الفوائد:

(١) احتدم الخلاف بين المعربين حول قوله ﴿وَلَا سَقَى آلُ هَارُونَ﴾ فقد

شجر الخلاف بين أبي حاتم وأبي البقاء من جهة وبين الزمخشري وأبي حيان من جهة ثانية، وقد اخترنا في الإعراب أسهل الأوجه وأقربها إلى المنطق.

(٢) الآن: ظرف زمان يقتضي الحال، ويخلص المضارع وهو لازم للظرفية لا يتصرف، وبني لتضمنه معنى الإشارة، كأنك قلت: هذا الوقت، واختلف في حرف التعريف الداخل عليه، ف قيل: هو لمحض التعريف الحضورى، وقيل: هو حرف زائد لازم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأَتْكُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ
بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣)

☆ النكتة:

﴿إِذَا رَأَتْكُمْ﴾: تدافعتم، لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً، أي: يدفعه ويزحمه، والمعنى: اتهم بعضكم بعضاً لطمس معالم الجريمة ودرء الشبهة عنه.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ عطف على القصة الأنفة ونزولهما على ترتيب وجودهما، فيكون أنه تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها، وهم لا يعلمون ما وراء ذلك الأمر، ثم وقع بعد ذلك أمر القتل، فأظهر لهم سبحانه ما كان قد أخفاه من الحكمة ﴿فَقَتَلْتُمْ﴾ الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿نَفْسًا﴾ مفعول به ﴿فَادَرَأَتْكُمْ﴾ عطف على قتلتم ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلقان بإذأرأتكم ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو اعتراضية، والله مبتدأ ﴿مُخْرِجٌ﴾ خبر، والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية ﴿مَّا﴾ اسم موصول مفعول به لمخرج لأنه اسم فاعل ﴿كُنْتُمْ﴾ كان واسمها ﴿تَكْتُمُونَ﴾ جملة فعلية في محل نصب خبر كنتم، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ﴿فَقُلْنَا﴾ عطف ﴿أَصْرَبُوهُ﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، وواو الجماعة فاعل، والهاء مفعول به، والجملة

مقول القول ﴿يَبْعُثُهَا﴾ جار ومجرور متعلقان باضربوه ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ جار ومجرور في محل نصب مفعول مطلق مقدم لأنه في الأصل وصف للمصدر، والتقدير: يحيي الله الموتى إحياء مثل ذلك الإحياء ﴿وَرُيِّكُمْ﴾ عطف على يحيي، والكاف مفعول به أول ﴿ءَايَاتِهِ﴾ مفعول به ثان ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لعل واسمها ﴿تَعْقِلُونَ﴾ الجملة في محل رفع خبر لعل.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للتراخي واستبعاد القسوة من بعد ما ذكر من موجبات الليونة للقلوب ﴿قَسَتْ﴾ فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والتاء تاء التأنيث الساكنة ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فاعل ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ جار ومجرور متعلقان بقست، وذلك مضاف إليه ﴿فَهِيَ﴾ الفاء عاطفة، وهي مبتدأ ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ الكاف اسم بمعنى مثل خبر، والحجارة مضاف إليه، ولك أن تجعلها جارة، والجار والمجرور خبر هي ﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتخيير أو للإبهام أو للتنويع ﴿أَشَدُّ﴾ معطوف على الكاف إذا كانت اسماً أو على كالحجارة؛ لأن الجار والمجرور في موضع رفع ﴿قَسَوَةً﴾ تمييز، وكان القياس أن يقول: أقسى؛ لأن اسم التفضيل يأتي من الثلاثي المستوفي شروطه، ولكنه عدل عن ذلك لأن سياق القصة يقتضي العدول إلى الإسهاب وزيادة التهويل بذكر لفظ الشدة ﴿وَإِنَّ﴾ الواو استئنافية، وإن حرف مشبه ﴿مِنْ الْحِجَارَةِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم ﴿لَمَّا﴾ اللام هي المرحلة، وما اسم موصول في محل نصب اسمها المؤخر ﴿يَتَفَجَّرُ﴾ فعل مضارع مرفوع، والجملة صلة لا محل لها

﴿ مِنْهُ ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ﴿ يَتَفَجَّر ﴾ فاعل يتفجر ﴿ وَإِنَّ ﴾ عطف على أن الأولى ﴿ مِنْهَا ﴾ جار ومجرور خبر مقدم ﴿ لَمَّا ﴾ اللام المرحلة، وما اسم موصول اسم إن المؤخر ﴿ يَشْفُقُ ﴾ فعل مضارع مرفوع ﴿ فَيَخْرُجُ ﴾ عطف على يشفق ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْهَيْطُ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيهبط بمثابة التعليل له ﴿ وَمَا ﴾ الواو استئنافية، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ﴿ اللَّهُ ﴾ اسمها المرفوع ﴿ يَفْعِلُ ﴾ الباء حرف جر زائد، وغافل مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿ عَمَّا ﴾ جار ومجرور متعلقان بغافل ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول.

□ البلاغة:

(١) التشبيه المرسل، فقد شبه قلوبهم في نبوّها عن الحق، وتجافيها مع أحكامه بالحجارة القاسية، ثم ترقى في التشبيه، فجعل الحجارة أكثر ليناً من قلوبهم.

(٢) الاستعارة المكنية التبعية في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ تشبيهاً لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بما هو مائل أمامها، ناطق بلسان الحال، بالحجارة النابية التي من خصائصها القسوة والصلابة.

(٣) المجاز العقلي في إسناد الخشية إلى الحجارة، وهو كثير في السنة العرب.

* الفوائد:

(ما الحجازية) سميت حجازية لأنها تعمل عمل ليس في لغة أهل الحجاز، وهي نافية مهملة في لغة تميم، ويشترط لإعمالها أربعة شروط:

آ- ألا يتقدم خبرها على اسمها، وإلا أهملت، وفي أمثالهم: ما مسيء من أعتب.

ب- ألا يتقدم معمول خبرها على اسمها، وإلا أهملت، نحو: ما بك أنا متتصر.

ج- ألا تزداد بعدها إن وإلا بطل عملها كقوله:
بني غداة ما إن أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف
د- ألا ينتقض نفيها بإلا وإلا بطل عملها نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

☆ اللفظة:

(الطمع) تعلق النفس بإدراك أمر تعلقاً قوياً، فهو أشد من الرجاء، يقال:
طمع يطمع طمعاً وطماعة وطماعية. قال المتنبي:
إِلَامَ طَمَاعِيَّةِ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ

○ الإعراب:

﴿أَفَنظَمُونَ﴾ الهمزة للاستفهام، والمراد به النهي أو الاستنكار، وقد تقدم بحث دخول الهمزة على حروف العطف، والمعنى: لا تظمعو في إقناع هؤلاء العتاة الجفاة القاسية قلوبهم ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُؤْمِنُوا﴾ على تضمين يؤمنوا معنى الانقياد ﴿وَقَدْ﴾ الواو حالية، وقد حرف تحقيق ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص ﴿فَرِيقٌ﴾ اسمها ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور صفة لفريق ﴿يَسْمَعُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وجملة يسمعون خبر كان ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ مفعول به ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للتراخي ﴿يَحْرَفُونَهُ﴾ عطف على يسمعون ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيحرفونه ﴿مَا﴾ مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة ﴿عَقَلُوهُ﴾ فعل

وفاعل ومفعول به ﴿وَهُمْ﴾ الواو حالية، وهم مبتدأ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الجملة في موضع رفع خبرهم، والجملة الاسمية في موضع نصب على الحال، أي: والحال أنهم عالمون بكفرهم وعنادهم وافترائهم.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ مِمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا﴾ الواو استثنائية أو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه متعلق بجوابه ﴿لَقُوا﴾ فعل ماض مبني على الفتح، والواو فاعل، وجملة لقوا فعلية لا محل لها من الإعراب لإضافة الظرف إليها ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿وَإِذَا﴾ عطف على وإذا الأولى ﴿خَلَا بِعَضُّهُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلقان بخلا ﴿قَالُوا﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿أَنُحَدِّثُوكُمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وتحدثونهم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلقان بتحدثونهم ﴿فَتَحَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بفتح ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ اللام هي لام العاقبة أو الصيرورة لا للتعليل في المعنى لأنهم لم يقصدوا ذلك، وإنما كان المآل والعاقبة له، ولكنها مثل لام التعليل في العمل، ويحاجوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام العاقبة أو الصيرورة، واللام

ومجرورها متعلقان بتحدثونهم ﴿يَهْءُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيحاجوكم
 ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ الظرف متعلق بمحذوف حال ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ تقدم حكم
 همزة الاستفهام إذا دخلت على حرف العطف كثيراً ﴿أَوْ لَا﴾ الهمزة
 للاستفهام التقريري، ومعناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف،
 ولا يخلو من التوبيخ، والواو عاطفة، وهي بنية التقديم على الهمزة، وإنما
 أخرت لقوة الهمزة، ولا نافية ﴿يَعْلَمُونَ﴾ معطوف على فعل محذوف،
 والمعنى أيلومونهم على التحدث بما ذكر ولا يعلمون ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أن واسمها
 وما بعدها سدت مسد مفعولي يعلمون، ولذلك فتحت همزتها ﴿يَعْلَمُ﴾
 فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والجملة في محل رفع خبر أن
 ﴿مَا﴾ اسم موصول أو مصدرية، وهي على كل مع مدخولها مفعول يعلم
 ﴿يُتْرُونَ﴾ الجملة لا محل لها على كل حال ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ عطف عليها.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾
 ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ
 ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿أُمِّيُونَ﴾: لا يحسنون الكتابة والقراءة، والمفرد أمي، نسبة إلى الأم
 لأنه ليس من شغل النساء عندهم، أو إلى الأمة وهي القامة والخلقة، كأن
 الذي لا يكتب ولا يقرأ قائم على الفطرة والجبلة، أو إلى الأمة لأنها ساذجة
 قبل أن تعرف المعارف.

﴿أَمَانِي﴾ جمع أمنية، بتشديد الياء وتخفيفها، وهي في الأصل ما يقدره
 الإنسان في نفسه ويحدث به، ولذلك تطلق على الكذب، والمراد أنهم
 لا يعلمون الكتاب إلا كما حدسوه أو تخيلوه في هواجسهم من أنهم شعب
 الله المختار، وأن الله يعفو عنهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم،

وما ذلك كله إلا أكاذيب ممتقة لفقها لهم أحبارهم فتناقلوها من دون تمحيص أو رويّة.

(الويل) مصدر لا فعل له من لفظه، ولم يجيء من هذه المادة التي فاؤها واو وعينها ياء، إلا ويل وويح وويس وويب، ولا يثنى ولا يجمع، وقيل: يجمع على ويلات، قال امرؤ القيس:

ويوم دخلتُ الخدرَ خدرَ عُنيزة فقالت: لكِ الويلات إنك مُرجلي

وإذا أضيف فالأحسن فيه النصب على المفعولية المطلقة؛ لأنه مصدر لفعل أماته العرب؛ وإذا لم يضاف فالأحسن فيه الرفع على الابتداء، وساغ الابتداء لتضمنه معنى خاصاً. والويل معناه الفضيحة والحسرة، وقال الخليل: شدة الشر، وقال غيره: الويل: الهلكة.

○ الإعراب:

﴿وَمِنْهُمْ﴾ الواو حرف عطف، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿أُمِّيُّونَ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿لَا﴾ نافية ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل ﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به، وجملة لا يعلمون صفة أميون ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ﴿أَمَانِيٍّ﴾ مستثنى بإلا وهو استثناء منقطع؛ لأن الأمانى ليست مندرجة تحت مدلول الكتاب؛ ولهذا وجب نصبه رغم تقدم النفي، وإنما يكون ذلك كذلك في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان إلا لكن، فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول ﴿وَإِنَّ﴾ الواو حالية، وإن نافية ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر لتقدم النفي ﴿يُظُنُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة فعلية خبرهم ﴿فَوَيْلٌ﴾ الفاء استئنافية، وويل مبتدأ ساغ الابتداء به لتضمنه معنى الدعاء والتهويل ﴿لِلَّذِينَ﴾ الجار والمجرور خبر ويل ﴿يَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة صلة الموصول ﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـيكتبون ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ عطف على يكتبون ﴿هَذَا﴾ مبتدأ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور خبر، والجملة الاسمية مقول القول ﴿لِيَشْتَرُوا﴾ اللام لام التعليل، ويشترى فعل مضارع

منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والواو فاعل ﴿يَهْء﴾ الجار والمجرور متعلقان بيشترؤا ﴿ثَمَّنَا﴾ مفعول به ﴿قَلِيلًا﴾ صفة ﴿فَوَيْلٌ﴾ تقدم إعرابها، وكررها للتأكيد ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور خبر ويل ﴿مِمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بويل ﴿كُنِبْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ عطف على ما تقدم، وقد سبق إعرابها.

□ البلاغة:

(الإطناب) بذكر أيديهم فقد ذكرها، والكتابة لا تكون إلا بها لتصوير الحالة في النفس كما وقعت، وتجسيدها أمام السامع حتى يكاد يكون شاهداً لها وتسجيل الأمر عليهم، كما تقول لمن ينكر معرفته ما كتب ووقع: أنت كتبتة يمينك.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو استئنافية، قالوا: فعل وفاعل ﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال ﴿تَمَسَّنَا﴾ فعل مضارع منصوب بلن، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ﴿النَّارُ﴾ فاعل، والجملة فعلية في محل نصب مقول القول ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿أَيَّامًا﴾ نصب على الظرفية الزمانية متعلق بتمسنا ﴿مَّعْدُودَةً﴾ صفة لأياماً ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر فيه

وجوباً تقديره أنت، والجملة استئنافية ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذفت همزة الوصل المتصلة بالماضي الخماسي لاجتماع همزتين، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف متعلق باتخذتم ﴿عَهْدًا﴾ مفعول به ﴿فَلَنْ﴾ الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدّر، والتقدير: إن اتخذتم عند الله عهداً فلن ﴿يُخْلَفَ﴾ فعل مضارع منصوب بلن ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿عَهْدُهُ﴾ مفعول به ﴿أَمْ﴾ حرف عطف معادل للاستفهام، فهي متصلة، ويحتمل أن تكون منقطعة بمعنى بل، وكلاهما يفيد معنى التقرير والتوبيخ ﴿تَقُولُونَ﴾ عطف على ما قبله ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقولون ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول تقولون ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿بِكَلَى﴾ حرف جواب يثبت ما بعد حرف النفي ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم مبتدأ ﴿كَسَبَ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره هو ﴿سَكِئَةً﴾ مفعول به ﴿وَأَحَاطَتْ﴾ عطف على كسب ﴿بِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأحاطت ﴿حَاطَتْهُ﴾ فاعل أحاطت ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واسم الإشارة مبتدأ ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خبره ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿فِيهَا﴾ متعلق بخالدون ﴿خَالِدُونَ﴾ خبر هم، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط الجازم ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الواو عاطفة، والذين اسم موصول مبتدأ ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عطف على آمنوا ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ أيضاً ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ خبر أولئك، والجملة الاسمية خبر الذين ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿فِيهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بخالدون ﴿خَالِدُونَ﴾ خبرهم، والجملة الاسمية خبر ثان لاسم الموصول.

* الفوائد:

﴿بِكَلَى﴾ حرف جواب مثل نعم، والفرق بينهما أن بلى تختص بوقوعها بعد النفي لتجعله إثباتاً، أما نعم، ومثلها أجل، فإن الجواب بهما يتبع

ما قبلهما في إثباته ونفيه، فإن قلت لرجل: أليس لي عليك ألف درهم؟ فإن قال: بلى، لزمه ذلك، وإن قال: نعم لم يلزمه. ومن أحرف الجواب: إي، وجير.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالُوا لِدِينٍ إِحْسَانًا
وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَوَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣)

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ تقدم إعرابه كثيراً ﴿مِيثَاقَ﴾ مفعول به ﴿بَنِي﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ﴿إِسْرَءِيلَ﴾ مضاف إليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه علم أعجمي ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَعْبُدُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة، والخبر بمعنى النهي، أي: ﴿وَيَالُوا لِدِينٍ﴾ الواو حرف عطف على موضع إن المحذوفة في لا تعبدون إلا الله، فكان معنى الكلام: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله، وأحسنوا بالوالدين. بالوالدين الجار والمجرور متعلقان بفعل المصدر، أي: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحْسَانًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ عطف على الوالدين ﴿وَقُولُوا﴾ عطف، ولكن لا بد من تقدير محذوف، أي: وقلنا قولوا ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿حُسْنًا﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أو قولاً حسناً ﴿وَأَقِيمُوا﴾ عطف أيضاً على ما تقدم ﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به ﴿وَوَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ عطف على أقيموا الصلاة ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف عطف على محذوف، أي: فقبلتم الميثاق ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء لأن الكلام تام موجب ﴿قَلِيلًا﴾ مستثنى بإلا ﴿مِّنْكُمْ﴾ الجار

والمجرور صفة لقليلاً ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو حالية، وأنتم مبتدأ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ خبر، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال.

□ البلاغة:

(١) جملة لا تعبدون خبر معناه النهي، وهو أبلغ من التصريح به.

(٢) الالتفات: من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾، ومن خطاب بني إسرائيل القدامى إلى خطاب الحاضرين منهم في زمن النبي ﷺ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْثُو مُنُونٍ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٥﴾

☆ اللفظة:

﴿تَظَاهَرُونَ﴾ تتعاونون، وحذفت إحدى التاءين، وأصل المظاهرة: المعاونة، مشتقة من الظهر؛ لأن بعضهم يقوي بعضاً، فيكون له كالظهر. ﴿تَقْتُلُوهُمْ﴾ تنقذوهم من الأسر بالمال.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ تقدم إعراب هذه الجملة قريباً ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ خبر معناه النهي أيضاً، وقد تقدم إعراب هذه الجملة ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِهِمْ﴾ عطف على ما تقدم، أي: اعترفتكم على

أنفسكم بعد التراخي وطول الأمد ﴿ثُمَّ أَفْرَزْتُمْ﴾ ثم حرف عطف، وأقررتم فعل وفاعل ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تقدم إعرابها ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للتراخي ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم إشارة في محل نصب على الذم بفعل محذوف تقديره: أذم، وقيل: في محل نصب منادى محذوف منه حرف النداء ﴿تَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، وجملة تقتلون خبر أنتم ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به، وقيل: اسم الإشارة هو الخبر، وجملة تقتلون حال، وقد قالت العرب: ها أنت ذا قائماً، وإنما أخبر عن الضمير باسم الإشارة في اللفظ، وكأنه قال: أنت الحاضر ﴿وَتُخْرَجُونَ﴾ عطف على تقتلون ﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقاً ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ متعلقان بتخرجون ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة في محل نصب حال من الواو، أي: متعاونين عليهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بتظاهرون ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، والمعنى تظاهرون عليهم حال كونهم متلبسين بالإثم ﴿وَالْمُذَوْنِ﴾ عطف على الإثم، وهذه الآية عجب في صدق تصويرها لحقيقة هؤلاء الذين نشاهد اليوم مصداقاً لها ﴿وَإِنْ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية ﴿يَأْتُوكُمْ﴾ فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به ﴿أُسْكِرَى﴾ حال ﴿تَفْتَدُوهُمْ﴾ جواب الشرط مجزوم ﴿وَهُوَ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ، وهو المسمى بضمير الشأن، وسيأتي الحديث عنه ﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبر مقدم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحرم ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر لضمير الشأن، ويجوز أن يعرب قوله محرم خبر هو، وإخراجهم نائب فاعل لمحرم لأنه اسم مفعول ﴿أَفْتَوِمُنْوَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ تقدم إعراب نظيرها ﴿فَمَا﴾ الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر، كأنه قيل: إن شئتم أن تعرفوا جزاء من يفعل، وما نافية ﴿جَزَاءً﴾ مبتدأ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة ﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة صلة الموصول ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مفعول به

﴿ مِنْكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حال كونه منكم ﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر ﴿ خِزْيٌ ﴾ خبر جزاء لأنه استثناء مفرغ ﴿ فِي الْحَيَاةِ ﴾ الجار والمجرور صفة لخزي ﴿ الدُّنْيَا ﴾ صفة للحياة ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ الواو استئنافية، والظرف متعلق بيردون ﴿ يَرُدُّونَ ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة ﴿ إِلَهِ أَشَدَّ عَذَابٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيردون ﴿ وَمَا ﴾ الواو استئنافية، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ﴿ اللَّهُ ﴾ اسمها المرفوع ﴿ يَغْفِلُ ﴾ الباء حرف جر زائد، وغافل خبر ما محلاً ﴿ عَمَّا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتعملون ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ الجملة الفعلية صلة الموصول .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٨٦)

○ الإعراب:

﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿ الَّذِينَ ﴾ اسم موصول خبر ﴿ اشْتَرَوْا ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ الْحَيَاةَ ﴾ مفعول به ﴿ الدُّنْيَا ﴾ صفة للحياة ﴿ بِالْآخِرَةِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان باشتروا ﴿ فَلَا ﴾ الفاء الفصيحة، ولا نافية ﴿ يَخَفُ ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، والجملة خبر ثان لاسم الإشارة ﴿ عَنْهُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيخفف ﴿ الْعَذَابُ ﴾ نائب فاعل ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، ولا نافية، وهم مبتدأ، وجملة ينصرون خبر .

□ البلاغة:

الاستعارة المكنية التبعية في شراء الحياة الدنيا بالآخرة، وقد تقدم نظيرها .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

مَرِّمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدَتْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

☆ اللغة:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا، والمادة كلها تدلُّ على التبعية، والقفا كل تابع، وهو مؤخر العنق، ومنه قافية الشعر لأنها تتبع البيت.

﴿عِيسَى﴾: علم أعجمي، وهو بالسريانية إيشوع، وليس مشتقاً من العيس، وهو بياض يخالطه شقرة.

﴿مَرِّمَ﴾ علم أعجمي ولهذا منع من الصرف، والمريم في اللغة العربية من النساء كالزير من الرجال، والزير: هو الذي يخالط النساء ويمارجهن بغير شر أو به.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ﴾ الواو حرف عطف، واللام جواب قسم محذوف، وقد: حرف تحقيق ﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول ﴿أَنكُتِبَ﴾ مفعول به ثان ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ عطف على آتينا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَالرُّسُلِ﴾ جار ومجرور متعلقان بقفينا ﴿وَأَتَيْنَا﴾ عطف على ما تقدم ﴿عِيسَى﴾ مفعول به أول ﴿أَبْنِ﴾ بدل أو صفة ﴿مَرِّمَ﴾ مضاف إليه ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ مفعول به ثان وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿وَأَيَّدَتْهُ﴾ عطف على ما تقدم ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأيدناه ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة، وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط ﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدَّم ﴿رَسُولٌ﴾ فاعل جاء، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿بِمَا﴾ الباء حرف جر، وما اسم موصول مجرور بالباء محلاً، والجار والمجرور متعلقان بجاءكم ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَهْوَى﴾ فعل مضارع ﴿أَنْفُسُكُمْ﴾ فاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها

جواب شرط غير جازم ﴿فَفَرِيقًا﴾ الفاء عاطفة، وفريقاً مفعول به مقدّم
﴿كَذَّبْتُمْ﴾ فعل ﴿وَفَرِيقًا﴾ الواو عاطفة، وفريقاً مفعول مقدم. لتقتلون
﴿تَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿غُلْفٌ﴾: جمع أغلف، وهو في الأصل الذي لم يختن، أي: لا يعي
ولا يفهم، والمعنى: هي مغشاة بأغطية لا يدري أحدا ما وراءها.

○ الإعراب:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو استئنافية، وقالوا فعل ماض وفاعل ﴿قُلُوبُنَا﴾ مبتدأ،
ونا مضاف إليه ﴿غُلْفٌ﴾ خبر قلوبنا، والجملة الاسمية في محل نصب مقول
القول ﴿بَلْ﴾ حرف عطف وإضراب ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ فعل ماض ومفعول به
مقدم وفاعل ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بلعنهم، أي: بسبب
كفرهم ﴿فَقَلِيلًا﴾ الفاء استئنافية، وقليلاً نعت لمصدر محذوف، أي:
يؤمنون إيماناً قليلاً ﴿مَّا﴾ نكرة مبهمه صفة لقليلاً ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع
مرفوع.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ
اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى
غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٩٠﴾

☆ اللغة:

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون، وفتح الله على نيته: نصره، وهنا ناحية

طريقة من وصف اليهود، فقد كانوا يستنصرون الكافرين إذا قاتلوهم قائلين: اللهم انصرنا بالنبي المذكور عندنا في التوراة.

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا﴾ الواو استئنافية، ولما ظرفية بمعنى حين أو هي حرف لمجرد الربط، وهي متضمنة معنى الشرط ﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ومفعول به ﴿كَتَبَ﴾ فاعل ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لكتاب، والجملة في محل جر بإضافة الظروف إليها إذا أعربنا لما ظرفية، أو لا محل لها إذا كانت رابطة، وجواب لما محذوف تقديره كذبوا أو نحوه ﴿مُصَدِّقٌ﴾ نعت لكتاب أيضاً ﴿لَمَّا﴾ اللام حرف جر، وما اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمصدق ﴿مَهُمَّ﴾ مفعول به ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ﴿وَكَانُوا﴾ الواو حرف عطف، والمعطوف هو الجواب المحذوف، وكان واسمها ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة فعلية في محل نصب خبر كانوا ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بيستفتحون ﴿كَفَرُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لأنها صلة الموصول ﴿فَلَمَّا﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية أو رابطة ﴿جَاءَهُمْ﴾ تقدم إعرابها ﴿مَا﴾ اسم موصول فاعل ﴿عَرَفُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول ﴿كَفَرُوا بِئِهِ﴾ جملة فعلية لا محل لها من الإعراب لأنها جواب لما ﴿فَلَعَنَهُ﴾ الفاء للتعليل، ولعنة مبتدأ، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها في حكم الاستئنافية ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لعنة، والمعنى أن لعنة الله متسببة عما تقدم ﴿بِئْسَمَا﴾ بئس فعل ماض لإنشاء الذم، وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز، وهي مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئاً ﴿أَشْتَرُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صفة لما ﴿بِئِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باشتروا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ لأنه المخصوص

بالذم، وجملة بثس هي الخبر المقدم ﴿بِمَا﴾ الباء حرف جر، وما اسم موصول في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بيكفروا ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول ﴿بَغْيًا﴾ مفعول لأجله، وهو علة اشتروا، أو علة يكفروا ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: يغوا لإنزال الله ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بينزل ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ جار ومجرور متعلقان بينزل أيضاً، ويشاء فعل وفاعله مستتر ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مبنية لمن يشاء ﴿فَبَاءُ وَبِغَضِبٍ﴾ الفاء حرف عطف، وباءوا فعل وفاعل، والجار والمجرور متعلقان بباءوا ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب أو مترادف ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ﴾ الواو استئنافية، وللكافرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿عَذَابٍ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿مُهِينٌ﴾ صفة لعذاب.

* الفوائد:

(١) ﴿مَا﴾ المتصلة بنعم وبثس من أفعال المدح والذم، اختلف فيها النحاة، والأكثر أنها نكرة تامة بمعنى شيء، فتكون موضع نصب على التمييز، وقيل: هي موصولة فتكون هي الفاعل.

(٢) المخصوص بالمدح والذم يعرب مبتدأ، والجملة الفعلية قبله خبر، ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف واجب الحذف.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوَاضَعْنَا وَإِنَّا لَمُكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ يُقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ تقدم إعراب نظائرها، وجملة آمنوا في محل

نصب مقول القول ﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الباء حرف جر، وما اسم موصول في محل جر بالباء، وجملة أنزل الله لا محل لها ﴿قَالُوا﴾ الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿تُؤْمِنُ﴾ الجملة في محل نصب مقول القول ﴿يَمَّا أَنْزَلَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنؤمن ﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلقان بأنزل ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو حالية ﴿يَمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بيكفرون ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ ظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ، والحق خبره، وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة لأن تصديق القرآن لازم لا ينتقل ﴿لِئِمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمصدقاً ﴿مَعَهُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ما ﴿قُلْ﴾ فعل أمر ﴿فَلِمَ﴾ الفاء هي الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر، أي: إن كانت دعواكم صحيحة فلم تقتلون، واللام حرف جر، وما اسم استفهام في محل جر باللام، أي: لأي شيء، وحذفت الألف من ما فرقا بينها وبين ما الخبرية، والجار والمجرور متعلقان بتقتلون ﴿تَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ﴾ مفعول به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن شرطية، وكنتم كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، وجملة تقتلون خبرها، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: فلم تقتلون.

* الفوائد:

- (١) (وراء) من الظروف المتوسطة التصرف، وهو ظرف مكان، والمشهور أنه بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى أمام، فهو من الأضداد.
- (٢) إذا سبق ما الاستفهامية حرف جر حذفت ألفها، ونزلت الكلمتان منزلة الكلمة الواحدة، فتقول: إلام، علام، حتام، لم، بم، حثام، عم، فيم، مم.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۚ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق ﴿ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ ﴾ فعل ومفعول به مقدم، وفاعل الكلام مستأنف مسوق للاعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعائهم بأنهم يؤمنون بالتوراة، والتوراة لا تسوغ ذلك بحال ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بجاءكم ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، واتخذتم فعل وفاعل، والعجل مفعول به ﴿ مِن بَعْدِهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ الواو حالية، وأنتم مبتدأ، وظالمون خبره، والجملة نصب على الحال ﴿ وَإِذْ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ فعل ماض وفاعل ومفعول به، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿ وَرَفَعْنَا ﴾ عطف على أخذنا، ولك أن تعربها حالية ﴿ فَوْقَكُم ﴾ ظرف مكان متعلق برفعنا ﴿ الطُّورَ ﴾ مفعول به ﴿ خُذُوا ﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة مقول قول محذوف، وجملة القول نصب على الحال، أي: قائلين لكم ﴿ مَا ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿ آتَيْنَاكُمْ ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة صلة ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ قَالُوا ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لذكر سماعهم وعصيانهم في وقت واحد، وتلك طبيعة مركوزة في اليهود ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ الجملتان

مقول للقول ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ الواو حالية أو عاطفة، واشربوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بأشربوا ﴿الْعَجَل﴾ مفعول به ثان على تقدير مضاف، أي: حب العجل ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بأشربوا، والباء للسببية، أي: بسبب كفرهم ﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر، والجملة مستأنفة ﴿يَتَسَكَّمَا﴾ تقدم إعرابها قريباً ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة لا محل لها ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بياأمركم ﴿إِيْمَانُكُمْ﴾ فاعل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط وفعله، والجواب محذوف فلم فعلتم ذلك، وكان واسمها، ومؤمنين خبرها.

□ البلاغة:

(التشبيه البليغ) أي: جعلت قلوبهم لتمكن حب العجل منها، كأنها تشرب، ومثله قول زهير:

فصحوت عنها بعد حُبِّ داخلٍ والحُبُّ تُشْرِبُهُ فَوَادَكَ دَاءٌ
وإنما عبّر عن حُبِّ العجل بالشرب دون الأكل؛ لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام لا يتغلغل فيها.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة مستأنفة مسوقة للدخول في فن آخر من أراجيفهم التي يحكيونها ﴿إِنْ﴾ شرطية تجزم فعلين ﴿كَانَتْ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانت المقدم ﴿الدَّارُ﴾ اسمها

المؤخر ﴿الْآخِرَةُ﴾ نعت للدار ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف مكان متعلق بخالصة ﴿خَالِصَةً﴾ حال من الدار، أي: سالمة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مؤكدة للحال؛ لأن دون تستعمل للاختصاص، يقال: هذا لي دونك أو من دونك، أي: لا حق لك فيه ﴿فَتَمَنَّوْا﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط؛ لأن الكلام طلبي، وتمنوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿الْمَوْتَ﴾ مفعول به ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تكرر إعرابها، وجواب الشرط محذوف، أي: فتمنوا الموت ﴿وَلَنْ﴾ الواو استئنافية، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾ فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به ﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان متعلق بـيتمنوه ﴿بِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بـيتمنوه أيضاً ﴿قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ جملة فعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة ما والعائد محذوف، أي: قدمته أيديهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة ﴿بِالظَّالِمِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بعليم.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ خروج الأمر عن معناه الأصلي إلى معنى التعجيز؛ لأن ذلك ليس من سماتهم ولا من ظواهرهم المألوفة، وتمني الموت من شأن المقربين الأبرار؛ لأن من أيقن بالشهادة اشتاق إليها، وبكى حنيناً إليها. وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه كان يطوف بين الصفيين في غلالة، فقال ابنه الحسن: ما هذا بزي المحاربين! فقال: يا بني لا يبالي أبوك سقط أم سقط عليه الموت. ولما احتضر خالد بن الوليد بكى فليل له: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبالي إشفاقاً من الموت، ولكن لأنني حضرت كذا وكذا معركة ثم أموت هكذا كما تموت العنز، فلا نامت أعين الجبناء. وعن حذيفة أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، يعني: على التمني. وعن النبي ﷺ: «لو تمنوا الموت

لغصّ كل إنسان بريقه فمات مكانه ، وما بقي على وجه الأرض يهودي» .

﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦)

☆ اللغة:

(زحزح): يستعمل متعدياً ولازماً، وتكرار الحروف بمثابة تكرار العمل .

○ الإعراب:

﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ ﴾ الواو عاطفة ، واللام جواب لقسم محذوف ، وتجدنهم فعل مضارع مبني على الفتح ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت ، والهاء مفعوله الأول ﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ ﴾ مفعوله الثاني ﴿ عَلَى حَيَوتِهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأحرص ﴿ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ الواو عاطفة ، والعطف هنا محمول على المعنى ، والتقدير: أحرص من الذين أشركوا ، ولكنه حذف «أحرص» للتخصيص بعد التعميم ﴿ يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ ﴾ فعل مضارع وفاعل ، والجملة حالية أو استئنافية لا محل لها ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ لو مصدرية غير عاملة ، أي: يود التعمير ، وهي خاصة بفعل الودادة ، وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مفعول يود ، أي: يود التعمير ، ويعمر فعل مضارع مبني للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ظرف زمان متعلق بيعمر ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ الواو حالية ، وما نافية حجازية ، وهو اسمها ﴿ بِمُزَحَّزِحٍ ﴾ الباء حرف جر زائد ، ومزحزحه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمزحزحه ﴿ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لمزحزحه لأنه اسم فاعل ، والضمير في قوله: ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ راجع إلى أحدهم ، وقيل: هو

لما دل عليه يعمر من مصدر، أي: وما التعمير بمزحزحه، ويكون قوله أن يعمر بدلاً منه، وكلاهما جيد ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ الواو استئنافية، ويجوز في ما أن تكون موصولة أو مصدرية.

□ البلاغة:

(١) الإيجاز في الآية، ففي تنكير حياة فائدة عجيبة فحواها أن الحريص لا بد أن يكون حياً، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة فإنهما حاصلتان بل على الحياة المستقبلية، ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الأحوال وجب التنكير، وفي الحذف توبيخ عظيم لليهود؛ لأن الذين لا يؤمنون بالمعاد، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، لا يستبعد حرصهم عليها، فإذا زاد أهل الكتاب عليهم في الحرص وهم مقرون بالبعث والجزاء، كانوا أخرى باللوم والتوبيخ.

(٢) الكناية في قوله ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهي كناية عن الكثرة، فليس المراد خصوص الألف.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨)

○ الإعراب:

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وجملة قل مستأنفة مسوقة لبيان نمط آخر من أنماط لجاجهم وعنادهم ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها يعود على من ﴿عَدُوًّا﴾ خبرها ﴿لِجِبْرِيلَ﴾ اللام حرف جر، وجبريل اسم مجرور باللام وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه علم أعجمي، والجار

والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لعدوا ﴿فَإِنَّهُ﴾ الفاء عاطفة على جواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له، والتقدير: فليمت غيظاً أو فلا موجب لعداوته، ولا يصح أن يكون قوله: (فإنه) هو الجواب، لأن جواب الشرط لا بد أن يكون فيه ضمير يعود عليه، فلا يصح أن تقول: من يكرمني فزيد قائم، وإن واسمها؛ ولأن فعل التنزيل متحقق المعنى والجزاء لا يكون إلا مستقبلاً ﴿زَلَّ لَهُ﴾ فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والضمير يعود على القرآن، وفي إضماره على ما لم يسبق ذكره تفخيم لشأن صاحبه، كأنه يدل على نفسه، وجملة نزله خبر كان ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنزله ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية ﴿لِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمصدقاً ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ معطوفان على مصدقاً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببشرى، أو بمحذوف صفة وخبر من فعل الشرط، والجواب المحذوف ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمها مستتر يعود على من ﴿عَدُوًّا﴾ خبر كان ﴿لِلَّهِ﴾ متعلقان بمحذوف صفة لعدو ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ عطف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ الْكَافِرِينَ﴾ الجملة معطوفة على جواب الشرط، وقد تقدم تقرير ذلك.

* الفوائد:

العرب إذا نطقت بالأعجمي تصرفت فيه، وجبر معناه عبد، وأيل هو الله، فهو بمنزلة عبد الله، ومعنى ميكال أو ميكائيل: عبيد الله، فكأنه أصغر منزلة من جبريل.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(٩٩)
 ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدُوا عَهْدًا بَدَدَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٠٠) وَلَمَّا

جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

☆ اللغة:

﴿ نَبَذَ ﴾ : لهذا الفعل خصائص عجيبة، فهو في الأصل بمعنى الطرح، يقال : نبذ الشيء من يده، أي : طرحه ورمى به، وصبي منبوذ. ونهي عن المنابذة في البيع، وهي أن تقول : انبذ إليّ المتاع أو أنبذه إليك. ومن مجاز هذا الفعل قولهم : نبذ أمرى وراء ظهره؛ إذا لم يعمل به، ومنه قوله تعالى : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ قالوا : ويتعين أن يكون نبذ من أفعال التحويل أو التصيير؛ لدلالاتها على الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، وعلى هذا فكتاب الله مفعول به أول، ووراء ظهورهم مفعول به ثان، ويبعد بل يتعذر جعله ظرفاً لنبذ، لأن الظرف لا بد أن يكون حاوياً لفاعل العامل فيه، والنابذون غير كائنين وراء ظهورهم، على أن بعض النحاة لا يشترطون وجود الفاعل والمفعول في الظرف. وقال ابن حجر في «شرح المنهاج» : ولك أن تقول : إن للقاعدة وجهاً وجيهاً لأن ظرف المكان من الحسيات، فإذا جعل ظرفاً لفعل حسي متعذر لم كون الفاعل والمفعول فيه؛ لأن الفعل المذكور لا يتحقق إلا بوجودهما بخلاف الفعل المعنوي، فإنه أجنبى من الظرف الحسي، فاكتمى بما هو لازم له لكل تقدير وهو الفاعل فقط. وللفقهاء أحكام في التشريع مستندة إلى هذا الخلاف الطويل. فتدبر هذا الفصل، فإنه وإن طال بعض الطول، فهو كالحسن غير مملول.

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق ﴿ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ ﴾ فعل وفاعل، والجار والمجرور متعلقان بأنزلنا ﴿ ءَايَاتٍ ﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم

﴿بَيَّنَّتْ﴾ صفة ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة، وما نافية ﴿يَكْفُرُ بِهَا﴾ فعل مضارع مرفوع، والجار والمجرور متعلقان به ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ فاعل يكفر ﴿أَوْ كَلَّمَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على محذوف تقديره: أكفروا بالآيات البينات، أو أن الأصل تقديم العاطف على حرف الاستفهام، وإنما قدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام، وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط، وقد تقدم إعرابها ﴿عَلَّهْدُوا﴾ فعل وفاعل ﴿عَهْدًا﴾ مفعول به، وعاهدوا بمعنى أعطوا، والمفعول الأول محذوف، أي: أعطوا الله عهداً، ويجوز أن نعرب عهداً مفعولاً مطلقاً ﴿نَبَذَهُ﴾ فعل ومفعول به مقدم ﴿فَرِيقٌ﴾ فاعل ﴿مَنْهُمْ﴾ الجار والمجرور صفة لفريق ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وعطف ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ مبتدأ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا نافية، وجملة لا يؤمنون خبر أكثرهم، والجملة الاسمية عطف على الجملة السابقة ﴿وَلَمَّا﴾ الواو عاطفة، ولما ظرفية حينية أو رابطة ﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ومفعول به ﴿رَسُولٌ﴾ فاعل، وجملة جاءهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، أو لا محل لها ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور صفة لرسول ﴿مُصَدِّقٌ﴾ صفة ثانية ﴿لِمَا﴾ جار ومجرور متعلقان بمصدق ﴿مَعَهُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿مَنْ الَّذِينَ﴾ الجار والمجرور صفة لفريق ﴿أَوْثُوا الْكِتَابَ﴾ فعل ماض ونائب فاعل ومفعول به ثان ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ مفعول نبذ ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ مفعول ثان لنبد لتضمنه معنى جعل، أو ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني، وقد تقدم القول فيه ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كأن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها، وجملة كأنهم حالية.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾

☆ اللفظة:

﴿هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾: علمان أعجميان بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت والمرت أي الكسر - كما زعم - بعضهم لانصرفا، وقد نسجت حولهما أساطير طريفة يرجع إليها في المطبوعات.

﴿خَلَقَ﴾: بفتح الخاء، أي: نصيب.

(بابل): مدينة قديمة، والمنع من الصرف للعلمية والعجمة، وتقع أنقاضها على الفرات قرب الحلة شرقي بغداد.

○ الإعراب:

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ الواو عاطفة، واتبعا فعل ماض وفاعل ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول اتباعوا ﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة صلة الموصول ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتتلوا، وسليمان مضاف إليه، وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وزيادة الألف والنون موقوفة على معرفة الاشتقاق ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ الواو حالية، أو استثنائية، وما نافية ﴿سُلَيْمَنٌ﴾ فاعل كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك مشبه بالفعل ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ اسم لكن ﴿كَفَرُوا﴾ الجملة الفعلية خبر لكن ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة حالية أو خبر ثان ﴿النَّاسُ﴾ مفعول به أول ﴿الْإِسْحَاقَ﴾ مفعول به ثان ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ الواو حرف عطف، وما اسم موصول معطوف على السحر، وجملة أنزل صلة ما، والجار والمجرور

متعلقان بأنزل ﴿بِأَيِّل﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ بدل من الملكين ﴿وَمَا﴾ الواو استئنافية، وما نافية ﴿يُعْلَمَانِ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والألف فاعل ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ من حرف جر زائد، وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول يعلمان ﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجر، ومن الغريب أن يزعم أبو البقاء أنها تأتي بمعنى إلا، ولم ترد في اللغة بهذا المعنى ﴿يَقُولَا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ ﴿فَتَنَّهُ﴾ خبر، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول للقول ﴿فَلَا تَكْفُرُ﴾ الفاء هي الفصيحة، ولا ناهية، وتكفر فعل مضارع مجزوم بلا، أي: إذا شئت اتباع الطريق السوي فلا تكفر بتعلمه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الفاء استئنافية، وقال سيبويه: هي عاطفة ﴿مِنْهُمَا﴾ جار ومجرور متعلقان يتعلمون ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول به ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ الجملة صلة ما ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان يفرقون ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ الظرف متعلق يفرقون أيضاً ﴿وَمَا﴾ الواو حالية، وما حجازية ﴿هُمْ﴾ اسمها ﴿يُضَاكِرِينَ﴾ الباء حرف جر زائد وضارين مجرور لفظاً خبر ما محلاً ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بضارين ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ من حرف جر زائد، أحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول ضارين، وهو اسم فاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر الفاعل لضارين أو من المفعول به الذي هو أحد ﴿وَيَنْتَعِلُونَ﴾ عطف على ما سبق ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول به ﴿يُضَرِّهِمْ﴾ الجملة صلة ما ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ عطف على الصلة ﴿وَلَقَدْ﴾ الواو استئنافية مسوقة للشروع في بيان حالهم بعد تعلم السحر، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق ﴿عَلِمُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ﴿لَمَنِ﴾ اللام لام الابتداء وتفيد التأكيد، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة ﴿أَشْرَبُهُ﴾ لا محل لها ﴿مَا﴾ نافية أو حجازية ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، أو خبر ما ﴿فِي الْأَخْرَقِ﴾ الجار والمجرور في محل نصب حال

﴿ مِنْ ﴾ حرف جر زائد ﴿ خَلَقَ ﴾ اسم مجرور بمن لفظاً مبتدأ مؤخر، أو اسم ما، والجملة في محل رفع خبر من والجملة كلها في حيز النصب، وقد سدت مفعولي علموا المعلقة عن العمل ﴿ وَلَيْسَ ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وبُئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ﴿ مَا ﴾ نكرة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز مفسرة لفاعل بئس، أي: شيئاً ﴿ شَرَوْا ﴾ فعل وفاعل، والجملة صفة ﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بشروا ﴿ أَنْفُسَهُمْ ﴾ مفعول به ﴿ لَوْ ﴾ شرطية ﴿ كَانُوا ﴾ كان واسمها، وجملة ﴿ يَهْلِكُونَ ﴾ خبرها، وجواب لو محذوف، أي: لما أقدموا على ما اجترحوه من عمل مغاير.

□ البلاغة:

في هذه الآية فن رفيع من فنون البلاغة، وهو تنزيل العالم منزلة الجاهل فإن صدر الآية يدلُّ على ثبوت العلم في أنه لا نفع لهم في اشتراء كتب السحر والشعوذة واختيارها على كتب الله، وآخر الآية ينفي عنهم العلم فإن لو تدل على امتناع الثاني لامتناع الأول، إلا أن نفي العلم عنهم لأمر خطابي نظراً إلى أنهم لا يعملون على مقتضى العلم، ولكن في ذلك مبالغة من حيث الإشارة إلى أن علمهم بعدم الثواب كاف في الامتناع، فكيف العلم بالذم والرداءة؟!

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَقَوْا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

☆ اللفظة:

﴿ رَاعِنَا ﴾: راقبنا وتأن بنا حتى نفهمه، روي أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا، وكانت لليهود

كلمة عبرانية يتسابقون بها وهي «راعنا»، قيل معناها: اسمع لا سمعت، فلما سمعوا قول المؤمنين راعنا افترضوا ذلك وخاطبوا الرسول، ولما سمعها سعد بن معاذ منهم، وكان يعرف العبرية، قال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله! والذي نفسي بيده! لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟! فنزلت الآية.

﴿أَنْظُرْنَا﴾: أنسنا، وأمهلنا.

○ الإعراب:

﴿وَلَوْ﴾ الواو استئنافية أو عاطفة، ولو شرطية، وليسبويه في تسميتها اسم طريف وهو: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ﴿أَنْتَهُرُ﴾ أن واسمها ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعل، والجملة الفعلية خبر أن، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف، أي: لو أن إيمانهم ثابت، وقيل في محل رفع فاعل لفعل محذوف، أي: لو ثبت إيمانهم ﴿وَأَتَقَوْا﴾ عطف على آمنوا ﴿لَمْثُوبَةٌ﴾ اللام للابتداء، وقيل هي واقعة في جواب لو، وقد أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو للدلالة على الثبوت والديمومة للمثوبة، ومثوبة مبتدأ، أو ساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور صفة لمثوبة ﴿خَيْرٌ﴾ خبر مثوبة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم إعرابها، وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله، أي: لأثبوا ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ يا حرف نداء، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، والهاء للتنبيه ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من أيها ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول ﴿لَا﴾ ناهية ﴿تَقُولُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا ﴿رَاعَنَا﴾ فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره أنت، ونا مفعول به وذلك في الأصل، والمراد بها هنا الحكاية، فتعرب كلمة أريد بها لفظها دون معناها في محل نصب مفعول به ﴿وَقُولُوا﴾ عطف على لا تقولوا ﴿أَنْظُرْنَا﴾ في الأصل فعل أمر، ونا مفعوله، والمراد بها هنا الحكاية ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ الواو عاطفة، واسمعوا معطوفة على لو، والمفعول به

محذوف، أي: اسمعوا ما يكلمكم به الرسول ويلقي عليكم من المسائل المؤدية إلى فلاحكم ﴿وَاللَّكَفْرِ﴾ الواو استئنافية مسوقة للإجمال بعد التفصيل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿أَلَيْسَ﴾ نعت لعذاب.

□ البلاغة:

ألمعت الآية إلى فن من أجل فنون البلاغة، وأكثرها استقطاباً للمقاصد السامية، والمثل الرفيعة، وهو فن التهذيب، أي: ترداد النظر فيما يكتبه الكاتب، وينظمه الشاعر، فقد خلصت من الإيهام، ودلت على آداب المخاطبة؛ ليكون الكلام بريئاً من المطاعن، بعيداً عن الملاحن.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٩)

☆ اللفظة:

(اختص) فعل متعدّد، يقال: خصّه بكذا واختصّه وخصّصه وأخصّه فاخصّ به، وجميع ما فاؤه خاء وعينه صاد يدل على الاجتماع والتكاثر والانضمام، كخصب المكان وأخصب، أي: وقع فيه الخصب، وهو اجتماع النبت وتكاثره، وخاصر المرأة: قبض على خاصرتها، قال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت:

ثم خاصّرتها إلى القبة الخضم راء تمشي في مزمر مسنون

وخصف الأوراق: أتبع بعضها ببعض، وهم خصوم وخصماء، ولا يكون ذلك إلا في اجتماع.

○ الإعراب:

﴿ مَا ﴾ نافية ﴿ يُوَدُّ ﴾ فعل مضارع مرفوع ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فاعل يود، وجملة كفروا صلة ﴿ مِنْ ﴾ حرف جر ﴿ أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ مجرور بمن، والجار والمجرور في محل نصب على الحال ﴿ وَلَا الشُّرَكِيَّ ﴾ عطف على أهل الكتاب، ودخلت لا للتأكيد، ولو كانت في غير القرآن لجاز حذفها ﴿ أَنْ يُنْزَلَ ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول يود، وينزل مبني للمجهول ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلقان بينزل ﴿ مِنْ ﴾ حرف جر زائد ﴿ حَيْرَ ﴾ مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل ﴿ مَنِ رَّبِّكُمْ ﴾ صفة لخير ﴿ وَاللَّهُ ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿ يَخْصُ ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة خبر الله ﴿ بِرَحْمَتِهِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بيخص ﴿ مَنْ ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿ يَشَاءُ ﴾ الجملة صلة الموصول ﴿ وَاللَّهُ ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ ﴿ ذُو الْفَضْلِ ﴾ خبر، وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة ﴿ الْعَظِيمِ ﴾ نعت للفضل.

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ ١٠٦ ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ ١٠٧ ﴾

☆ اللفظة:

(النسخ) الإزالة والنقل، يقال: نسخت الريح الأثر، أي: أزالته، ونسخت الكتاب، أي: نقلته، وتفيد معنى طروء حال أحسن، وجميع ما فاؤه نون وعينه سين يدل على التجدد والتبدل وطروء الأحسن، أو الذهاب والانتقال، فمن ذلك: نسأ الشيء والأمر: أخره، وأنسأ الله أجلك: أخره وأطاله، ونسب: تغزل ووصف المرأة بأوصاف ملائمة لمفاتنها، وهذا من أعاجيب لغتنا العربية، فتأمل؛ فإنه مما ابتدئناه لأول مرة. ومعنى

الآية عجيب أيضاً، أي: أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً نأتي بخير منها.

○ الإعراب:

﴿ مَا ﴾ اسم شرط جازم في محل مفعول به مقدم لنسخ ﴿ نَنْسَخْ ﴾ فعل الشرط مجزوم ﴿ مِنْ آيَةٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لاسم الشرط، واسم الشرط ليس معرفة، فلا يجوز أن يكون الجار والمجرور حالاً منه، والمعنى: أي شيء ننسخ من الآيات فهو مفرد وقع موقع الجمع، وهذا مطرد بعد الشرط لما فيه من معنى العموم، وعلى هذا يخرج كل ما جاء من هذا التركيب، كقوله: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وأجاز بعضهم أن تكون من آية في موضع نصب على التمييز والمميز ما، وليس ببعيد أيضاً، وأعرها ابن هشام في موضع نصب على الحال، وليس ببعيد أيضاً ﴿ أَوْ ﴾ حرف عطف ﴿ نُنْسِهَا ﴾ معطوف على نسخ، وقد سهلت الهمزة فلم يظهر السكون، والأصل: ننسئها، أي: نرجئها، والهاء مفعول به ﴿ نَأْتِ ﴾ جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ﴿ يَخْتَرِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنأت ﴿ مِنْهَا ﴾ جار ومجرور متعلقان بخير لأنها اسم تفضيل ﴿ أَوْ مِثْلَهَا ﴾ عطف على بآية ﴿ أَلَمْ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي وقلب وجزم ﴿ تَعْلَمَ ﴾ فعل مضارع مجزوم بلم ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ أن واسمها ﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقدير ﴿ قَدِيرٌ ﴾ خبر أن، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تعلم ﴿ أَلَمْ تَعْلَمَ ﴾ تقرير ثان ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ أن واسمها ﴿ لَهُ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ مُلْكُ السَّمَوَاتِ ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ عطف على السموات ﴿ وَمَا لَكُمْ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولكم خبر مقدم ﴿ مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ مِنْ وَلِيِّ ﴾ من حرف جر زائد، وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر ﴿ وَلَا نَصِيرَ ﴾ عطف على ولي.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ
الْكَفْرَ بِالْإِيمَنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ﴿١٠٨﴾

○ الإعراب:

﴿ أَمْ ﴾ عاطفة منقطعة بمعنى بل ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع،
وعلازمة رفعه ثبوت النون والواو فاعل ﴿ أَنْ تَسْأَلُوا ﴾ أن وما في حيزها في
تأويل مصدر مفعول تريدون ﴿ رَسُولَكُمْ ﴾ مفعول به لتسألوا ﴿ كَمَا سُئِلَ
مُوسَى ﴾ الكاف حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول
مطلق، أو حال، وموسى نائب فاعل سئل ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ جار ومجرور متعلقان
بسئل ﴿ وَمَنْ ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿ يَتَّبِدَلِ ﴾ فعل
الشرط ﴿ الْكَفْرَ ﴾ مفعول به ﴿ بِالْإِيمَنِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بيتبدل،
وهو المتروك ﴿ فَقَدْ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وقد حرف تحقيق
﴿ ضَلَّ ﴾ فعل ماض، وفاعله هو ﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ مفعوله؛ والجملة في
محل جزم جواب الشرط.

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ
اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٠٩﴾

○ الإعراب:

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ فعل وفاعل، والجار والمجرور
صفة لكثير ﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ لو مصدرية، وهي مؤولة مع ما بعدها بمصدر
مفعول ود، يردونكم فعل وفاعل ومفعول أول ﴿ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ﴾ جار
ومجرور متعلقان بيردون، وإيمانكم مضاف إليه ﴿ كُفَّارًا ﴾ مفعول ثان

ليردونكم ﴿حَسَكَا﴾ مفعول لأجله ﴿مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم، وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم لا من قبل الجنوح إلى الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق، ويؤكد قوله فيما بعد: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بود، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لبعده، والحق فاعل تبين ﴿فَاعْفُوا﴾ الفاء هي الفصيحة، واعفوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ عطف على فاعفوا ﴿حَقَّ يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويأتي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والله فاعل، وبأمره الجار والمجرور متعلقان بيأتي ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إن واسمها، وقدير خبرها، والجار والمجرور متعلقان بقدير، وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ استئنافية، أو بمثابة التعليل.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الواو استئنافية، وأقيموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والصلاة مفعول به ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا﴾ الواو استئنافية، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم، وتقدموا فعل الشرط، والواو فاعل ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقدموا ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ الجار والمجرور صفة لاسم الشرط أو تمييز كما تقدم ﴿تَجِدُوهُ﴾ جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ الظرف متعلق بتجدوه أو بمحذوف حال ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الجار والمجرور

متعلقان ببصير ﴿بَصِيرٌ﴾ خبر إن، وجملة إن وما تلاها مستأنفة أو تعليلية.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ودّ، والضمير لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال ﴿يَدْخُلَ﴾ فعل مضارع منصوب بـلن ﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به على السعة ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿مَنْ﴾ اسم موصول فاعل ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ﴿هُودًا﴾ خبرها ﴿أَوْ نَصْرَىٰ﴾ عطف على هوداً ﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾، خبر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها اعتراض بين قوله: ﴿وَقَالُوا﴾، وبين قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، والجملة مستأنفة ﴿هَاتُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ مفعول به ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شرط وفعله، والجواب محذوف، والتقدير: فهاتوا برهانكم ﴿بَلَىٰ﴾ حرف جواب لإثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم مبتدأ ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ فعل الشرط ﴿لِلَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأسلم ﴿وَهُوَ﴾ الواو للحال، وهو مبتدأ ﴿مُحْسِنٌ﴾ خبره، والجملة في محل نصب على الحال ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ الفاء رابطة، والجار والمجرور خبر مقدم، وأجره مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ الظرف متعلق بمحذوف حال ﴿وَلَا خَوْفٌ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الجار والمجرور خبر خوف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عطف على ما تقدم.

* الفوائد :

اختلف اللغويون في نون البرهان، فقال قوم : زائدة لأنه مشتق من البره، وهو القطع، وذلك لأنه دليل يفيد العلم القطعي، ومنه البرهنة للقطعة الطويلة من الزمن، فوزنه فعلان، وقال آخرون : إنها أصلية لأنه من برهن يبرهن برهنة، والبرهنة : البيان، فوزنه فعلال، وعلى هذا فبرهان إذا كان علماً لرجل يجوز صرفه ومنعه حسب الاعتبارين الآنفين .

□ البلاغة :

(جمع الأماني) في حين ما تمنّوه لا يعدو كونه أمنية واحدة وهي دخول الجنة، لسرّ عجيب في صناعة البيان، وهو أنها لشدة تمنّهم لهذه الأمنية، وتأصلها في نفوسهم جمعت، وأنها بمثابة أمان توزعت في كل قلب، فلم تترك فراغاً لغيرها .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ قَالَ اللَّهُ يَخْتَكُم بَيْنَهُم يَوْمَ الْفَيْكَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ ﴾

○ الإعراب :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حالة من حالات الجهالة المتأصلة في نفوسهم، روي أَنَّ وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحنبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، وضلل كل فريق صاحبه ﴿ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ ليس فعل ماض ناقص، ووزنها فعل بكسر العين، وهو بناء نادر في الثلاثي اليائي العين، والنصاري اسمها، وعلى شيء خبرها، والجملة مقول القول ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ عطف على الجملة الأولى ﴿ وَهُمْ ﴾ الواو حالية، وهم مبتدأ

﴿يَتْلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة خبرهم، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال ﴿الْكَتَبَ﴾ مفعول به ﴿كَذَلِكَ﴾ الجار والمجرور في محل نصب نعت لمفعول مطلق محذوف، أي: قالوا قولاً مثل ذلك، ولك أن تعرب الجار والمجرور في محل نصب على الحال ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ فعل وفاعل ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا نافية، ويعلمون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ صفة لمصدر محذوف، والمعنى: مثل قول اليهود والنصارى ﴿فَاللَّهُ﴾ الفاء استئنافية، والله مبتدأ ﴿يَحْكُمُ﴾ فعل مضارع، وفاعله هو، والجملة خبر الله ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف متعلق بيحكم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الظرف متعلق بمحذوف حال ﴿فِيمَا﴾ جار ومجرور متعلقان بيحكم ﴿كَانُوا﴾ كان واسمها، والجملة صلة الموصول ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بيختلفون ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ الجملة الفعلية خبر كانوا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

☆ النكتة:

(المساجد): جمع مسجد، وهو اسم مكان للسجود، وكان من حقه أن يأتي على مفعّل بفتح العين؛ لأن عين مضارعه مضمومة، ولكنه سمع بالكسر شذوذاً كما شذت ألفاظٌ جاءت بالكسر مع أنها مصوغة من مضموم العين في المضارع، وهي: المطلع، والمغرب، والمشرق، والمسجد، والمنسك، والمجزر، والمنبت، والمسقط، والمفرق، والمسكن، ويجوز فيها الفتح، ولكن السماع أفصح.

○ الإعراب:

﴿ وَمَنْ ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ومعناه
 النفى ﴿ أَظْلَمُ ﴾ خبر من ﴿ مِمَّنْ ﴾ جار ومجرور متعلقان بأظلم ﴿ مَنَعَ مَسْجِدَ ﴾
 اللَّهِ فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على من، ومساجد الله مفعول به،
 والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ أَنْ يُذَكَّرَ ﴾ أن وما في حيزها في
 تأويل مصدر مفعول ثان لمنع، ولك أن تعرب المصدر مفعولاً لأجله، أي:
 كراهة أن يذكر فيها اسمه ﴿ فِيهَا ﴾ جار ومجرور متعلقان بذكر ﴿ أَسْمُهُ ﴾
 نائب فاعل، ولك أن تعرب المصدر بدل اشتمال من مساجد الله؛ لأنها
 تشتمل على الذكر ﴿ وَسَعَى ﴾ عطف على منع ﴿ فِي خَرَابِهَا ﴾ الجار والمجرور
 متعلقان بسعى ﴿ أُولَئِكَ ﴾ اسم إشارة مبتدأ، والجملة مستأنفة ﴿ مَا ﴾ نافية
 ﴿ كَانَ ﴾ فعل ماض ناقص ﴿ لَهُمْ ﴾ خبر مقدم لكان ﴿ أَنْ يَدْخُلُوهَا ﴾ المصدر
 المؤول من أن وما في حيزها اسم كان المؤخر ﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر
 ﴿ خَافِيَةً ﴾ حال من فاعل يدخلوها ﴿ لَهُمْ ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم
 ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ خِزْيٌ ﴾ مبتدأ مؤخر،
 والجملة لا محل لها لأنها استئنافية ﴿ وَلَهُمْ ﴾ الواو عاطفة لهم خبر مقدم
 ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ الجار والمجرور في محل نصب حال ﴿ عَذَابٌ ﴾ مبتدأ مؤخر
 ﴿ عَظِيمٌ ﴾ نعت لعذاب ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور خبر مقدم
 ﴿ الْمَشْرِقِ ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ وَالْمَغْرِبِ ﴾ عطف على المشرق ﴿ فَأَيْنَمَا ﴾ الفاء
 استئنافية، وأينما اسم شرط جازم في محل نصب ظرف مكان متعلق بما بعده
 ﴿ تَوَلَّوْا ﴾ فعل الشرط ﴿ فَتَمَّ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وثم ظرف مكان
 متعلق بمحذوف خبر مقدم ﴿ وَجَّهَ اللَّهُ ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم
 جواب الشرط ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ إن واسمها وخبرها.

* الفوائد:

(ثم): بفتح التاء، ويقال للمؤنث ثمة، إشارة للمكان البعيد، ولا
 يجران إلا بمن وإلى.

﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿أَخَذَ﴾: من أفعال التحويل التي تنصب مفعولين وأخواتها: اتخذ، وصير، وردّ، وترك، وجعل، وهب، وقد أثبتت معركة طريفة حول اتخذ فقد استدرك ابن هشام على الجوهري صاحب «الصحاح» فقال: وقول الجوهري في اتخذ أنه افتعل من الأخذ وهم، وإنما التاء أصل وهو من اتخذ كاتبع من تبع. ويعتمد ابن هشام في تخطئته للجوهري على أنه لو كان من أخذ لوجب أن يقال: أيتخذ؛ لأن الضابط في ذلك أنك تقول في افتعل من الإزار ابتزر بإبدال الهمزة ياء تحتانية، ولا يجوز إبدال هذه الياء التحتانية تاء فوقانية وإدغامها في التاء؛ لأن هذه الياء بدل من همزة، وليست أصلية، وقد استدرك آخرون على ابن هشام فقالوا: إن الإقدام على تغليب الجوهري ليس بالهين، فيجوز أن يكون ذلك مذهباً له، ولا يقال: الجوهري ليس من أرباب المذاهب، مع أن الظاهر يساعده، فما قاله الجوهري وجه، والوجه الثاني ما ذكره ابن هشام.

○ الإعراب:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو حرف عطف، وقالوا فعل وفاعل ﴿أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مقول القول ﴿سُبْحَنَهُ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، والجملة معترضة للتنزيه ﴿بَلْ﴾ حرف عطف وإضراب ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مَا﴾ اسم موصول مبتدأ مؤخر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة

الموصول ﴿كُلُّ﴾ مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، والتنوين في كل عوض عن كلمة، أي: كل فرد من أفراد المخلوقات ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلقان بقانتون، أي: خاضعون منقادون، وقد غلب في الملكية ما لا يعقل، فقال: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾؛ لأن المراد تسخيرها له التسخير الطبيعي؛ الذي لا يشترط فيه الاختيار لا التسخير الشرعي المعبر عنه بالتكليف الذي يفعله الكاسب باختياره، ويستوي في التسخير الطبيعي العاقل وغيره، ولكنه في غير العاقل أظهر، ولما ذكر القنوت له تعالى جمعه جمعاً مذكراً سالماً فغلب فيه العقلاء؛ لأن من شأن القنوت أن يكون من العاقل الذي يشعر بموجبه ويفعله باختياره، وإن كان لغير العاقل قنوت يليق به ﴿فَلْيَنْتَوْنَ﴾ خبر كل ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وهو من باب إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، والأصل بديع سمواته ﴿وَالْأَرْضِ﴾ عطف على السموات ﴿وَإِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه ﴿فَضَى أَمْرًا﴾ الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿فَإِنَّمَا﴾ الفاء رابطة، وإنما كافة ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيقول، والجملة لا محل لها ﴿كُنْ﴾ فعل أمر من كان التامة بمعنى حدث ﴿فَيَكُونُ﴾ الفاء استئنافية، ويكون فعل مضارع تام مرفوع، أي: فهو يحدث، وجملة كن مقول القول.

□ البلاغة:

(المجاز العقلي) في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من الإسناد، وهو يدرك بالعقل، ومن أمثلته البديعة في الشعر قول المتنبي:

كَلَّمَا أَتَيْتَ الزَّمَانَ قَنَاءً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانَا

وقد يلتبس بالاستعارة، والفرق بينهما قصد التشبيه أو عدمه، كما هو مقرر في كتب البلاغة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو استئنافية، وقال فعل ماضٍ، والذين فاعل، وجملة لا يعلمون صلة الموصول ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ لولا حرف تحضيض بمعنى هلاً، ويكلمنا الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل ﴿أَوْ﴾ حرف عطف ﴿تَأْتِينَا﴾ عطف على يكلمنا ﴿آيَةٌ﴾ فاعل ﴿كَذَلِكَ﴾ الجار والمجرور صفة لمفعول مطلق محذوف، أو حال، وقد تقدم بحثه ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فعل وفاعل، ومن قبلهم صلة الموصول ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بدل من كذلك ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فعل وفاعل، ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق ﴿بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ فعل وفاعل، والآيات مفعول به وعلامة نصبه الكسرة ﴿لِقَوْمٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببينا ﴿يُوقِنُونَ﴾ الجملة صفة لقوم ﴿إِنَّا﴾ إن واسمها ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به ﴿بِالْحَقِّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال متلبساً به ومصاحباً له، وجملة أرسلناك خبرها ﴿بَشِيرًا﴾ حال أيضاً ﴿وَنَذِيرًا﴾ عطف على بشيراً ﴿وَلَا تُسْئَلُ﴾ الواو استئنافية على الأرجح، ولا نافية، وتسأل فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ جار ومجرور متعلقان بتسأل.

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ

أَلْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
 نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ
 بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَنْ﴾ الواو استئنافية، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ﴿رَضَىٰ﴾ فعل مضارع منصوب بـلن ﴿عَنكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بترضى ﴿الْيَهُودُ﴾ فاعل ﴿وَلَا النَّصْرَىٰ﴾ عطف على اليهود ﴿حَقَّ﴾ حرف غاية وجر ﴿تَتَّبِعَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ مفعول به، والفاعل مستتر تقديره أنت ﴿قُلْ﴾ فعل أمر مبني على السكون، والجملة مستأنفة ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾ اسمها، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ﴿أَلْهَدَىٰ﴾ خبره، والجملة الاسمية خبر إن ﴿وَلَئِنْ﴾ الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، وإن حرف شرط جازم ﴿أَتَبَعْتَ﴾ فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعل ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ مفعول به، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم ﴿بَعْدَ﴾ ظرف ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة، والظرف متعلق باتبعت، وجملة ﴿جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ لا محل لها لأنها صلة الموصول، ومن العلم في محل نصب حال ﴿مَا لَكَ﴾ ما نافية، ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بولي ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ من حرف جر زائد، وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ عطف على ولي ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبتدأ ﴿ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ فعل وفاعل، ومفعولا آتيناهم لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿يَتْلُونَهُ﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة خبر الذين ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ مفعول مطلق ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الجملة خبر أولئك، وجملة أولئك يؤمنون به خبر بعد خبر ﴿وَمَنْ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿يَكْفُرْ﴾ فعل

الشرط ﴿يُؤْءِ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ﴿يَكْفُرُ﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الفاء رابطة، واسم الإشارة مبتدأ ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ثانٍ ﴿الْحَسِرُونَ﴾ خبر هم، والجملة الاسمية خبر أولئك، ويحتمل أن يكون هم ضمير فصل أو عماد لا محل له.

* الفوائد:

إذا اجتمع شرط وقسم استغني بجواب المتقدم منهما عن جواب المتأخر لشدة الاعتناء بالمقدم ما لم يتقدم عليهما مبتدأ، فحينئذ يترجح جانب الشرط.

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

○ الإعراب:

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ يا حرف نداء للمتوسط، وبني منادى مضاف، وإسرائيل مضاف إليه، وقد تقدم إعراب نظيره ﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿نِعْمَتِيَ﴾ مفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة للتذكير بالنعمة التي أسبغها الله على بني إسرائيل وجحدوا بها ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول صفة ﴿أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَأَنِّي﴾ أني وما بعدها عطف على نعمتي، أي: وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم ﴿فَضَّلْتُكُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر أني ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بفضلتكم ﴿وَأَتَّقُوا﴾ الواو حرف عطف، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به على حذف مضاف، أي: خافوا عذابه ﴿لَا تَجْزِي﴾ لا نافية، وتجزى: فعل مضارع مرفوع ﴿نَفْسٌ﴾ فاعل ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتجزى ﴿شَيْئًا﴾ مفعول

به، أو مفعول مطلق، والجملة الفعلية صفة ليوماً ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ عطف على ما تقدم، وعدل نائب فاعل ﴿وَلَا تُنْفَعُكَ شَفَعَةُ﴾ عطف أيضاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ عطف أيضاً، وهم مبتدأ، وجملة ينصرون خبر، والواو نائب فاعل.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

☆ اللفظة:

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: معناه في السريانية أب رحيم.

○ الإعراب:

﴿وَإِذِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للتأسي بما جرى للماضين، مما يدل إلى التوحيد ويزع عن الشرك، وإذ ظرف لما مضى من الزمان في محل نصب بفعل محذوف تقديره: اذكر ﴿ابْتَلَىٰ﴾ فعل ماضٍ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مفعول به مقدم ﴿رَبُّهُ﴾ فاعل مؤخر، وجملة ابتلى في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ جار ومجرور متعلقان بابتلى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ معطوف على ابتلى، ومعنى الإتمام أداؤهن أحسن تأدية من غير تفريط أو توان، والمراد بالكلمات: ما أوحى إليه من أوامر ونواهٍ ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والجملة مفسرة لا محل لها ﴿إِنِّي﴾ إن واسمها ﴿جَاعِلُكَ﴾ خبرها، والجملة مقول القول ﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلقان بجاعلك، ولك أن تعلقه بمحذوف في محل نصب حال لأن كان في الأصل صفة لإماماً ﴿إِمَامًا﴾ مفعول جاعلك الثاني، أما المفعول الثاني فهو الكاف؛ لأنه من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله هو ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور عطف على الكاف؛ كأنه قال: وجاعل بعض ذريتي، كما يقال لك: سأكرمك فتقول: وأخي؛ هذا

ما أعربه الكثيرون. وفي النفس منه شيء، فالأولى في رأينا أن يتعلقا بمحذوف، والتقدير: واجعل من ذريتي إماماً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ عهدي فاعل، والظالمين مفعول به.

□ البلاغة:

في هذه الآية فن طريف من فنونهم يقال له: فنّ المراجعة، وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور في الحديث، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة، وأبلغ إشارة، وأرشق محاورة، مع عذوبة اللفظ وجزالته، وسهولة السبك، انظر إلى هذه القطعة من الكلام التي عدة ألفاظها ثلاث عشرة لفظة كيف جمعت معاني الكلام من الخبر والاستخبار، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وهذا هو التفصيل:

آ - الخبر في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ وهو في الحقيقة وعد باستخلافه على الناس.

ب - الاستخبار في ضمن الخبر؛ لأنه فرع عليه، إذ الخبر يصير استخباراً بتصدير ما يدل على الاستفهام.

ج - الأمر في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فإن معناه الطلب لذريته ما وعد به من الاستخلاف، فكأنه قال: رب وافعل ذلك لبعض ذريتي، وكل طلب أمر، لكنه إذا كان من الله سبحانه أوجب حسن الأدب أن يسمى دعاء، ولا يطلق عليه لفظ الأمر، وإن كان أمراً في أصل الوعد.

د - النهي وهو في ضمن الأمر؛ لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، فكأن معناه: ولا تحرم بعض ذريتي ذلك.

هـ - الوعد، تقدم بيانه في الخبر.

و - الوعيد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فإن حاصل ذلك أن الظالمين من ذريتك لا ينالهم استخلافي، وحرمان ذلك غاية الوعيد.

ومن شواهد هذا الفن الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

بينَا ينعتنِي أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى: ترى مَنْ ذا الفتى؟ قالت الوسطى لها: هذا عُمر
قالت الصُغرى وقد تيمّتها: قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟

وفي هذه الأبيات نكتتان بليغتان تدلان على قوة عارضة الشاعر صاحب
الفسق المقشر، كما يسمون شعره، ومعرفته بوضع الكلام مواضعه،
وهما:

(١) أن قوافي الأبيات لو أطلقت لكانت كلها مرفوعة.

(٢) أنه جعل التي عرفته من جملة البنات، وعرفت به وشبهته تشبيهاً
يدل على شغفها بحبه هي الصغرى منه؛ ليدل على أنه فتى السن، بدليل
الالتزام، إذ الفتية من النساء لا تميل إلا إلى الفتى من الرجال غالباً، ليدمج
في ذلك عذره بالصُّبوة، وأنه إنما كان منه ذلك في أيام الشبيبة.

(٣) ونكتة ثالثة تربو على جميع ما تقدم، وهي في التذييل الذي أخرجه
مخرج المثل السائر، حيث قال في الحكاية عنها: وهل يخفى القمر؟
ولا يحسب أحد أن الصغرى مالت إليه لغراتها، وضعف عقلها،
وتقاصرهما عن التمييز، وقلة التجربة، ذلك أنه أخبر عن الكبرى أنها ما كانت
تعرفه وقد راقها وشغفها حباً حين رآته حتى لم تتمالك عن التساؤل عنه، أو
أنها عارفة به، وإنما سألت عنه تغطية لأمرها، وتعمية فيه من باب: تجاهل
العارف، إما إظهاراً لفرط التَّوَلُّه والتَّدُلُّه في الحب، أو لأنها كانت تنتظر أن
تُجاب باسمه فتلتذ بسمعه، أما الوسطى فقد صرحت باسمه؛ لأن منزلتها في
رجاحة العقل وحصافته، ورصانة اللب ونزاهته، دون منزلة الكبرى، فلما
سترت الكبرى نفسها بالسؤال عنه لما يقتضيه عقلها صرحت الوسطى باسمه
ومعرفته بالنسبة، وأبانت الصغرى عما في نفسها منه بوصفها له بصفة تدل
على عظم مكانته من قلبها لمكان سنّها من الأختين، وهذا من عجائب ما
يسمع في هذا الباب، ولا نحب أن نختم بحث هذا الفن قبل أن نورد بعض
الشواهد، فمن شواهد قول ديك الجن، واسمه عبد السلام بن رغبان:

مَرَّتْ فَقُلْتُ لَهَا: تَحِيَّةٌ مَغْرَمٌ
 مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ السَّلَامِ؟ فَسَلَّمَنِي
 قَالَتْ: بِمَنْ تَعْنِي؟ فَطَرَفُكَ شَاهِدٌ
 بِنَحْوِ جِسْمٍ قُلْتُ: بِالْمَتَكَلِّمِ
 فَتَضَاحَكْتُ، فَبَكَيْتُ، قَالَتْ: لَا تَرَعْ
 فَلَرَبَّ مِثْلِ هَوَاكَ بِالْمَتَبَسِّمِ
 قُلْتُ: اتَّفَقْنَا فِي الْهَوَىٰ فِزْيَارَةً
 أَوْ مَوْعِدًا قَبْلَ الزِّيَارَةِ قَدَّمَنِي
 فَتَبَسَّمْتُ خَجَلًا، وَقَالَتْ: يَا فَتَى!
 لَوْلَمْ أَدْعُكَ تَنَامُ بِي لَمْ تَحْلَمْ
 وَلِلْبَحْتَرِيِّ، وَاسْمُهُ الْوَلِيدُ:
 وَنَدِيمُ حُلُو الشَّمَائِلِ كَالِ
 دِينَارٍ مَحْضِ النَّجَارِ عَذْبُ الْمَصْقَى
 بَتْ أَسْقِيهِ صَفْوَةَ الرِّاحِ حَتَّى
 وَضَعَ الْكَأْسَ مَائِلًا يَتَكَفَّى
 قُلْتُ: عَبْدِ الْعَزِيزِ تَفْدِيكَ نَفْسِي
 قَالَ: لِيَيْكَ، قُلْتُ: لِيَيْكَ أَلْفَا
 هَاكِهََا قَالَ: هَاتِهََا قُلْتُ: خُذْهَا
 قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُهَا، ثُمَّ أَغْفَى
 وَحَسَبْنَا مَا تَقَدَّمَ.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا
 إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿مَثَابَةً﴾: مَبَاءَةٌ ومرجعاً للحجاج يتفرقون عنه، ثمَّ يثوبون إليه، فهو من

ثاب يَثُوبُ، أي: رجع، وقيل: هو من الثواب الذي هو الجزاء، ويجوز أن يكون مصدراً ميمياً، أو اسم مكان، والهاء فيه إما للمبالغة كعلامة ونسابة لكثرة من يثوب إليه، أو لتأنيث المصدر كمقامة، أو لتأنيث البقعة.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ تقدم كثيراً إعراب نظائره ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿أَلْبَيْتَ﴾ مفعول جعلنا الأول ﴿مَثَابَةً﴾ مفعول جعلنا الثاني ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لمثابة ﴿وَأَمَّا﴾ عطف على مثابة ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الواو عاطفة، واتخذوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة مقول القول محذوف معطوف على جعلنا ﴿مِنْ مَقَامٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان باتخذوا ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ﴿مُصَلًّى﴾ مفعول اتخذوا، ومن للابتداء، كأنه قيل: اتخذوا مصلىً باديئين من هذا المكان، ولا داعي لما تكلفه المعربون من أوجه لا يستقيم واحد منها ﴿وَعَهْدَنَا﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ متعلق بعهدنا ﴿وَسَمِعِيعٍ﴾ عطف على إبراهيم، وهو علم أعجمي أيضاً، وفيه لغتان اللام والنون ﴿أَنَّ﴾ الأظهر فيها أنها تفسيرية، بمعنى أي؛ لأنها واقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه ﴿طَهَّرَا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها مفسرة، ويجوز أن تكون مصدرية، والمصدر المؤول في موضع نصب بنزع الخافض ﴿بَيْتِي﴾ مفعول به ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ متعلق بطهرا ﴿وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ عطف على الطائفين، ولما كان الركع والسجود بمثابة واحدة؛ لأن الركوع والسجود يؤلفان الصلاة أسقط حرف العطف، ونزلهما منزلة الكلمة الواحدة، ولو عطف السجود بالواو لأوهم أنهما عبادتان منفصلتان.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

يَا اللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ تقدم إعرابها ﴿رَبِّ﴾ منادى محذوف منه حرف النداء، وهو مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة ﴿أَجْعَلْ﴾ فعل أمر، وفاعله أنت ﴿هَذَا﴾ اسم إشارة مفعول به أول ﴿بَلَدًا﴾ مفعول به ثان ﴿ءَامِنًا﴾ صفة ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ﴾ عطف على اجعل، وأهله مفعول به ﴿مِنَ الشَّجَرِ﴾ متعلق بارزق ﴿مَنْ﴾ اسم موصول بدل من أهله ﴿ءَامِنَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿مِنْهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿يَا اللَّهُ﴾ متعلقان بآمن ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عطف على الله ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، والجملة استئنافية لا محل لها ﴿وَمَنْ﴾ اسم موصول معطوف على من الأولى ﴿كَفَرَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ الفاء رابطة لتضمن الموصول معنى الشرط، وأمتعته فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ﴿قَلِيلًا﴾ مفعول مطلق ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف ﴿أَضْطَرُّهُ﴾ عطف على أمتعته ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ متعلق بأضطره ﴿وَبِئْسَ﴾ الواو استئنافية، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ﴿الْمَصِيرُ﴾ فاعل بئس، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: مصيره.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٢٧﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، وإذ ظرف لما مضى من الزمن، وقد تقدم بحثها ﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ مفعول به ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، ومعنى الرفع هنا البناء ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ عطف على

إبراهيم ﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، ولا بد من تقدير قول محذوف، أي: يقولان ربنا، ويكثر حذف الحال إذا كان قولاً أغنى عنه المقول ﴿تَقَبَّلْ﴾ فعل أمر معناه الدعاء ﴿مِنَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقبل ﴿إِنَّكَ﴾ إن واسمها ﴿أَنْتَ﴾ ضمير متصل لا محل له من الإعراب، أو مبتدأ ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبران لإن، أو لأنت، والجملة الاسمية خبر إن.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٢٩﴾

☆ اللفظة:

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم، ويُصَفِّي نفوسهم من الحوبات والآثام.

○ الإعراب:

﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضاف، وقد تقدم إعرابه ﴿وَاجْعَلْنَا﴾ عطف على ما تقدم ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ مفعول به ثانٍ ﴿لَكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت مسلمين ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف دلٌّ عليه المذكور، أي: واجعل من ذريتنا ﴿أُمَّةً﴾ مفعول به أول للفعل المحذوف، ومن ذريتنا هو المفعول الثاني ﴿مُسْلِمَةً﴾ نعت ﴿لَكَ﴾ نعت ثانٍ لأمة ﴿وَأَرِنَا﴾ الواو عاطفة، وأر: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ مفعول به ثانٍ ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ عطف أيضاً ﴿إِنَّكَ﴾ إن واسمها ﴿أَنْتَ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿التَّوَّابُ﴾ خبر أول ﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر ثانٍ، والجملة الاسمية خبر إن، ولك أن تعرب الضمير ضمير فصل لا محل له من الإعراب، والتواب الرحيم خبران لأن ﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضاف ﴿وَأَبْعَثْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿فِيهِمْ﴾ متعلقان بأبعث

﴿رَسُولًا﴾ مفعول به ﴿مِنْهُمْ﴾ صفة لرسولاً ﴿يَتْلُوا﴾ الجملة إما صفة ثانية وإما حال؛ لأن رسولاً وصف بقوله منهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلقان يتلو ﴿ءَايَاتِكَ﴾ مفعول يتلو ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ عطف على يتلو، والهاء مفعول به أول ﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به ثانٍ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ عطف على الكتاب ﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾ عطف على يعلمهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم إعرابها قبل قليل.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

☆ النسخة:

رغب عن الشيء: مال عنه وكرهه. ورغب فيه: أراده ومال إليه وأحبه.
السفه: الخفة، والمراد به هنا امتهان النفس.

○ الإعراب:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ﴾ الواو استئنافية، ومن: اسم استفهام معناه النفي والإنكار في محل رفع مبتدأ، وجملة يرغب خبره ﴿عَنْ مِلَّةِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيرغب ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مضاف إليه وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل رفع بدل من الضمير في يرغب؛ لأن الكلام غير موجب، أو نصب على الاستثناء ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ سفه فعل ماضٍ، وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، ونفسه منصوب بنزع الخافض، أي: سفه في نفسه. وقيل: إن سفه يتعدى بنفسه كما حكى ثعلب والمبرد فهو مفعول سفه، يقال: سفه نفسه، أي: امتنها. وقيل: هي نصب على التمييز، ولكن فيه تعريف التمييز وهو لا يكون إلا شذوذاً، فلا يجوز حمل القرآن عليه ﴿وَلَقَدْ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق ﴿اصْطَفَيْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ الجار

والمجرور متعلقان باصطفيناه ﴿وَإِنَّهُ﴾ الواو حالية، وإن واسمها ﴿فِي
الْآخِرَةِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿لِمَنِ الصَّلَاحِينَ﴾ اللام
المزحقة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿إِذْ﴾ إن أضفنا الآيات بعضها إلى بعض فالظرف متعلق باصطفيناه،
والأسهل أن نجري على النسق المتبع في القرآن، وقد ألفناه فيها، وهو
تعليقه بمضمر، أي: اذكر ﴿قَالَ﴾ الجملة الفعلية في محل جر بإضافة
الظرف إليها ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقال ﴿رَبُّهُ﴾ فاعل قال،
والهاء ضمير متصل في محل جر بإضافة ﴿أَسْلِمُ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير
مستتر تقديره أنت، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول ﴿قَالَ﴾ فعل
ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ﴿أَسْلَمْتُ﴾ الجملة الفعلية في محل
نصب مقول القول ﴿لِرَبِّ﴾ جار ومجرور متعلقان بأسلمت ﴿الْعَالَمِينَ﴾
مضاف إليه، وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ﴿وَوَصَّى﴾
الواو عاطفة، ووصى فعل ماض ﴿بِهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بوصى
﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ فاعل وصى ﴿بَنِيهِ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء لأنه
ملحق بجمع المذكر السالم، والهاء ضمير متصل في محل جر بإضافة
﴿وَيَعْقُوبُ﴾ معطوف على إبراهيم داخل في حكمه ﴿يَبْنَى﴾ منادى مضاف
على إضمار القول، أي: قائلين، فالجملة حالية ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها
﴿اصْطَفَى﴾ الجملة الفعلية في محل رفع خبر إن، وفاعل اصطفى مستتر
تقديره هو ﴿لَكُمُ﴾ الجار والمجرور متعلقان باصطفى ﴿الدِّينَ﴾ مفعول به

﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ الفاء الفصيحة، وسيأتي معناها^(١)، أي: إذا عرفتم هذا، ولا ناهية، وتموتن: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون والنون المشددة للتوكيد، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والأصل تموتونن ﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ خبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال.

* الفوائد:

(١) يلحق بجمع المذكر السالم في إعرابه ما ورد عن العرب مجموعاً جمع المذكر السالم غير مستوف لشروطه، نحو: أولي وأهلين وعالمين ووابلين وأرضين وبنين وعشرين إلى تسعين وسنين وبابه، وهو كل ثلاثي حذفت لامه وعُوْض عنها هاء التأنيث، نحو: عضين وعزين وثبين ومئين وظيين ونحوها، ومفردها سنة وعضة وعزة وثبة ومئة وظبة، ويلحق به ما سُمِّي من الأسماء المجموعة جمع المذكر السالم، مثل: عليّين وسجّين وغيرها.

(٢) كيفية إجراء الفعل المؤكد؛ الذي تتوالى فيه النونات إذا جزم أن يقال فيه: أصل تموتن: تموتونن، النون الأولى علامة الرفع، والثانية والثالثة نون التوكيد الثقيلة، فاجتمعت ثلاثة أمثال، فحذفت نون الرفع للجزم؛ لأن نون التوكيد الثقيلة أولى بالبقاء باعتبارها دالة على معنى مستقبل، فالتقى ساكنان: الواو والنون الأولى المدغمة، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة تدل عليها، وهكذا كل ما جاء من نظائره.

□ البلاغة:

في النهي عن الموت أو الأمر به نكتة بلاغية رائعة فهو في حد ذاته ليس بمنهي عنه ولا مأمور به؛ لأنه من الأمور التي لا تدخل في الإرادة الإنسانية،

(١) الأولى أن يقال: وقد بيّنا معناها فيما سبق.

ولكنه نهى عنه هنا لإظهار أن الموت على خلاف الإسلام هو موت لا خير فيه، وأنه ليس بموت السعداء، وكذلك الأمر بالموت، تقول: مت وأنت شهيد، لا تريد الأمر بموته، ولكن مت الميتة التي تورثك خلود الذكر في الدنيا والجنة والحياة الراغبة في الآخرة، وقد تشبث أبو الطيب المتنبي بهذه النكتة فقال:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريمٌ بين طعنِ القنا وخفقِ البنود

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿أَمْ﴾ يجوز فيها أن تكون متصلة عاطفة على محذوف مُقَدَّر، كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء وحضوراً؟ ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى بل، أي: لم تكونوا حاضرين عندما حضر يعقوب الموت، والشهداء الحضور جمع شاهد، ويجوز أن تكون لمجرد الاستفهام بمعنى الهمزة ﴿كُنْتُمْ﴾ كان واسمها ﴿شُهَدَاءَ﴾ خبرها ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى متعلق بشهداء ﴿حَضَرَ﴾ فعل ماض، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿يَعْقُوبَ﴾ مفعول به مقدم ﴿الْمَوْتُ﴾ فاعل مؤخر ﴿إِذْ﴾ ظرف بدل من إذ الأولى ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر، والجملة فعلية في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿لِبَنِيهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بقال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لتعبدون، وتعبدون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة استئنافية ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ﴾ الجملة في محل

نصب مقول القول ﴿وَاللَّهُ أَبَايَكَ﴾ عطف على إلهك ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل من آبائك ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف على إبراهيم ﴿إِلَهًا﴾ بدل من إلهك، أو حال موطئة أو نصب على الاختصاص لنفي ما قد يخطر على البال من تعدد الإله، فأتى به لدفع التوهم ﴿وَجِدَا﴾ صفة ﴿وَنَحْنُ﴾ الواو إما عاطفة، وما بعدها، وهو جزء الجواب، معطوف على الجزء الأول ومن الجزأين يتألف الجواب، وإما اعتراضية، وإما حالية. نحن: مبتدأ ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلقان بمسلمون ﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبر نحن.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ﴾ الآية، فنّ من فنون البلاغة يسمى الاطراد، وهو: أن يطرد للمتكلم أسماء الآباء المخاطب مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد، فقد تجاوز جدهم الأدنى؛ إلى جدهم الأعلى لكونه المبتدأ بالملة المتبعة، وفيه أيضاً فنّ المساواة؛ لأن ألفاظ هذا المعنى لا فضل فيها عنه ولا تقصير، وفيه أيضاً حسن البيان لأن فيها بياناً عن الدين بأحسن بيان، لا يتوقف أحد في فهمه، وفيها أيضاً فن الاحتراس؛ لأنه لو وقف عند آبائك لاختلّت صحة المعنى؛ لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى إلى آدم، وفي آباء يعقوب عليه السلام من لا يجب اتباع ملته، فاحترس بذكر البذل عما يرد على المبدل منه لو كان وقع الاختصار عليه، فتأمل واعجب.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٤) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾

☆ اللفظة:

﴿حَنِيفًا﴾ من الحَنَف - بفتحين - وهو: الميل، وأصله في القدمين،

وقد تستعمل في اليدين ، والحاء والنون إذا وقعتا في أول الفعل دلّ على الميل والانعطاف ، ومنه الحنين إلى الوطن ، أي : الميل إليه والنزوع نحوه ، وحنأ عليه ، أي : أعطف ومال ، وحنق عليه : التصق بطنه بظهره من الألم .

○ الإعراب:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ الجملة صفة لأمة ﴿ لَهَا ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم ﴿ مَا ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ كَسَبَتْ ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة ما الموصولية ﴿ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ عطف على الجملة السابقة ﴿ وَلَا تَسْأَلُونَ ﴾ الواو استئنافية ، وتسالون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، والجملة مستأنفة ﴿ عَمَّا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتسالون ﴿ كَانُوا ﴾ الجملة صلة ما ﴿ يَمْلُونَ ﴾ الجملة الفعلية خبر كانوا ﴿ وَقَالُوا ﴾ الواو استئنافية ، وقالوا فعل وفاعل ﴿ كُونُوا هُودًا ﴾ كان واسمها وخبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿ أَوْ ﴾ حرف عطف ، ومعنى أو هنا التفصيل ، وهذا من اللف والنشر ، والسامع يرد إلى كل فريق قوله ﴿ نَصَرْنِي ﴾ عطف على هوداً ﴿ تَهْتَدُوا ﴾ فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب ﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر ، والجملة مستأنفة ﴿ بَلْ ﴾ حرف إضراب وعطف ﴿ مَلَّةٌ ﴾ مفعول به لفعل محذوف ، أي : تتبع ، أو منصوب على الإغراء بتقدير : الزموا ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مضاف إليه ﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من إبراهيم ﴿ وَمَا ﴾ الواو عاطفة ، وما نافية ﴿ كَانَ ﴾ فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر تقديره : هو ﴿ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها .

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَلَسْتُمْ بِإِلَهِينَ فَاعْبُدُوهُمْ فَانْتَحَبُوا إِلَى اللَّهِ فَحَسْبُ لِلظَّالِمِينَ ﴾

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

☆ اللفظة:

﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾: جمع سبط - بكسر السين - وهو: ولد البنت مقابل
الحفيد الذي هو ولد الابن.

○ الإعراب:

﴿قُولُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، لأن مضارعه من الأفعال
الخمسة، والواو فاعل ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب
مقول القول ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بآمنّا ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ عطف على
الله، وجملة أنزل إلينا صلة ما الموصولية ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ عطف على
﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ عطف أيضاً ﴿وَمَا﴾ عطف أيضاً ﴿أُوتِيَ﴾ الجملة
صلة ما ﴿مُوسَى﴾ نائب فاعل ﴿وَعِيسَى﴾ عطف على موسى ﴿وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عطف أيضاً ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ الجملة الفعلية
حالية، ومنهم صفة لأحد ﴿وَنَحْنُ﴾ الواو حالية، ونحن مبتدأ ﴿لَهُ﴾ جار
ومجرور متعلقان بمسلمون ﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبر نحن، والجملة في محل نصب
على الحال.

□ البلاغة:

النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظاً حتى يتنزل المفرد منها
بمنزلة الجمع في تناوله الآحاد، ولذلك صح دخول بين عليه، وهي لا تكون
إلا بين شيئين.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ لَوَلَوْا فَلَا تَأْمَنُ فِي شِقَاقِ

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

☆ اللغة:

(الشقاق) - بكسر الشين -: الخلاف، لأن كل واحد من المتشاقين يكون في شق غير شق صاحبه، وله في اللغة ثلاثة معان لا تخرج عن المفهوم الأول، والثاني العداوة، وهي: وليدة الخلاف، والثالث الضلال، وهو سمة المتنازعين والمتشاقين لأنهم يذهبون مع أهوائهم. ومن غريب أمر الشين والقاف أنهما إذا وقعتا فاء للكلمة وعيناً لها دلتا على هذا المعنى أو ما يقرب منه فالشَّقُّ: الصدع، والاشتقاق: شق الكلمة من الكلمة، وهذا مما لم نُسَبِّحْ إلى استخراجِه.

○ الإعراب:

﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ الفاء استئنافية، وإن حرف شرط جازم وآمنوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط ﴿يَمِثِّلُ﴾ جار ومجرور متعلقان بآمنوا ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة ﴿ءَامَنْتُمْ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول ﴿فَقَدْ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وقد حرف تحقيق ﴿أَهْتَدَوْا﴾ فعل ماض وفاعل، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط ﴿وَإِنْ قُولُوا﴾ عطف على فإن آمنوا ﴿فَإِنَّمَا﴾ الفاء رابطة، وإنما كافة ومكفوفة ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر هم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، وفائدة التعقيب الإشعار بأن الكفاية تأتي عقيب شقاقهم، والسين حرف استقبال، وهي أقرب في التنفيس من سوف، أي: في المستقبل القريب، ويكفي فعل مضارع مرفوع، والكاف مفعول به أول، والهاء مفعول به ثان ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿وَهُوَ﴾ الواو استئنافية، وهو مبتدأ ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبران، وتعدد الخبر جائز.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ قُلْ

أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾

☆ اللفظة:

﴿صِبْغَةً﴾: يكسر الصاد مصدر هيئة من صبغ، والمراد بها هنا الدين، وسُمِّي صبغة لظهور أثره على معتنقه.

○ الإعراب:

﴿صِبْغَةً اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، وفيها إشارة إلى ما أوجده الله في الناس من بدائه العقول ﴿وَمَنْ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم استفهام، وقد خرج الاستفهام هنا إلى معنى النفي في محل رفع مبتدأ ﴿أَحْسَنُ﴾ خبر ﴿مِنْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأحسن ﴿صِبْغَةً﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ﴾ الواو عاطفة، ونحن مبتدأ ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بعبادون ﴿عَبِيدُونَ﴾ خبر نحن ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله أنت ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وتحاجون فعل مضارع، والواو فاعل، والضمير المشترك في محل نصب مفعول ﴿فِي اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتحاجونا ﴿وَهُوَ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ ﴿رَبُّنَا﴾ خبر، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال ﴿وَرَبُّكُمْ﴾ عطف على ربنا ﴿وَلَنَّا﴾ الواو عاطفة، ولنا الجار والمجرور خبر مقدم ﴿أَعْمَلْنَا﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة حالية ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ عطف على الجملة السابقة ﴿وَنَحْنُ﴾ الواو حالية، ونحن مبتدأ ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمخلصون ﴿مُخْلِصُونَ﴾ خبر نحن، والجملة حالية أيضاً.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿صِبْغَةً اللَّهُ﴾ استعارة تصريحية، شبه الدين الإسلامي

بالصبغة، وحذف المشبه وأبقى المشبه به، وقد تشبث بالمعنى واللفظ أعشى همدان حيث قال :

وكل أناسٍ لهم صبغةٌ وصبغةٌ همدان خيرُ الصَّبغِ
صبغنا على ذاك أولادنا فأكرم بصبغتنا في الصَّبغِ

﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلِمُ أَمْرَ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ
مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠)

○ الإعراب:

﴿ أَمْ ﴾ عاطفة متصلة معادلة للهمزة أو منقطعة بمعنى بل ﴿ نَقُولُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ إن واسمها ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾ أسماء منسوقة على إبراهيم، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿ كَانُوا ﴾ كان واسمها ﴿ هُودًا ﴾ خبر كان ﴿ أَوْ ﴾ عاطفة ﴿ نَصَارَى ﴾ معطوف على هوداً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن ﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ﴿ أَعْلِمُ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأنتم مبتدأ ﴿ أَعْلِمُ ﴾ خبر ﴿ أَمْرَ اللَّهِ ﴾ عطف على أنتم ﴿ وَمَنْ ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم استفهام مبتدأ ﴿ أَظْلَمُ ﴾ خبر ﴿ وَمِمَّنْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأظلم، والجملة مستأنفة منسوقة للتعريض بكتمانهم شهادة الله، وهذا ديدن اليهود دائماً ﴿ كَتَمَ ﴾ فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول ﴿ شَهَادَةً ﴾ مفعول به ﴿ عِنْدَهُ ﴾ الظرف متعلق بمحذوف صفة لشهادة ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لشهادة، تقول: هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له، ولك أن تعلقها بكتم، ولا بُدَّ لك حينئذ من تقدير مضاف، أي: من كتم من عباد الله

شهادة عنده ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة، أو استثنائية، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ﴿اللَّهُ﴾ اسمها ﴿يَفْعِلُ﴾ الباء حرف جر زائد، وغافل مجرور بالباء لفظاً في محل نصب خبر ما ﴿عَمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بغافل ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة صلة ما.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الْبَلَاءَ كَانُوا عَلَىٰهَا قُلٌ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٤٢﴾

○ الإعراب:

﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة في محل رفع مبتدأ ﴿أُمَّةٌ﴾ خبر ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق ﴿خَلَتْ﴾ فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والتاء تاء التانيث الساكنة، والفاعل مستتر تقديره هي، والجملة الفعلية صفة لأمة ﴿لَهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مَا﴾ اسم موصول مبتدأ مؤخر ﴿كَسَبَتْ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها صلة ما ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ عطف على الجملة قبلها ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة، ولا نافية ﴿تُسْأَلُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل ﴿عَمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتسألون ﴿كَانُوا﴾ كان واسمها ﴿يَعْمَلُونَ﴾ الجملة الفعلية خبر كانوا، والجملة معطوفة على ما قبلها ﴿سَيَقُولُ﴾ السين حرف استقبال، ويقول فعل مضارع مرفوع ﴿السُّفَهَاءُ﴾ فاعل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من السفهاء، والقائلون هم اليهود الموسومون بخفة الأحلام، والجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على استمرار غيهم وسفههم ﴿مَا﴾ اسم استفهام مبتدأ ﴿وَلَّيْنَاهُمْ﴾ فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة خبر ما، والجملة كلها مقول القول ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ﴾ متعلقان بولاهم ﴿الْبَلَاءَ﴾ اسم موصول في محل جر

صفة لقبلتهم ﴿كَافُوا﴾ كان واسمها، والجملة صلة التي ﴿عَلَيْهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كانوا، أي: عاكفين عليها في الصلاة، وهي: بيت المقدس ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ﴿لِلَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿الْمَشْرِقُ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿وَالْمَغْرِبُ﴾ عطف على المشرق ﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله تعالى ﴿مَنْ﴾ اسم موصول مفعول يهدي، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿إِلَّا صِرَاطَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيهدي ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ صفة لصراط.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

☆ اللفظة:

﴿وَسَطًا﴾ خياراً عدولاً مزكّين بالعلم والعمل، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما كان الخيار وسطاً؛ لأن الخلل إنما يتسرب إلى الأطراف، وتبقى الأوساط محمية. وقد رفق أبو تمام سماء هذا المعنى فقال:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت

بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً

○ الإعراب:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ الواو استئنافية، والكاف حرف جر، واسم الإشارة في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف،

أي: مثل ذلك الجعل جعلناكم ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به أول لجعلنا ﴿أُمَّةً﴾ مفعول جعلنا الثاني ﴿وَسَطًا﴾ صفة لأمة ﴿لِنَكُونُوا﴾ اللام لام التعليل، وتكونوا فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله، والواو اسمها ﴿شُهَدَاءَ﴾ خبرها ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بشهداء ﴿وَيَكُونُ﴾ عطف على تكونوا ﴿الرَّسُولُ﴾ اسم يكون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بشهيداً ﴿شَهِيدًا﴾ خبر يكون ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة، وما نافية ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿الْقِبْلَةَ﴾ مفعول جعلنا الأول ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول جعلنا الثاني ﴿كُنْتَ﴾ كان واسمها ﴿عَلَيْهَا﴾ الجار والمجرور خبر كنت، والجملة لا محل لها لأنها صلة التي، وسيأتي مزيد من إعراب هذه الآية في باب: الفوائد ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿لِنَعْلَمَ﴾ اللام لام التعليل، ونعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، وموضع لنعلم مفعول لأجله فهو استثناء مفرغ من أعمّ العلل ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في موضع نصب مفعول نعلم ﴿يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول، والرسول مفعول به ﴿مِمَّنْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنعلم المضمنة معنى نميّر ﴿يَنْقَلِبُ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مرتداً على عقبه ﴿وَإِنْ﴾ الواو حالية، وإن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: والحال أنها ﴿كَانَتْ﴾ فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره التولية إليها، والجملة الفعلية خبر إن، وجملة إن وما في حيزها في موضع نصب على الحال ﴿لِكَبِيرَةٍ﴾ اللام هي الفارقة، وكبيرة: خبر كانت ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الاستثناء، والمستثنى منه محذوف تقديره: وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الناس الذين هداهم الله، ولك أن تجعل «إلا» أداة حصر؛ لأن الكلام غير تام أو لتضمنه معنى النفي فيتعلّق الجار والمجرور بكبيرة ﴿هَدَى اللَّهُ﴾ الجملة الفعلية

لا محل لها لأنها صلة الذين ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة، وما نافية ﴿كَانَ اللَّهُ﴾ كان واسمها ﴿لِيُضَيِّعَ﴾ اللام لام الجحود، وهي مسبقة بكون منفي، ويضيع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وخبر كان محذوف تقديره مريداً، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف ﴿إِيْمَنَكُمْ﴾ مفعول به ﴿إِنَّكَ اللَّهُ﴾ إن واسمها ﴿بِالنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان برؤوف أو رحيم ﴿لَرُؤُوفٌ﴾ اللام هي المرحلة، ورؤوف خبر إن الأول ﴿رَحِيمٌ﴾ خبر إن الثاني، وجملة إن وما في حيزها لا محل لها؛ لأنها تعليلية.

□ البلاغة:

١ - التورية في قوله: ﴿وَسَطًا﴾ فالمعنى القريب الظاهر للوسط هو التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين، ومعناه البعيد المراد هو الخيار كما تقدم في باب اللغة.

٢ - الكناية في الوسط أيضاً عن غاية العدالة كأنه الميزان الذي لا يحابي ولا يميل مع أحد.

٣ - المجاز المرسل في قوله: ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ والعلاقة هي المصير والمآل، فليس ثمة أسمع ولا أقبح من رؤية الإنسان معكوس الخلقة، مخالفاً للمألوف المعتاد.

٤ - التقديم والتأخير: فقد قدم ﴿شُهَدَاءَ﴾ على صلته وهي ﴿عَلَىٰ النَّاسِ﴾، وأخر ﴿شَهِيدًا﴾ عن صلته وهي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأن المنة عليهم في الجانبين ففي الأول بثبوت كونهم شهداء، وفي الثاني بثبوت كونهم مشهوداً لهم بالتركية، والمقدم دائماً هو الأهم.

* الفوائد:

(١) لا مندوحة لنا عن إيراد بعض الأقوال الجديرة بالاهتمام، فقد أورد العلماء خمسة أعاريب لهذه الآية يضيق المجال عن إيرادها، وقد أوردنا ما

اخترناه منها واختاره الزمخشري، واختار الجلال أن تكون ﴿الْقِبْلَةَ﴾ المفعول الثاني مقدماً و﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ هو المفعول الأول، محتجاً بأن التصيير هو الانتقال من حال إلى حال، فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني، ألا ترى أنك تقول: جعلت الطين خزفاً. واختاره أبو حيان. وقيل ﴿الْقِبْلَةَ﴾ هي المفعول الأول و﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ صفة، أما المفعول الثاني فهو محذوف تقديره منسوخاً أو نحوه.

لمحة تاريخية:

فقد اتفق الجميع على أن النبي ﷺ صلى إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة مدة، ثم أمر بالصلاة إلى الكعبة، وإنما اختلفوا في قبلته بمكة هل كانت الكعبة أو بيت المقدس، والمروي عن أئمة أهل البيت أنها كانت بيت المقدس، ثم لا يخفى أن الجعل في الآية مركب لا بسيط، وقوله تعالى: ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ثاني مفعوليه كما نص عليه أكثر المفسرين، وأما القائلون بأنه ﷺ كان يصلي بمكة إلى الكعبة، فالجعل عندهم يحتمل أن يكون منسوخاً باعتبار الصلاة بالمدينة مدة إلى بيت المقدس، وأن يكون جعلاً ناسخاً باعتبار الصلاة بمكة، وقال الرازي: إن قوله تعالى ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ليس نعتاً للقبة وإنما هو ثاني مفعولي جعلنا، هذا وسميت الكعبة كعبة لتربيعها، وسيأتي مزيد بحث بذلك.

(٢) إذا خففت «إن» دخلت على الجملتين الفعلية والاسمية، فإن دخلت على الاسمية جاز إعمالها وإهمالها، والأكثر الإهمال، وإن دخلت على الفعلية وجب إهمالها، والأكثر أن يكون الفعل ماضياً ناسخاً، لأن العرب لما أخرجوها عن وضعها الأصلي بدخولها على الفعل، أرادوا أن يكون ذلك الفعل من أفعال المبتدأ والخبر لثلا يزول عنها وضعها كلياً كما ترى في الآية، ولا بد من دخول «لام» بعدها تسمى اللام الفارقة للفرق بينها وبين «إن» النافية.

(٣) لام الجحود أي لام الإنكار، هي الواقعة بعد كون ماضٍ منفي،

وخبر كان مختلف فيه فقليل: هو محذوف يقدر بحسب المقام وتتعلق به لام الجحود مع المصدر المجرور بها، لأن «أن» المصدرية ت ضمير بعدها وجوباً، وقيل الجار والمجرور في محل الخبر، وهذا أسهل ولكن الأول أشهر وأضبط لاستقامة الخبر.

﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

☆ اللفظة:

﴿ شَطْرَ ﴾ للشطر في كلام العرب وجهان: فأحدهما النصف، ومن ذلك قولهم «شاطرتك مالي». والوجه الآخر: القصد، يقال: «خذ شطر زيد» أي قصده، وهو المراد هنا، ومنه قولهم: «حلبت الدهر أشطره» أي مرّبي خيره وشره، ومنه سمي الشاطر، وهو من أعياء أهله خبثاً.

○ الإعراب:

﴿ قَدْ ﴾ هنا للتكثير بقرينة ذكر التقلب، والتكثير بالنسبة إلى النبي ﷺ، وإلا فهو محال على الله تعالى ﴿ رَأَى ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن ﴿ تَقَلُّبَ ﴾ مفعول به ﴿ وَجْهِكَ ﴾ مضاف إليه ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقلب لأنه مصدر ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ الفاء عاطفة للتعليل، واللام موطئة للقسم، ونولينك: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به أول ﴿ قِبْلَةً ﴾ مفعول به ثان، ويجوز نصبها على نزع الخافض ﴿ تَرْضَاهَا ﴾ فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، و«ها» مفعول به، والجملة صفة لقبلة، وجملة فلنولينك لا محل لها لأنها تعليلية ﴿ فَوَلِّ ﴾ الفاء هي الفصيحة، وول فعل أمر مبني على حذف حرف

العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ﴿وَجْهَكَ﴾ مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿سَطَرَ الْمَسْجِدَ﴾ مفعول فيه ظرف مكان متعلق بول، والمسجد مضاف إليه ﴿الْحَرَامِ﴾ صفة للمسجد، وجملة فول لا محل لها ﴿وَحَيْثُ مَا﴾ الواو استئنافية، وحيشما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية متعلق بمحذوف خبر كنتم المقدم ﴿كُنْتُمْ﴾ كان فعل ماض ناقص واسمها، والجملة في محل جزم فعل الشرط، وكان القياس أن تكون في محل جر بالإضافة لولا المانع وهو كونها من عوامل الأفعال ﴿فَوَلَّوْا﴾ الفاء رابطة للجواب لأنه طلبى، وولوا: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ مفعول به ﴿سَطَرَهُ﴾ ظرف مكان متعلق بولوا ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ﴾ الواو استئنافية، وإن واسمها ﴿أَوْثَرُوا الْكَيْتَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، والكتاب مفعول ثان لأوتوا، والأول هو النائب للفاعل وهو الواو ﴿لَيَعْلَمُونَ﴾ اللام هي المرحلة، وجملة يعلمون خبر إن ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أن واسمها وخبرها، وقد سدت مسد مفعولي يعلمون ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَمَا﴾ الواو استئنافية، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ﴿اللَّهُ﴾ اسم ما ﴿يَقْفِلُ﴾ الباء حرف جر زائد، وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿عَمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بغافل ﴿يَعْمَلُونَ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما.

* الفوائد:

(١) ﴿حَيْثَمَا﴾ اسم شرط جازم محله النصب على الظرفية المكانية، وأصله حيث، وزيدت ما فكان اسماً جازماً، و«حيث» ظرف مكان مبني على الضم، وهو مضاف إلى الجمل، فهو يقتضي جر ما بعده، وما اقتضى الجر لا يقتضي الجزم فلما وصلت بـ ﴿مَا﴾ زال عنها معنى الإضافة كما تقدم.

٢ - لمحة تاريخية :

قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم توجه إلى الكعبة وكان ذلك في رجب قبل موقعة بدر بشهرين ورسول الله ﷺ بمسجد سلمة، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر أو العصر فتحول في الصلاة واستقبل القبلة، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمي المسجد مسجد القبلتين، والحكمة في ذلك واضحة، بل هي أروع ما تصل إليه المعاملة الإنسانية التي تستهدف قبل كل شيء استمالة القلوب وتليين العواطف، بيد أن ذلك لم يجد شيئاً في إزالة التحجر الذي ران على قلوب اليهود، وقد علل القرآن هذا التحجر بالآية التالية :

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِيلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَلْبَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الْظَالِمِينَ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَئِنْ ﴾ الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية ﴿ أَتَيْتَ ﴾ فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعل ﴿ الَّذِينَ ﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل، والكتاب مفعول أوتوا الثاني ﴿ بِكُلِّ آيَةٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأتيت ﴿ مَا ﴾ نافية ﴿ تَبِعُوا ﴾ فعل ماض وفاعل ﴿ قِيلَتَكَ ﴾ مفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم، وقد أغنت عن جواب الشرط لتقدم القسم، وإذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للمتقدم منهما ﴿ وَمَا ﴾ الواو عاطفة، وما نافية حجازية ﴿ أَنْتَ ﴾ اسم ما ﴿ تَبِيعَ ﴾ الباء حرف جر زائد، وتابع مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه

خبر ما ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ مفعول به لاسم الفاعل تابع ، وهذه الجملة معطوفة على ما سبق ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾ الجملة عطفت على سابقتها ﴿وَكَلِمٍ﴾ الواو استثنائية ، ولئن تقدم إعرابها ﴿أَتَبَعْتُكَ﴾ فعل وفاعل ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ مفعول به ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باتبعت ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة ﴿جَاءَكَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة ما ﴿مِنْ أَلِيمٍ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ﴿إِنَّكَ﴾ إن واسمها ﴿إِذَا﴾ حرف جواب وجزاء ، وهي مهملة جيء بها لتوكيد القسم ﴿لَمَنْ أَلْطَلَمِيكَ﴾ اللام هي المرحلة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها لا محل لها لأنها جواب القسم ؛ ولذلك لم ترتبط بالفاء .

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

☆ اللغة:

(الامتراء): الشك ، وقد يساور الغافلين سؤال وهو: هل كان النبي ﷺ يشك في أن الحق من ربه حتى نهى عن الشك؟ والجواب: إن ذلك هو الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب ، والمراد به غيره .

○ الإعراب:

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبتدأ ﴿ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به ، والكتاب مفعول به ثان لاتيناهم ، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الذين ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعوله ، وجملة يعرفونه خبر الذين ﴿كَمَا﴾ الكاف حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف هو المفعول

المطلق ﴿يَعْرِفُونَ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي وهو ما المصدرية ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ مفعول به ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ الواو حالية، وإن واسمها، والجملة نصب على الحال، ولك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لتقرير حالتهم ﴿مِنْهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقاً ﴿لَيَكُنُّوْنَ﴾ اللام هي المرحلة، ويكتمون فعل وفاعل ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول به، والجملة في محل رفع خبر إن ﴿وَهُمْ﴾ الواو حالية، وهم مبتدأ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الجملة الفعلية خبر هم، والجملة بعد الواو في محل نصب على الحال ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة استئنافية، ﴿فَلَا﴾ الفاء استئنافية، ولا ناهية ﴿تَكُونَنَّ﴾ جملة تكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا الناهية، واسم تكونن ضمير مستتر تقديره أنت ﴿مِنَ الْمُسْتَرِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر.

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيًّا فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

☆ النضة:

﴿وِجْهَةٌ﴾ بضم الواو وكسر ها وهي الجهة التي تتجه إليها، يقال: ضلَّ وجهة أمره أي جهته، والجهة مثلثة الجيم والكسر أشهر.

○ الإعراب:

﴿وَلِكُلِّ﴾ الواو استئنافية، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿وِجْهَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ﴿مَوْلِيًّا﴾ خبر، والجملة الاسمية صفة لوجهة ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ الفاء هي الفصيحة، أي: إذا أردتم معرفة الأصوب فاستبقوا، واستبقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ﴿الْحَيْرَاتِ﴾ منصوب بنزع الخافض لأن استبق لازم، أي: إلى الخيرات، والجملة

لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر ﴿أَيْنَ مَا﴾ اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بمحذوف خبر تكونوا المقدم ﴿تَكُونُوا﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط والواو اسمها، وجملة تكونوا استئنافية ﴿يَأْتِ﴾ جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة ﴿بِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بيأت ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقدير ﴿قَدِيرٌ﴾ خبر إن، والجملة تعليلية لا محل لها.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ : الواو استئنافية، والجار والمجرور ظاهرهما أنهما متعلقان بول، ولكن فيه إعمال ما بعد الفاء فيما قبلها وهو ممتنع، غير أن المعنى متوقف على هذا الظاهر، فالأولى تعليقهما بفعل محذوف يفسره قول أي ولّ وجهك من حيث خرجت ﴿خَرَجْتَ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة ﴿قَوْلٌ﴾ الفاء رابطة لما في «حيث» من راحة الشرط، وولّ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة ﴿وَجْهَكَ﴾ مفعول به ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ ظرف مكان متعلق بول، والمسجد مضاف إليه ﴿الْحَرَامِ﴾ صفة ﴿وَإِنَّهُ﴾ الواو عاطفة أو حالية، وإن واسمها ﴿لَلْحَقُّ﴾ اللام هي المرحلة، والحق خبر إن ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تقدم إعرابه.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا

وَجُوهَكُمْ سَطَرٌ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَىٰ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ حَرَجَتْ قَوْلَ وَجْهَكَ سَطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ تقدم إعرابها وهي تأكيد ثان، وكرر الكلام لتشديد أمر القبلة وإمطة الشبهة بعد أن طرأ النسخ على القبلة التي هي بيت المقدس ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطَرٌ ﴾ تأكيد ثالث لئلا تبقى للمعاندين حجة في نظرهم ينفذون منها أو ثغرة يتسربون إلى الإرجاف عن طريقها ﴿ لِّئَلَّا ﴾ اللام هي لام التعليل، وأن المدغمة بلا النافية حرف مصدري ونصب ﴿ يَكُونُ ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن والجار والمجرور «اللام والمصدر المؤول» متعلقان بولوا ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم. ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لحجة فلما تقدمت الصفة على الموصوف أعربت حالا كما هي القاعدة ﴿ حُجَّةٌ ﴾ اسم يكون المرفوع المؤخر ﴿ إِلَّا ﴾ أداة استثناء ﴿ الَّذِينَ ﴾ مستثنى متصل من الناس ﴿ ظَلَمُوا ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ مِنْهُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ فَلَا ﴾ الفاء هي الفصيحة، أي: إذا عرفتم ذلك ورسخت حقيقته في نفوسكم، ولا ناهية ﴿ تَخْشَوْهُمْ ﴾ فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به ﴿ وَاخْشَوْنِي ﴾ الواو عاطفة، واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والنون للوقاية والواو فاعل والياء مفعول به ﴿ وَلَا تَمْنَىٰ ﴾ عطف على لئلا يكون فهو علة ثانية ﴿ نَمْنَىٰ ﴾ مفعول به والياء مضاف إليه ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بآتم ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

الواو عاطفة، ولعل واسمها، وجملة تهتدون خبرها ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الكاف حرف جر، وما مصدرية، وأرسلنا فعل وفاعل، والكاف ومجرورها المصدر المؤول في موضع نصب على المفعول المطلق، وأعربه سيبويه حالاً ﴿فِيكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأرسلنا ﴿رَسُولًا﴾ مفعول به ﴿مِّنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿يَتْلُوا﴾ الجملة الفعلية صفة ثانية لرسولاً ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيتلو ﴿ءَايَاتِنَا﴾ مفعول به، ونا مضاف إليه ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ الفعلان المضارعان معطوفان على يتلو ﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ عطف على الكتاب ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ معطوف على ما تقدم، والكاف مفعول به أول ﴿مَّا﴾ اسم موصول مفعول به ثان ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وقلب وجزم ﴿تَكُونُوا﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، والواو اسمها، والجملة الفعلية صلة ما ﴿تَعْلَمُونَ﴾ الجملة الفعلية خبر تكونوا.

﴿فَاذْكُرُونِيْٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِيْ وَلَا تَكْفُرُوْا ۖ يَتَذَكَّرُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا
 اَسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ ۚ اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ ۝١٥٢ وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَنْ يُّقْتَلُ فِيْ سَبِيْلِ
 اللّٰهِ اَمْوَاتٌ ۚ بَلْ اَحْيَآءٌ وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُوْنَ ۝١٥٣﴾

○ الإعراب:

﴿فَاذْكُرُونِيْٓ﴾ الفاء هي الفصيحة، أي: إذا شئتم الاهتداء إلى محجة الصواب فاذكروني، واذكروني: فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به ﴿وَاشْكُرُوا﴾ عطف على اذكروني، وشكر يتعدى بنفسه تارة وتارة بحرف الجر على حد سواء ﴿لِيْ﴾ جار ومجرور متعلقان باشكروا ﴿وَلَا﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية ﴿تَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه

حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية، والياء المحذوفة لمناسبة فواصل الآي مفعول به والكسرة دليل عليها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿أَسْتَمِئِشُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باستمئشوا ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ عطف على الصبر ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والصابرين مضاف إليه. وجملة أن وما في حيزها اسمية لا محل لها لأنها تعليلية ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، ولا ناهية، وتقولوا فعل مضارع مجزوم بلا ﴿لِمَن﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقولوا، وجملة ﴿يُقْتَلُ﴾ صلة الموصول لا محل لها ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيقتل ﴿أَمُوتُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم أموات، والجملة الاسمية مقول القول ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وعطف ﴿أَحْيَاءُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هم أموات ﴿وَلَكِن﴾ الواو حالية، ولكن مخففة من الثقيلة فهي لمجرد الاستدراك ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والجملة نصب على الحال.

□ البلاغة:

(١) الإيجاز في الآية الأخيرة، وهو إيجاز الحذف، فقد حذف المبتدأ لأهمية ذكر الخبر لأنهم ما كانوا يتصورون أنهم أحياء، ففند سبحانه هذه البدائية العجيبة تصويراً رشيقياً.

(٢) الطباق بين أموات وأحياء في الآية هو طباق رشيقي لا تكلف فيه.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾
 وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

☆ اللفظة:

(البلاء): الاختبار والامتحان.

○ الإعراب:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، ونبلون فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر وجوباً تقديره نحن والكاف مفعول به ﴿بِشْيٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنبلونكم ﴿مِنْ الْخَوْفِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء، وجملة نبلونكم لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف وطأت له اللام وقد اقترنت بنون التوكيد الثقيلة لأنه مضارع مثبت مستقبل متصل بلامه ﴿وَأَلْجُوعٍ﴾ عطف على الخوف ﴿وَنَقْصٍ﴾ عطف أيضاً ﴿مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بنقص لأنه مصدر نقص، أو بمحذوف صفة لنقص لأنه نكرة ﴿وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ﴾ معطوفان على الأموال، وجملة القسم وجوابه مستأنفة مسوقة لاختبار أحوالهم ومدى صبرهم على البلاء واستسلامهم للقضاء بشيء من الخوف والجوع ﴿وَبَشِيرٍ﴾ الواو عاطفة، وبشر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت ﴿الضَّالِّينَ﴾ مفعول به، وجملة بشر معطوفة على ولنبلونكم ولا تقل إنه فعل طلبي، فكلاهما مضمونه طلبي، فهو من باب عطف المضمون على المضمون، أي: أن الابتلاء حاصل وقت البلاء ووقت البشارة ﴿الَّذِينَ﴾ صفة للصابرين ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه وهو قالوا ﴿أَصَابَتْهُمْ﴾ الجملة في محل جر بالإضافة ﴿مُصِيبَةٍ﴾ فاعل، وجملة الشرط وجوابه لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿قَالُوا﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿إِنَّا﴾ إن واسمها ﴿لِلَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان براجعون ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ﴾ عطف على جملة إنا لله ﴿رَجِعُونَ﴾ خبر إن ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿صَلَوَاتٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة

الاسمية خبر اسم الإشارة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لصلوات ﴿وَرَحْمَةً﴾ عطف على صلوات، وجملة الإشارة وما بعدها مستأنفة مسوقة لبيان ما بشروا به ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الواو عاطفة، وأولئك مبتدأ ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ثان أو ضمير فصل لا محل له ﴿الْمُهْتَدُونَ﴾ خبر «هم» أو خبر أولئك، والجملة خبر أولئك.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

☆ النِّقْطَةُ:

﴿الصَّفَا﴾: جبل بمكة، وأصل معنى الصفا أنه جمع صفاة، أي: الصخرة الملساء. وألفها منقلبة عن واو ﴿وَالْمَرْوَةَ﴾ جبل بمكة أيضاً. وأصل معنى المروة الحجارة الرخوة، وقيل: التي فيها صلابة. قال أبو ذؤيب:

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بصفا المشقَّر كلَّ يوم تُقَرِّعُ
(الشعائر): جمع شعيرة وهي العلامة.

﴿حَجَّ﴾: قصد.

﴿اعْتَمَرَ﴾: زار البيت المعظم على الوجه المشروع.

ثم صار الحج والعمرة علمين لقصد البيت وزيارته.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ الجناح: الميل إلى المأثم، ثم أطلق على الإثم، يقال: جنح إلى الشيء، أي: مال إليه، ومنه جنح الليل، أي: ميله بظلمته، وجنح الطائر وجناحه.

○ الإِعْرَابُ:

﴿إِنَّ الصَّفَا﴾ إن واسمها ﴿وَالْمَرْوَةَ﴾ عطف على الصفا ﴿مِنْ شَعَائِرِ

الله ﷻ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن، والجملة ابتدائية لا محل لها ﴿فَمَنْ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿حَجَّ الْبَيْتِ﴾ حج فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من، والبيت مفعول به ﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أو حرف عطف، واعتمر فعل ماض معطوف على حج ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية، ولا نافية للجنس، وجناح اسمها المبني على الفتح ﴿عَلَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ﴿أَنْ يَطُوفَ﴾ أن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: في أن يطوف ﴿بِهِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بيطوف. وجملة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ عليه في محل جزم جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وتطوع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ﴿خَيْرًا﴾ صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق، أي: يتطوع تطوعاً خيراً. ولك أن تعربه منصوباً بنزع الخافض؛ أي: بخير، واختار سيبويه أن يعرب حالاً من المصدر المقدر معرفة، ولو لم يكن سيبويه قائله لخطأته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها ﴿شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ﴾ خبران لإن، وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ أُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ إن واسمها ﴿يَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع والواو فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول، وجملة إن وما في حيزها

مستأنفة مسوقة لبيان حكم من كتم شيئاً من أحكام الدين بصورة عامة، وقد نزلت في حق اليهود الذين يجمعون حباً للجدل والمكابرة، وخصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم ﴿مَا﴾ مفعول يكتُمون ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل وفاعل والعائد محذوف، أي: أنزلناه، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿مِنْ أَلْبَيْنَتِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حالة كونها مينة شاهدة بالحقائق. وقد ألمعت الآية إلى محاولة اليهود إخفاء بعض الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ أو التي تصوّر عيوبهم وآثامهم التي يرتكبونها ﴿وَأَلْهَكُنِّي﴾ عطف على البيئات ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيكتُمون ﴿مَا بَيَّنَّكُهُ﴾ ما مصدرية، وبيناه فعل وفاعل ومفعول. والمصدر المؤول في محل جر بالإضافة أي من بعد تبيانہ ﴿لِلنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببيناه ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببيناه أيضاً. وتعلق جار^(١) بفعل واحد عند اختلاف المعنى واللفظ جائز. ولك أن تعلق «في الكتاب» بمحذوف حال من المفعول به أي كائناً في الكتاب ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿يَلْعَنُهُمْ﴾ فعل مضارع والهاء مفعوله ﴿اللَّهُ﴾ فاعله، والجملة الفعلية خبر اسم الإشارة ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وجملة الإشارة الاسمية في محل رفع خبر إن ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ﴿الَّذِينَ﴾ مستثنى من المفعول به أي الهاء في يلعنهم ﴿تَابُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة ﴿وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ عطف على تابوا ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الفاء رابطة، لأن في الموصول رائحة الشرط، واسم الإشارة مبتدأ ﴿أَتُوبُ﴾ فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا، وجملة أتوب خبر اسم الإشارة، وجملة الإشارة استئنافية ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلقان بأتوب ﴿وَأَنَا﴾ الواو عاطفة، وأنا مبتدأ ﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ خبران لأنا، والجملة معطوفة.

(١) لعلها الصواب: وتعلق جارين ومجرورين.

□ البلاغة:

- ١ - التكرير في ذكر اللعن ، والغاية منه التأكيد في الذم .
 ٢ - الالتفات في قوله «يلعنهم الله» وكان السياق يقتضي بأن يقول نلعنهم ، ولكنه التفت إلى الغائب للدلالة على إظهار السخط عليهم ، وليكون الكلام أوغل في إنزال اللعن عليهم ، وإحقاق الطرد بهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾ إن واسمها ﴿ كَفَرُوا ﴾ فعل وفاعل ، والجملة صلة الموصول لا محل لها ﴿ وَمَاتُوا ﴾ الواو عاطفة ، وجملة ماتوا عطفت على جملة كفروا ﴿ وَهُمْ ﴾ الواو حالية ، وهم مبتدأ ﴿ كُفَّارٌ ﴾ خبر «هم» والجملة في محل نصب على الحال ﴿ أُولَئِكَ ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ ﴾ عطفت على الله ، والجملة الاسمية خبر أولئك ، وجملة أولئك وما في حيزها خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها مستأنفة مسوقة لبيان مصير القسم الثاني من الكافرين ، وقد بين مصير من تاب في الاستثناء ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد ﴿ خَلِيدِينَ ﴾ حال من الضمير في عليهم ﴿ فِيهَا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخالدين ، والضمير يعود على النار التي أضمرت للتخويف والتهويل . ويجوز أن يعود على اللعنة مجازاً ، والعلاقة المحلية ﴿ لَا يَخَفُ ﴾ لا نافية ، ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول ﴿ عَنْهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلقان بيخفف ﴿ الْعَذَابُ ﴾ نائب فاعل ، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية للذين كفروا من الضمير المستكن في

خالدين فهي حال متداخلة ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة، ولا نافية ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿يُنْظَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل، أي: لا يمهلون ولا يؤجلون، والجملة الفعلية خبر «هم» والجملة الاسمية عطف على جملة لا يخفف ﴿وَالْهَكْمُ﴾ الواو استئنافية وما بعدها جملة مستأنفة لا محل لها مسوقة للرد على كفار قريش الذين قالوا: يا محمد صف لنا ربك، وإلهكم مبتدأ ﴿إِلَهُ﴾ خبر ﴿وَجِدْ﴾ صفة لإله ﴿لَا﴾ نافية للجنس ﴿إِلَهُ﴾ اسمها مبني على الفتح في محل نصب ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿هُوَ﴾ بدل من محل لا واسمها لأن محلها الرفع على الابتداء، أو بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف. وسيأتي مزيد من أقوال النحاة والمفسرين في إعراب كلمة الشهادة ترويضاً للذهن ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو.

* الفوائد:

خاض علماء النحو والمفسرون كثيراً في إعراب «لا إله إلا الله» وهي كلمة الشهادة، واتفقوا على أن خبر لا محذوف أي لنا، أو في الوجود، أو نحو ذلك. وسنورد لك خلاصة مفيدة لما قالوه لأهميته:

الزمخشري:

صنف جزءاً لطيفاً في إعراب كلمة الشهادة، فبعد أن أورد ما اتفقوا عليه من حذف خبر لا قال: هكذا قالوا، والصواب أنه كلام تام ولا حذف، وأن الأصل: الله إله مبتدأ وخبر، كما تقول: زيد منطلق، ثم جيء بأداة الحصر وقدم الخبر على الاسم وركب مع لا كما ركب المبتدأ معها في نحو: لا رجل في الدار، ويكون «الله» مبتدأ مؤخرًا و«إله» خبراً مقدماً، وعلى هذا تخريج نظائره نحو: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

الزمخشري أيضاً:

وقال الزمخشري في «المفصل» بصدد كلامه عن خبر لا النافية للجنس:

وقد يحذفه الحجازيون كثيراً فيقولون: لا أهل ولا مال ولا بأس ولا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار، ومنه كلمة الشهادة، ومعناها: لا إله في الوجود إلا الله، وبنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلاً.

ابن يعيش:

وقال شارح «المفصل» موفق الدين بن يعيش: اعلم أنهم يحذفون خبر لا من: لا رجل ولا غلام ولا حول ولا قوة وفي كلمة الشهادة نحو: لا إله إلا الله، والمعنى: لا رجل ولا غلام ولا حول ولا قوة لنا، وكذلك لا إله في الوجود إلا الله، ولا أهل لك ولا مال لك ولا بأس عليك، ولا فتى في الوجود إلا عليّ ولا سيف في الوجود إلا ذو الفقار، فالخبر الجار مع المجرور وهو محذوف، ولا يصح أن يكون الخبر «الله» في قولك لا إله إلا الله، وذلك لأمرين:

آ- أنه معرفة و«لا» لا تعمل في معرفة.

ب- أن اسم «لا» هنا عام، وقولك إلا الله خاص، والخاص لا يكون خبراً عن العام.

ونظيره: الحيوان إنسان، فإنه ممتنع لأن في الحيوان ما ليس بإنسان، وقولك: الإنسان حيوان، جائز لأن الإنسان حيوان حقيقة وليس في الإنسان ما ليس بحيوان، ويجوز إظهار الخبر نحو: لا رجل أفضل منك، ولا أحد خير منك، هذا مذهب أهل الحجاز. وأما بنو تميم فلا يجيزون تقديم خبر «لا» البتة ويقولون: هو من الأصول المرفوضة، ويتأولون ما ورد من ذلك، فيقولون في قولهم: لا رجل أفضل منك: إن «أفضل» نعت لرجل على الموضع، وكذلك «خير منك» نعت لأحد على الموضع.

البدر الدماميني:

وتعقب البدر الدماميني الزمخشري في حاشيته على «المغني» فقال: ولا يخفى ضعف هذا القول، يعني قول الزمخشري، وإنه يلزم منه أن الخبر

يبنى مع لا ، ولا يبنى معها إلا المبتدأ . ثم لو كان كذلك لم يجز نصب الاسم العظيم ، وقد جوزوه .

الصلاح الصفدي :

وأورد الصلاح الصفدي في «الغيث المسجم» بحثاً طريفاً قال فيه : ومن حذف الخبر قولك : لا إله إلا الله ، «فإله» اسمها ، والخبر محذوف قدره النحاة : في الوجود ، أو : لنا ، هكذا أعربوه .

الرازي :

وأورد الإمام فخر الدين الرازي إشكالاً على إعراب الصفدي فقال : هذا النفي عام متفرق وتقييده بالوجود تخصيص له ، ولنا أكثر تخصيصاً . وإذا كان كذلك لم يبق النفي عاماً ، وحيث لا يكون هذا القول إقراراً بالوحدانية على الإطلاق .

الصلاح الصفدي أيضاً :

وأجاب الصلاح الصفدي بقوله : إننا لا نسلم تقييده بالوجود إذا كان تخصيصاً لا يبقى على العموم المراد من النفي ، لأن المراد نفي الآلهة في الخارج إلا الله تعالى ، على معنى أن نفي وجودها مستلزم لنفي ذاتها ، كأنه قال : لا إله يوجد إلا الله . وعلى هذا يبقى النفي عاماً بالمعنى المراد منه .

السمين :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : قوله : إلا هو : رفع على أنه بدل من اسم لا على المحل ، إذ محله الرفع على الابتداء أو هو بدل من لا وما عملت فيه ، لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء .

أبو حيّان :

ومضى السمين يقول : واستشكل أبو حيّان كونه بدلاً من إله ، لأنه لا يمكن تكرير العامل ، لا تقول : لا رجل إلا زيد ، والذي يظهر لي أنه

ليس بدلاً من إله، ولا من رجل في قولك لا رجل إلا زيد، إنما هو بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف. فإذا قلنا: لا رجل إلا زيد، والتقدير: لا رجل كائن أو موجود إلا زيد. فزيد بدل من الضمير المستكن في الخبر لا من رجل، وليس بدلاً من موضع اسم لا، وإنما هو بدل مرفوع من ضمير مرفوع، تقدير ذلك الضمير هو عائد على اسم لا.

ابن هشام:

وقال ابن هشام: وقول بعضهم في «لا إله إلا الله»: إن اسم الله سبحانه خبر لا التبرئة أي النافية للجنس يرده أنها لا تعمل إلا في نكرة منفية، واسم الله تعالى معرفة موجبة، نعم يصح أن يقال: إنه خبر لـ «لا» مع اسمها فإنهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه. ثم أطال ابن هشام في الرد على الزمخشري مما لا يتسع له صدر هذا الكتاب.

الشيخ مصطفى الغلاييني:

وقال الشيخ مصطفى الغلاييني من أدباء بيروت المحدثين: قوله تعالى: لا إله إلا الله، أي: لا إله موجود، والله إما بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وإما بدل من محل لا واسمها. ويجوز في غير الآية نصبه على الاستثناء.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿وَالْفَلَكَ﴾: السفن. ويكون واحداً كقوله تعالى: ﴿فِي الْفَلَكَ﴾

الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، وهو حينئذ مذكر. ويكون جمعاً كما في الآية بدليل قوله: ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾، وكل ذلك بلفظ واحد. وقد خبط فيه صاحب المنجد خبطاً عجيباً، فجعله يذكّر ويؤنث. وعبارته: الفلك: السفينة تؤنث وتذكر. ومنشأ الخبط أنه لم يتأمل - وهو ينقل عبارة القاموس نقلاً عشوائياً - أن التذكير خاص بالمفرد، أما التأنيث فطاريء عليه لجمعه جمع تكسير. ونصّ عبارة القاموس: والفلك بالضم السفينة، ويذكّر، وهو للواحد والجمع، أو الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد، وليست كجُنُب التي هي واحد وجمع، وأمثاله، لأن فُعْلاً وفَعْلاً يشتركان في الشيء الواحد كالعُزْب والعَرَب. فإن قيل: إن جمع التكسير لا بد فيه من تغيير، فالجواب أن تغييره مقدّر، فالضمة في حال كونه جمعاً كالضمة في حُمُر وبُدن، وفي حال كونه مفرداً كالضمة في قُفْل. على أن ابن بَرِّي استدرك فقال: إنك إذا جعلت الفلك واحداً فهو مذكر لا غير، وإن جعلته جمعاً فهو مؤنث لا غير فتأمل هذا الفصل، فله على كل الفصول الفضل.

﴿الرِّيح﴾: جمع ريح. وياء الريح والرياح من واو، والأصل روح ورواح، وإنما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وهو إبدال مطرد؛ ولذلك لما زال موجب قلبها رجعت إلى أصلها، فقليل: أرواح.

قالت ميسون بنت بحدل:

ليست تخفق الأرواح فيه أحب إليّ من قصرٍ مُنيفٍ

ويغلب عليها الخير في الجمع، والشر في المفرد.

وقد لحن في هذه اللفظة عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، فاستعمل الأرياح في شعره، وقال أبو حاتم له: إن الأرياح لا يجوز. فقال عمارة: ألا تسمع قولهم: رياح؟ فقال له أبو حاتم: هذا خلاف ذلك. فقال له: صدقت ورجع. قلنا: ولكن ورد جمع الأرياح في القاموس للفيروز أبادي ونصّ عبارته: والريح مؤنثة وجمعها أرياح وأرواح ورياح وريح كعنب، وجمع الجمع أرواح وأرايح. ونقل صاحب المنجد عبارته بنصها تقريباً.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ ﴾ حرف مشبه بالفعل ﴿ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ﴿ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ عطف على خلق السموات ﴿ وَالْقُلُوكَ ﴾ عطف أيضاً ﴿ أَلَّتِي ﴾ صفة للفلك ﴿ بَتَجَرِّي فِي الْبَحْرِ ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ بِمَا ﴾ الباء حرف جر، وما اسم موصول في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، ولك أن تجعل ما مصدرية، فتعلق مع المصدر المؤول المجرور بها بتجري بأسباب نفع الناس ﴿ يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما على كل حال ﴿ وَمَا ﴾ عطف على ما الأولى ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ الجملة صلة ما ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأنزل ﴿ مِنْ مَّاءٍ ﴾ الجار والمجرور بدل من قوله من السماء بدل اشتمال ولا يرد عليه تعليق حرفين متحدين بعامل واحد، فإن الممنوع من ذلك أن يتحدا معاً من غير عطف ولا إبدال ﴿ فَأَحْيَا ﴾ عطف على أنزل ﴿ بِهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأحيا ﴿ الْأَرْضَ ﴾ مفعول به ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الظرف متعلق بمحذوف حال ﴿ وَبَنَى ﴾ عطف على أنزل أو أحيا ﴿ فِيهَا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببث ﴿ وَتَصْرِيْفِ الرِّيحِ ﴾ عطف على «خلق» ﴿ وَالسَّحَابِ ﴾ عطف أيضاً ﴿ السَّخَرِ ﴾ صفة للسحاب ﴿ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الظرف متعلق بمسخر لأنه اسم مفعول ﴿ لَا يَسْتِ ﴾ اللام هي المرحقة، وآيات اسم إن المؤخر ﴿ لِقَوْمٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآيات ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع والواو فاعل، والجملة الفعلية صفة لقوم. وهذه الآية حث صريح على وجوب التأمل والتدبر. وعن النبي ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآية فمَجَّ بها» أي: لم يعتبر بها.

فالآية جملة مستأنفة مسوقة للحث على النظر والاعتبار بباهر الحكمة.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٥)

☆ اللفظة:

﴿ أَندَادًا ﴾ الندّ: المثل، والمراد هنا الأصنام، أو كل ما سولت لهم أنفسهم عبادته.

○ الإعراب:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن بعض الناس لم يعتقد الوجدانية بعد أن ثبت بالدليل القاطع، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ مَن ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر أو نكرة موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر ﴿ يَتَّخِذُ ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول أو صفة لـ «مَن» وفاعل يتخذ ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ مَن ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ يتخذ ﴿ أَندَادًا ﴾ مفعول به ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية صفة لأنداداً أو حال من الضمير المستكن في يتخذ ﴿ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ الكاف ومجرورها في موضع نصب صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق، ويجوز إعرابه حالاً، وقد رجحه سيبويه، والمصدر مضاف إلى مفعوله ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ الواو استئنافية أو حالية، واسم الموصول مبتدأ ﴿ ءَامَنُوا ﴾ فعل وفاعله، والجملة صلة الموصول ﴿ أَشَدُّ ﴾ خبر الموصول ﴿ حُبًّا ﴾ تمييز ﴿ لِلَّهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بحباً ﴿ وَلَوْ ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية غير جازمة ﴿ يَرَى ﴾ فعل مضارع ﴿ الَّذِينَ ﴾ فاعل ﴿ ظَلَمُوا ﴾ الجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بيري ﴿ يَرُونَ ﴾ الجملة الفعلية في محل جر بإضافة الظرف

إليه والواو فاعل ﴿الْعَذَابِ﴾ مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف تقديره نازلًا بهم وقت رؤيتهم ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ إن واسمها ﴿لِلَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، وإن وما بعدها سدت مسد مفعولي يرى ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ عطف على ما تقدم، وجواب لو محذوف أي لرأيت عجباً وكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندامة والحسرة.

□ البلاغة:

الإيجاز في الآية، وذلك بحذف جواب لو كما تقدم، وهو كثير شائع في كلامهم، وورد في القرآن كثيراً، وقد تعلق بأهداب هذه البلاغة أبو تمام الطائي حين قال في قصيدته «فتح عمورية»:

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمت

له المنيّة بين السمر والقضب

وتقديره: لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبطه واحتاط لنفسه، وهيئات.

* الفوائد:

﴿دُونِ﴾ ظرف للمكان وهو نقيض فوق، نحو: هو دونه، أي: أحط منه رتبة أو منزلة، ويأتي بمعنى أمام نحو: الشيء دونك أي: أمامك، وبمعنى وراء نحو: قعد دون الصف، أي: وراءه، وقد يأتي بمعنى رديء وخسيس فلا يكون ظرفاً، نحو: هذا شيء دون، وهو حينئذ يتصرف في وجوه الإعراب. ويأتي بمعنى غير كما في الآية، وأكثر ما يستعمل حينئذ مجروراً بمن.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَنَتَّبِعُ مَنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا

كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

○ الإعراب:

﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمن، وهي مع مدخولها بدل من إذ المتقدمة في الآية السابقة ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ﴾ فعل ماض وفاعل ﴿أَتَّبِعُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل، والجملة صلة الموصول، وجملة تبرأ في محل جر بإضافة الظرف إليها وهم الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ أَتَّبِعُوا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتبرأ، واتبعوا فعل ماض مبني للمعلوم والواو فاعل وهم الأتباع، والجملة صلة ﴿وَرَأَوْا﴾ الواو حالية أو عاطفة، ورأوا فعل وفاعل ﴿الْكَذَّابِ﴾ مفعول به، والجملة حالية بتقدير قد، أي تبرؤوا منهم في حال رؤيتهم العذاب، أو معطوفة على جملة تبرأ ﴿وَنَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَقَالَ﴾ الواو عاطفة، وقال فعل ماض ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل ﴿أَتَّبِعُوا﴾ الجملة صلة الموصول، واتبعوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ﴿لَوْ﴾ شرطية غير جازمة متضمنة معنى التمني ﴿أَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ﴾ أن وخبرها المقدم واسمها المؤخر، وأن ومافي حيزها مقول القول ﴿فَتَنَبَّرًا﴾ الفاء هي السببية، وتبرأ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالتمني الذي تضمنته لو وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن ﴿مِنْهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتبرأ ﴿كَمَا﴾ الكاف مع مجرورها في موضع نصب مفعول مطلق وما مصدرية ﴿تَبَرَّأُوا﴾ فعل ماض وفاعل ﴿مِنَّا﴾ جار ومجرور متعلقان بتبرؤوا ﴿كَذَلِكَ﴾ الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي إراءة مثل تلك الإراءة. واختار سيبويه النصب على الحال وهو صحيح ﴿يُرِيهِمُ﴾ فعل مضارع، والرؤية هنا تحتمل أن تكون بصرية فتعدي لمفعولين أولهما الضمير والثاني أعمالهم، وتحتمل أن تكون قلبية ولعله أرجح فتعدي لثلاثة ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ مفعول به ثان ﴿حَسَرَاتٍ﴾ مفعول به ثالث أو حال ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلقان بمحذوف صفة لحسرات ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة وما حجازية ﴿هُمْ﴾

اسم ما الحجازية ﴿يَخْرِجِينَ﴾ الباء حرف جر زائد، وخارجين مجرور لفظاً منصوب خبر ما محلاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخارجين .
□ البلاغة:

١ - في الآية فن اللف والنشر المشوش، وهو ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد وردّه إلى ما هوله، فتبرؤ بعضهم من بعض راجع لقوله: ﴿إِذْ تَبَرَأَ﴾، وإراءتهم شدة العذاب راجع لقوله: ﴿وَرَأَوْا الْمَكْذَابَ﴾، والمراد أنه أراهم هذين الأمرين عقوبة لهم على اتخاذهم الأنداد لله، فكما عاقبهم على عقائدهم عاقبهم على أعمالهم . ولهذا الفن فروع متعددة مبسطة في كتب البلاغة، ومنه في الشعر قول أبي فراس الحمداني:

وشادنٍ قال لي لَمَّا رأى سقمي

وضَعَفَ جسمي والدَّمع الذي انسجما

أخذت دمعك من خدي وجسمك من

خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

٢ - في قوله: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآية، فنّ يقال له فنّ الترصيع، وهو أن يكون الكلام مسجوعاً، وهو في الآية في موضعين، وقد كثر في القرآن، وأما في الشعر فممنه قول أبي الطيب المتنبي:
في تاجه قَمَرٌ في ثوبه بَشَرٌ في دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظْفَرُهُ
وقال أبو تمام:

تديّرُ معتصم بالله متقمٍ لله مرتغبٍ في الله مُرتقبٍ

٣ - في قوله: ﴿وَنَقَطَ بِهَمِّ الْأَسْبَابِ﴾ مجاز مرسل علاقته السببية، فإن السبب في الأصل الجبل الذي يرتقى به إلى ما هو عالٍ، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء، مادة كان أم معنى. ولك أن تجعله من باب الاستعارة التصريحية، فقد شبه الأعمال التي كانوا يمارسونها في الدنيا

بالأسباب التي يتشبَّث بها الإنسان للنجاة. ثم حذف المشبَّه وأبقى المشبَّه به. قال زهير بن أبي سُلمي:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء يسلم

(٤) فن الحذف، فقد حذف جواب لو الشرطية وهو مقدر في الآية تقديره: لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف.

* الفوائد:

كل اسم كان واحده على وزن «فَعْلَة» مفتوح الأول ساكن الثاني، فإن جمعه على فعلات بفتح الفاء والعين، مثل شهوة وتمرّة وجمعهما شهوات وتمرّات، متحركة الثواني من حروفها. فأما إذا كان وصفاً فإنك تدع ثانيه ساكناً مثل ضخمة وعيلة، فتجمعها على ضخّمات وعيلات، بإسكان الثواني.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٩)

☆ اللفظة:

﴿الخطوات﴾ بضمّتين: جمع خطوة، وهي ما بين يدي الخاطي. ومن غريب أمر الخاء والطاء أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلّ ذلك على الأثر، فأثر الخطوة معروف، ولهذا قالوا: اتبع خطواته، كأنما أثر عليه فتبعه. والخطأ في الرأي والمسألة واضح الأثر، ومن أمثالهم: «مع الخواطيء سهم صائب». والخطب: المصاب وهو بين الأثر، وقل مثل هذا في الخطل أي: السفاهة، وهو استرخاء الأذنين أو السفاهة، وسمي الشاعر الأموي الأخطل. وهذا كله اكتشفناه بعد التقصي والتمعن، فتدبره.

○ الإعراب:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يا حرف نداء للمتوسط ، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه ، والناس بدل من أي ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ﴿مِمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ﴿كُلُوا﴾ في الأرض ﴿الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول﴾ ﴿حَلَالًا﴾ مفعول به لكلوا أو حال من «ما» ﴿طَيِّبًا﴾ صفة . وسيأتي بحث طريف عنها ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة ، ولا ناهية ﴿تَتَّبِعُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ﴿خُطُوتٍ﴾ مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿الشَّيْطَانِ﴾ مضاف إليه ﴿إِنَّهُ﴾ إن واسمها ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه في الأصل صفة لعدو وقد تقدمت ﴿عَدُوٌّ﴾ خبر إن المرفوع ﴿مُيِّنٌ﴾ صفة لعدو وجملة النداء وما تلاه مستأنفة مسوقة لبيان مواطن الحل والحرمة ، وإن ذلك منوط بالله تعالى . وجملة إنه وما تلاها لا محل لها لأنها تعليل للنهي عن اتباع خطوات الشيطان في ذلك ﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة ملغاة ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ فعل وفاعل مستتر يعود على الشيطان ومفعول به ﴿بِالسَّوِّءِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان عداوة الشيطان وفضح أهدافها ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ عطف على قوله بالسوء ﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ المصدر المنسبك من أن وما في حيزها معطوف على السوء أيضاً ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتقولوا ﴿مَا﴾ اسم موصول مفعول تقولوا ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما .

□ البلاغة:

الاستعارة التبعية في أمر الشيطان رداً على سؤال قد يرد على الخاطر ، وهو : كيف يكون الشيطان آمراً والله تعالى يقول : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ؟ [الحجر : ٤٢] فقد شبه تزيين الشيطان لهم وتحريضه إياهم على

الشر، وتأريث نار الشهوات في النفوس، بأمر الأمر، فهي استعارة تصريحية تبعية، والواقع أن أمر الشيطان هو عبارة عن الخوارج التي تساورنا وتحدونا إلى اجتراح السيئات.

* الفوائد:

اختلف المعربون والفقهاء في معنى هذه الصفة، أي: طيباً، فقال بعضهم: هي صفة مؤكدة، لأن معنى طيباً وحلالاً واحداً، وأخذ مالك به وقال آخرون هي صفة مخصصة، لأن معناه مغاير لمعنى الحلال، وهو المستلذ، وبه أخذ الشافعي. ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠)

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بقالوا
﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو،
والجملة مستأنفة مسوقة لبيان رسوخهم في الغي وإمعانهم في الضلال
﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقليل ﴿اتَّبِعُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف
النون والواو فاعل، والجملة الفعلية مفعول القول ﴿مَا﴾ اسم موصول في
محل نصب مفعول به ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة ما ﴿قَالُوا﴾
فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿بَلْ﴾ حرف
إضراب وعطف، وكل إضراب في القرآن يراد به الانتقال من قصة إلى قصة
إلا في هذه الآية وفي آية أخرى ستأتي ﴿نَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع وفاعله نحن،
والجملة معطوفة على جملة مقدرة، أي: لا نتبع ما أنزل الله بل نتبع ﴿مَا﴾
اسم موصول مفعول به ﴿أَلْفَيْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها

صلة الموصول ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور في موضع نصب مفعول ألفينا الثاني ﴿ءَابَاءَنَا﴾ مفعول ألفينا الأول. ومعنى ألفينا وجدنا ﴿أَوَّلُو﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو حالية، والجملة حالية مسوقة لاستنكار اتباع آبائهم في كل حالة حتى في الحالة التي لا مساغ للعاقل أن يتبعها ويجنح إليها وهي عدم تلبسهم بعدم العقول وانتفاء الهداية. ولو شرطية لا تحتاج إلى جواب في مثل هذا التركيب لأن القصد منها تعميم الأحوال، ولذلك لا يجوز حذف الواو الداخلة عليها تنبيهاً على أن ما بعدها ليس مناسباً لما قبلها ﴿كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ كان واسمها ﴿لَا﴾ نافية ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، والجملة المنفية خبر كان ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به أو مفعول مطلق ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الجملة معطوفة على جملة لا يعقلون.

□ البلاغة:

الالتفات في قوله: ﴿لَهُمْ..﴾ من الخطاب إلى الغيبة تسجيلاً للنداء على ضلالهم، لأنه ليس ثمة أضلّ من المقلد تقليداً أعمى، يتبع غيره في المواطن التي توبقه وترديه، وينساق من غير تفكير ولا روية.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٧)

☆ النكتة:

﴿يَنْعِقُ﴾ التّعيق: هو التصويت مطلقاً. قال الأخطل:
فانعق بضأنك يا جريراً فإئتما مَنَّتْكَ أمُّكَ في الخلاء ضلالاً
ويقال: نعق المؤذن، وسمعت نعقة المؤذن، وأما صوت الغراب فهو
النغيق بالغين المعجمة.

○ الإعراب:

﴿وَمَثَلٌ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل للكافرين في عبادتهم للأصنام، وقد شغلت هذه الآية المعربين والمفسرين، واختلفوا فيها اختلافاً كثيراً وتبلغ الأوجه التي أوردوها أربعة نختار منها واحداً، ونورد في باب البلاغة تفصيلها؛ لأنها تكاد تكون متساوية الرجحان، ومثل مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾ مضاف إليه ﴿كَفَرُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، ولا بد من تقدير مضاف قبل الموصول أي مثل داعيهم إلى الإيمان أي مثل داعي الذين كفروا، بمعنى أن من يحاول هدايتهم بمثابة من يخاطب ما لا يسمع، وإن سمع فهو لا يعقل شيئاً مما يسمعه ﴿كَمَثَلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول مضاف إليه ﴿يَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع وفاعله هو، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿يَمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بينق ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ لا نافية، ويسمع فعل مضارع، والجملة الفعلية صلة ما ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿دُعَاءٌ﴾ مفعول به ﴿وَنِدَاءٌ﴾ عطف على دعاء ﴿صُمُّكُمْ عُمَى﴾ أخبار ثلاثة لمبتدأ محذوف، أي: هم ﴿فَهُمْ﴾ الفاء عاطفة، وهم مبتدأ ﴿لَا يَقُولُونَ﴾ الجملة الفعلية المنفية خبرهم.

□ البلاغة:

في هذه الآية فنون عديدة منها:

١ - التشبيه التمثيلي، فقد شبه من يدعو الكافرين إلى الإيمان رغم لجاجتهم ومكابرتهم بمن ينقق بالبهايم التي لا تسمع إلا التصويت بها والزجر لها، فهو تشبيه صورة بصورة أو تشبيه متعدد بمتعدد، ويمكن اختصار الأوجه التي أوردتها علماء البيان والنحو بما يلي:

أ- أن المثل مضروب لتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به.

ب - أن المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعاء الرسول ﷺ له بالغنم المنعوق بها .

ج - إن المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه الأصنام بالناعق على الغنم .

(٢) الاستعارة التصريحية في تشبيه الكافرين بالصم البكم العمي وحذف المشبه وإبقاء المشبه به .

(٣) الإيجاز في حذف مضاف تقديره: مثل داعي الذين كفروا، ولم يصرح بالداعي وهو الرسول تمشياً مع الأدب الرفيع في حسن التلطف بالخطاب، والتهذيب الذي يجب أن يتسم به الشعراء والكتاب .

﴿ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣)

☆ اللفظة:

(الإهلال): سبق القول أنه رفع الصوت عند مباشرة أمر من الأمور، وقد كان ديدنهم في جاهليتهم أن يرفعوا أصواتهم عند مباشرتهم هذه الأمور كالذبح وغيره فيقولون: باسم اللات والعزى .

﴿ بَاغٍ ﴾ : ظالم .

﴿ عَادٍ ﴾ : معتد على غيره .

○ الإعراب:

﴿ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ تقدم إعرابها فجدد به عهداً، وجملة النداء وما

بعده مستأنفة تمهيداً للشروع في بيان أنواع من المحرمات بعدما أمر سبحانه بأكل الطيبات ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمفعول المحذوف ليذهب السامع في تقديره أيّ مذهب تصبو إليه نفسه، ومعنى من الجارة هنا التبعية، أي: كلوا بعضها، فما أكثر الطيبات المتاحة لنا ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة صلة الموصول ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ معطوف على كلوا، والله جار ومجرور متعلقان بأشكروا، وسيأتي بحث عنه في باب الفوائد ﴿إِنْ﴾ شرطية تجزم فعلين ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ﴿إِيَّاهُ﴾ ضمير منفصل مفعول مقدم لتعبدون ﴿تَعْبُدُونَ﴾ الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم، وجملة جواب الشرط محذوفة دل عليها ما قبلها، أي: فاشكروا ﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة ﴿حَرَّمَ﴾ فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بحرم ﴿الْمَيْتَةِ﴾ مفعول به ﴿وَالَّذِينَ وَلَّاهُ الْخَنَازِيرَ﴾ معطوفان على الميتة ﴿وَمَا﴾ الواو حرف عطف، وما اسم موصول منصوب عطفاً على ما تقدم ﴿أَهْلٌ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور قام مقام نائب الفاعل ﴿لِيُغَيِّرَ اللَّهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، والجملة صلة الموصول ﴿فَمَنْ﴾ الفاء الفصيحة أي إذا كانت هناك حالات اضطراب ألبجته إلى أكل شيء مما حرم، والجملة بعدها لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿أَضْطَرَّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على المضطر ﴿غَيْرَ﴾ حال من ﴿مَنْ﴾ فكأنه قيل: اضطّر لا باغياً ولا عادياً فهو له حلال ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ مضاف إليه وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ عطف على غير باغ ﴿فَلَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية، ولا نافية للجنس ﴿إِثْمٌ﴾ اسمها المبني على الفتح ﴿عَلَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة المقترنة

بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من على الأصح ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿عَفُوٌّ رَّحِيمٌ﴾ خبران لإن، وجملة إن وما في حيزها لا محل لها لأنها تعليلية.

□ البلاغة:

(١) اشتملت هاتان الآيتان على إيجازين جميلين بالحذف، وهما حذف مفعول كلوا كما تقدم، وحذف جواب إن الشرطية، أي: فاشكروه، وحذف جواب الشرط شائع في كلام العرب.

(٢) التقديم في تقديم إياه لإفادة الاختصاص، لأنه سبحانه مختص بأن يعبدوه.

(٣) الالتفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة، وسياق الكلام يقتضي أن يقول: واشكرونا، ولكنه التفت إلى الغيبة لعظم الاهتمام به سبحانه. وفيه تلميح إلى الحديث النبوي، وهو: «يقول الله تعالى: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري». وقد درج علماء البلاغة على تعريف الالتفات بأنه إنما يستعمل في الكلام للتفنن والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع، وهو تعريف جميل، لأن النفس تسأم الكلام الجاري على نسق رتيب. ولكن يرد على هذا التعريف أن التطرية لا تكون إلا بعد حدوث الملل، ولا ملل في تلاوة القرآن، فلا بد أن يكون هناك أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، بيد أن ذلك لا يمكن تحديده، لأن الفن جمال، وسر الجمال في عدم تحديده، لأنه بعيد المنال، وقد أريناك عند الكلام على الفاتحة أسراراً تكمن وراء السطور، وهنا عدل عن التكلم إلى الغيبة كما تقدم، وليصرح باسم الله، وفي ذلك من حوافز الشكر ما فيه.

نموذج شعري:

وما دمنّا في صدد أسرار الالتفات يحسن بنا أن نورد للقارىء مثلاً شعرياً

لأبي تمام الطائي ليقبس طلابنا ومتأدبونا على منواله، قال يمدح أبا دلف العجليّ، ويصف فيها ركباً يسرون في المهامه البعيدة ليتخلص إلى التنويه بجود الممدوح، ولا يفوتك ما فيها من تشخيص وتجسيد:

وَرَكِبَ يُسَاقُونَ الرُّكَّابَ رُجَاجَةً
مِنَ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفٌّ قَاطِبٍ
فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْعَوَارِبَ بِالشُّرَى
وَصَارَتْ لَهُمْ أَشْبَاحُهُمْ كَالْغَوَارِبِ
يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلُ مَشَارِقِ
إِذَا أَبَهُ هَمٌّ عَزِيقُ مَغَارِبِ
يَرَى بِالْكَعَابِ الرُّودِ طَلْعَةَ نَائِرِ
وَبِالْعِزْمَسِ الْوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ
كَأَنَّ بِهَا ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبِ
مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبِ
إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ
تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ

فقال في الأول: يصرف مسراها، مخاطبة للغائب جرياً على الأسلوب المتقدم في وصف الركب، ثم قال بعد ذلك: إذا العيس لاقت بي، فعدل إلى خطاب نفسه؛ لأنه لما صار إلى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه، خاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكاره والقرب من الرغائب، وهذا من السحر الحلال، وإن من البيان لسحراً.

❖ الفوائد:

(شكر) فعل متعدّد ولكنه قد يستعمل كاللازم فيكتفي بالفاعل إذا أريد به مجرّد حدوث الفعل، ويستعمل متعدّياً مباشرة إلى مفعول به واحد، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]، ويتعدى إلى مفعولين كقول عبد الله بن الزبير:

سأشكرُ عمرًا ما تراخت منيتي
أيادي لم تُمن وإن هي جلت
والمفعولان هما: عمرًا وأيادي، جمع يد وهي النعمة. وقد يتعدى
باللام إلى مفعول به واحد كما في الآية هنا.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٤) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى
وَأَعْدَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (١٧٥) ﴿ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ نَزْلًا
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (١٧٦)

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾ إن واسمها، والجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة رؤساء
اليهود وأخبارهم الذين كانوا يصيرون من عامتهم الهدايا والمأكُل، وكانوا
يمنون أنفسهم بأن يكون النبي المنتظر الموصوف عندهم في التوراة منهم،
أشفقوا على ذهاب ما كان يترادف عليهم من نعماء، مما يؤدي بالتالي إلى
زوال رئاستهم فعمدوا إلى كتمان أمره ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع
والواو فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ مَا ﴾ اسم
موصول مفعول به ليكتمون ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا
محل لها لأنها صلة ما ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف
حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول تقديره: ما أنزله الله حال
كونه من الكتاب ﴿ وَيَشْتُرُونَ ﴾ الواو عاطفة، ويشترون جملة معطوفة على
جملة أنزل الله ﴿ بِهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيشترون ﴿ ثَمَنًا ﴾ مفعول به
﴿ قَلِيلًا ﴾ صفة ﴿ أُولَئِكَ ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿ مَا ﴾ نافية ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ فعل
مضارع مرفوع، والجملة خبر اسم الإشارة ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ الجار والمجرور

متعلقان بياكلون لأنها ظروف للأكل ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿النَّارِ﴾ مفعول به .
 وجملة أولئك ما يأكلون خبر إن ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ الواو عاطفة ،
 والجملة معطوفة على جملة ما يأكلون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الظرف متعلق
 بيكلمهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ الجملة عطف على جملة لا يكلمهم الله
 ﴿وَلَهُمْ﴾ الواو حرف عطف ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر
 مقدم ﴿عَذَابٍ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿أَلَيْسَ﴾ صفة ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول خبر ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ الجملة الفعلية لا
 محل لها لأنها صلة الموصول ، وقد تقدمت بحروفها ﴿وَالْعَذَابَ
 بِالْمَغْفِرَةِ﴾ عطف على الضلالة بالهدى ، والمتروك ما دخلت عليه الباء
 ﴿فَمَا﴾ الفاء الفصيحة كأنها أفصحت عن مصيرهم العجيب ، وما نكرة تامة
 بمعنى شيء للتعجب في محل رفع مبتدأ على الأصح ، وإنما قلنا على
 الأصح دفعا لما تخط به النحاة من أوجه لا طائل تحتها إلا التكلف
 ﴿أَصْبَرَهُمْ﴾ فعل ماض جامد لإنشاء التعجب وفاعله ضمير مستتر وجوبا
 هنا خاصة والهاء مفعول به ، والجملة الفعلية خبر ما ﴿عَلَى النَّارِ﴾ الجار
 والمجرور متعلقان بأصبرهم ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿يَأَنَّ اللَّهَ﴾ الباء
 حرف جر ، وأن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار ومجروره خبر اسم
 الإشارة ، ومعنى الباء السببية ، وأن واسمها ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ فعل ماض
 وفاعل مستتر يعود على الله تعالى ، والكتاب مفعول به ، والجملة الفعلية خبر
 أن ، أي : ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ الجار والمجرور
 متعلقان بنزل أو بمحذوف حال ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ﴾ الواو عاطفة أو حالية ، وإن
 واسمها ﴿اُخْتَلَفُوا﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿فِي
 الْكِتَابِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باختلَفُوا ﴿لِنَبِّ شِقَاقٍ﴾ اللام هي
 المرحلة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن ﴿بِمِدْرٍ﴾ صفة .

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التصريحية في اشتراء الضلالة بالهدى ، وقد تقدمت الآية بحروفها .

(٢) المجاز المرسل في أكل النار ، والعلاقة هي السببية ، فقد جعل ما هو سبب للنار ناراً .

(٣) التعريض : في عدم تكليم الله إياهم بحرمانهم حال أهل الجنة وتزكيتهم بكلامه تعالى . والتعريض ضرب من الكناية ، لأن الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض . ومن طريف هذا الفن قول أبي الطيب المتنبّي وهو يرمق سماء القرآن العالية :

أبا المِسْكِ هل في الكأسِ فضلٌ أَنالهُ

فإنّي أغنّي منذ حينٍ وتَشْرَبُ

يخاطب كافوراً الأخشيديّ فيقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

(٤) المقابلة في المطابقة بين الضلالة والهدى ، وبين العذاب والمغفرة .

والمقابلة فن دقيق المسلك ، لا يسلكه إلا خبير بأساليب الكلام ، وإلا كان تكلفاً ممقوتاً . وقد بلغ أبو الطيب فيه الغاية بقوله :

أزورهم وسوادُ اللَّيْلِ يشفعُ لي

وأنثي وبياضُ الصُّبْحِ يغري بي

فقد طابق بين أزور وأنثي ، وبين سواد وبياض ، وبين الليل والصبح ، وبين يشفع ويغري ، وبين لي وبي . ومنه قول ابن زيدون :

سرّان في خاطرِ الظُّلَماءِ يكتمنا

حتى يكاد لسانُ الصُّبْحِ يفشينا

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

☆ اللغة:

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ : المسافر، وإنما قيل له: ابن السبيل لملازمته الطريق،
كما يقال لطير الماء: ابن الماء لملازمته إياه، وللرجل الذي أتت عليه
الدهور ابن الأيام والليالي.

○ الإعراب:

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض جامد ناقص، وإنما جُمِدَتْ لأن لفظها لفظ
المضي، ومعناها نفي الحال، فلم يتكلف لها بناء آخر، فاستعملت على
لفظ واحد، ولأنها خالفت بقية الأفعال في أنها وضعت سالبة للمعنى
والأفعال ليس من أصلها أن توضع لسلب المعنى، وإنما توضع لإيجابه،
فتنزل منزلة الحرف فجمدت ولم تتصرف. والدليل على أنها فعل اتصال
الضمائر المرفوعة بها كاتصالها ببقية الأفعال. وأصلها في الوزن: لَيْسَ،
على وزن فعل بكسر العين، ولولا إلزام ياء ليس السكون حتى صارت في
حكم ياء ليت، لوجب في حكم التصريف قلبها ألفاً لتحركها وانفتاح ما
قبلها، فيكون اللفظ بها يصير «لاس» كما تقول هاب في الماضي من لفظ
الهيئة ﴿الْبِرِّ﴾ خبر ليس المقدم ﴿أَنْ تُولُوا﴾ أن حرف مصدري ونصب،
وتولوا فعل مضارع منصوب بأن، والمصدر المنسبك من أن وما في حيزها
اسم ليس المؤخر، وقرىء برفع البر على أنه اسم ليس وإن تولوا خبرها
﴿وُجُوهَكُمْ﴾ مفعول به ﴿قِيلَ﴾ ظرف مكان متعلق بتولوا ﴿الْمَشْرِقِ﴾ مضاف

إليه ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾ عطف على المشرق ﴿وَلَكِنَّ﴾ الواو حرف عطف، ولكن حرف مشبه بالفعل ﴿الَّيْرِ﴾ اسمها ﴿مَنْ آمَنَ﴾ من اسم موصول خبر لكن، ولا بد من تأويل حذف المضاف، أي: بر من آمن، ويمكن أن يقال: لا حذف، وإنما جعل البر نفس من آمن للمبالغة، وجملة آمن صلة لا محل لها ﴿بِاللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بآمن ﴿وَالْيَوْمِ﴾ عطف على الله ﴿الْآخِرِ﴾ صفة ﴿وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالْيَتِيمِ﴾ عطف أيضاً على الله ﴿وَعَاتَى﴾ فعل ماضٍ معطوف على آمن داخل في حيِّز الصلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ﴿أَلْمَالِ﴾ مفعول به ﴿عَلَىٰ حَبِّهِ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، والمصدر مضاف إلى مفعوله، أي: مع حبه ﴿ذَوَى الْقُرْبِ﴾ مفعول آتى، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع ذي بمعنى صاحب، والقربى مضاف إليه ﴿وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ﴾ كلها معطوفة على ذوى ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ الجار والمجرور معطوف أيضاً، أي: وآتى المال في فكها من الأسر، أو إعتاقها ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ عطف على آتى المال ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ عطف على «من آمن» ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف لبعده، أي: هم المؤمنون ﴿يَعْتَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بالمؤمنون لأنه جمع موفى، وهو اسم فاعل من أوفى ﴿إِذَا﴾ ظرف متعلق بالمؤمنون ﴿عَلَهُدُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ كان سياق الكلام أن يكون منسوقاً على ما تقدم، ولكنه قطعه عن العطف ونصبه على المدح بفعل محذوف تقديره: أمدح، إشعاراً بفضل الصبر، وتنوياً بذلك الفضل ﴿فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بالصابرين، وهما مصدران جاءا على وزن فعلاء، وليس لهما أفعُل، أو هما اسمان للمصدر بمعنى البؤس والضُرُّ، يقعان على المذكور والمؤنث، ومثلهما أشأم من قول زهير بن أبي سلمى يصف الحرب:

فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَنْطِمِ

يعني: فتنتج لكم غلمان شؤم ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ ظرف زمان متعلق

بالصابرين، والبأس مضاف إليه، وهو شدة القتال في سبيل الله ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول خبر ﴿صَدَقُوا﴾ الجملة من الفعل والفاعل لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، وأولئك مبتدأ ﴿هُمْ﴾ ضمير فصل أو عماد لا محل له، أو مبتدأ ثان ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ خبر أولئك، أو هم، والجملة الاسمية خبر أولئك.

□ البلاغة:

في هذه الآية فنون شتى من البلاغة منها:

- (١) فن الإيجاز بحذف المضاف في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِ مَنْ ءَامَنَ﴾ أو فن المبالغة إذا جعلناه نفس البر.
- (٢) المجاز المرسل في قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ والعلاقة الجزئية بذكر الجزء وإرادة الكل.

(٣) قطع التابع عن المتبوع، وضابطه أنه إذا ذكرت صفات للمدح أو الذم خولف في الإعراب تفتناً في الكلام، واجتلاباً للانتباه، بأن ما وصف به الموصوف، أو ما أسند إليه من صفات، جدير بأن يستوجب الاهتمام؛ لأن تغيير المؤلف المعتاد يدلُّ على زيادة ترغيب في استماع المذكور، ومزيد اهتمام بشأنه. والآية مثال لقطع التابع عن المتبوع في حال المدح، وأما مثاله في حال الذم فهو قوله تعالى في سورة تبت: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فقد نصب حمالة على الذم، وهي في الحقيقة وصف لامرأته وسيأتي.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ يُلْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي

الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوْلِي الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

☆ الفقة:

﴿كُتِبَ﴾ : فرض ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وعلى الغنایات جزؤ الدُّیولِ

○ الإعراب:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿كُتِبَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول
 ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بكتب ﴿الْقِصَاصُ﴾ نائب فاعل ﴿فِي
 الْقَتْلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، ولك أن تعلقهما
 بالقصاص . وجملة النداء وما تلاه مستأنفة مسوقة لبيان حكم القصاص في
 عرف الشرع ﴿الْحَرْ﴾ مبتدأ ﴿بِالْحَرْ﴾ متعلقان بمحذوف خبر ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾
 عطف على ما تقدم ، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها مفسرة ﴿وَالْأُنثَى
 بِالْأُنثَى﴾ عطف أيضاً ﴿فَمَنْ﴾ الفاء الفصيحة ؛ لأنها أفصحت عن بعض
 التفاصيل التي تخطر على البال ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ
 ﴿عُفِيَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ﴿لَهُ﴾ الجار
 والمجرور متعلقان بعفي ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف
 حال ، أي : حالة كونه من دم أخيه ﴿شَيْءٌ﴾ نائب فاعل عفي ﴿فَأَتْبَاعُ﴾ الفاء
 رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، واتباع مبتدأ خبره محذوف مقدم
 عليه ، أي : فعليه اتباع . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل
 الشرط وجوابه خبر من ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باتباع
 ﴿وَأَدَاءُ﴾ عطف على اتباع ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلقان بأداء ﴿بِإِحْسَنِ﴾ متعلقان
 بمحذوف حال ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿تَخْفِيفُ﴾ خبر ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾
 الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ، والجملة مستأنفة ﴿وَرَحْمَةً﴾
 عطف على تخفيف ﴿فَمَنْ﴾ الفاء الفصيحة ، ومن شرطية مبتدأ ﴿أَعْتَدَى﴾
 فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الظرف متعلق باعتدى

﴿ فَلَهُمْ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ عَذَابٌ ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ أَلَيْسَ ﴾ صفة لعذاب، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من ﴿ وَلَكُمْ ﴾ الواو استئنافية، وما بعدها جملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في مشروعية القصاص، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ فِي الْقَصَاصِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بحال ﴿ حَيَّوْهُ ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ يَا ﴾ حرف نداء ﴿ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والألأب مضاف إليه ﴿ لَمَّا كُنْتُمْ ﴾ لعل واسمها ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع والواو فاعل، والجملة في محل رفع خبر، لعل، وجملة الرجاء حال.

□ البلاغة:

في آية القصاص سمو بياني منقطع النظير لأنها تنطوي على فنون عديدة ندرجها فيما يلي :

(١) الإيجاز: فقد كان العرب يتباهون بقولهم: القتل أنفى للقتل. فجاءت آية القرآن وهي ﴿ فِي الْقَصَاصِ حَيَّوْهُ ﴾ أكثر إيجازاً، وأرشق تعبيراً؛ لأنها أربع كلمات وهي: «في، ال، قصاص، حياة» وقول العرب ست وهي: ال، قتل، أنفى، وضميره لأنه اسم مشتق، اللام، قتل. ولأن حروفها الملفوظة الثابتة وقفاً ووصلاً أحد عشر حرفاً وحروف قول العرب أربعة عشر حرفاً.

(٢) المجاز المرسل في قوله: ﴿ فِي الْقَصَاصِ حَيَّوْهُ ﴾ فقد جعل ما هو تفويت للحياة وذهاب بها طرفاً لها، إذ القصاص مزجرة قوية عن إقدام الناس على القتل، فارتفع بسببه القتل عن الناس، وارتفع سبب الموت ديمومة للحياة السابقة.

(٣) تعريف القصاص، وتنكير الحياة، أي: أنه كان لكم في هذا الجنس

من القصاص حياة عظيمة لا تدركون كنهها؛ لأن القاتل يرتدع عن القتل فتصان بذلك حياة الأبرياء، ويزدجر البغاة، ومن ركزت في نفوسهم طبيعة الإجرام.

(٤) تعجيل الترغيب والتشويق بذكر الحياة، وبها يتنسم السامع رائحة الحياة وطيبها وحلاوتها؛ لأنها أتت نتيجة حتمية للقصاص بعكس كلمة العرب التي تبتدىء بذكر الموت، وقد رmq أبو الطيب سماء هذا المعنى ببيتة الخالد:

إلْفُ هذا الهواءِ أَوْقَعَ في الأُذُنِ فُسٍ أَنَّ الحِمَامَ مُرُّ المذاقِ

(٥) - الطباق بين الحياة والموت للمفارقة بين الضدين ولا يظهر حسن الضد إلا الضد على حد قول صاحب اليتيمة متغزلاً:

فالوجهُ مثل الصُّبحِ مبيضٌ والفرعُ مثل الليلِ مسودٌ
ضدَّانِ لما استجمعا حسناً والضدُّ يُظهرُ حُسْنَ الضدِّ

وقد جاء القصاص في الآية، وهو في الأصل تعبير عن الموت محلاً لضده وهو الحياة.

(٦) التنكير في الحياة يدل على أن في هذا الجنس البشري نوعاً من الحياة يتميز عن غيره، ولا يستطيع الوصف أن يبلغه؛ لأنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد، فتهيج الفتنة، وتستشري بينهم، ففي شرع القصاص سلامة ومنجاة من هذا كله.

٧ - التعميم الذي يتجاوز التخصيص، فليس القتل وحده سبب القصاص، ولكن يتنظم فيه جميع الجروح والشجاج؛ لأن الجراح إذا علم أنه إذا جرح جرح صار ذلك سبباً لبقاء الجراح والمجروح، وربما أفضت الجراحة إلى الموت، فيقتص من الجراح.

(٨) ليس في قول العرب كلمة يجتمع فيها حرفان متحركان إلا في موضع واحد، بل كلها أسباب خفيفة أكثرها متوالية، وذلك ينقص من سلامة الكلمة وجريانها على اللسان، بخلاف آية القرآن.

(٩) المقصود الأصلي الذي هو الحياة مصرّح به في الآية، ومدلول عليه بالالتزام في كلمة العرب.

(١٠) الاطراد في الآية دون قولهم، إذ يوجد قتل لا ينفي القتل، بل يكون أدعى له، كالقتل ظلماً. وإنما يطرد إذا كان على وجه القصاص، وهو مشتق من اطراد الماء، وهو: جريه من غير توقف.

(١١) خلوّ الآية مما يكره من لفظ القتل، وما يجسده من سيل الدماء وتمزّق الأشلاء.

(١٢) خلوّ الآية من التكرار مع التقارب، واتحاد المعنى والتثامه.

(١٣) خلوّ الآية من تكرار قلقلة القاف.

(١٤) شمول الآية لحكم الجرح في الأطراف.

(١٥) المبالغة في القصاص ظرف للحياة، ففيه جعل نقيض الشيء منبعاً له، فكانه يحيط به تفادياً لفواته.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِنَّمَا عَلَى
الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾

☆ اللغة:

(الجنف): - بفتحتين - مصدر جنف، كفرح، أي: مال عن الحق، وانحرف به.

○ الإعراب:

﴿ كُتِبَ ﴾: فعل ماض مبني للمجهول ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ الجار والمجرور

متعلقان بكتب، والجملة مستأنفة لا محل لها ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف أي فليوص ﴿حَضَرَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح ﴿أَحَدَكُمْ﴾ مفعول به مقدم ﴿أَلَمَوْتُ﴾ فاعل مؤخر، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم يجزم فعلين ﴿تَرَكْ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ﴿خَيْرًا﴾ مفعول به أي مالاً، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب إذا المحذوف أي فليوص ﴿أَلَوْصِيَّةٌ﴾ نائب فاعل لكتب، وجاز تذكير الفعل لأن الوصية مؤنث مجازي ولوجود الفاصل بينهما ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلقان بالوصية ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ عطف على قوله للوالدين ﴿يَا الْمَعْرُوفُ﴾ أي بالعدل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي عادلاً غير جائر فلا يوصي للغني ويدع الفقير ﴿حَقًّا﴾ مصدر مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة قبله، وهي كتب عليكم الوصية. وقيل: هو مصدر مبين للنوع بدليل قوله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بحقاً، والمصدر المؤكد لا يعمل ولا يزيد على ما قبله معنى ﴿فَمَنْ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لذكر حكم يتعلق بالأوصياء والشهود، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ﴿بَدَلَهُ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ بعد ظرف زمان، وما مصدرية منسبكة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف إليه، أي: بعد سماعه إياه وتحققه منه، والضمير يعود على الحكم ﴿فَإِنَّمَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإنما كافة ومكفوفة ﴿إِثْمُهُ﴾ مبتدأ ﴿عَلَى الَّذِينَ يَدَّبُلُونَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة يدبُلونه لا محل لها لأنها صلة الموصول، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿سَمِعَ عَلِيمٌ﴾ خبران لأن، والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المبدل ﴿فَمَنْ﴾ الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المنحرف عن الحق، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ﴿خَافَ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو يعود

على من ، ومعنى الخوف هنا التوقع ، كقولك : أخاف أن ترسل السماء مطرها ، تريد : التوقع والظن الذي يقوم مقام العلم ﴿ مِنْ مُّوْصٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقوله : جنفاً ؛ لأنه مصدر ﴿ جَنْفًا ﴾ مفعول به ﴿ أَوْ ﴾ حرف عطف ﴿ إِمَّا ﴾ عطف على قوله جنفاً ﴿ فَأَصْلَحَ ﴾ الفاء حرف عطف ، وأصلح فعل ماض معطوف على خاف ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ ظرف مكان متعلق بأصلح ، أي : بين الموصي والموصى إليهم ﴿ فَلَا ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا نافية للجنس ﴿ إِثْمَ ﴾ اسم لا المبنى على الفتح ﴿ عَلَيْهِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ، والجملة المرتبطة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إن واسمها وخبرها ، والجملة تعليل لرفع الإثم لا محل لها .

□ البلاغة:

(١) إقامة الظاهر مقام المضمرة لزيادة الاهتمام بشأنه ، ولو جرى على نسق الكلام السابق لقال : فإنما إثمه عليه وعلى من يبدله . وذلك للتشهير والمناداة بفضائح المبدلين .

(٢) المجاز المرسل في قوله : خاف . فقد جاءت بمعنى الظن والتوقع ، والعلاقة في هذا المجاز السببية ؛ لأنه تعبير عن السبب بالمسبب .

﴿ يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ مَلَكُمُ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى

وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

☆ اللغة:

﴿الصِّيَامُ﴾ في اللغة: الإمساك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح
والسير، وله مصدران: صَوَّمَ وصِيَّام، وصامت الريح: ركبت، وصامت
الشمس: كبدت، أي: كانت في كبد السماء، وصامت الدابة: أمسكت عن
الجري، قال النابغة الذبياني:

خيلٌ صِيَّامٌ وخيلٌ غيرُ صائِمةٍ

تحت العجاج وأخرى تعلقك اللجما

أي: ممسكة عن الجري، ثم خصَّصه الإسلامُ بالمعنى المعروف له.

﴿رَمَضَانَ﴾: في الأصل مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء، فأضيف
إليه؛ وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون،
والمناسبة بين معناه وعبادة الصائم واضحة، والعرب يضيفون لفظ شهر إلى
كل من أسماء الشهر المبتدئة براء كربيع ورمضان، ولم يستثن من ذلك سوى
رجب فلا يضيفون إليه لفظ شهر، وقد نظم بعضهم ذلك فقال:

ولا تضيف شهراً إلى اسم شهر إلا لما أوله الـرَّاء فادر

واستثن منه رجباً فيمتنع لأنه فيما روه قد سمع

والمسألة على كل حال خلافية، فعليك بالأحوط.

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿كُنِبَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح
وهو مبني للمجهول، أي: فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان

بكتب ﴿الصِّيَامُ﴾ نائب فاعل كتب ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ تقدم إعرابها، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، أو حال كما اختاره سيبويه ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول، وجملة النداء وما تلاها مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية الصيام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ جملة الرجاء حالية، وجملة تتقون خبر لعل ﴿أَيَّامًا﴾ ظرف متعلق بالصيام في الظاهر ولكن فيه فصلاً بين المصدر وصلته، وقد منع النحاة ذلك، ولهذا نرجح نصبه بفعل محذوف يدل عليه ما قبله، والتقدير: صوموا أياماً ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ صفة للأيام وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، والتنوين يفيد القلة تسهيلاً على المكلفين ﴿فَمَنْ﴾ الفاء الفصيحة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿مَرِيضًا﴾ خبر كان ﴿أَوْ﴾ حرف عطف ﴿عَلَى سَفَرٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف معطوف على «مريضاً» والاستعلاء جميل هنا، أي: مستعلياً على السفر، ملياً به، فهو حال أيضاً ﴿فَعِدَّةٌ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وعدة مبتدأ خبره محذوف، أي: فعليه عدة، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فالحكم عدة، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿مِنْ أَيَّامٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لعدة ﴿أُخَرٌ﴾ صفة لأيام وعلامة جرّه الفتحة لأنه ممنوع من الصرف، وسيأتي حكمه في باب: الفوائد ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، أي: يتكلفونه بجهد ومشقة ﴿فِدْيَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ بدل مطابق من فدية، ومسكين مضاف إليه ﴿فَمَنْ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿تَطَوَّعَ﴾ فعل ماض، وهو فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره هو ﴿خَيْرًا﴾ منصوب بنزع الخافض، أي: بالزيادة على القدر

المذكور في الفدية، ولك أن تعربه صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق نابت عنه صفته، أي: تطوعاً خيراً ﴿فَهُوَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية، وهو مبتدأ ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل ورد على غير القياس، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ الواو استئنافية مسوقة لتقرير الأفضلية، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ ﴿خَيْرٌ﴾ خبره ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخير ﴿إِنْ﴾ شرطية ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها ﴿تَعْلَمُونَ﴾ الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف، وقد تقدمت نماذج له، والجملة الشرطية تفسيرية للخبرية كأنه قال: شرع لكم هذه الأحكام جميعها إثارةً لخيركم، فإن شئتم الخير فافعلوها ولا تخلوها بها ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، ورمضان مضاف إليه ﴿الَّذِي﴾ صفة لشهر ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول، والقرآن نائب فاعل ﴿هُدًى﴾ حال، أي: هادياً ﴿لِلنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بهدى، أو صفة لهدى ﴿وَيَبَيِّنَتِ﴾ عطف على هدى فهو حال أيضاً ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ صفة لبيانات ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ عطف على الهدى، أي: الفارق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ﴾ الجازم مبتدأ ﴿شَهِدَ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿أَشْهَرَ﴾ منصوب على الظرفية، ولا يكون مفعولاً به لأنه المقيم والمسافر كلاهما شاهد للشهر ﴿فَلْيَصُحُّهُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأن الجملة طلبية، واللام لام الأمر، ويصم فعل مضارع مجزوم باللام، والهاء ضمير الظرف، ولا ينصب على الظرفية، ولا يجوز أن يكون مفعولاً به فهو منصوب بنزع الخافض، أي: فليصم فيه، والجملة الطلبية في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَمَنْ﴾ الواو عاطفة، من اسم شرط جازم في

محل رفع مبتدأ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ﴿مَرِيضًا﴾ خبر كان ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ عطف على «مريضاً» وقد تقدم القول به، فجدد به عهداً ﴿فَعِدَّةٌ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وعدة مبتدأ خبره محذوف، أي: فعلية عدة، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿مِنْ أَتِكَائِهِ﴾ متعلقان بمحذوف صفة لعدة ﴿أُخْرٍ﴾ صفة لأيام مجرور بالفتح لأنه ممنوع من الصرف، وسيأتي حكمه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ فعل مضارع وفاعله، والجملة لا محل لها لأنها تعليل كما سيأتي في باب البلاغة ﴿بِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيريد ﴿أَلَيْسَرَ﴾ مفعول به ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ أَلْسَرَ﴾ الجملة عطف على سابقتها ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ الواو عاطفة، واللام لام التعليل، تكلموا فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعدها، واللام ومجرورها متعلقان بفعل محذوف، أي: شرع ﴿أَلْعِدَّةُ﴾ مفعول به ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ عطف على قوله لتكملوا ﴿اللَّهُ﴾ نصب لفظ الجلالة على نزع الخافض، أي: الله، ولك أن تعربه مفعولاً به على تضمين تكبروا معنى تحمدوا، والدليل عليه قوله ﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ فالتعدي بالاستعلاء لا يكون إلا للحمد، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بعلى، والجار والمجرور متعلقان بتكبروا أي على هدايته إياكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ عطف على ما تقدم، ولعل واسمها ﴿تَشْكُرُونَ﴾ الجملة خبر لعل.

□ البلاغة:

اللف والنشر، في قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ أَلْسَرَ﴾ إلخ . . وهو يبدو هنا كأخذة السحر لا يملك معه البليغ أن يأخذ أو يدع، وقل من ينتبه له، فقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا أَلْعِدَّةُ﴾ علة للأمر بمراعاة العدة، وقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا اللَّهَ﴾ علة للأمر بالقضاء، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علة للترخيص والتيسير، وقد تقدم القول فيه، ونزيده بسطاً فنقول: إنه ضربان: أولهما: أن يكون النشر على ترتيب اللف، وثانيهما: أن يكون

على غير ترتيب اللف، ويعتمد فيه على ذكاء السامع وذوقه، وسيأتي منه ما يخلب العقول.

* الفوائد:

﴿أُخْرٌ﴾ تكون على نوعين:

* جمع أخرى تأنيث آخر، وهي اسم تفضيل لا ينصرف لعلتين هما الوصفية والعدل، ومعنى العدل أنه عدل عن الألف واللام، وذلك أنها اسم تفضيل، ولا سم التفضيل ثلاث حالات:

أ- مقترن بأل.

ب- مقترن بمن الجارة.

ج- مضاف.

ولما كانت أخر لم تقترن بشيء، وليست مضافة قدر عدلها عن الألف واللام.

* جمع أخرى بمعنى آخرة، وهي منصرفة لفقدان علة العدل.

مناقشة لا بد منها:

اختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ الخ اختلافاً شديداً لا يتسع المجال للإسهاب فيه، فنقتبس ما قالوه بطريق الإلماع، ثم ندلي بما عن لنا، والله الملمهم إلى السداد.

القول بالنسخ:

فمنهم من قال: إن الحكم فيها منسوخ بالآية بعدها ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ والرخصة فيها للمريض والمسافر، وهو ما اختاره الإمام الطبري في تفسيره الكبير؛ ونقله الزمخشري في «كشافه»، وأبو حيان في «البحر»، مع التصريح بأن هذا قول أكثر المفسرين، على أن الإمام الطبري

نقل كذلك قول من قالوا، لم ينسخ ذلك، وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الآية إلى قيام الساعة.

رأي ابن كثير:

واحترز ابن كثير فقال بعد تلخيص أقوال المفسرين قبله: فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه، وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه؛ لأنه ليست له حال يصير إليها، ويتمكن من القضاء.

الزمخشري مُتردّد:

وتردد الزمخشري بين القول بالنسخ وبين أن يكون تأويل الآية على تقدير: ومن يتكلفونه على جهد منهم وعسر، وهم الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية. وهو على هذا الوجه غير منسوخ.

ومشكلة زيادة لا:

على أن القائلين بعدم النسخ ذهبوا في تأويل الآية مذاهب شتى، فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف «لا» النافية، وهي مرادة، ونقلوا عن ابن عباس قوله: لا رخصة إلا للذي لا يطيق الصوم. وعن عطاء: هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد ولا بشيء من الجهد، وأما من استطاع بجهد فليصم ولا عذر له في تركه. وقال أبو حيان في البحر: وجوز بعضهم أن تكون «لا» محذوفة فيكون الفعل منفياً وتقديره: وعلى الذين لا يطيقونه حذف «لا» وهي مرادة.

أبو حيان يخطئ القائلين بالحذف:

واستطرد أبو حيان معقّباً فقال: وتقدير «لا» خطأ، لأنه مكان اليأس، وعلى ذلك درج الجلال.

الفقهاء لا يختلفون في جواز الفطر للشيخ والمريض:

ولا نعلم خلافاً بين الفقهاء في جواز الفطر والفدية للشيخ الهرم

والمريض الذي لا يرحى برؤه، لكنهم اختلفوا في الموضع والحامل قياساً على الشيخ الهرم، فالإمام الشافعي قال بالفدية قياساً على الشيخ الهرم، وأوجب عليهما القضاء مع الفدية، أما الإمام أبو حنيفة فأوجب على الحامل والمريض - إذا خافتا على الوليد - القضاء لا الفدية، وأبطل القياس على الشيخ الهرم؛ لأنه لا يجب عليه القضاء.

نستبعد حذف لا:

على أننا نستبعد أن تكون لا محذوفة هنا، وهي مرادة، فالآية من آيات التشريع والأحكام، والفعل فيها مثبت، وتأويلها على تقدير «لا» محذوفة ينقض الإثبات بالنفي، ولو كانت الفدية على من لا يطيقونه؛ لأخذ حرف النفي مكانه في نص الحكم الشرعي، ولم يدع لنا مجالاً للاختلاف على تأويله بين النقيضين من إثبات ونفي، أما الطاقة فهي في العربية أقصى الجهد ونهاية الاحتمال، واستعمال القرآن الطاقة اسماً وفعلاً يؤذن بأنها مما يستنفد الجهد وطاقة الاحتمال، كما تشهد بذلك آياتها الثلاث، وكلها من سورة البقرة:

* ﴿فَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

* ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

فندرك أن الأمر في احتمال الصوم إذا جاوز الطاقة، وخرج إلى ما لا يطاق سقط التكليف؛ لأنه لا تكليف شرعاً بما لا يطاق، والله سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

(٣) قد يُشرب العرب لفظاً معنى لفظ، فيعطى حكمه ويسمى ذلك تضميناً، كما ضمن ﴿وَلَشُكِّرُوا﴾ معنى «تحمداً» ومنه قول الفرزدق:

كيف تراني قالِباً مِجَنِّي؟ قد قَتَلَ اللهُ زِيَاداً عَنِّي

فضمن «قتل» معنى «صرف» «الصرف»، وذلك كثير في كلامهم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) أَهْلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧)

☆ اللفظة:

﴿الرَّفَثُ﴾ بفتحين: كلام يقع وقت الجماع بين الرجال والنساء، يستقبل ذكره في وقت آخر، وأطلق على الجماع للزومه له غالباً، وفي «المصباح»: رفث في منطقه رفثاً من باب طلب، ويرفث بالكسر لغة. والرفث: النكاح لقوله تعالى: ﴿أَهْلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾. وفي «الأساس» و«اللسان»: وقيل: الرفث بالفرج الجماع، وباللسان المواعدة للجماع، وبالعين الغمز للجماع. والأصل في تعدية الرفث بالباء، وإنما جاءت تعديته في الآية بالي لتضمنه معنى الإفضاء.

﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تخونون أنفسكم وتنقصونها حظها من الخير، واشتقاق الاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب، وفيه زيادة وشدة.

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا﴾ الواو استئنافية، والجملة استئنافية مسوقة لبيان أنه سبحانه

يجيب كل من دعاه ﴿سَأَلَكَ﴾ فعل ماضٍ، والكاف مفعوله ﴿عَبَادِي﴾ فاعل، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿عَنِّي﴾ الجار والمجرور متعلقان بسألك ﴿فَإِنِّي﴾ الفاء رابطة لجواب: إن واسمها ﴿قَرِيبٌ﴾ خبرها، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿أُجِيبُ﴾ فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة الفعلية خبر ثان ﴿دَعَوَةٌ﴾ مفعول به ﴿الدَّاعِ﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة، وقد جرت عادة القراء على إسقاط الياء من الداع ودعاني؛ لأنها لم تثبت لها صورة عندهم في المصحف، فمن القراء من أسقطها تبعاً للرسم وفقاً ووصلاً، ومنهم من أثبتها في الحين، ومنهم من أثبتها وصلاً وحذفها وفقاً ﴿إِذَا﴾ الظرف متعلق بأجيب ﴿دَعَانِ﴾ الجملة في محل جر بالإضافة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ الفاء الفصيحة، واللام لام الأمر، ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، أي: فليطلبوا إجابتي لأن السين والتاء في استفعل للطلب، والمعنى: فليستجيبوا إلي بالطاعة، يقال منه: استجبت له واستجبته بمعنى أجبته، قال:

وداعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ

﴿لِي﴾ الجار والمجرور متعلقان بـيستجيبوا ﴿وَلِيُؤْمِنُوا﴾ عطف على قوله: فليستجيبوا لي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لعل واسمها، وجملة الرجاء حالية ﴿أُحِلَّ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأحل ﴿لَيْلَةَ الصَّيَا﴾ الظرف ظاهر الكلام أنه متعلق بأحل، وقد أعربه الكثيرون كذلك، وفيه أن الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت، فالأولى تقديره بمحذوف مدلول عليه بلفظ الرفث، أي: أن ترفثوا، ولم نعلقه بالرفث؛ لأن فيه تقديم معمول الصلة المفهومة من ال على الموصول ﴿الرَّفَثُ﴾ نائب فاعل لأحل ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بالرفث؛ وجملة أحل وما تلاها مستأنفة مسوقة لإزالة اللبس. وإيضاح ذلك

أنه كان في مستهل الأمر إذا أفطر الرجل حلّ له الطعام والشراب والجماع، إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها، فإذا صلاها أو رقد حرم عليه ذلك إلى الليلة القابلة. ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، وأخبره بما فعل، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما كنت جديراً بذلك يا عمر». فنزلت هذه الآية ﴿هُنَّ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ﴿لِبَاسٌ﴾ خبر ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لباس، والجملة مفسرة لا محل لها لبيان سبب الإحلال ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ عطف على سابقتها ﴿عَلِمَ اللَّهُ﴾ الجملة تعليل لسبب نزول الآية ﴿أَنْتُمْ﴾ أن واسمها ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص، والتاء اسمها ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ الجملة الفعلية خبر كنتم. وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ عطف على جملة علم الله ﴿فَأَلْفَنَ﴾ عطف على محذوف مقدر، أي: فبتتم فتاب عليكم، والآن ظرف زمان متعلق بياشروهن ﴿بَشَرُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعل ومفعول به ﴿وَأَتَّبَعُوا﴾ عطف على باشروهن ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا﴾ الواو استئنافية مسوقة لتعميم الحكم، نزلت في صرمة بن قيس، وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله فقال: هل عندك من طعام؟ فقالت: لا، وأخذت تصنع له طعاماً، فأخذه النوم من التعب، فكره أن يأكل خوفاً من الله، فأصبح صائماً مجهوداً في عمله مكدوداً، فلم يكد ينتصف النهار حتى غشي عليه، فلما أفاق أتى إلى النبي ﷺ وأخبره بما وقع، فنزلت الآية ﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجر ﴿يَتَّبِعِينَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والمصدر المنسبك من أن، والفعل متعلقان بكلوا ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيتبين ﴿الْخَيْطُ﴾ فاعل ﴿الْأَبْيَضُ﴾ صفة، وهو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود ﴿مِنَ الْخَيْطِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيتبين،

وجاز تعليق الحرفين بفعل واحد وإن اتحد لفظاهما لاختلاف معنييهما ﴿الْأَسْوَدُ﴾ صفة ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حال كون الأبيض هو الفجر. روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال: لما نزلت عمدت إلى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، وجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوتُ إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار». وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب البلاغة.

﴿ثُمَّ أَتَمُوا﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿الصَّيَامَ﴾ مفعول به ﴿إِلَى الْآيِلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأتَمُوا ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتباشروهن فعل مضارع مجزوم بلا ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو للحال، وأنتم مبتدأ ﴿عَلَّكُمُونَّ﴾ خبر ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ جار ومجرور متعلقان بعاكفون، والجملة الاسمية حالية ﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ خبر ومضاف إليه، وجملة تلك استئنافية ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتقربوها فعل مضارع مجزوم بلا، أي: إذا شئتم السلامة بأنفسكم فانتهاوا ولا تقربوها، فقد كان بعضهم يخرج وهو معتكف ويجامع امرأته ويعود، والجملة استئنافية ﴿كَذَلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ﴿يُنِيرُ اللَّهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ﴿ءَايَاتِهِ﴾ مفعول به، والجملة استئنافية ﴿لِلنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيبين ﴿لَهُمْ﴾ يَتَّقُونَ لعل واسمها، وجملة يتقون خبرها، وجملة الرجاء حالية.

□ البلاغة:

(١) الكناية في قوله: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ لأن اللباس ما يكون بجسم الإنسان، والرجل والمرأة إذ يشتمل كل واحد منهما على الآخر ويعتقان يشبهان اللباس المشتمل عليهما. قال النابغة الجعدي:

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا تَشَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِيَاسَا

نماذج من الكناية:

وقد تقدم ذكر الكناية، ونزيد هنا الموضوع بسطاً فنقول: إن الغرض من الكناية تنزيه اللسان عما لا يليق ذكره، والكناية عنه بأرشد لفظ، ولكل كناية غرض، والأغراض لا عداد لها، ولهذا كان غور الكناية لا يسبر، فمن أمتعها قول الشريف الرضي:

برد السَّوار لها فأحـ سميت القلائد بالعناق

أي: أنه لما برد سوارها، آخر الليل، علمت أن نسمة الفجر طلعت، فأحمت قلائدها بالعناق كي تصير القلائد مكذبة لما أشار إليه السوار من طلوع الفجر المؤذن بالفراق، فعدل عن التصريح بذلك إلى برد السوار لينقل الذهن إلى هبوب نسمة الفجر المؤذنة بالفراق والداعية له، وقد اشتهرت الكناية في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تصوّناً منه وترفعاً، فمما جاء من هذا الديباج قوله: «إن امرأة كانت فيمن كان قبلنا، وكان لها ابن عمّ يحبها فراودها عن نفسها، فامتنعت عليه، حتى إذا أصابها شدة فجاءت إليه تسأله فراودها، فمكنته من نفسها، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له: لا يحلّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فقام عنها وتركها» وهذه كناية واقعة موقعها. ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: «رويدك سوقك بالقوارير» يريد بذلك النساء فكّتي عنهن بالقوارير، وذلك أنه كان في بعض أسفاره، وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له: «يا أنجشة! رويدك سوقك بالقوارير».

ومن الكناية أيضاً في هذه الآية قوله: ﴿فَأَلْكَنَ بِشْرُوهُنَّ﴾ والمباشرة في قول الجمهور الجماع، وقيل الجماع فما دونه. وهو مشتق من تلاصق البشريتين، فدخل فيه المعانقة والملازمة.

(٢) التشبيه البليغ، فقد شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق بالخيوط الأبيض الممدود، وما يمتد من غبش الليل بالخيوط الأسود الممدود، وهو تشبيه مألوف كثيراً. ولو لم يذكر من الفجر لكان استعارة

تصريحية، ولكن ذكر المشبه أعاده إلى التشبيه البليغ المحذوف الأداة.
(٣) الطباق لأنه طابق بين الأبيض والأسود، أما ذكر بقية الألوان فيسمى تدبيجاً كقول أبي تمام:

تردّي ثياب الموت حُمرًا فما دجا
لها الليل إلا وهي من سندسٍ خضر

* الفوائد:

«حتى» في الكلام على ثلاثة أنواع:

(١) تكون لانتهاى الغاية، فتجر الأسماء على معنى، كقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ
هِيَ حَتَّى مَطَلْعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] وتنصب الأفعال بأن مضمرة بعدها كآية.
(٢) وتكون عاطفة.

(٣) وتكون حرف ابتداء يبتدأ بها الكلام كقول المتنبي:

هو الجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا

وحتى يكون اليوم لليوم سيّدا

فرفع الفعلين بعدها لأنها ابتدائية. وسيأتي مزيد من أبحاث (حتى) التي
لا تنتهي، فقد كان الفراء يقول عند احتضاره: أموت وفي قلبي شيء من
حتى.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا
فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾ تلقوا بها، وأدلى الدلو: أرسلها في البئر، وسقى أرضه
بالدّالية وبالذّوالي، وهي: النواعير، ودلّى شيئاً في مهواة، وتدلى هو

بنفسه، ودلّى برجليه من السرير، ودلاه بحبل من سطح أو جبل. قال الفرزدق:

هما دلتّاني من ثمانين قامّة

كما انقضّ بازٌ أفتّم الرّيش كاسره

والدوالي: عنب أسود غير حالك، ولا أدري علام استند صاحب «المنجد» في زعمه: إنها مولدة. هذا وقد تفصّيتُ كلّ ما فاؤه دال وعينه لام فإذا به يفيد معنى التدلّي والانملاس، ومنه الدليج وهو السّرى بالليل، ولا يخفى ما فيه من الانملاس، ودلف الشيخ: مشى فوق الدّبيب كأنه يتدلى من مكان عالٍ. وهذا من العجب بمكان.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم آخر يتعلق بالأموال وطرق اكتسابها، ولا ناهية، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ مفعول به ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال من أموالكم، أي: لا تأكلوها كائنة بينكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتأكلوا، أي: لا تتناولوها بسبب باطل ﴿وَتُدُلُّوا﴾ الواو عاطفة، وتدلوا فعل مضارع معطوف على تأكلوا داخل في حيز النهي، ولك أن تجعلها للمعية، وتدلوا منصوب بأن مضمرة بعدها ﴿بِهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتدلوا ﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: لاجئين متحاكمين ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ اللام للتعليل، وتأكلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعل، والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله ﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متشبهين بما يستوجب الإثم من شهادة الزور واليمين الكاذبة ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل

مبتدأ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعل، والجملة خبر، والجملة بعد واو الحال حالية.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

☆ اللفظة:

﴿مَوَاقِيتُ﴾: جمع ميقات، وأصله مِوَقَات، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وهي معالم يوقّت الناس بها شؤون معاشهم.

○ الإعراب:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعل، ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في اختلاف الأهلة، بعد أن ألحقوا في السؤال عن ذلك. روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريّ قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، لا يكون على حال واحدة؟ فجاءت الآية بالحكم الشامل الحاسم. والحكمة المتوخاة من تطور الهلال لتوقيت المعاش واتباعها على نمط واحد باهر، والهلال مفرد وجمع، باختلاف زمانه، ويجمع قياساً على أهلة، وهو مقيس في فعال المضعّف، نحو: عنان وأعنة، وزمام وأزمة، وسان وأسنة. ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيسألونك ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، والجملة استئنافية ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب مقول القول ﴿لِلنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمواقيت ﴿وَالْحَجِّ﴾ عطف على الناس ﴿وَلَيْسَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للاستطراد، وسيأتي ذكره، أو كأنه تعكيس في سؤالهم، وإن مثلهم فيه

كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره، وليس فعل ماض ناقص ﴿الْبِرُّ﴾ اسم ليس ﴿بِأَنَّ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾ الباء حرف جر زائد في خبر ليس، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ليس، والبيوت مفعول به ﴿مِنْ ظُهُورِهِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتأتوا ﴿وَلَكِنَّ﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف للاستدراك مشبه بالفعل ﴿الْبِرَّ﴾ اسمها المنصوب، ولا بد من تقدير محذوف ليتسق الكلام، كأنه قيل: إن ما تفعلونه من استقصاء في السؤال ليس براً، ولكن البر ﴿مَنْ﴾ اسم موصول خبر لكن، ولا بُدَّ من حذف مضاف، أي: بَرَّ مَنْ ﴿أَتَقَى﴾ الجملة صلة الموصول لا محل لها ﴿وَأَتُوا﴾ الواو عاطفة، وعطف الإنشاء على الخبر جائر، فقد تقدمت جملتان خبريتان وهما: ليس البر، ولكن البر من اتقى، وعطف عليها جملتان إنشائيتان وهما: وأتوا البيوت، واتقوا الله ﴿الْبُيُوتَ﴾ مفعول به ﴿مِنْ أَبْوَابِهِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بأتوا ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ الجملة عطف على الجملة الأمرية ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ لعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها، وجملة الرجاء حالية.

□ البلاغة:

الاستطراد وهو فن دقيق متشعب، يجنح إليه المتكلم في غرض من أغراض القول يخيل إليك أنه مستمر فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما، ثم يرجع إلى الأول، فقد ذكر عن الأهله واختلافها أنها مواقبت للحج، وأن مثلهم في السؤال كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره، فقد كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً - أي بستاناً - ولا داراً ولا فسطاطاً من باب، فإذا كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته، منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلماً فيه يصعد، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فقليل لهم ذلك. ومن جميل هذا الفن قول عبدالمطلب:

لنا نفوسٌ لنيل المجد عاشقة فإن تسَلَّتْ أسلناها على الأسل
لا ينزل المجدُ إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

* الفوائد :

اختلف علماء البلاغة في السؤال : أهو سؤال عن السبب أم عن الحكمة؟ واختار الزمخشري والراغب والقاضي البيضاوي أنه سؤال عن الحكمة، كما يدل عليه الجواب إخراجاً للكلام على مقتضى الظاهر لأنه الأصل، واختار السكاكي أنه سؤال عن السبب ؛ لأن الحكمة ظاهرة لا تستحق السؤال عنها، والجواب من الأسلوب الحكيم . وقد أطال كل فريق في الاحتجاج لما يدعيه، وانتهى بهم الأمر إلى التراشق بقوارص الكلام، مما لا يتسع له المقام، فلله در رجال التراث عندنا، ما أشدّ تقصّيههم وأكثر تنقيبههم!

﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ ﴾ ١٩٠ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْنَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٩١ فَإِنْ أَنَّهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ ١٩٢ ﴿

☆ اللفظة :

﴿ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ : وجدتموهم، وثقف الشيء : أخذه، أو ظفر به، أو أدركه، وثقفت العلم والصناعة في أوحى مدة إذا أسرع أخذه، وغلّام ثقّف لقف، وقد ثقّف ثقافة بفتح الثاء، والثاء والقاف تدلان على معنى الأخذ على وجه الغلبة إذا اجتمعتا في أول الكلمة، فالثقل معروف ينوء به صاحبه لأنه يغلبه وينوءه، وأثقله المرض : غلبه، والثقال بفتح الثاء : المرأة العظيمة الكفل، الثقيلة التصرف . قال الراعي :

ثَقَالَ إِذَا رَادَ النِّسَاءَ فَرِيدَةً صَنَاعَ فَقَدْ صَادَتْ لَدَى الْغَوَانِيَا

وثقب الشيء بالمثقب، وثقب اللآل الدرة، وثقبن البراقع لعيونهن .

قال المثقب العبدى :

أرين محاسناً وكنن أخرى وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ للْعِيُونِ

○ الإعراب:

﴿وَقَاتِلُوا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أحكام القتال، وهي أول آية نزلت في المقاتلة في المدينة لإعلاء كلمة الله. وقاتلوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقاتلوا ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ اسم الموصول مفعول به، وجملة يقاتلونكم صلة ﴿وَلَا تَقْسِدُوا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتعتدوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ لا نافية، ويجب فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر يعود على الله، والمعتدين مفعول به، وجملة لا يحب المعتدين خبر إن، وجملة إن وما تلاها تعليلية ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ عطف أيضاً، وكرر الأمر بقتلهم للتأكيد ﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم ﴿تَفْتَنُوهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والميم علامة جمع الذكور وقد أشبعت بالواو الزائدة، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ﴾ عطف على اقتلوهم ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ أدخل حرف الجر على حيث، ولا يجر إلا بها وبالباء، والجار والمجرور متعلقان بأخرجوهم ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الواو اعتراضية، والفتنة مبتدأ ﴿أَشَدُّ﴾ خبر ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأشد، والجملة اعتراضية لا محل لها جارية مجرى المثل كما سيأتي ﴿فَإِنَّ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية ﴿فَقَتَلُوكُمْ﴾ فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعل، والكاف مفعول به، والفعل في محل جزم فعل الشرط ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واقتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وجملة «فاقتلوهم» في محل جزم جواب الشرط ﴿كَذَلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة استئنافية ﴿فَإِنَّ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية ﴿أَنْتَهُوْا﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط

﴿فَإِنَّ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن حرف مشبه بالفعل ﴿الله﴾ اسم إن ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبر إن.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فن إرسال المثل، فهي جملة مسوقة مساق المثل، لأن الإخراج من الوطن هو الفتنة التي ما بعدها فتنة، وقيل لبعضهم: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يُمَتْنَى معه الموت، والإخراج من الوطن بمثابة إخراج الروح من الجسم. قال ابن الرومي:

فقد ألفتة النفس حتى كأنه لها جسدٌ إن بان غودِرَ هالكا

ولعل زعيم الشعراء المبدعين فيه أبو الطيب المتنبي.

ولو أردنا الاقتباس لضاق بنا المجال، وحسبك أن ترجع إلى ديوانه لتجد ما يستهويك.

﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٩٤)

○ الإعراب:

﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ الواو حرف عطف، وقاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به. أمرهم بالقتال تفادياً لطروء الفتنة، وهي الإخراج من الوطن ﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجر، والمراد به هنا التعليل ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَكُونَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وهي هنا تامة، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم، و﴿فِتْنَةٌ﴾ فاعل تكون ﴿وَيَكُونَ﴾ عطف على تكون وهي هنا ناقصة ﴿الَّذِينَ﴾ اسمها ﴿لِلَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، ولا يبعد أن تكون تامة أيضاً، فيكون الدين فاعلاً والجار والمجرور متعلقين بمحذوف

حال، أي: خالصاً لله ﴿فَإِنْ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية ﴿أَنْهَوْا﴾ فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط ﴿فَلَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية للجنس ﴿عُدُّوْنَ﴾ اسمها المبني على الفتح ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الشهر مبتدأ، والحرام صفة ﴿بِالشَّهْرِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، ولا بد من حذف مضاف، أي: هتك حرمة الشهر الحرام، وهو ذو القعدة من السنة السابعة للهجرة، وبهتك حرمة الشهر الحرام، وهو ذو القعدة من السنة السادسة فقد قاتلوكم عام الحديبية، فقليل لهم عند خروجهم لعمره القضاء في ذي القعدة من السنة السابعة وكراهيتهم القتال فيه: هذا الشهر مقابل بهذا الشهر وهتك بهتكه وجزاء كل شرٍّ شرٌّ مثله ﴿الْحَرَامُ﴾ صفة، والجملة استئنافية ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ الواو عاطفة، والحرمت مبتدأ، وقصاص خبر ﴿فَمَنْ﴾ الفاء الفصيحة، ومن شرطية مبتدأ ﴿أَعْتَدَى﴾ فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان باعتدى ﴿فَاعْتَدُوا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واعتدوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط، والجملة الواقعة بعد الفاء الفصيحة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿عَلَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقوله فاعتدوا ﴿بِمِثْلِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باعتدوا أو بمحذوف حال ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿أَعْتَدَى﴾ فعل ماضٍ، والمصدر المنسبك من ما، واعتدى مضاف إليه أي بمثل اعتدائه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان باعتدى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للتحذير من المبالغة في الانتقام، لأن النفس مفطورة على حب المبالغة في الانتقام، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ولفظ الجلالة مفعول به ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ عطف على اتقوا ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أن واسمها ﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والمتقين مضاف إليه، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي: اعلموا.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

☆ اللغة:

﴿التَّهْلُكَةُ﴾ : من نواذر المصادر، وليس فيما يجري على القياس، وفي القاموس : إنه مثلث اللام.

واقصر الجوهري في «صاحه» والرازي في «مختاره» على تثليث لام مهلك، وأما التهلكة فهي بضم اللام.

○ الإعراب:

﴿وَأَنْفِقُوا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للأمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالنفس، وأنفقوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتلقوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ الباء مزيدة، مثلها في أعطى بيده للمُنْقَاد، لأن ألقى فعل يتعدى بنفسه، وقيل: ضَمَّنْ تلقوا معنى فعل يتعدى بالباء، أي: لا تفضوا بأيديكم، وقيل: المفعول الثاني محذوف تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتلقوا ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ الواو عاطفة، وأحسنوا فعل أمر وفاعل ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وجملة يحب المحسنين خبر إن، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها.

□ البلاغة:

المجاز المرسل في الأيدي، والمراد بها الأنفس، لأن البطش والحركة يكون بها، فهي مجاز مرسل علاقته الجزئية، من إطلاق الجزء وإرادة الكل، أو السببية؛ لأن اليد سَبَبُ الحركة كما تقدم.

لمحة تاريخية:

اختلف المفسرون في معنى إلقاء الأيدي إلى التهلكة، وأقرب ما يقال فيها: إن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو، فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية، إنما أنزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ فنصرناه، وشهدنا معه المشاهد، وأثرناه على أهلينا وأموالنا وأولادنا، فلما وضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها، فكانت التهلكة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. وقال آخرون في تفسير هذه الآية: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة: بالإسراف، وتضييع وجه المعاش، أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه، فإن ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم. وعن أسلم أبي عمران قال: غزونا المدينة - يريد القسطنطينية - وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، قال: فصفنا صفين لم أر صفين قط أعرض ولا أطول منهما، والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة، قال: فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه، لا إله إلا الله، يلقي بيده إلى التهلكة. قال أبو أيوب الأنصاري: إنما تتأولون هذه الآية هكذا، إن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها، فأنزل الله الخبر من السماء، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى استشهد ودفن بالقسطنطينية، قلت: وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التي مات فيها أبو أيوب، وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة تسع وأربعين للهجرة، ومعه جماعة من سادات الصحابة. ثم غزاها يزيد سنة اثنين وخمسين، وهي التي مات فيها أبو أيوب، وقبره هناك إلى الآن، وقد شُيِّد عليه مسجد شهير. وإنما أطلنا في هذا الصدد لأنه يناسب حالتنا الراهنة، وحالة كل أمة تتخلف عن الجهاد، وتهمل تعبئة الإمكانات، وحشد الطاقات.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِهِ وَسَكَرَ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

☆ **اللفظة:**

﴿وَالْعُمْرَةَ﴾ في الحج معروفة، وقد اعتمر، وأصله من الزيارة. قال الزجاج: معنى العمرة في العمل: الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فقط، والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تكون للإنسان في السنة كلها، والحج وقت واحد في السنة، وأحكامها في علم الفقه، والجمع: عمر وعمرات.

﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ منعتم، يقال: أحصر فلان؛ إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز. قال ابن ميادة:

وما هجرٌ ليلي أن تكونَ تَبَاعَدْتُ

عليك ولا أن أحْصَرْتُكَ شُغُولُ

﴿اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر، يقال: يسر الأمر واستيسر.

﴿الْهَدْيِ﴾: يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاج أو المعتمر هدية لأهل الحرم. وفي المختار: قرىء «حتى يبلغ الهدى محله» مخففاً ومشدداً. والواحدة هَدْيَةٌ وَهْدِيَّةٌ، ويقال: ما أحسن هَدِيَّتِهِ، أي: سيرته، وكانوا يقسمون بها في أيمانهم. قال العلاء بن حذيفة الغنوي:

يقولون من هذا الغريب بأرضنا

أما والهدايا إنَّني لَغَرِيبٌ

﴿يَحْلُوْهُ﴾: اسم مكان من حل يحل، أي: صار ذبحه حلالاً. وكسرت الحاء لأن عين مضارعه مكسورة.

○ الإعراب:

﴿وَأَتَوْا﴾ الواو عاطفة، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ﴿أَلْعَجَ﴾ مفعول به ﴿وَالْمَبْرَةَ﴾ معطوف على الحج ﴿لِلَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: خالصاً لوجهه، ولك أن تعلقهما بأتَمُوا فتكون اللام هي لام المفعول لأجله، وقد اقتبس الشعراء هذا التعبير الجميل وصرفوه إلى مناحي التغزل، فقال ذو الرمة وأبدع:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف على خرقاء، وهي محبوبته من بني عامر، كبعض مناسك الحج التي لا ندحة عن إتمامها ﴿فَإِنْ﴾ الفاء الفصيحة، وإن شرطية ﴿أُخْصِرْتُمْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ﴿فَمَا﴾ الفاء رابطة، وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، أي: فعليكم ما استيسر، والجملة جزم جواب الشرط ﴿أَسْتَيْسَرَ﴾ فعل ماض، وفاعله مستتر، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: كائناً من الهدى ﴿وَلَا﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية ﴿تَحْلِفُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ﴿رُءُوسَكُمْ﴾ مفعول به ﴿حَتَّى يَبْلُغَ﴾ حتى حرف غاية وجر، والجار والمجرور متعلقان بتحلقوا، ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ﴿الْهَدْيِ﴾ فاعل ﴿يَحْلُوْهُ﴾ مفعول به ﴿فَنَ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر يعود على من ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿مَرِيضًا﴾ خبر كان ﴿أَوْ﴾ حرف عطف ﴿بِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿أَدَّى﴾ مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ﴿مِنْ رَأْسِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لأذى

﴿فَقَدِيَّةٌ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وفدية مبتدأ محذوف الخبر، أي: فعليه فدية، والجملة جواب الشرط ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفدية ﴿أَوْ﴾ حرف عطف ﴿صَدَقَةٍ﴾ عطف على صيام ﴿أَوْ﴾ حرف عطف ﴿سُكٍّ﴾ معطوف على صيام وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿فَإِذَا﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن ﴿أَمِنْتُمْ﴾ الجملة الفعلية في محل جر بالإضافة ﴿فَنَ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ الفاء جواب إذا، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وتمتع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وبالعمره متعلقان بتمتع، وإلى الحج متعلقان بمحذوف، أي: واستمر تمتعه وانتفاعه بالمحظورات إلى الحج ﴿فَمَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وما اسم موصول مبتدأ خبره محذوف، أي: فعليه ما ﴿أَسْتَيْسَرَ﴾ فعل ماض، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، وجملة: فما استيسر، في محل جزم جواب الشرط ﴿وَمِنْ أَلْهَدَيَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿فَنَ﴾ الفاء استئنافية، ومن شرطية مبتدأ ﴿لَمْ يَحْدَ﴾ لم حرف نفي وقلب وجزم، ويجد فعل مضارع مجزوم بلم، والفعل المجزوم هو فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر يعود على من، ومفعوله محذوف لظهور المعنى، والتقدير: فمن لم يجد ما استيسر من الهدى ﴿فَصِيَامٌ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وصيام مبتدأ محذوف الخبر، أي: فعليه صيام، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه ﴿فِي الْحَجِّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَسَبْعَةٍ﴾ عطف على ثلاثة ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة رجعتم في محل جر بالإضافة ﴿تِلْكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿عَشْرَةٌ﴾ خبر ﴿كَامِلَةٌ﴾ صفة ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿لَمَنْ﴾ اللام حرف جر، ومن اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ لم حرف نفي وقلب وجزم، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ﴿أَهْلُهُ﴾ اسمها، وجملة لم يكن لا محل لها لأنها صلة اسم الموصول ﴿حَاضِرِي﴾ خبر يكن ﴿الْمَسْجِدِ﴾ مضاف إليه ﴿الْحَرَامِ﴾ صفة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الواو استئنافية، واتقوا

فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل، ولفظ الجلالة مفعول به ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ عطف على اتقوا ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أن واسمها ﴿سَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ خبر أن، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا.

□ البلاغة:

في هذه الآية فنُّ بياني رفيع دقيق المأخذ، ويسميه علماء البلاغة التكرير، وحده هو أن يدل اللفظ على المعنى مردداً، وهو في الآية بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين، ثم قال: كاملة، وذلك تأكيد ثالث، والأمر إذا صدر من الأمر على المأمور بلفظ التكرير، ولم يكن موقتاً بوقت معين كان في ذلك إهابة إلى المبادرة لامثال الأمر والانصياع للحكم على الفور من غير ريث ولا إبطاء، ومن ثم وجب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فوراً، فتفطن لها فإنها من الأسرار. وسترد للتكرير أمثلة في القرآن الكريم توضحه تمام الإيضاح. وقد رمق الشعراء سماء القرآن فقال أبو تمام مادحاً:

نهوض بثقل العبء مضطلع به

وإن عظمت فيه الخطوب وجلت

والثقل هو العبء، وإنما كرر للمبالغة. وقال البحتري متغزلاً:

ويوم تثنت للوداع وسلّمت بعينين موصول بلحظهما السحر

توهمت ألى بأجفانها الكرى كرى النوم أو مالت بأعفافها الخمر

فقد أراد تشبيه طرفها لفتوره بالنائم، فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف إليه، وهو قوله «كرى النوم» تأكيداً له وزيادة في بيانه، أوليزيل كل وهم قد يساور السامع.

قال المبرّد وأحسن: ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقي بعد ذكر السبعة شيء آخر.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٧)

☆ اللفظة:

(الفسوق): يقال فسق عن أمر الله، أي: خرج، وفسقت الرطبة عن قشرها، والفأرة عن جحرها، ومن غريب الفاء والسين أن اجتماعهما فاءً وعيناً للكلمة يدل على استكراه في معنى الكلمة، وهذا أمر عجيب تميّزت به لغتنا على سائر اللغات. فمن ذلك فساد الثوب، أي: شقه، وأنت تكره أن يفسأ لك أحد ثوبك، و: فسىء بكسر السين: خرج صدره ودخل ظهره، وتلك صورة مستكرهة منبوّة، وفسخ العقد: نقضه، وما أحسب أحداً يرضى أن يفسخ له عقد، والفسل: المسترذل المستوخم، قال الفرزدق:

فلا تقبلوا منهم أباعرَ تُشترى بوكسٍ ولا سوداً تصحُّ فُسولها

○ الإعراب:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ ﴾ مبتدأ وخبر، ومعلومات صفة لأشهر، والأشهر المعلومات: شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر، وعند مالك: ذو الحجة كله في أحد أقواله، نزل بعض الشهر منزلة الشهر كله، تقول: رأيتك سنة كذا، وإنما وقعت الرؤية في ساعة من السنة لا كلها، والجملة مستأنفة لا محل لها ﴿فَمَنْ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها جاءت بمثابة إجابة بالتفصيل لمن استوضح عن المجمع، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿فَرَضَ﴾ فعل الشرط، وفاعله هو ﴿فِيهِنَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بفرض ﴿الْحَجِّ﴾ مفعول به، أي على: نفسه ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية للجنس، ورفث اسمها، وقد تقدم معنى الرفث ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ عطف على قوله فلا

رفث ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ عطف أيضاً، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَمَا﴾ الواو استئنافية، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتفعلوا ﴿تَفْعَلُوا﴾ فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿يَسَلِّمُهُ اللَّهُ﴾ جواب الشرط، والهاء مفعول به، والله فاعل ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ الواو استئنافية، وتزودوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿فَإِنْ﴾ الفاء تعليلية، وإن حرف مشبه بالفعل ﴿خَيْرَ الزَّادِ﴾ اسم إن، ومضاف إليه ﴿الْفَقْوَى﴾ خبرها، والجملة لا محل لها ﴿وَأَتَّقُونَ﴾ الواو عاطفة، واتقون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة والمدلول عليها بالكسرة مفعول به ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يا أداة نداء، وأولي الأبواب منادى مضاف وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والأبواب مضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة تزودوا.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية ضرب من النهي عجيب، وذلك أن المنهي عنه يتوقف مقياسه على حسب موقعه، بحيث يعتبر غير مستحق للنهي فيما لو وقع في غير ذلك الموقع، وتخصيص الحج بالنهي عن الرفث والفسوق والجدال فيه يشعر بأن هذه الأعمال في غير الحج، وإن كانت منهيًا عنها وقيحة، إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كالأقبح بالنسبة لوقوعها في الحج، فاجتنابها متحتم على كل حال، ولكن اجتنابها في الحج أمر فوق الاجتناب. وللنهي في لغتنا العربية فروع وشعاب لا يكاد يسبر لها غور، ومن ذلك أن تنهى عن أمر هو في الحقيقة ممدوح ومحمود، ولكنه يوبق صاحبه إذا بلغه، وقد فطن شاعر الخلود المتنبى إلى هذه الأسرار عندما نهى صاحبيه أن يبلغا سيف الدولة مديحه فيه فيزداد اندفاعاً ويرمي بنفسه في المخاطر الموبقة، قال وقد سما ما شاء:

فلا تَبْلُغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شَجَاعٌ مَتَى يَذْكُرُ لَهُ الطَّعْنَ يَشْتَقُ
فهو لم يقصد من التماسه من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما
سمعه من صفات أعماله، وطعان فرسانه، رفقا به وحذراً أن يدفعه الشوق
إلى التطويح بنفسه في المخاطر. ويشبهه إلى حد ما قول كثير صاحب عزة:
فلا تذكره الحاجية إنّه متى تذكره الحاجية يحزن

(٢) التشبيه البليغ، فقد شبه التقوى بالزاد بجامع التقوية وشدّ الأسر
والامتناع.

(٣) الإطناب في قوله: ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى لَيْسَ
خاصاً بأُولِي الْأَلْبَابِ وحدهم، ولا يتوجّه الكلام إليهم دون غيرهم بصدد
الحث عليها، لأن كل إنسان مأمور بالتقوى، ويسمى هذا ذكر الخاص بعد
العام للتنبيه على فضل الخاص على العام وأرجحيته، وإنما يتفاضل الناس
بالألباب التي هي العقول، وقد رُمق المتنبي سماء هذا المعنى فقال:
لولا العُقُولُ لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

٤ - استعمل القرآن الألباب مجموعة، فلم يأت بها مفردة؛ لأنها من
الألفاظ التي يسمح مفردها، ويعذوذب جمعها، وهذه خاصة كامنة في
لغتنا.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا
أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرْفَتِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٩﴾ ثُمَّ
أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

☆ اللغة:

﴿أَفْضَيْتُمْ﴾ : دفعتم أنفسكم، وسرتم للخروج منها، والإفاضة: دفع

بكثرة، من أفضت الماء: إذا صببته بكثرة، وفي «المصباح»: وأفاض الناس من عرفات: دفعوا منها، وكل دفعة: إفاضة. وأفاضوا من منى إلى مكة يوم النحر: رجعوا إليها، ومنه: طواف الإفاضة، أي: طواف الرجوع من منى إلى مكة.

﴿عَرَفْتِ﴾: علم للموقف، واستدل سيبويه على علميته بقوله: هذه عرفات مباركاً فيها. بنصب «مباركاً» على الحال، ولو كان نكرة لجرى عليه صفة، وبأنه لو كان نكرة لدخلت عليه الألف واللام، وهي لا تدخل. وسيأتي حكم إعرابه في الفوائد.

﴿الْمَشْعَرِ﴾: جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح، وسمي مشعراً من الشعار، وهو: العلامة.

○ الإعراب:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ليس فعل ماض ناقص، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم، وجناح اسم ليس المؤخر ﴿أَنْ﴾ حرف مصدري ونصب ﴿تَبْتَغُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: في أن تبتغوا، والجار والمجرور صفة لجناح ﴿فَضْلاً﴾ مفعول به ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتبتغوا، أو بمحذوف صفة لفضلاً ﴿فَإِذَا﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب ﴿أَفْضُتُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿مِنْ عَرَفَتِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأفضتكم ﴿فَاذْكُرُوا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واذكروا: فعل أمر وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿اللَّهِ﴾ مفعول به ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ﴾ الظرف متعلق باذكروا ﴿الْحَرَامِ﴾ صفة للمشعر، ولك أن تعلق الظرف بمحذوف حال، أي: كائنين عند المشعر الحرام ﴿وَأَذْكُرُوهُ﴾ الواو عاطفة، وكررها للتوكيد. واذكروه فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء

مفعول به ﴿كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ الكاف حرف جر وما مصدرية، وهي مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أو حال، أي: اذكروه ذكراً حسناً، أو اذكروه مثل هدايته إياكم، وجملة هداكم لا محل لها؛ لأنها واقعة بعد موصول حرفي ﴿وَإِنْ﴾ الواو حالية، وإن مخففة من الثقيلة، وقد تقدّم حكمها إذا خففت، وإن الأكثر إهمالها ﴿كُنْتُمْ﴾ كان الناقصة واسمها ﴿مَنْ قَبْلِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿لِمَنْ الضَّالِّينَ﴾ اللام هي الفارقة، ومن الضالين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب مع التراخي ﴿أَفِيضُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأفيضوا، وقد تقدم القول في حيث ﴿أَفْكَاصَ النَّكَاسِ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ الواو عاطفة، واستغفروا الله فعل وفاعل ومفعول به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إن واسمها وخبرها، والجملة تعليلية لا محل لها.

* الفوائد:

يعرب عرفات إعراب الجمع المؤنث السالم، ومثله جميع ما سُمّي به كأذرع، وهذا هو الفصيح فيها. وأجاز بعضهم أن تعرب إعراب مالا ينصرف، وقيل: يعرب إعراب الجمع المؤنث السالم غير أنه لا ينون. وقد روي قول امرئ القيس بالأوجه الثلاثة:

تنوّرتها من أذرع وأهلها يثرب أدنى دارها نظرٌ عالٍ

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُم مِّنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي

الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

☆ اللفظة:

(المناسك): جمع منسك، بفتح السين وكسرها، وهو مصدر ميمي أو اسم مكان، والأول أرجح، أي: عبادات حجكم.

○ الإعراب:

﴿فَإِذَا﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه ﴿فَضَيُّكُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿مَنَّا سِڪْكُكُمْ﴾ مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واذكروا الله: فعل أمر وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿كَذِكْرُكُمْ﴾ الكاف مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق، أي: اذكروا الله ذكراً مماثلاً لذكركم آباءكم، أو حال ﴿ءَابَاءُكُمْ﴾ مفعول به للمصدر المضاف لفاعله ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ هذا العطف مما يُشكِّلُ على المعرب، وفيه أقوال يضيع الطالب في متاهاتها. ولما كانت الأقوال التي أوردها النحاة والمفسرون متساوية الرجحان، رأينا تلخيصها على وجه مبسط قريب:

(١) «أشدّ» معطوفة على الكاف، أي: كذكركم، أو ذكر قوم أشد منهم ذكراً.

(٢) «أشدّ» معطوفة على آبائكم، فهي منصوبة بمعنى: أو أشد من ذكر آبائكم.

(٣) «أشدّ» معطوفة على نفس الذكر، ولا بد من حمل الكلام عندئذ على المجاز العقلي من باب قولهم: شعر شاعر، وجن جنونه، ونحوهما.

ويبقى على هذه الأوجه أمر أكثر إشكالاً، وهو أن اسم التفضيل يضاف إلى ما بعده إذا كان من جنس ما قبله، كقولك: ذكرك أشد ذكر ووجهك أحسن وجه، وإذا نصب ما بعده على التمييز كان ما بعده غير الذي قبله، كقولك: عليُّ أجمل وجهاً، فالجمال للوجه لا لعلي ولو قلت: زيد أكرم أباً لكان زيد من الأبناء، ولو قلت: زيد أكرم أب لكان زيد من الآباء.

(٤) وأخيراً وجه لجأ إليه أبو البقاء العكبري بعد أن أعيته الحيل فقال: وعندي أن الكلام محمول على المعنى، والتقدير: أو كونوا أشد ذكراً لله منكم لآبائكم. ودل على هذا المعنى قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: كونوا ذاكره.

وبعد أن أورد أبو حيان هذه الوجوه، وصفها كلها بالضعف، وقال: وقد ساغ لنا حمل الآية على معنى أنهم أمروا بأن يذكروا الله ذكراً يماثل ذكر آبائهم أو أشد، وذلك بتوضيح واضح ذهّلوا عنه، وهو أن يكون «أشد» منصوباً على الحال وهو نعت لقوله: «ذكراً» لو تأخر، فلما تقدم انتصب على الحال، كقولهم:

لَمِئَةً مَوْحِشاً طَلَّلَ يَلْسُوحُ كَأَنَّهُ خَلَّلَ

فلو تأخر لكان: لَمِئَةً طَلَّلَ مَوْحِشٌ، وكذلك لو تأخر هذا لكان «أو ذكراً أشد» يعني: من ذكركم آباءكم، ويكون إذ ذاك «أو ذكراً أشد» معطوفاً على محل الكاف من ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾.

قلنا: ولعله أقرب إلى المنطق، وأدناه إلى الفهم، وقد اكتفى به بعضُ المفسرين المتأخرين في حواشيه المطوّلة. ﴿فَمِنْ النَّكَاسِ﴾ الفاء استئنافية، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مَنْ﴾ اسم موصول مبتدأ مؤخر ﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على: مَنْ، وقد روعي لفظ «من» وهو مفرد، ولو روعي معناه لقال: يقولون، والجملة المستأنفة لا محل لها، وهي مسوقة لبيان حال الكافرين وحال المؤمنين والفرق بين المطلبين، وجملة «يقول» صلة من ﴿رَبَّنَا﴾

منادى مضاف منصوب، وقد حذف حرف النداء ﴿ءَايُنَا﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر تقديره أنت، وضمير المتكلم المجموع مفعول آت الأول، والمفعول الثاني محذوف أي: نصيبنا، و﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار ومجرور متعلقان بآتنا ﴿وَمَا﴾ الواو حالية، وما نافية ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ من حرف جر زائد، وخلاق مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آيُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ عطف على الجملة السابقة، وقد تقدم إعرابها، وصرح هنا بالمفعول الثاني ترغيباً وتعليماً ﴿وَقَنَا﴾ الواو عاطفة، و﴿قِ﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، وضمير الجمع مفعول ﴿قِ﴾ الأول ﴿عَذَابِ النَّارِ﴾ مفعول ﴿قِ﴾ الثاني ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿نَصِيبٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر اسم الإشارة، والجملة مستأنفة لبيان حال الفريق الثاني، لأن حال الفريق الأول تقدم ذكره بقوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ﴿يَمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب ﴿كَسَبُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعل، والجملة صلة الموصول «ما» ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو مستأنفة، والله مبتدأ ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ خبره. والجملة المستأنفة مسوقة لبيان قدرته تعالى على محاسبة جميع الخلائق في أقل من لمح البصر.

□ البلاغة:

وردت في أحد الأعراب لقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى المجاز العقلي، وقد سبق بحثه، ونزيد هذا المجاز بسطاً فنقول: إسناد الذكر إلى الذكر مستحيل، ولكنه ملابسة له أصبح كأنه شخص عاقل أجنبي عنه يقوم به، وجميل قول أبي تمام:

تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يعوذها بنعمة طالب

فقد أسند الجنون إلى مصدره، والسّر فيه ما أوضحناه من الملابس الشديدة التي تجعل غير العاقل عاقلاً لشدة وقوعه منه، ويكاد الطلاب يلتبس عليهم الفرق بينه وبين الاستعارة المكنية، مع أنه ليس فيه مشابهة مقصودة. وقال أبو فراس:

سيدُكُرنِي قومي إذا جدَّ جدُّهم

وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ

ولأبي الطيب مقطوعة وردت على نمط المجاز العقلي، وهي من جيد الشعر:

وَعَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَانَا	صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا
هـ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا	وَتَوَلَّوْا بَعْضَهُ كُلُّهُمْ مِنْ
هـ وَلَكِنْ تُكْذِّرُ الْإِحْسَانَا	رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِي
رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانَا	كُلَّمَا أَتَبَتِ الزَّمَانُ قَنَاءَ

* الفوائد:

تزداد «من» الجارة في الفاعل والمفعول به والمبتدأ، بشرط أن تسبق بنفي، أو نهي، أو استفهام، وأن يكون مجرورها نكرة، وعندئذ تطرد الزيادة، وسيأتي المزيد من أمثلتها.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون، والحاء والشين إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة دلّتا على معنى الجمع، والامتلاء، والحشد، وهذا ما تقصيناه وحشدنا له كل ما وصلت إليه أيدينا من مظان اللغة ومراجعها المطولة، ومنه الحشاش، أي:

جامع الحشيش، أو شاري الحشيشة، وهي نبات تستخرج منه مادة مسكرة، والحشمة: الحياء، وهي تدل على أن المرء جمع نفسه كيلا تبدر منه بادرة. ومنه الحشم، أي: الخدم المجتمعون.

○ الإعراب:

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الواو عاطفة، واذكروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومفعول به ﴿فِي أَيَّامٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان باذكروا ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ صفة لأيام، وهي أيام التشريق الثلاثة، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وهو مذهب الشافعي، أو يوم النحر ويومان بعده وهو مذهب أبي حنيفة ﴿فَمَنْ﴾ الفاء استئنافية، ومن شرطية مبتدأ ﴿تَعَجَّلَ﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتعجل ﴿فَلَا إِثْمَ﴾ الفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وإثم اسمها المبني على الفتح ﴿عَلَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ فلا إثم عليه ﴿تَقْدَمُ﴾ إعرابها، والجملة معطوفة ﴿لِمَنْ أَتَقَى﴾ اللام حرف جر، ومن اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذلك التخيير. ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر كائن لمن اتقى ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ الواو عاطفة، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ولفظ الجلالة مفعول به ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ عطف على اتقوا ﴿أَنْكُمْ﴾ أن واسمها ﴿إِلَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتحشرون ﴿تُحْشَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة الفعلية خبر أن، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي اعلموا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك

الْحَرَّتْ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِأَلْسِنِهِ فَبِئْسَ جَهَنَّمَ وَلَيْئَسَ الْمُهَادُّ ﴿٢٠٦﴾

☆ اللفظة:

﴿الَّذُ الْخَصَامِ﴾ الألد: صفة مشبهة، واللدد: شدة الجدل، وتركت
فلاناً يتلدد، أي: يتلفت يميناً وشمالاً من حيرته، فما يستقرّ على حال،
فهي كلمة متحركة تمثل صورة مركبة، والخصام: مصدر خاصم، قاله
الخليل، وقال الزجاج: الخصام: جمع خصم كصعب وصعاب، وضخم
وضخام.

○ الإعراب:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر
مقدم، والجملة منسوقة على جملة: فمن الناس إلخ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول
مبتدأ مؤخر ﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر،
والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ الجار والمجرور
متعلقان «بقوله» أو يعجبك، فعلى الأول يكون القول صادراً في الحياة،
وعلى الثاني يكون الإعجاب صادراً فيها ﴿الَّذِي﴾ صفة للحياة ﴿وَيُشْهَدُ﴾
الواو استئنافية أو عاطفة، ويشهد فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره هو
﴿اللَّهُ﴾ لفظ الجلالة مفعول به ﴿عَلَى مَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بيشهد
﴿فِي قَلْبِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، أي: من
مدلول القول ﴿وَهُوَ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ ﴿الَّذُ الْخَصَامِ﴾ خبر ﴿وَإِذَا﴾
الواو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب ﴿تَوَلَّى﴾ فعل
ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، والجملة في محل جر بالإضافة
﴿سَكَنَى﴾ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها لأنها
جواب شرط غير جازم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بسعى
﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ اللام للتعليل، ويفسد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد

لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بيفسد ﴿وَرُتِّلَاكَ الْوَحْيَ وَاللَّسْلُ﴾ عطف على ليفسد ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿لَا﴾ نافية ﴿يُحِبُّ﴾ الْفَسَادُ فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو، أي: الله تعالى، والفساد مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر الله ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ الواو عاطفة على قوله يعجبك، ولك أن تجعلها استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة قيل في محل جر بالإضافة ﴿لَهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقيل ﴿أَتَقِ اللَّهَ﴾ اتق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، ولفظ الجلالة مفعول به، والجملة مقول القول ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ فعل ماض وتاء التانيث الساكنة، والهاء مفعول به، والعزة فاعله، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: ملتبسة، وتكون الباء للمصاحبة. ويجوز أن يتعلقان بأخذته، فتكون الباء لمجرد التعدية ﴿فَحَسَبُوا جَهَنَّمَ﴾ الفاء الفصيحة، كأنه أجاب عن مصيره، وحسبه خبر مقدم، وجهنم مبتدأ مؤخر ﴿وَلَيْسَ إِلَهًا﴾ الواو واو القسم، واللام واقعة في جواب القسم، أي: والله، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمهاد فاعله، والمخصوص بالذم محذوف، أي: هي، والجملة جواب قسم لا محل لها.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

☆ اللغة:

﴿يَشْرِى﴾: يبيع.

﴿الْيَسِّرُ﴾ : الاستسلام، وهو بكسر السين وفتحها .
 ﴿كَافَّةً﴾ : من الكفّ، كأنهم كفّوا عن أن يشدّ واحد منهم .

○ الإعراب:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مَنْ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على قوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾ لاستيفاء أقسامهم ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة صلة الموصول ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ مفعول لأجله، وما بعده مضاف إليه ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿رِءُوفٌ﴾ خبر ﴿بِالْعِبَادِ﴾ الجار والمجرور متعلقان برؤوف ﴿يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ تقدم إعراب نظائرها ﴿ادْخُلُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿فِي الْيَسْرِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بادخلوا، والجملة استئنافية ﴿كَافَّةً﴾ حال من الواو في ادخلوا، ومن السلم لأنه يذكر ويؤنث ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية ﴿تَتَّبِعُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل ﴿خُطُوبِ الشَّيْطَانِ﴾ مفعول به ومضاف إليه ﴿إِنَّهُ﴾ إن واسمها ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بعدو ﴿عَدُوٌّ﴾ خبر ﴿مُبِينٌ﴾ صفة، والجملة تعليلية لا محل لها ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وزللتم فعل ماض وفاعله، وهو في محل جزم فعل الشرط ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بزللتم، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، وجاءتكم البينات فعل ومفعول به وفاعل ﴿فَاعْلَمُوا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ

الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَءَ آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ يَّبْنِيهِ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

☆ النِّصَّة:

(الظِّل): جمع ظِلَّة بضم الظاء، وهي كل ما أظلك، مثل ظلال جمع ظلّ.

﴿الْفُكَايِرُ﴾: السحاب الأبيض الرقيق، وهو مظنة الرحمة، ويغطي السماء ويُعَيِّرُ لونها. ومن عجيب أمر الغين والميم أنهما إذا وقعتا فاءً وعيناً للكلمة دلّتا على معنى التغطية وحجب الشيء وإخفائه، ومنه غمد السيف، أي: قرايه الذي يخفيه، وتعمّد الله فلاناً برحمته: ستره، وغمره الماء: غطاه، وأرض غمقة: تغمرها الأنداء، وعن عمر بن الخطاب: إن الأردنّ أرض غمقة، وإن الجابية أرض نزهة. وغم الهلال: اختفى. وهذا من الأعاجيب.

○ الإعراب:

﴿هَلْ﴾ حرف استفهام معناه الإنكار والتوبيخ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، ومعناه: ينتظرون، أو ينظرون من النظر ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ أن حرف مصدري ونصب، وهي وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول ينظرون، والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخ المحجمين عن الإسلام أو الزّالون المخطئون ﴿اللَّهُ﴾ فاعل يأتِيَهُمْ ﴿فِي ظُلُلٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيأتِيَهُمْ ﴿مِنَ الْفُكَايِرِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لظلل ﴿وَالْمَلَكِ﴾ الواو عاطفة، والملائكة عطف على الله ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ عطف على يأتِيَهُمْ داخل في حيز الانتظار، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة ﴿وَالِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بترجع ﴿تُرْجَعُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ﴿الْأُمُورُ﴾ نائب فاعل ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ سل فعل أمر مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره

أنت، وبني مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وإسرائيل مضاف إليه، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، والجملة استثنائية ﴿كَمْ أَتَيْنَهُمْ﴾ كم اسم استفهام في محل نصب مفعول به ثان لاتيناهم، وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول، وجملة آتيناهم في موضع المفعول الثاني لسل؛ لأنها معلقة عن العمل عاملة في المعنى. وإنما علقت «سل» وليست من أفعال القلوب لأن السؤال سبب العلم، فأجري السبب مجرى المسبب في ذلك. وأجاز بعضهم أن تكون كم خبرية، وفي ذلك اقتطاع للجملة التي هي فيها ﴿مِّنْ آيَاتِهِ﴾ تمييز كم الاستفهامية، وإذا فصل بينها وبين مميزها فالأحسن أن يؤتى بـ «من». واختلف في «من» فقيل: هي زائدة، واختاروا في حواشي المغني أن تكون بيانية، والتمييز محذوف. ومن آية: متعلقان بالفعل. وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد ﴿يَنْتَه﴾ صفة، وجملة ﴿سَلَّ بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ مستأنفة مسوقة للتنديد ببني إسرائيل الذين يكفرون بنعمة الله ويبدلونها ﴿وَمَنْ﴾ الواو استثنائية، والجملة مستأنفة مسوقة لزيادة التقرير وإقامة الحجة عليهم، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ﴿يُبْدِلُ﴾ فعل الشرط ﴿نِعْمَةً اللَّهِ﴾ مفعول به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، وجاءته فعل ماض ومفعول به، وفاعله ضمير مستتر تقديره هي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ خبرها، وجملة إن وما بعدها في محل جزم جواب الشرط الجازم.

□ البلاغة:

في قوله تعالى ﴿فِي ظُلُمٍ مِّنَ الْفُجَاءِ﴾ مجاز مرسل علاقته السببية، لأن الغمام مظنة الرحمة أو العذاب وسببهما، فمنه تهطل الأمطار، وقد تنشأ السيول المتلفة الجارفة، وتنزل الصواعق المهلكة.

* الفوائد :

أورد ابن هشام فصلاً في إعراب هذه الآية ، نلخصه فيما يلي لأهميته :

قوله تعالى : ﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَكُمْ آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِكُمْ ﴾ إن قدرت «من» زائدة فـ «كم» مبتدأ أو مفعول لـ «آتينا» مقدراً بعده ، وإن قدرتها بياناً لـ «كم» كما هي بيان لـ «ما» في ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ لم يعجز واحد من الوجهين لعدم الرجوع حيثئذ إلى كم ، وإنما هي مفعول ثان مقدم مثل : أعشرين درهماً أعطيتك . وجوز الزمخشري في : كم أن تكون خبرية ، أي : أن ما سبق كله بناء على أن «كم» اسم استفهام . وهذا مقابله . ثم قال : ولم يذكر النحويون أن كم الخبرية تعلق العامل عن العمل ، وجوز بعضهم زيادة «من» ، وإنما تزداد بعد الاستفهام بـ «هل» خاصة ، وقد يكون تجويزه ذلك على قول من لا يشترط كون الكلام غير موجب مطلقاً ، أو على قول من يشترطه في غير باب التمييز ، ويرى أنها في : رطل من زيت وخاتم من حديد؛ زائدة لا مثبته . اهـ .

هذا وتأتي كم على قسمين : استفهامية وخبرية ، وسيرد الكثير من أبحاثهما في هذا الكتاب .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْعَوْنَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٦)

○ الإعراب :

﴿ زُيِّنَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بزین ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها ﴿ الْحَيَاةُ ﴾ نائب فاعل ﴿ الدُّنْيَا ﴾ صفة للحياة ، والجملة مستأنفة مسوقة للتنديد بمن جعلوا الدنيا وما فيها من متع خلوب هدفهم فيها ﴿ وَيَسْعَوْنَ ﴾ معطوفة على جملة

زين، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي: وهم يسخرون، فيكون من عطف الاسمية على الفعلية؛ للإشعار بأنه أتى بالأولى فعلية دلالة على التجدد والحدوث ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيسخرون ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الذين ﴿وَالَّذِينَ﴾ الواو عاطفة، والذين مبتدأ ﴿آتَقَوْا﴾ الجملة صلة الموصول ﴿فَوْقَهُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر الذين ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ متعلق بما تعلق به الظرف ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿يَرْزُقُ﴾ فعل مضارع، وفاعله مستتر يعود على الله لفظ الجلالة، والجملة خبر لفظ الجلالة الله ﴿مَنْ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع، والجملة صلة من ﴿يَغْيِرْ حِسَابَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيرزق.

□ البلاغة:

في هذه الآية مفارقة في الجمل، فقد عبر عن زينة الحياة الدنيا في نظر الذين كفروا، وعن سخريتهم من المؤمنين بالفعلية إشارة إلى الحدوث، وإن ذلك أمر طارئ لا يلبث أن يزول بصوارف متعددة. أما استعلاء الذين اتقوا عليهم فهو أمر ثابت الديمومة لا يطرأ عليه أي تبديل.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾ كان واسمها وخبرها ﴿وَاحِدَةً﴾ صفة ﴿فَبَعَثَ﴾ الفاء عاطفة على جملة مقدرة اختصاراً وإيجازاً، أي: كان الناس متفقين على

الحق فاختلّفوا فبعث . والكلام مستأنف مسوق للدلالة على كيفية الاختلاف السائد بين الناس وللزيف المؤدي إلى التفريق بينهم، وذلك بدلالة ما بعده، وبعث فعل ماض ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿الَّتِي سَنَّ﴾ مفعول به ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ حالان، والثاني معطوف على الأول ﴿وَأَنْزَلَ﴾ عطف على: فبعث ﴿مَعَهُمْ﴾ ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من «الكتاب» أي: وأنزل الكتاب مصاحباً لهم وقت الإنزال ﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ﴿يُلْحَقْ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنزل، والباء للملابسة، أي: أنزله إنزالاً ملتبساً بالحق ﴿لِيَحْكُمَ﴾ اللام للتعليل، ويحكم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ولام التعليل ومجرورها المؤول متعلقان بأنزل أيضاً ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ الظرف المكاني متعلق بيحكم، والناس مضاف إليه ﴿فِيمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بيحكم ﴿أَخْتَلَفُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة «ما» الموصولية ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باختلّفوا ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة، وما نافية ﴿أَخْتَلَفَ﴾ فعل ماض ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باختلّف، وما نافية ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل اختلّف ﴿أَوْثَرُ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل هو المفعول الأول، والهاء مفعول به ثان ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باختلّف ﴿مَا﴾ مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف إليه، أي: من بعد مجيء البينات ﴿جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ فعل ومفعول به مقدم، والبيّنات فاعل مؤخر ﴿بَغِيًّا﴾ مفعول لأجله، أي: حسداً منهم، وقيل: حال مؤولة، وليس ببعيد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ الظرف المكاني متعلق بمحذوف صفة لبغياً ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الفاء عاطفة، وهدى فعل ماض، والله فاعل، والذين وصلتها مفعول به ﴿لِئَامًا﴾ الجار والمجرور متعلقان بهدى، وما موصولية ﴿أَخْتَلَفُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان باختلّفوا ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من «ما» ﴿يَاذُنَيْهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان

بمحذوف حال من الذين آمنوا، أي: مأذوناً لهم، فهو حال من المفعول به ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى، والجملة في محل رفع خبر الله ﴿مَنْ﴾ اسم موصول مفعول به ﴿يَشَاءُ﴾ الجملة صلة الموصول لا محل لها ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيهدي، ومستقيم صفة.

□ البلاغة:

في هذه الآية الكريمة فن القلب، وهو شائع في كلامهم، ومثل له السكاكي والزمخشري والجوهري بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] والأصل فيه: ويوم تعرض النار على الذين كفروا. كما مثلوا في الشعر بقول عروة بن الورد:

فديتُ بنفسه نفسي ومالي وما آلوك إلا ما أطيع

والأصل فديت نفسه بنفسه، فالمفدي نفس المحبوب، والمفدي به نفس الشاعر، لا العكس كما هو ظاهر البيت، ويقول المتنبي:

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذُقْتُه فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشُقُ

لأن أصله: كيف لا يموت من يعشق، والصواب خلافه، وأن المراد أنه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق، وفي الآية التي نحن بصدددها قال أبو جعفر الطبري: وإنما معنى ذلك: فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطق العرب، ومثل له أبو جعفر بقول النابغة الجعدي:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرّجم

وإنما الرجم فريضة الزنى.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ
 أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٥﴾

☆ اللغة:

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة، بما أصابهم من الهول والفرع. وتكرير الزاي واللام إشعار بتكرير الإزعاج مرّة بعد مرّة. وقد ألمع ابن جنّي في كتاب «الخصائص» إلى هذا الباب، وسمّاه قوة اللفظ لقوة المعنى، كما ذكره ابن الأثير في كتاب «المثل السائر». وخلاصة ما قرّراه أن اللفظ إذا كان على وزن، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر من الذي تضمنه، فاخشوشن تدل على زيادة الخشونة أكثر من خشن، واعذوذب الماء تدل على زيادة العذوبة أكثر من عذب، وسيأتي الكثير من الأمثلة في هذا الكتاب.

﴿حَسِبْتُكُمْ﴾ حسبت زيدا قائماً أحسبه، من باب: تعب، أي: بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع، في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضاً على غير قياس، حسباناً بالكسر، بمعنى: ظننته. وحسبت المال حسباً من باب: قتل، أي: بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع، أحصيته عدداً، وفي المصدر أيضاً، وحسباناً بالضم.

○ الإعراب:

﴿أَمْ﴾ عاطفة منقطعة مقدرة ببل، وهمزة الاستفهام محذوفة، والمعنى: بل أحسبتم، والاستفهام للتوبيخ والإنكار ﴿حَسِبْتُكُمْ﴾ فعل وفاعل ﴿أَنْ تَدْخُلُوا﴾ أن حرف مصدري ونصب، وتدخلوا فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل ﴿الْجَنَّةِ﴾ مفعول به على السعة، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي حسبتكم ﴿وَلَمَّا﴾ الواو حالية، ولما حرف نفي جازم ﴿يَأْتِكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم

بلما، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والكاف مفعول يأتكم ﴿مَثَلٌ﴾ فاعل يأتكم ﴿الَّذِينَ﴾ مضاف إليه ﴿خَلَوْا﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الذين ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخلوا ﴿مَسْتَهْمٌ﴾ مس فعل ماض، والتاء تاء التانيث الساكنة، والهاء مفعول به ﴿الْبِأْسَاءُ﴾ فاعل ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ عطف على البأساء، والجملة مستأنفة لا محل لها، كأن قائلًا قال: كيف كان ذلك المثل وما هي ماهيته؟ فقيل: مستهم البأساء، ولك أن تجعلها تفسيرية، وعلى كل حال لا محل لها من الإعراب ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ الواو عاطفة، وزلزلوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والجملة معطوفة على مستهم ﴿حَقَّ يَقُولُ الرَّسُولُ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويقول فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والرسول فاعل ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الرسول ﴿ءَامَنُوا﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها صلة الذين ﴿مَعَهُ﴾ الظرف المكاني متعلق بآمنوا ﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ متى اسم استفهام في محل نصب ظرف على الظرفية الزمانية، والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، ونصر الله مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿أَلَا﴾ أداة استفتاح وتنبيه ﴿إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرْيَةً﴾ إن واسمها وخبرها، والجملة مستأنفة.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

○ الإعراب:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به ﴿مَاذَا﴾ تقدم القول في: ماذا، فيجوز أن نعربها اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لينفقون، ويجوز إعراب ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وذا اسم موصول في محل رفع خبر، والجملة

في محل نصب مفعول مقدم لينفقون، وجملة يسألونك مستأنفة مسوقة للاستفهام عن المال المنفق ومصرفه. قالوا: والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل النبي ﷺ: ماذا ينفق؟ وعلى من ينفق؟ وهذا كله في صدقة التطوع ﴿يُنْفِقُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة في محل نصب مفعول ثانٍ يسألونك ﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الجواب عن السؤال ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ ما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لأنفقتم، وأنفقتم فعل في محل جزم فعل الشرط وفاعل، والجملة مقول القول ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ الجار والمجرور في محل نصب حال ﴿فَلِلَّوَالِدَيْنِ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو للوالدين، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كلها معطوفة على الوالدين ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ تقدم إعرابها في الآية السابقة.

❖ الفوائد:

قاعدة عامة لإعراب أدوات الشرط:

«من، ما، مهما»: إن كان فعل الشرط يطلب مفعولاً به فهي منصوبة محلاً على المفعولية، وإن كان لازماً أو متعدياً استوفى مفعوله فهي مرفوعة محلاً على الابتداء.

«حيثما» في محل نصب ظرف مكان.

«متى، أيان، أين، أنى» في محل نصب ظرف زمان.

«كيفما» في محل نصب حال من فاعل الشرط.

«أي» بحسب ما تضاف إليه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾

○ الإعراب:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ كتب فعل مبني للمجهول، وعليكم متعلقان بكتب، والقتال نائب فاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية القتال. ومعنى كتب فرض، والفرض إما عين إذا دخل العدو البلاد، وإما فرض كفاية إذا كان العدو ببلاده ﴿ وَهُوَ ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ ﴿ كَرِهَ ﴾ خبر ﴿ لَكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بكره، والجملة الاسمية بعد واو الحال في محل نصب على الحال ﴿ وَعَسَى ﴾ الواو استئنافية، وعسى فعل ماض جامد لإنشاء الترجي وهي هنا تامة، وذلك مطرد في عسى واخولق وأوشك إذا وليتها أن ﴿ أَنْ تَكْرَهُوا ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل عسى ﴿ شَيْئًا ﴾ مفعول به ﴿ وَهُوَ ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ ﴿ خَيْرٌ ﴾ خبر ﴿ لَكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخير، والجملة الاسمية بعد الواو في محل نصب حال. وهنا مشكلة نعرض لها في باب: الفوائد ﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ وَاللَّهُ ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿ يَعْلَمُ ﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر، والجملة خبر المبتدأ ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لا نافية، وتعلمون فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة خبر أنتم.

□ البلاغة:

في الآية الطباق بين الحب والكراهة، وبين كراهة وشراً، ويسمى حينئذ مقابلة، وقد تقدم بحثها.

* الفوائد:

يُشكل في الآية مجيء الحال من النكرة بغير شرط من شروطها المعروفة، ولذلك جنح بعض المعربين إلى إعراب الجملة وهي: ﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ صفة لشيئاً، وإنما دخلت الواو على الجملة الواقعة صفة؛ لأن

صورتها صورة الحال، فكما تدخل الواو عليها حالية تدخل عليها صفة، وذلك ما أجازه الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وسترده في مكانها.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة لبيان حكم القتال في الشهر الحرام، وهو رجب، ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به، والجار والمجرور متعلقان بيسألونك، والحرام صفة ﴿قِتَالٍ﴾ بدل اشتمال من الشهر ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لقتال، ووجهه أن السؤال عن الشهر لم يكن إلا باعتبار ما وقع فيه من القتال، والمعنى: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام. وأنشد سيبويه:

فما كان قيس هللكه هلك واحد ولكنّه بنیان قوم تهادّما

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت يا محمد، والجملة مستأنفة ﴿قِتَالٍ﴾ مبتدأ، وساخ الابتداء به وهو نكرة لأنه وصف ﴿فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَبِيرٌ﴾ صفة لقتال ﴿وَصَدُّ﴾ عطف على قتال فهو مبتدأ، وساخ الابتداء به لأنه مندرج لما عطف عليه من معارف ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بصد ﴿وَكَفْرٌ بِهِ﴾

عطف على صد، والجار والمجرور متعلقان بكفر ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عطف على سبيل الله، أي: وعن المسجد الحرام ﴿وَاِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾ عطف على صد ﴿اَكْبَرُ﴾ خبر ما تقدم جميعه، وجملتها أربعة، وأخبر عنها بأكثر لأنه اسم تفضيل يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من الألف واللام ومن الإضافة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ الظرف المكاني متعلق بأكثر ﴿وَالْفِتْنَةِ﴾ الواو استئنافية، والفتنة مبتدأ ﴿اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ خبر، والجمله لا محل لها، ويمكن إعراب الواو حالية، فتكون الجملة نصباً على الحال، ومن القتل الجار والمجرور متعلقان بأكثر ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ الواو عاطفة، ولا يزالون فعل مضارع ناقص من أخوات كان، والواو اسمها ﴿يُقْبِلُونَكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والجمله خبر يزالون ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ حتى حرف غاية وجر أو للتعليل، ويردوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ﴿عَنْ دِينِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيردوكم ﴿إِنْ﴾ شرطية ﴿اَسْتَطَعُوا﴾ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعل، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله، أي: يردوكم ﴿وَمَنْ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ﴿يَرْتَدِدْ﴾ فعل الشرط ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيرتدد ﴿فَيَمُتْ﴾ الفاء عاطفة، ويمت فعل مضارع مجزوم عطفاً على يرتدد ﴿وَهُوَ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ ﴿كَافِرٌ﴾ خبر، والجمله الاسمية في محل نصب حال ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك اسم إشارة مبتدأ ﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ فعل وفاعل، والجمله خبر أولئك، وجمله الإشارة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بحبطت ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ عطف على الدنيا ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الواو عاطفة، أولئك مبتدأ ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خبر ﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل مبتدأ ﴿فِيهَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بقوله خالدون ﴿خَالِدُونَ﴾ خبر، وجمله «هم فيها خالدون» في محل نصب حال ﴿إِنَّ

الَّذِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّ وَاسْمَهَا ﴿ءَامَنُوا﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها: صلة الذين
 ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطف على ما تقدم ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم
 الإشارة مبتدأ ﴿يَرْجُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة خبر أولئك
 ﴿رَحِمَتِ اللَّهُ﴾ مفعول به، وجملة الإشارة جملة اسمية في محل رفع خبر إن
 ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبر إن لله.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ
 لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) في الدنيا والآخرة ويسألك عن
 أَلْتَمَسِي قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
 الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٠)

☆ اللفظة:

﴿الْخَمْرُ﴾: سُمِّيَتِ الخمر بالمصدر من خمره خمرأ إذا ستره؛ للمبالغة
 في تضييعها للعقول وسترها وإخفائها. وقيل: إنما سميت الخمر خمرأ
 لأنها تركت حتى أدركت، يقال: اختمر العجين، أي: بلغ إدراكه، وقيل:
 إنما سميت الخمر خمرأ لأنها تخالط العقل، من المخامرة، وهي:
 المخالطة، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة موجودة في الخمر، وهذا موجز
 لبعض أسماء الخمر التي هي صفات:

الشمول: لأنها تشمل القوم بريحها.

المشمولة: التي أبرزت للشمال.

الرحيق: صفوة الخمر التي ليس فيها غش.

الخنديس: القديمة منها.

الحميّا: الشديدة منها.

العُقار: بضم العين لأنها عاقرت الدنّ.

الراح: لأن شاربها يرتاح لها، أو التي يستطيب ريحها، ويقال: بل التي يجد بها روحاً. وقد جمع ابن الرومي معاني الراح بقوله:

والله ما أدري لأيّسة علّة يدعونها في الرّاح باسم الرّاح
الريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها المرتاح

المدامة: التي أديمت في مكانها حتى سكنت حركتها.

المعتقة: التي أديمت في مكانها حتى عتقت.

القهوة: هي التي تقهي صاحبها، أي: تذهب بشهوة طعامه.

السلاف: التي تحلب عصيرها من غير عصر.

الصهباء: لأنها تترجح بين الحمرة والشقرة.

الكُميت: بضم الكاف لما فيها من سواد وحمرة.

القرقف: لبرودتها. وغير ذلك.

﴿وَالْمَيْسِرُ﴾: مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع، يقال: يسرته: إذا قمرته، وقمره: غلبه بالقمار. قال الشاعر:

قالت: أنا قمرته قلت: اسكتي فهو قمر

واشتقاق الميسر إما من اليسر لأن فيه أخذ المال بيسر من غير كدّ وتعب،

وإما من اليسار؛ أي: الغنى لأنه سبب له. وقد تفتنّ البشر، إلى اليوم، في

ألعاب الميسر المحرمة عقلاً وشرعاً؛ لأنها مفسدة ما بعدها مفسدة. قال

أديب إسحاق من شعراء العصر الحديث:

لكل نقيصه في الناس عارٌ وشراً معاييب المرء القمارُ

﴿الْعَفْوُ﴾: الزيادة عن الحاجة.

○ الإعراب:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجار

والمجرور متعلقان بيسألونك، والميسر معطوف على الخمر، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان تحريم الخمر والميسر لما فيهما من مفساد اجتماعية ضارة ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة مستأنفة أيضاً ﴿فِيهِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿إِثْمٌ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿كَبِيرٌ﴾ صفة لإثم، والجملة الاسمية مقول القول ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ عطف على إثم، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ الواو عاطفة، وإثم مبتدأ، والهاء مضاف إليه، والميم والألف حرفان دالان على التثنية ﴿أَكْبَرُ﴾ خبر ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بأكبر ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ عطف على يسألونك ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ تكرر إعرابها فجدد به عهداً ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والجملة مستأنفة ﴿الْعَفْوُ﴾ مفعول به لفعل محذوف تقديره: أنفقوا، والجملة مقول القول ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال، ويبين فعل مضارع مرفوع ﴿اللَّهُ﴾ فاعل يبين ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيبين ﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول به ﴿لَمَلَكُمْ﴾ لعل واسمها ﴿تَنْفَكُونُ﴾ فعل مضارع وفاعل، والجملة خبر لعل، وجملة الرجاء حالية، وجملة كذلك يبين إلخ مستأنفة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بتفكرون أو يبين. فالمعنى على الأول: فيما هو صلاحكم في الدارين، وعلى الثاني يبين لكم الآيات فيما ينفعكم في الدارين ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ تقدم إعرابها ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة ﴿إِصْلَاحٌ﴾ مبتدأ، وسوغ الابتداء به وصفه بالجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ الجار والمجرور صفة لإصلاح ﴿خَيْرٌ﴾ خبر إصلاح، والجملة الاسمية مقول القول ﴿وَإِنْ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية ﴿تُخَالِطُوهُمْ﴾ فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، أي: تحسنوا معاشرتهم بالمخالطة والمعاشرة الطيبة ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهم إخوانكم، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، ولا بد

من تقدير محذوف، أي: فلكم ذلك، ثم علل ذلك بقوله: فهم إخوانكم ﴿وَاللَّهُ﴾ الواو استئنافية، والواو مبتدأ ﴿يَعْلَمُ﴾ الجملة خبر المبتدأ، وفاعل يعلم ضمير مستتر يعود على الله تعالى ﴿الْمُفْسِدَ﴾ مفعول به ﴿مِنْ﴾ الواو المصليح الجار والمجرور متعلقان بـ يعلم لتضمنه معنى يميز ﴿وَلَوْ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، ومفعول المشيئة محذوف تقديره: إعناتكم ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ اللام واقعة في جواب لو، وأعناتكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وجملة لأعناتكم: لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إن واسمها ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ خبر إن، والجملة لا محل لها لأنها بمثابة التعليل.

* الفوائد:

لمحة تاريخية أدبية: نزلت في الخمر أربع آيات:

(١) الأولى نزلت في مكة وهي: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم.

(٢) والثانية نزلت في المدينة، فقد أتى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ [فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ...﴾] ^(١) فتركها قوم لقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾

(٣) والثالثة أن عبدالرحمن بن عوف صنع طعاماً، ودعا إليه ناساً، فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب، فقدموا أحدهم ليصلي بهم، فقرأ: «قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون» بحذف «لا» النافية، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فقل من يشربها.

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) والرابعة أن عتبان بن مالك دعا قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص إلى طعام وشراب، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، فلما سكروا افتخروا، وتناشدوا الأشعار، حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار، فضربه أنصاري بلحي بعير فشججه، فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري، فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ؟﴾ فقال عمر: انتهينا يا رب.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَا﴾ الواو استئنافية، ولا ناهية ﴿نَنْكِحُوا﴾ بفتح التاء مضارع نكح مجزوم بلا، والواو فاعل ﴿الْمُشْرِكَةَ﴾ مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويؤمن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وهو في محل نصب بأن مضمرة بعد حتى، ونون النسوة فاعل، والجار والمجرور من: حتى، والمصدر المؤول متعلقان بتنكحوا ﴿وَلَا أُمَةٌ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الفرق بين المؤمنة والمشركة، واللام للابتداء، وأمة مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها ﴿مُؤْمِنَةٌ﴾ صفة لأمة ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخير ﴿وَلَوْ﴾ الواو للحال، ولو شرطية بمعنى إن ﴿أَعْجَبَتْكُمْ﴾ فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هي يعود على الأمة، والكاف مفعول به، وجملة أعجبتكم خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو، وجملة لو أعجبتكم حالية، والمعنى: ولأمة مؤمنة خير من

مشركة حال كونها قد أعجبتكم لجمالها ومالها، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب: الفوائد ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية ﴿تُنكِحُوا﴾ بضم التاء مضارع أنكح مجزوم بلا، والواو فاعل ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ مفعول به ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ حتى حرف غاية وجر، ويؤمنوا فعل مضارع مجزوم بأن مضمرة بعد حتى ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ تقدم إعراب مثلتها ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ الجملة خبر اسم الإشارة، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في ذلك، ولك أن تجعلها مفسرة، وعلى كل حال لا محل لها ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَالْمَغْفِرَةِ﴾ عطف على الجنة ﴿يَاذِينِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: أذنًا بذلك ﴿وَيَسِينِ﴾ عطف على يدعو، وآياته مفعول به، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة ﴿لِلنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيبين ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل واسمها ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ الجملة الفعلية خبر لعل، وجملة الرجاء حالية.

* الفوائد:

يطرد حذف كان واسمها وبقاء خبرها بعد إن ولو الشرطيتين، وسيرد تفصيل ذلك في مواضعه.

لمحة تاريخية: في هذه الآية تهذيب رفيع، وتعاليم إنسانية رائعة، وشجب للتمييز العنصري واللوني. قيل: نزلت هذه الآية في عبدالله ابن رواحة، وقد كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوماً فلطمها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال له النبي: «وما هي يا عبدالله؟» قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وتصوم رمضان، وتحسن الوضوء، وتصلّي قال: «هذه مؤمنة» قال عبدالله: فوالذي بعثك بالحق! لأعتقنها ولأتزوجنّها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا: أنتكح أمة؟! وعرضوا عليه حرة مشركة، فترلت.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا

تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شُعْتُمْ وَقَدِمُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

☆ اللغة:

﴿الْمَحِيضُ﴾ مصدر ميمي أو اسم زمان، والحيض: سيلان الدم. والتفصيل فيه مبسوط في كتب الفقه.

○ الإعراب:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ كلام معطوف على الأحكام المتقدمة، ويلاحظ أنه صدر السؤال بالواو ثلاث مرات، وجاء مجرداً منها أربع مرات، لأن ما جاء مقترناً بالواو حدث السؤال عنه في وقت واحد فحسن عطفه بالواو، أما حيث تختلف الأزمنة في السؤال فقد جاء الكلام مجرداً من الواو؛ تنبيهاً على انقطاع المدد وتفاوتها. وهذا من أسرار القرآن ومعاجزه البديعة. وعن المحيض متعلقان يسألونك ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، والجملة مستأنفة ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ﴿أَذَى﴾ خبر، والجملة الاسمية مقول القول ﴿فَاعْتَرَلُوا﴾ الفاء الفصيحة أي إذا شئتم معرفة حكمه فاعتزلوا، والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿النِّسَاءُ﴾ مفعول به ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبسات بالمحيض ﴿فَإِذَا﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه ﴿تَطَهَّرْنَ﴾ فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجملة تطهرن في محل جر بالإضافة ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، وأتوهن فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل والهاء مفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ من حرف جر، وحيث ظرف مكان مبني على الضم في محل جر بمن، والجار والمجرور متعلقان بأتوهن ﴿أَمَرَكُمُ

الله ﴿فَعَلَ مَاضٍ وَمَفْعُولٌ بِهِ وَفَاعِلٌ، والجملة في محل جر بالإضافة﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾
 إن واسمها ﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على
 الله تعالى، والجملة في محل رفع خبر إن ﴿التَّوَّابِينَ﴾ مفعول به، وجملة إن وما
 تلاها تعليلية لا محل لها ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ عطف على جملة يحب التوابين
 ﴿يَسْأَلُكُمْ﴾ مبتدأ ﴿حَرْتُ﴾ خبر ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور صفة لحرت ﴿فَأَتُوا﴾
 الفاء استئنافية، وأتوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل
 ﴿حَرَّتْكُمْ﴾ مفعول به. والجملتان الاسمية والفعلية مستأنفتان مسوقتان لبيان
 الحكم في هذه المسألة الاجتماعية، فقد اعتزل المسلمون نساءهم عملاً بظاهر
 آية المحيض، فأخرجوهن من البيوت، فقال ناس من الأعراب: يا رسول
 الله! البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت،
 وإن استأثرنا بها هلكت الحيض! فقال: إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن، ولم
 تؤمروا بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم. ثم إن اليهود جرياً على عادتهم
 في المكابرة واللجاج وإحداث التفرقة والبلبله أخذوا يُروِّجون أقوالاً لا حقيقة
 لها. منها قولهم: من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحوّل،
 فنزلت الآية الثانية والثالثة تسهياً على العباد، وتوفيراً للذمتهم، كما سيأتي في
 باب البلاغة ﴿أَنِّي شِئْتُكُمْ﴾ مفعول فيه ظرف مكان متعلق بأتوا، وجملة شئتم في
 محل جر بالإضافة ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ عطف
 أيضاً ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ﴾ عطف آخر، وأن وما في حيزها سدّت مسد
 مفعولي اعلموا، وملاقوه خبر أن وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم
 ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف آخر على ما تقدم.

□ البلاغة:

(١) التشبيه البليغ: فقد شبه النساء بالحرث أولاً؛ لما بين ما يلقي في
 أرحامهن من التطف و بين البذور من المشابهة، ووجه الشبه أن كلا منهما مادة
 ما يحصل منه.

(٢) الكناية، فقد كتى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية

التي يشاؤها المرء من غير حظر ولا حرج مادام المأتى واحداً، وهو موضع الحرث.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

☆ اللغة:

﴿عُرْضَةً﴾ العرضة بالضم: الشيء الذي ينصب ويعرض، ويقال: هو عرضة لكذا، أي: قوي عليه، وهو عرضة للناس، أي: لا يزالون يقعون فيه، وجعلته عرضة كذا، أي: نصبته. أي: لا تجعلوا الله كالغرض المنسوب للرماة، فكلما أردتم الامتناع من شيء - ولو كان خيراً - تتوصلون إلى ذلك بالحلف (اللغو) الساقط الذي لا يؤبه له، ولا يعتد به من كلام وغيره، والمراد به هنا ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾ الواو استئنافية مسوقة لمعالجة مشكلة اجتماعية خطيرة، وهي جعل اسم الله معرضاً لأيمانكم تبذلونه بكثرة الحلف به، أو لا تجعلوه برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا به، فذلك لأن العرضة إما بمعنى فاعل وإما بمعنى مفعول، ولا ناهية، وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بها ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به أول لتجعلوا ﴿عُرْضَةً﴾ مفعول به ثان ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بعرضة ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول لأجله أو بدل ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ عطف على أن تبروا وبين ظرف متعلق بتصلحوا ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، والله مبتدأ، وسميع عليم خبره ﴿لَا﴾ نافية ﴿يُؤَاخِذُكُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به ﴿اللَّهُ﴾ فاعله، والجملة مستأنفة ﴿بِاللَّغْوِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم

﴿ فِي آيَاتِنَا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ وَلَكِنْ ﴾ الواو عاطفة، ولكن مهملة للاستدراك ﴿ يُؤَاخِذُكُمْ ﴾ فعل مضارع ومفعول به ﴿ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم، وما مصدرية أو اسم موصول، وقلوبكم فاعل ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وغفور حلیم خبره.

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢٦)
وَأِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيُوَلِّهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

☆ اللغة:

﴿ يُؤْلُونَ ﴾: يقسمون، والإيلاء من المرأة أن يقول: والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً. وفي هذا الفعل مباحث تتعلق بعلم الفقه يرجع إليها في مظانها.

﴿ فَأَوْ ﴾: رجعوا.

(التربص): الانتظار والتأني، قال:

تَرَبَّصْ بِهَا رَبِّبِ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا تَطْلُقَ يَوْمًا أَوْ يَمُوتَ حَلِيلُهَا

﴿ قُرُوءٍ ﴾: جمع قرء، وهو الطهر، كما ذهب إليه الشافعي. أو الحيض كما ذهب إليه أبو حنيفة. وخلاف الفقهاء عند الاحتمال اللغوي جميل جداً. فمن إطلاقه على الطهر قول الأعشى:

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشْدُ لَأَقْصَاها عَظِيمَ عَزَائِكَا

مُورِثَةٌ مَالاً وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

أي: أطهارهن. ومن إطلاقه على الحيض قول النبي ﷺ: «دعي الصلاة أيام أقرائك».

○ الإعراب:

﴿لِّلَّذِينَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿يُؤْلُونَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿مِّنْ نِّسَائِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيؤلون، وحق تعدية فعل الإيلاء بـ «على» ولكنه ضمنه معنى البعد؛ لأن المقسمين يعدون عن نسائهم ﴿تَرْبِصُ﴾ مبتدأ مؤخر ﴿أَزِيجَةَ أَشْهَرٍ﴾ أربعة أشهر مضاف إليه، والكلام مستأنف لإتمام التشريع ﴿فَإِنْ فَاءٌ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وفاؤوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها وخبرها، وجملة إن وما تلاها في محل جزم جواب الشرط ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وعزموا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والطلاق منصوب بنزع الخافض؛ لأن عزم يتعدى بـ «على» وجواب الشرط محذوف تقديره فليوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الفاء عاطفة على الجواب المحذوف بمثابة التعليل، وإن واسمها وخبرها ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ الواو استئنافية، والمطلقات مبتدأ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل، وجملة يتربصن خبر المطلقات، والجملة المستأنفة لا محل لها مسوقة لبيان أحكام الطلاق ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيتربصن، ومعنى الباء السببية، أي: من أجل أنفسهن، لأن نفوس النساء طوامح إلى الرجال فهن أدري بقمع شرتها ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ قال المعربون: مفعول به ليتربصن، وأرى أن النصب على الظرفية الزمانية أرجح ويتعلق الظرف بيتربصن، أي: مدة ثلاثة قروء ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويحل فعل مضارع معطوف على يتربصن ﴿أَنْ يَكْتُمْنَ﴾ أن حرف مصدري ونصب، ويكتمن فعل مضارع مبني على السكون في

محل نصب بأن، ونون النسوة فاعل، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يحل ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿حَلَقَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بخلق ﴿إِنْ﴾ شرطية ﴿كُنَّ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، ونون النسوة ضمير متصل في محل رفع اسم كان ﴿يُؤْمِنَنَّ﴾ خبر كن، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فلا يجروون على ذلك ﴿يَاللَّهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بؤمن ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عطف على الله لفظ الجلالة ﴿وَيُؤْمِنَنَّ﴾ الواو عاطفة، وبعولتهن مبتدأ ﴿أَحَقُّ﴾ خبر ﴿يُرِيدَنَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأحق ﴿فِي ذَلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حالة كون الرد في مدة ذلك الترتيب ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ إن حرف شرط جازم، أرادوا: فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والجواب محذوف تقديره: فبعولتهن أحق بردهن، والواو فاعل، إصلاحاً مفعول به ﴿وَهُنَّ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ مثل مبتدأ مؤخر، واسم الموصول مضاف إليه، وعليهن صلة الموصول، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: كائناً في الوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة. وتفصيل هذه الأحكام في كتب الفقه ﴿وَلِلرَّجَالِ﴾ الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه تقدم على موصوفه ﴿دَرَجَةً﴾ مبتدأ مؤخر ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعزيز حكيم خبراه.

* الفوائد:

لوحظ أنه أضاف الثلاثة إلى قروء، وهي من جموع الكثرة، لأنه لما جمع المطلقات - وكان الواجب على كل منهن ثلاثة أقراء - جمع القروء جمع كثرة

ليتناسق الكلام، أو أنه من باب الاتساع، ووضع أحد الجمعين في موضع الآخر، للنكتة المشار إليها آنفاً.

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة لبيان عدد الطلاق الجائز ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ الفاء الفصيحة، كأنه قيل: إذا علمتم كيفية التطليق فعليكم أحد الأمرين. وإمساك مبتدأ خبره محذوف، أي: فعليكم إمساكهن. وإنما قدرنا الخبر قبله لتسوية الابتداء بالنكرة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لإمساك ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ أو حرف عطف، وتسريح عطف على إمساك، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لتسريح. والمراد بالإحسان استمرار إيصال المعروف، أو تأدية جميع حقوقها المالية لرأب الصدع الذي أحدثه الطلاق ﴿وَلَا﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ولا نافية ﴿يَحِلُّ﴾ فعل مضارع مرفوع ﴿لَكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيحل ﴿أَنْ تَأْخُذُوا﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر فاعل يحل ﴿مِمَّا﴾ الجار والمجرور متعلقان بتأخذوا، أو بمحذوف حال ﴿آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ الجملة صلة الموصولة، والواو بعد الميم التي هي لجمع الذكور لإشباع ضمة الميم ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ إلا أداة حصر لتقدم النفي، أو استثناء، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر، وقد اختلف في إعراب هذا المصدر اختلافاً شديداً، فالظاهر أنه نصب على الحال، أي: إلا خائفين، ويشكل عليه أن سبويه منع في كتابه وقوع أن والفعل حالاً، نصّ على ذلك في آخر باب: «هذا باب ما يختار فيه

الرفع». وعلى هذا لا مندوحة عن الرجوع إلى الوجه الثاني من أوجه الاستثناء، وهو أن يكون الكلام تاماً منفيّاً فننصبه على الاستثناء من المفعول به، وهو «شيئاً». كأنه قيل: ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله، فذلك هو الذي يبيح لكم الأخذ. ويكون حرف العلة قد حذف مع «أن» وهو جائز في العربية، فتأمل وتدبر ﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أن وما في حيزها في موضع نصب مفعول يخافا، وحدود الله مفعول به، ولا نافية ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعل ﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أن وما بعدها في موضع نصب مفعول به لخفتم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية للجنس، وجناح اسمها، وعليهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ﴿فِيمَا أَفْذَتْ بِهِ﴾ الجار والمجرور موضع نصب على الحال، وجملة افذت صلة الموصول، والجار والمجرور متعلقان بافذت، وجملة فلا جناح في محل جزم جواب الشرط ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ تلك اسم الإشارة مبتدأ، وحدود الله خبره ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا عرفتم هذه الأحكام فلا تتجاوزوها، والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب. وجملة «تلك حدود الله» مستأنفة، ولا ناهية، وتعتدوها فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والهاء مفعول به ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لذكر الوعيد بعد النهي عن تعديها، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويتعد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وحدود الله مفعول به ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثانٍ، والظالمون خبره، والمبتدأ الثاني، وخبره خبر الأول، أو هم ضمير فصل لا محل لها، والظالمون خبر أولئك. والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر «من».

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا أَنْ يَرْاجِعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُمْ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

☆ اللغة:

﴿ضِرَارًا﴾: مصدر بمعنى الإضرار، كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها، لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة، فنهى عنه، والتفاصيل في كتب الفقه.

○ الإعراب:

﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾ الفاء استئنافية، أو عاطفة، وإن شرطية، وطلَّقها فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، والفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية، وتحل فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هي، أي: المطلقة، والجار والمجرور متعلقان بتحل، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿مِنْ بَعْدُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: كائنة بعد الطلقتين الاثنتين ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ حتى حرف غاية وجر، وتنكح فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بتحل، وزوجاً مفعول به، وغيره صفة ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ الجملة مستأنفة وقد تقدمت، والفاعل مستتر يعود على الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرْاجِعَا﴾ الفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وجناح اسمها المبني على الفتح، وعليهما الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة فلا جناح جواب شرط، وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: في التراجع، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، والضمير يعود على الزوجة والزوج الأول ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ إن شرطية، وظنا فعل ماضٍ مبني على الفتح، والألف

فاعل، وهو فعل الشرط، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله ﴿أَنْ يُقِيمَا﴾ أن وما في حيزها مصدر منصوب مفعولي ظناً، والألف فاعل ﴿حُدُّودَ اللَّهِ﴾ مفعول به ﴿وَتِلْكَ﴾ الواو استئنافية، وتلك مبتدأ ﴿حُدُّودَ اللَّهِ﴾ خبر ﴿يُتَبَيَّنُهَا﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله تعالى، والهاء مفعول به، والجملة في محل رفع خبر ثان، أو حال ﴿لِقَوْمٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان ببيئتها ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الجملة صفة لقوم ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لتتمة بيان أحكام الطلاق، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة طلقتن النساء في محل جر بالإضافة، والنساء مفعول طلقتن ﴿فَلَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ الفاء عاطفة، وبلغن فعل ماض مبني على السكون، ونون النسوة فاعل، وأجلهن مفعول به ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وأمسكوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجار والمجرور متعلقان بأمسكوهن ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتمسكوهن فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والنون علامة التانيث، وضراراً مفعول لأجله، أو مفعول مطلق، أو مصدر في موضع الحال، والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان ﴿لِئَعْلَدُوا﴾ اللام للتعليل، وتعدتوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بـ «ضراراً» فيكون بمثابة علة للعلة كما تقول: ضربت ابني تأديباً لينتفع. ولا يسوغ جعله علة ثانية لثلاث يتعدد المفعول لأجله، ومعنى الاعتداء الظلم بمجاوزة الحدود المبينة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويفعل فعل الشرط، والفاعل هو، وذلك مفعول به ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وقد حرف تحقيق، وظلم فعل ماض، وفاعله هو، ونفسه مفعول به، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر «من» ﴿وَلَا تُنَحِّذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزْؤًا﴾ الواو حرف عطف، أو استئناف، ولا ناهية، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وآيات الله مفعول به أول، وهزؤاً مفعول به ثان لتتخذوا، أي: مهزوءاً بها ﴿وَأَذْكُرُوا﴾

يَقَمَّتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿٢٣٢﴾ الواو حرف عطف، واذكروا فعل أمر وفاعل، ونعمة الله مفعول به، وعليكم متعلقان بنعمة ﴿٢٣٣﴾ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴿٢٣٤﴾ الواو عاطفة، وما اسم موصول معطوف على نعمة، وجملة أنزل صلة «ما» وعليكم متعلقان بأنزل، ومن الكتاب الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، والحكمة عطف على الكتاب ﴿٢٣٥﴾ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴿٢٣٦﴾ فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره هو، والكاف مفعول به، والجملة حال، والجار والمجرور متعلقان بيعظكم ﴿٢٣٧﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴿٢٣٨﴾ الواو حرف عطف، اتقوا عطف على اذكروا ﴿٢٣٩﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ عطف على ما تقدم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا.

﴿٢٤١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُنَّ عِصْمَةٌ فَإِذَا تَزَوَّجْتُمْ مِنْ بَنَاتِ الْأَخِي ذِكْرُكُمْ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤٢﴾

☆ اللغة:

﴿٢٤١﴾ تَعَصَّلُوهُنَّ: العضل هو: الحبس والتضييق، ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج. وقد رمق ابن هرمة سماء القرآن، فأخذ اللفظة أخذاً رقيقاً بقوله:

وَإِنَّ قِصَائِي لَكَ فَاصْطِنِعِي عَقَائِلُ قَدْ عَضَلْنَ عَنِ النِّكَاحِ

شبه القصائد بالنساء، وشرح ذلك بالعضل، وهو: المنع من النكاح. وللعين مع الضاد إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة سر غريب، فهما تفيدان عندئذ معنى الحبس والشدّة، ومنه سيف غضب، أي: شديد قاطع، والعضد معروف، وهو أشد عضو في الإنسان. وهذا من أغرب ما تميزت به لغتنا العربية.

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب، وجملة طلقتم النساء: في محل جر بإضافة الظرف إليها. والنساء مفعول به ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ الفاء عاطفة، وبلغن فعل ماض مبني على السكون، والنون فاعل، وأجلهن أي: عدتهن مفعول به، والجملة عطف على جملة طلقتم ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الفاء رابطة، ولا ناهية، وتعضلوهن فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب إذا ﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أن وما بعدها مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: من النكاح. وارتأى أبو حيان أن يكون المصدر في موضع نصب على البدل من الضمير، بدل احتمال، ولا بأس بما ارتآه. وأزواجهن مفعول به ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بتعضلوهن أو بينكن. وجملة تراضوا في محل جر بالإضافة، وبينهم ظرف متعلق بتراضوا، وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال من فاعل تراضوا، أو صفة لمصدر محذوف، أي: تراضياً كائناً بالمعروف، ولا مانع من تعليقهما بتراضوا، أي: تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والإشارة لجميع ما فصله من الأحكام ﴿يُوعِظُ بِهِ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، والجار والمجرور متعلقان بيوعظ، وجملة يوعظ به خبر لاسم الإشارة، وجملة الإشارة مستأنفة ﴿مَنْ كَانَ﴾ من اسم موصول في محل رفع نائب فاعل يوعظ، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره هو، والجملة صلة ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الجملة الفعلية في محل نصب خبر كان ﴿ذَلِكَمُ أَزْوَاجُكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ ذلكم: مبتدأ، وأزكى خبره، ولكم جار ومجرور متعلقان بأزكى أو أظهر، والجملة استئنافية ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الواو حرف عطف، وأنتم مبتدأ، ولا نافية، وجملة لا تعلمون خبر أنتم.

□ البلاغة:

في الآية مجاز مرسل طريف، وهو قوله تعالى: ﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ فتسمية المطلقين لهن بالأزواج مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لِمَوْلِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَكَشَاوَرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٣)

☆ اللغة:

(الحول): السنة لأنها تحول أي تمضي، والجمع حوول بضم الحاء، وأحوال، وهذه امرأة لا تضع إلا تحاويل ولا تلد إلا تحاويل، أي تلد سنة وسنة لا تلد، وحوليات زهير أي قصائده المطولة التي يستغرق في نظمها حولا كاملا.

﴿تُضَارَّ﴾: مضارع ضارّ بتشديد الراء ولذلك فتح آخره كما سيأتي.

(الفصال): بكسر الفاء: الفطام قبل الحولين، وفصلت الأم رضيعها: فطمته، وهذا زمن فصاله كما يقال زمن فطامه.

○ الإعراب:

﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ الواو عاطفة، أو استثنائية، والجملة معطوفة، أو مستأنفة مسوقة لإتمام هذه الأحكام، والوالدات مبتدأ ﴿يُرْضِعْنَ﴾ فعل مضارع مبني على السكون، والنون فاعل ﴿أَوْلَدَهُنَّ﴾ مفعول به، والجملة خبر للوالدات ﴿حَوْلَيْنِ﴾ ظرف زمان متعلق بيرضعن ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة لأنه مما يتسامح به، تقول: أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما ﴿لِمَنْ﴾ الجار

والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ذلك الحكم لمن،
والجملة مستأنفة ﴿أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ جملة أراد لا محل لها لأنها صلة من،
وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به، فتكون «مَنْ» واقعة على الأم،
كأنه قيل: لمن أراد أن يتم الرضاعة من الوالدات. ويجوز أن يعلق الجار
والمجرور بيرضعن، فتكون واقعة على الأب، كأنه قيل: لأجل من أراد أن
يتم الرضاعة من الآباء ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الواو عاطفة،
وعلى المولود متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وله جار ومجرور في محل رفع على
أنه نائب فاعل للمولود لأنه اسم مفعول، ورزقهن مبتدأ مؤخر، وكسوتهن
عطف عليه، وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾
الجملة تفسيرية لا محل لها، ولا نافية، وتكلف فعل مضارع مبني للمجهول،
ونفس نائب فاعل، وإلا أداة حصر، ووسعها مفعول به ثان، وكلف بتشديد
اللام فعل يتعدى لاثنتين، قال عروة:

يُكَلِّفُنِي عَمِّي ثَلَاثِينَ نَاقَةً وَمَالِي يَا عَفْرَاءَ غَيْرُ ثَمَانٍ

فالياء مفعول أول، وثلاثين مفعول ثان ﴿لَا تُضَاكِرْ وِلَدَهُ يَوْمَئِذٍ﴾ لا
ناهية وتضار فاعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه السكون، ونابت الفتحة
لخفتها في المضعف، والفعل مبني للمجهول، وقرىء في السبع برفع تضار،
على أن «لا» نافية. ووالدة نائب فاعل، والجار والمجرور متعلقان بتضار،
والجملة حالية ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْمَئِذٍ﴾ عطف على ما تقدم، والباء فيهما
للسببية، أي: وأضيف الولد إليها تارة وإليه تارة أخرى، بمثابة استعطاف
لكل من الوالدين ومناشدتهما بأن يتعهداه ويعملا على استصلاحه، فلا يكون
سبباً لإلحاق الضرر بهما، ولذلك جعلها بعض الحذاق من معربي القرآن زائدة،
ولا داعي لدعوى الزيادة ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الواو عاطفة، والجار
والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومثل ذلك مبتدأ مؤخر ﴿فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لاستقصاء الحكم في هذه
المسألة الاجتماعية. وإن شرطية، وأرادا فعل ماض في محل جزم فعل

الشرط، والألف فاعل، وفصلاً مفعول به ﴿عَنْ تَرَاثٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوِيرٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفصلاً، ومنهما صفة لتراض، وتشاور عطف على تراض ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية للجنس، وجناح اسمها، وعليهما خبرها، والجملة جواب الشرط ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعل، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به لأردتم، وأولادكم مفعول به ثان لتسترضعوا، والمفعول الأول محذوف، والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم، نصّ على هذا الإعراب سيبويه، وعلّق الشهاب على البيضاوي بأن أرفع يتعدى إلى مفعول واحد، فإن زیدت فيه السين والتاء صار متعدياً لاثنتين، وجرى الزمخشري أيضاً على ذلك. وقيل إنما يتعدى للثاني بحرف جر، فيكون أولادكم منصوباً بنزع الخافض، ويكون الجار والمجرور موضع المفعول الثاني، قال الزجاج: والتقدير: أن تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تقدم إعرابها ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه المحذوف، وجملة سلمتم في محل جر بالإضافة، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة آتيت لا محل لها لأنها صلة الموصول، وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الواو استئنافية، وجملة «اتقوا الله» من الفعل والفاعل والمفعول به، مستأنفة مسوقة للمبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع وعدم التفريط بحقوقهم ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ عطف على واتقوا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَمَازِجُ بَصِيرَتُهُمْ﴾ أن وما بعدها سدت مسد مفعولي اعلموا، وجملة تعملون صلة ما، وبصير خبر أن.

* الفوائد:

الفعل المضعّف إذا جزم أو بني على السكون جاز فيه ثلاث لغات:

(١) الفتح مطلقاً، وعندنا أنه الأولى لخفته على اللسان.

(٢) الكسر مطلقاً، كأنهم شبهوه بالتقاء الساكنين.

(٣) الاتباع لحركة الفاء، وروي قول جرير باللغات الثلاث :
فغضَّ الطرفَ إنَّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٢٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۖ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ ۙ حَلِيمٌ ۝١٢٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝١٢٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمَا عُقْدَةٌ ۚ وَالنِّكَاحُ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ۚ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٢٨﴾

☆ اللفظة:

﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ بالبناء للمجهول، أي: تقبض أرواحهم بالموت، وهو مأخوذ من توفيت الدين إذا قبضته. والمتوفى هو الله، والمتوفى بالفتح هو العبد. ويحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة، فقال له رجل: من المتوفى؟ بكسر الفاء. فقال: الله تعالى. وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي بن أبي طالب على وضع النحو.

﴿الْمُقْتَرِ﴾ الضيق الرزق.

○ الإعراب:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ اضطرب كلام المفسرين والمعربين وأئمة اللغة في إعراب هذا التركيب البليغ، وأدلى كل واحد منهم بحجة، وحشد كل ما لديه؛ لإثبات ما ارتآه. ولهذا تعذر على المعرب المفاضلة والترجيح، وسنلخص ما رأيناه أقرب إلى الصواب منها:

رأي سيبويه: وهو إعراب «الذين» مبتدأ خبره محذوف، أي: فيما يتلى عليكم حكمهم. وسيرد مثله في القرآن الكريم، ومنه «والسارق والسارقة». وجملة «يتربصن» تفسيرية للحكم المتلوا لا محل لها.

رأي الزمخشري: وهو «الذين» مبتدأ على تقدير حذف المضاف، أراد: وأزواج الذين يتوفون منكم، وخبره جملة يتربصن.

رأي المبرد: وهو جعل جملة «يتربصن» خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: أزواجهم يتربصن، والجملة الاسمية خبر «الذين»، والرابط هو الضمير، أي: النون في «يتربصن»، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم آخر.

منكم: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَيَذَرُونَ﴾ عطف على يتوفون ﴿أَزْوَاجًا﴾ مفعول به ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ فعل مضارع مبني على السكون، وقد مر إعراب الجملة فيما تقدم ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ ظرف زمان متعلق بـ يتربصن ﴿وَعَشْرًا﴾ عطف على أربعة. وذكر العدد لأنه أراد عشر ليال، والأيام داخلة معها، ولا تراهم أبداً يستعملون التذكير، تقول: صمت عشرًا وسرت عشرًا، قال:

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمُضِ لِي غَيْرَ لَيْلَةٍ فكيف إذا جدَّ المطيُّ بنا عشرًا

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب، وبلغن فعل وفاعل، وأجلهن مفعول به، وللجملة الفعلية في محل جر بالإضافة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الفاء رابطة للجواب، ولا نافية للجنس، وجناح اسمها، وعليكم متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة لا محل لها لأنها

جواب شرط غير جازم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، وجملة فعلن صلة الموصول، وفي أنفسهن جار ومجرور متعلقان بفعلن، وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسات بالمعروف ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بخبير، وجملة تعملون صلة الموصول، وخبير خبر لفظ الجلالة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ تقدم إعرابها، والواو عاطفة ﴿مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أو حرف عطف، وجملة أكننتم عطف على عرَّضتم، وفي أنفسكم متعلقان بأكننتم ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ الجملة بمثابة التعليل لا محل لها، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي علم، وجملة ستذكروهن خبر أن ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ الواو عاطفة على محذوف وقع عليه الاستدراك، أي: فاذكروهن. و«لكن» مخففة مهملة، ولا ناهية، وتواعدوهن فعل مضارع مجزوم بلا ناهية، والهاء مفعول أول، وسراً مفعوله الثاني؛ لأن السر معناه هنا النكاح. ويجوز أن يعرب حالاً مؤولة، أي: مستخفين عن الناس، أو منصوباً بنزع الخافض، أي: في السر، ويجوز أيضاً أن يعرب مفعولاً مطلقاً، أي: مواعدة سرّاً. والوجه هو الأول، وإنما ألمعنا إلى هذه الوجوه لأن بعضهم قال: إن فعل المواعدة لا يتعدى إلى مفعولين، والعرب كثيراً ما يستعملون السر بمعنى النكاح قال الأعشى:

وَلَا تَقْرَبْنِ مِنْ جَارَةٍ إِنَّ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحْنِ أَوْ تَأْتِدَا

وتأبدا فعل أمر، وألفه منقلبة عن نون التوكيد، أي: انفر من الأنيس أيها المخاطب ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ إلا أداة استثناء، وأن مصدرية، وتقولوا فعل مضارع منصوب بأن، وأن وما بعدها مصدر في محل نصب على الاستثناء من «سراً» وقولاً مفعول مطلق، ومعروفاً صفة ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، وتعزموا فعل مضارع مجزوم بلا، وعقدة النكاح منصوب بنزع الخافض، أي: على عقدة النكاح ﴿حَتَّى

يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴿٢٣٤﴾ حرف غاية وجر، ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والكتاب فاعل، وأجله مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بتعزموا ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الواو عاطفة، واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وأن واسمها، وجملة يعلم خبر أن، وأن وما دخلت عليه سدت مسد مفعولي اعلموا، وما اسم موصول مفعول به، وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة ما، أي: استقر في أنفسكم ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا علمتم ذلك فاحذروه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الجملة استثنائية ﴿إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن شرطية، وطلقتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف، أي: فلا تعطوهن المهر، والجملة استثنائية ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ ما مصدرية ظرفية زمانية أو شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتمسوهن فعل مضارع مجزوم بلم ﴿أَوْ تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الظاهر أنها عاطفة، وتفرضوا عطف على تمسوهن، ولكن يشكل على ذلك أمران، أولهما أن المعنى يصير: لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهن في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين، مع أنه إذا انتفى الفرض دون الميسر لزم مهر المثل، وإذا انتفى الميسر دون الفرض لزم نصف المسمى، فكيف يصح نفي الجناح عند انتفاء أحد الأمرين؟ وثانيهما: أن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، وترك ذكر المسوسات لما تقدّم من المفهوم، ولو كان تفرضوا مجزوماً لكانت المسوسات والمفروض لهن مستويات في الذكر، وقد تولى ابن الحاجب الجواب على الإشكال الأول بمنع كون المعنى مدة انتفاء أحدهما، بل مدة لم يكن واحد منهما وذلك بنفيهما جميعاً؛ لأنه نكرة في سياق النفي الصريح بخلاف الأول فإنه لا ينفي إلا أحدهما. وأجاب بعضهم عن الثاني بأن ذكر المفروض لهن إنما كان لتعيين النصف لهن، لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة. وعلى كل حال فالأولى جعل أو بمعنى إلى، وتفرضوا

منصوب بأن التي بمعنى إلا أو إلى فتأمل هذا الفصل، وحاصل ما تقدم أن الجزم عطفاً على تمسّوهن يؤدي لاختلاف الآيتين نسقاً، وعدم التخالف أولى، والجملة معطوفة على جواب أن المحذوف. والمعنى: إن طلقتن النساء زمان عدم المس وفرض الفريضة فلا تعطوهن المهر ﴿وَمَتَّوْهُنَّ﴾ عطف على فلا تعطوهن المهر، أي: أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وقدره مبتدأ مؤخر، والجملة حالية ﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ﴾ عطف على ما تقدم ﴿مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ متاعاً: مفعول مطلق، ومتاعاً اسم مصدر بمعنى المصدر، أي: تمتيعاً، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، وعلى المحسنين الجار والمجرور متعلقان بالمصدر ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ عطف على ما تقدم، وقد مرّ إعرابه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بطلقتنموهن، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالإضافة، أي: من قبل المسيس ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وفرضتم فعل وفاعل، ولهن الجار والمجرور متعلقان بفرضتم، وفريضة إما مفعول به وهي بمعنى المفعول، أي: شيئاً مفروضاً، وإما مفعول مطلق بمعنى فرضاً ﴿فَنَصِفُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ونصف مبتدأ، والخبر محذوف، أي: فعليكم نصف، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالواجب نصف ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾ ما اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة فرضتم صلة الموصول، والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ﴾ إلا أداة استثناء، وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب على الاستثناء المنقطع، لأن عفوهن عن النصف وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن، وفي هذا الحكم مباحث فقهية طريفة تؤخذ من مظانها. ويعفون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ولا أثر للعامل في لفظه، وهو في محل نصب فالتون ضمير، وليست علامة إعراب، كما في قولك: الرجال يعفون ﴿أَوْ يَعْفُوا﴾ عطف على يعفون وعلامة نصبه الفتحة ﴿الَّذِي﴾ فاعل يعفو ﴿بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ بيده الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم،

وعقدة النكاح مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول ﴿وَأَنْ تَعْقُوا﴾ وأقرب للتقوى ﴿الْوَاوِ اسْتِثْنَائِيَّةٌ، وَأَنْ وَمَا فِي حِيزِهَا فِي تَأْوِيلٍ مَصْدَرٌ مَوْوَلٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مَبْتَدَأٌ، وَأَقْرَبُ خَبَرٌ، وَلِلتَّقْوَى مَتَعَلِقَانِ بِأَقْرَبٍ ﴿وَلَا تَنْسُوا﴾ الْوَاوِ عَاطِفَةٌ، وَلَا نَاهِيَةٌ، وَتَنْسُوا فَعْلٌ مُضَارِعٌ مُجْزُومٌ بِلَا، وَالْوَاوِ فَاعِلٌ ﴿الْفَضْلُ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ الظَرْفُ مَتَعَلِقٌ بِمَحذُوفٍ حَالٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إِنْ وَاسْمُهَا، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مَتَعَلِقَانِ بِبَصِيرٍ، وَجُمْلَةٌ تَعْمَلُونَ صِلَةٌ مَا، وَبَصِيرٌ خَبَرٌ إِنْ، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِمَا تَقْدَمُ.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فن طريف، وهو فن التعريض، وبعضهم يدخله في باب الكناية، ونرى أنه فن قائم بنفسه، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ كأنه يقول لمن يريد خطبتها: إنك جهيلة، أو من يجد مثلك؟ أو نحو ذلك. ومن بديع التعريض في الشعر قول أبي الطيب المتنبي معرضاً بكافور:

وَمَنْ رَكِبَ الثَّورَ بَعْدَ الْجَوَا دَأَّكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَبَبُ

يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغيبه أي اللحم المتدلي تحت حنك الثور، وأما من كان مثل كافور سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك منه إن ركب به الجواد. وله أيضاً فيه يستزيده من الجوائز:

أَبَا الْمَسْكِ هَلْ فِي الْكَاسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ

فإني أغني منذ حينٍ وتشرب

يقول: مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ

خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَآ فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

☆ اللغة:

﴿الْوُسْطَى﴾ الفضلى من قولهم للأفضل: الأوسط، وليست من الوسط الذي معناه التوسط بين شيئين؛ لأن فعلى معناها التفضيل، ولا يبنى للتفضيل إلا ما يقبل التفاوت، أي: الزيادة والنقص، والوسط بمعنى الخيار يقبلهما بخلاف التوسط بين الشيئين فإنه لا يقبلهما، ولذلك لا يجوز أن يبنى منه أفعل التفضيل.

﴿قَنْتَيْنِ﴾: طائعين أو ساكنين.

﴿فِرَاجًا﴾: جمع راجل، أي: مشاة.

○ الإعراب:

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام صلاة الخوف. وحافظوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وعلى الصلوات جار ومجرور متعلقان بحافظوا ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ عطف على الصلوات ﴿الْوُسْطَى﴾ صفة ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَنْتَيْنِ﴾ الواو حرف عطف، وقوموا عطف على حافظوا، والله جار ومجرور متعلقان بقانتين، وقانتين حال من فاعل قوموا ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وخفتم فعل ماض وفاعله، وهو في محل جزم فعل الشرط ﴿فِرَاجًا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ورجالاً حال، والعامل محذوف تقديره: فصلوا، أو فحافظوا عليها رجالاً، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ عطف على «رجالاً» ﴿فَإِذَا أَمْنْتُمْ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب، وجملة أمنت في محل جر

بالإضافة ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، واذكروا الله فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة أو على الحال، وما مصدرية، وجملة علمكم لا محل لها لأنها جواب موصول حرفي ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ما اسم موصول مفعول ثان لعلمكم، وجملة لم تكونوا صلة، وجملة تعلمون خبر تكونوا، والمراد ما لم تكونوا تعلمونه من صلاة الخوف، وهي مبسوطه في كتب الفقه ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ الواو استئنافية، والذين مبتدأ، وجملة يتوفون صلة، والواو نائب فاعل، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ عطف على يتوفون، وأزواجاً مفعول به ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ﴾ وصية مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يوصون وصية، وهذه الجملة الفعلية خبر الذين، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لوصية ﴿مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ يجوز أن تنصب متاعاً على المفعولية المطلقة لفعل محذوف، أي: يمتعوهن متاعاً، أو على أنها بدل من وصية، أو على الحال. وقيل: منصوب بوصية، وقيل: بفعل محذوف، أي: يمتعوهن متاعاً. وإلى الحول جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاعاً، أي: ممتداً إلى الحول ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ غير حال، أي: حالة كونهن غير مخرجات من مسكنهن. وقال الأخفش: هي صفة لقوله متاعاً، كأنه قال: لا إخراجاً. واختاره ابن جرير الطبري، ولا مانع منه. وقيل: منصوب بنزع الخافض. وإنما أوردنا هذه الأوجه لأنها متساوية الرجحان ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وخرجن فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، وجملة فعلن صلة الموصول، وفي أنفسهن متعلقان بقوله فعلن، ومن معروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الجملة استئنافية، والله مبتدأ، وعزيز حكيم خبراه.

﴿وَلَمَّا طَلَقْتَ مَنَعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا طَلَقْتَ مَنَعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الواو استئنافية، والجار والمجرور متعلقان
 بمحذوف خبر مقدم، ومتاع مبتدأ مؤخر، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان
 بمحذوف صفة لمتاع ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ حقاً مفعول مطلق لفعل
 محذوف، وعلى المتقين جار ومجرور متعلقان بـ «حقاً» ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
 لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ كذلك في محل نصب مفعول مطلق، أو حال، والله فاعل
 يبين، ولكم متعلقان بيبين، وآياته مفعول به ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لعل
 واسمها، وجملة تعقلون خبرها، وجملة الرجاء حالية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ
 لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

○ الإعراب:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري،
 ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل مستتر
 تقديره: أنت، والجار والمجرور متعلقان بـ «تر»، وجملة خرجوا صلة
 الموصول، والرؤية هنا قلبية ولكنها تضمنت معنى الانتهاء فعديت بإلى،
 والمعنى: ألم ينته إلى علمك، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال أولئك
 القوم. ومن ديارهم متعلقان بخرجوا ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ الواو حالية، وهم

مبتدأ، ألوف خبر، والجملة في محل نصب على الحال ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول لأجله، وهم قوم من بني إسرائيل هربوا من الطاعون الذي اجتاحت أرضهم ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ الفاء عاطفة، وقال فعل ماض، ولهم متعلقان بقال، والله فاعل، وجملة موتوا في محل نصب مقول القول ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأحياهم معطوف على محذوف، أي: فماتوا ثم أحياهم، وعطف بثم لإفادة معنى تراخي المدة بين الإماتة والإحياء ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للمفارقة بين فضل الله تعالى على الناس وجحودهم لهذا الفضل بعدم الشكر، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وذو فضل خبر إن، وعلى الناس متعلقان بمحذوف صفة لفضل ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك ونصب، وأكثر الناس اسمها، وجملة لا يشكرون خبرها ﴿وَقَتَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة على مقدر يفهم من سياق الكلام، أي: لا تفروا أيها المؤمنون كما فر بنو إسرائيل وقتلوا أعداءكم، وفي سبيل الله متعلقان بقاتلوا ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عطف أيضاً، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وسميع عليم خبران لأن.

□ البلاغة:

(١) المراد بالاستفهام التقرير مشوباً بالعجب والتشويق إلى معرفة فحوى القصة واكتناه مغزاها.

(٢) المجاز المرسل في قوله: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ والمراد مرض الطاعون الذي اجتاحتهم، والعلاقة هي اعتبار ما يؤول إليه هذا المرض.

(٣) الطباق بين الإماتة والإحياء.

(٤) الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿مُوتُوا﴾ وقوله ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ فقد حذف فماتوا للاستغناء عن ذكره للتنبيه، على أن كل شيء لا يتخلف عن إرادته تعالى.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

☆ اللغة:

(القرض): اسم مصدر، لأن المصدر إقراض، والقرض هنا بمعنى الشيء المقرض، ويظهر أثر ذلك في الإعراب، كما سيأتي.

(الأضعاف): جمع ضعف، ويجوز أن يكون الضعف اسم مصدر، ويظهر أثر ذلك في الإعراب أيضاً.

○ الإعراب:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ من استفهامية مبتدأ، وذا اسم إشارة خبر، والذي بدل من اسم الإشارة، أو نعت له، والجملة استئنافية ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مفعول مطلق، ويجوز أن يكون بمعنى الشيء المقرض فيكون مفعولاً به ثانياً، وحسناً صفة ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ الفاء للسببية، ويضاعفه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للاستفهام، والجار والمجرور متعلقان بيضاعفه، وأضعافاً حال مبينة من الهاء، وأجاز أبو البقاء إعرابها مفعولاً به ثانياً، وإذا اعتبرناه اسم مصدر فيجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً. ومن أمثلة أسماء المصدر: العطاء بمعنى الإعطاء، قال القُطامي:

أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِثْلَ الرَّتَاعَا

وكثيرة: صفة لأضعاف، ووجود هذه الصفة يرجح إعرابه حالاً ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يقبض خبر، ويبسط عطف على يقبض ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الواو عاطفة، وإليه جار ومجرور متعلقان بترجعون، والجملة عطف على سابقتها.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التصريحية في يقرض، فقد حذف المشبه وهو العمل الصالح، وأبقى المشبه به وهو ما يقرض من مال وغيره، ورشح للاستعارة بمضاعفتها، كما يحصل في القروض والفوائد المترتبة عليها.

(٢) الطباق بين يقبض ويبسط.

* الفوائد:

رجح ابن جرير قراءة الرفع في «فيضاعفه» بإثبات الألف ورفع يضاعفه، وعلل ترجيحه بأن الجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَکَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِیَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِینَ﴾

☆ اللفظة:

﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: من القوم: وجوهمهم وأشرافهم، وهو اسم للجماعة، لا واحد له من لفظه. سمو بذلك لأنهم يملؤون القلوب والعيون حسناً وبهاء، والجمع أملاء، مثل سبب وأسباب، قال:

وقال لها الأملاء من کُلِّ معشرٍ وخیر أقاویل الرِّجال سدیدها

ويقال: هو مليء ومليّ، أي: غني مقتدر.

○ الإعراب:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، والكلام

مستأنف مسوق لتقرير قصة حافلة بالعبء كما سيأتي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، و«تر» فعل مضارع مجزوم بلم، والرؤية هنا قلبية مضمنة معنى العلم والانتهاء لتصبح التعدية بإلى، وقد تقدم نظيرها. والفاعل مستتر تقديره أنت، وإلى الملام متعلقان بـ «تر»، ومن بني إسرائيل متعلقان بمحذوف حال، والجملة الفعلية استثنائية ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ متعلقان بمحذوف حال، أي: من بعد موته أيضاً ﴿إِذْ قَالُوا﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالقصة المقدرة، أي: إلى قصة ملأ بني إسرائيل. ولما كانت الذوات لا يتعجب منها صار المعنى: ألم تر إلى ما جرى للملأ من بني إسرائيل من بعد موت موسى، وجملة قالوا في محل جر بالإضافة ﴿لِنَبِيِّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بقالوا ﴿أَلَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة. وهو يوشع صاحب قصة وقوف الشمس؛ التي كانت مصدراً رائعاً لافتنان الشعراء، وسنوردها قريباً ﴿أَبَعَثَ لَنَا مَلَكًا﴾ الجملة مؤلفة من فعل الأمر والفاعل في محل نصب مقول القول، ولنا متعلقان بابعث، وملكاً مفعول به، أي: قائداً ﴿نُقَلِّبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وفي سبيل الله متعلقان بنقاتل، وجملة نقاتل عطف على ابعث ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة مستأنفة ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ هل حرف استفهام للتقرير، وعسيتم فعل ماض من أفعال الرجاء، والتاء اسمها ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ إن شرطية، وكتب فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، وعليكم متعلقان بكتب، والقتال نائب فاعل. وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا تبادرون إلى القتال، وفعل الشرط وجوابه جملة اعتراضية بين اسم عسى وخبرها، وهو قوله ﴿أَلَا نُقَاتِلُ﴾ وأن حرف مصدرى ونصب، ولا نافية، وتقاتلوا فعل مضارع منصوب بأن، وجملة هل عسيتم مقول القول ﴿قَالُوا﴾ الجملة مستأنفة، وقالوا فعل وفاعل ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة لمجرد ربط الكلام بما قبله، وما اسم استفهام مبتدأ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وأن لا نقاتل في سبيل الله: المصدر المنسبك من أن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض، والتقدير: وما

لنا في ترك القتال؟ ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا﴾ الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وأخرجنا فعل ماض مبني للمجهول، والضمير نائب فاعل، ومن ديارنا متعلقان بأخرجنا ﴿وَأَبْنَيْنَا﴾ عطف على «ديارنا»، ولا بد من تضمين فعل الإخراج معنى البعد ليصح العطف، والجملة في موضع نصب على الحال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ الفاء استئنافية و«لما» حينية أو رابطة، وكتب فعل ماض مبني للمجهول، وعليهم جار ومجرور متعلقان بكتب، والقتال نائب فاعل ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ جملة تولوا لا محل لها لأنها جواب «لما» وهي شرطية غير جازمة، وتولوا فعل وفاعل، وإلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى متصل لأنهم من جنس القوم، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ: «قليلاً» ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِم بِالْظَّالِمِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعليم خبر، وبالظالمين الجار والمجرور متعلقان بعليم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسَاطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُكُمْ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتينكم التابوت فيه سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

☆ اللفظة:

﴿طَالُوتَ﴾ : ومثله جالوت، اسمان أعجميان، ولذلك امتنعا من الصرف للعلمية والعجمة، فلا عبرة بمن يقول: إنهما اسمان عريان.

﴿التَّابُوتُ﴾ : من التَّوْب، وهو: الرجوع والإنابة؛ لأنه لا يزال يرجع

إليه ما يخرج منه ، وتأؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت وجبروت ، وقد نسجت حوله أساطير يلعب فيها الخيال دوره .

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ الواو عاطفة ، وقال فعل ماض ، ولهم متعلقان بـ «قال» ، ونبيهم فاعل ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ إن واسمها ، وجملة قد بعث خبرها ، وطالوت مفعول به ، وملكاً حال من طالوت ، وإن وما بعدها جملة اسمية في محل نصب مقول القول ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ الجملة مستأنفة ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال ، ويكون : فعل مضارع ناقص ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر «يكون» المقدم ، والملك اسم يكون المؤخر ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بالملك ؛ لأن مادة «ملك» تتعدى بـ «على» . تقول : ملك على القوم أمرهم . وجملة الاستفهام وما في حيزه في محل نصب مقول قالوا ، أي : كيف يكون وهو ليس من سبط المملكة ! فقد كان أبوه عاملاً بسيطاً . وهكذا تتأصل في اليهود العنصرية والطبقية منذ أبعد الآماد ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ الواو حالية ، ونحن مبتدأ ، وأحق خبره ، وبالملك جار ومجرور متعلقان بأحق ، ومنه متعلقان بأحق أيضاً ، والجملة التالية للواو في محل نصب على الحال ﴿ وَلَمْ يَوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ الواو عاطفة ، فقد أضافوا إلى العنصرية والطبقية حب المال والتعويل عليه في الأرجحية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويؤت فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو ، وسعة مفعول به ثان . وأصل سعة : وسعة ، فحذفت الواو حملاً على المضارع . ومن المال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لسعة ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : فعل ماض ، وفاعله مستتر تقديره هو يعود على النبي ، وإن واسمها ، واصطفاه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، والجملة خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول ، وعليكم جار ومجرور متعلقان باصطفاه ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسَدِ ﴾ الواو عاطفة ،

وزاده فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، وبسطة مفعول به ثان، ويجوز إعراب بسطة تمييزاً إن قلنا إنه يتعدى لواحد، وفي العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبسطة، والجسم عطف على العلم ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الواو عاطفة، الله مبتدأ، وجهلة يؤتي: خبر، ملكه: مفعول به أول، من اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان، وجهلة يشاء صفة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وواسع عليم خبراه ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية مسوقة للتدليل على صحة كلامه، وقال فعل ماض، ولهم متعلقان بـ «قال»، ونبيهم فاعل ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ إن واسمها، وملكه مضاف إليه، وأن يأتيكم مصدر مؤول في محل رفع خبر إن، وإن وما في حيزها في محل نصب مقول القول، والتابوت فاعل يأتيكم، والكاف مفعول به مقدم ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وسكينة مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب حال من التابوت ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لسكينة ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ بقية معطوف على سكينة، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبقية، وترك آل موسى: الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، وآل موسى فاعل ترك، وآل هارون عطف على آل موسى ﴿تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فعل مضارع، والهاء مفعول به، والملائكة فاعله، والجملة حال ثانية من التابوت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، والجملة بمثابة التعليل لا محل لها، وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، واللام المرحلة، وآية اسم إن المؤخر، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية، والجملة تعليلية لا محل لها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسم كان، ومؤمنين خبرها، وجواب الشرط محذوف تقديره: فتدبروا الأمر، واعتبروا، وامثلوا أمر ربكم وآياته، والجملة الشرطية استئنافية.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فَقَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً ۖ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَّا ذَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَرُوا لِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَّا ذَنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

☆ النسخة:

﴿ فَصَلَ ﴾ : بمعنى انفصل ، فهو لازم ، ويكون متعدياً ، فيكون مفعوله محذوفاً . وفصل العسكر عن البلد فصولاً .

﴿ غُرْفَةً ﴾ : بضم الغين بمعنى مفعول ، ويجوز فتح الغين على أنه مصدر مرة ، وقد قرئ بها أيضاً .

○ الإعراب:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ الفاء عاطفة على جمل محذوفة تقدر بحسب ما يقتضيه سياق الكلام ، والتقدير : فأقروا بملكه ، وتنادوا إلى الجهاد ، فلما . . . ، ولما ظرفية حينية فهي اسم أو رابطة ، فهي حرف متضمنة معنى

الشرط على كل حال، وجملة فصل طالوت بالجنود في محل جر بالإضافة إن كانت ظرفاً، وبالجنود متعلقان بفصل أو بمحذوف حال، أي: والجنود مصاحبوه ﴿قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وإن واسمها، ومبتليكم خبرها، والجار والمجرور متعلقان بمبتليكم، والجملة الاسمية مقول القول ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ الفاء الفصيحة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وشرب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره هو، ومنه جار ومجرور متعلقان بشرب، والفاء رابطة لجواب الشرط، وليس فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، ومني جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الواو عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويطعمه فعل مضارع مجزوم بلم، والفاء رابطة، وإن واسمها، ومني جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿إِلَّا مَنْ أَعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ إلا أداة استثناء، ومن اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ وفصل بينهما بالجملة الثانية للعناية بمحتواها، وجملة اعترف لا محل لها لأنها صلة، وغرفة مفعول به، أو مفعول مطلق إذا اعتبرنا غرفة مصدر مرة، ويده متعلقان بمحذوف صفة لغرفة ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ الفاء الفصيحة، وشربوا فعل وفاعل، ومنه متعلقان بشربوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ إلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى من قوله: فشربوا منه، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ «قليلاً» ﴿فَلَمَّا جَاوَزْهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ الفاء عاطفة، أو استثنائية، ولما ظرفية حينية، أو رابطة حرفية متضمنة معنى الشرط على كل حال، وجملة جاوزه في محل جر بالإضافة إذا اعتبرنا «لما» ظرفية، أو لا محل لها من الإعراب، وهو ضمير منفصل تأكيد للضمير المستكن في «جاوزه»، والذين: عطف على «هو»، وجملة آمنوا صلة الموصول، ومعه ظرف مكان متعلق بجاوزه، والمعنى: فلما جاوزه وجاوز معه الذين آمنوا، وهم الذين

اقتصروا على الغرفة ، أو الذين لم يذوقوا الماء أصلاً للإشارة إلى الحكمة من الابتلاء ، وهي أن يرجع المتزلزل منهم قبل لقاء العدو ؛ لأن المتزلزلين إذا ظلوا فيهم ثم هربوا لكان ذلك سبباً لتخاذل الجنود ، وما أعجب أساليب القرآن !! ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ الجملة في محل نصب مقول القول ، ولا نافية للجنس ، وطاقة اسمها ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، واليوم ظرف متعلق بما تعلق به الخبر ، وهو «لنا» وكذلك قوله بجالوت . ولا يجوز تعليق واحد من هذه الظروف بـ «طاقة» لئلا يلزم تنوينه ، إذ يصبح شبيهاً بالمضاف ، ولم يقرأ به أحد . على أنه يجوز تفادياً لتعليق الثلاثة بمتعلق واحد أن يعلق واحد منها بمحذوف حال ، فيكون بمثابة التبيين لانتفاء الطاقة ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ﴾ جملة يظنون لا محل لها لأنها صلة الذين ، والواو فاعل ، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يظنون ، والله مضاف لقوله «ملاقوا» ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ كم خبرية في محل رفع مبتدأ ، ومن فئة تمييز كم الخبرية ، وقد تقدم القول فيها ، وقليلة صفة لفئة ، وجملة ﴿غَلَبَتْ فِئَةُ كَثِيرَةٍ﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿خَبَرَ لـ «كَمْ» ، وجملة كم وما في حيزها في محل نصب مقول القول ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وسع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ، والصابرين مضاف إليه ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ الواو استئنافية ، ولما حينية ، أو رابطة متضمنة معنى الشرط ، وقد تقدم إعرابها ، والجار والمجرور متعلقان ببرزوا ، وجنوده عطف على جالوت ﴿قَالُوا﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ، وأفـرغ فعل أمر معناه هنا الدعاء ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفـرغ ، وصبراً مفعول به ، والجملة مقول القول ﴿وَكَيْتَ أَقْدَامُنَا﴾ عطف على جملة أفـرغ ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ عطف أيضاً ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لك أن تجعل الفاء عاطفة على جمل محذوفة يقتضيها سياق الكلام ، أي : فنشبت المعركة ، والتحم الجيشان فهزموهم . ولك أن

تجعلها فصيحة، أي: إذا شئت أن تعرف ماذا أسفرت عنه المعركة فقد هزموهم، وهزموهم فعل وفاعل ومفعول به ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ الواو عاطفة وفعل وفاعل ومفعول به ﴿وَعَاتَكُهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكْمَةُ﴾ الواو عاطفة، وآتاه فعل ماضٍ، والهاء مفعول به أول، والله فاعل، والمملك مفعول به ثانٍ، والحكمة عطف على الملك ﴿وَعَلَّمُوهُم مَّا يَشَاءُ﴾ عطف على «آتاه» ومما متعلقان بعلمه، وجملة يشاء صلة، والمفعول به محذوف؛ لأن الصناعات التي تعلمها داود كثيرة منها صناعة الحديد، وقد لان في يده، وفهم منطق الطير والبهائم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ الواو استئنافية، ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، ودفع مبتدأ محذوف الخبر تقديره موجود، ولفظ الجلالة مضاف إليه، والناس مفعول به للمصدر ﴿بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ﴾ بعضهم بدل من الناس، والجار والمجرور متعلقان بدفع ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ اللام واقعة في جواب لولا، وجملة فسدت الأرض لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والمعنى امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله الناس بعضهم ببعض، وهذا مشاهد معاين ﴿وَلَوْ كُنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الواو استئنافية، ولكن واسمها، وذو فضل خبرها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفضل ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مفسرة ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ والجملة في محل نصب حال، ولك أن تجعل آيات الله بدلاً من اسم الإشارة، وجملة نتلوها هي الخبر، والأول أمكن. وعليك جار ومجرور متعلقان بنتلوها، وبالحق متعلقان بمحذوف حال، أي: مؤيدة بالحق مدعومة باليقين الذي لا يتسرب إليه الشك ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إنك.

لمحة تاريخية أدبية:

قلنا في مستهل هذه الآيات: إننا سنشير إلى حادثة أدبية تاريخية تتعلق بيوشع خليفة موسى عليهما السلام، وبراً بالوعد نقول: لما قاتل يوشع

الجبارين كان اليوم يوم الجمعة، فلما جنحت الشمس إلى المغيب خاف أن تغيب عنهم قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت، فلا يحلّ له قتالهم، فدعا الله تعالى، فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد انتهاز أبو تمام الطائي هذه الرواية الشعرية المجنّحة فصاغ منها معنى مبتكراً في الشعر يسمى التلميح، وهو أن يشير الشاعر في بيته أو النثر في كتابته إلى قصة معلومة على جهة التمثيل، وأحسنه فقال:

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى
قلوباً عهدنا طيرها وهي وُقُعُ
فَرُدَّتْ علينا الشَّمْسُ والليلُ راغِمٌ
بشمسٍ لها من جانب الخدرِ مطلعُ
نضا ضوءها صبغَ الدّجَنَّةَ وانطوى
لبهجتها ثوبُ السّماءِ المجزّعُ

فوالله ما أدري أحلامٌ نائم
ألَمّتْ بنا أم كان في الرّكبِ يوشعُ
وقد رفق شوقي في العصر الحديث هذه السماء العالية، وقال في مطلع قصيدة رثى بها الزعيم المصري سعد زغلول:
شَيَّعُوا الشمسَ ومالوا بضحاها
وانحنى الركبُ عليها فبكاهها
ليتني في الرّكبِ لَمَّا أَفَلْتُ
يوشع همّت فنادى فثناها
ولكن التكلف ظاهر في مقام الرثاء، وذلك لا يتلاءم مع حرارة العاطفة المحتدمة.

لمحة تاريخية ثانية:

كانت هذه القصة مصدراً خصباً للإنتاج والتصوير، فقد طلب جالوت

زعيم الجبارين قوم يوشع للمبارزة فهابوه وامتنعوا، لأنه كان جباراً عظيماً كبير الجسم جداً، ولكن داود وكان صغيراً لم يبلغ الحلم يرعى الغنم برز له بمقلاعه الشهير فرماه بحجر، في قصة شائقة، فقتله، ثم استقل بالملك. وهكذا تبرز العنصرية في بني إسرائيل منذ فجر التاريخ حتى اليوم.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيْنَتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^{٢٥٣}

○ الإعراب:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ جملة اسمية مستأنفة مسوقة لتقرير حال جماعة الرسل المذكورة قصصها في السورة، واسم الإشارة مبتدأ، والرسل خبر، فضلنا فعل ماض مبني على السكون، و «نا» فاعل، وجملة فضلنا حالية، ويجوز إعراب الرسل بدلاً من اسم الإشارة، وجملة فضلنا خبر، وبعضهم مفعول به، وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضلنا ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر، وكلم الله فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، والعائد محذوف هو المفعول به، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ويجوز إعرابها بدلاً من جملة فضلنا على الحاليين المتقدمين، أو خبراً ثانياً لاسم الإشارة ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ الواو حرف عطف، ورفع فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى، وبعضهم مفعول به، ودرجات منصوب بنزع الخافض، أي: في درجات، وأعربها أبو البقاء حالاً مؤولة من «بعضهم»، أي: ذا درجات، وكلاهما صحيح ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ﴾ الواو عاطفة، وآتيناه فعل وفاعل، وعيسى مفعول به، وابن بدل من «عيسى» أو

صفة له، ومريم مضاف إليه، والبيانات مفعول به ثان، وعلامة نصبه الكسرة نياية عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الواو حرف عطف، وأيدناه فعل وفاعل ومفعول به، والجار والمجرور متعلقان بأيدناه، والقدس مضاف إليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية، شاء الله فعل وفاعل، ومفعول المشيئة محذوف تقديره: عدم اقتالهم ﴿مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ما نافية، واقتل الذين فعل وفاعل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَقِينُ﴾ الجار والمجرور متعلقان باقتل، أو بدل من قوله: «من بعدهم» بإعادة الجار، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، أي: من بعد مجيء البيئات ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لاستدراك ما قبلها، ولكن حرف استدراك مهمل، واختلفوا فعل وفاعل ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ الفاء تفرعية، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر، وآمن فعل ماض، وفاعله هو، والجملة صلة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ عطف على الجملة السابقة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾ تقدم إعرابها، وتكررت لتأكيد الكلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ الواو استئنافية، ولكن حرف مشبه بالفعل، واسمها الله، وجملة يفعل خبرها، وما اسم موصول مفعول به، وجملة يريد صلة الموصول.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ فن الإبهام، وفيه من التفخيم والتنويه بالمنزلة ما لو نطق به لم يعدل إبهامه لما ينطوي عليه من شهادة بأنه العلم الذي لا يشبهه به، والتميز على غيره، فهو يريد محمداً ﷺ، وحسبه القرآن الذي أنزل عليه، فهو المعجزة الباقية على وجه الدهر، فعدم الذكر أبلغ من الذكر، والإبهام أبلغ من الإيضاح. سئل الخطيئة: من أشعر الناس؟ فذكر زهيراً

والنابغة، ثم قال: ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه. ولو صرح بذلك لم يكن بهذه المثابة من الفخمية.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^{٢٥٤}

☆ اللغة:

(الخُلَّة) بضم الخاء: المودة والصداقة، سُميت بذلك لأنها تتخلل الأعضاء، أي: تدخل خلالها. والخليل: الصديق لمداخلته إياك، وتخلل مودته جوانحك. ويحتمل أن يكون الخليل بمعنى فاعل أو مفعول.

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا: حرف نداء، أي: منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، والهاء للتنبيه، الذين بدل من أيها، آمنوا: فعل وفاعل، وجملة آمنوا صلة ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فعل أمر، والواو فاعل، ومما جار ومجرور متعلقان بأنفقوا، ورزقناكم فعل وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما، والجملة كلها مستأنفة ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا أيضاً، ولا مانع من تعليق حرفين بلفظ واحد لاختلافهما معنى، ف «من» الأولى للتبويض والثانية للابتداء، وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة، أي: من قبل إتيان، ويوم فاعل يأتي ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ لا النافية للجنس أهملت لتكررها، وستأتي أحكامها في مكان آخر. ويبيع مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره، ولا خلة عطف على «لا بيع» ﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾ عطف أيضاً ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الواو استئنافية، والكافرون مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، والظالمون خبره، والجملة الاسمية خبر «الكافرون»، أو «هم» ضمير فصل أو عماد، و«الظالمون» خبر «الكافرون».

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

○ اللفظة:

﴿ الْقَيُّومُ ﴾ فيقول، من قام بالأمر، إذا دبره أحسن تدبير، وأصله «قيوم»، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء فيها، فصار «قيوماً». قال أمية بن أبي الصلت:

لم تخلق السَّماء والنجوم والشمس معها قمرٌ يعوم
قَدْره المهيمنُ القيوم والحشر والجنَّة والجحيم
إلا لأمرٍ شأنه عظيم

(السَّنة) بكسر السين: ما يتقدم النوم من الفطور والاسترخاء مع بقاء الشعور، وهو المسمى بالنعاس، قال عدي بن الرقاع، وأبدع:

وَسَنَانُ أَقْصَدَةِ النَّعَاسِ فَرَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

فلذلك نفى النوم لأنه سلب للحواس، وأثبت السَّنة في البيت.

(الكرسي) معروف. والياء ليست للنسبة ولو كانت للنسبة لخرج إلى حيز الصفة، وأصله من تركيب الشيء بعضه على بعض، ومنه الكُرْأسة. سُمِّيت بذلك لتركب بعض أوراقها على بعض. وفي العرف الدارج: ما يجلس عليه. وتكرس فلان الخطب وغيره إذا جمعه. وكُرِّس البناء إذا أسسه.

﴿ يَتُودُّهُ ﴾ يثقله، ويشق عليه.

○ الإعراب:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ كلام مستأنف فخم، مسوق لجمع

أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية والسلبية. والله مبتدأ، ولا نافية للجنس، وإله اسمها المبني على الفتح، وإلا أداة حصر، و «هو» بدل من محل لا واسمها. وقد تقدم إعراب الشهادة مفصلاً. والجملة الاسمية «لا إله إلا هو» خبر الله، والحي خبر ثان، والقيوم خبر ثالث. ولك أن تعربهما صفتين لله ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ الجملة خبر رابع للمبتدأ، ولا نافية، وتأخذه فعل مضارع ومفعول به، وسنة فاعل تأخذه، ولا نوم عطف على سنة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الجملة خبر خامس، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر، وفي السموات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول، وما في الأرض: معطوف على ما في السموات ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للرد على المشركين الذين زعموا أن الأصنام تشفع لهم. ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ، وذا اسم إشارة في محل رفع خبر «من». والذي اسم موصول بدل أو «من ذا» كلها اسم استفهام مبتدأ، «والذي» هو الخبر. وأعلم أن «ذا» الواقعة بعد «ما» الاستفهامية يجوز جعلها اسم موصول اتفاقاً، وأما الواقعة بعد «من» فلاكثر أنها اسم إشارة. ويشفع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الظرف متعلق بيشفع أو بمحذوف حال من الضمير في يشفع، وإلا أداة حصر، وإيذنه الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الجملة خبر سادس، ويعلم فعل مضارع، وفاعله مستتر يعود على الله تعالى، وما اسم موصول مفعول به، وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، وأيديهم مضاف إليه، والواو حرف عطف، وما عطف على «ما» الأولى، والظرف متعلق بالصلة المحذوفة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِ﴾ الجملة معطوفة على ما تقدم؛ ولا نافية، ويحيطون فعل مضارع، والواو فاعل، وبشيء جار ومجرور متعلقان بيحيطون، من علمه: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ إلا أداة حصر، بما: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل من شيء

بإعادة الجار، وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة ما، ومفعول المشيئة محذوف تقديره: أن يعلمهم به ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الجملة خبر سابع، ولك أن تنصبها على الحال، ووسع كرسيه فعل ماض وفاعل، والسماوات مفعول به، والأرض عطف على السماوات ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويؤوده فعل مضارع ومفعول به، حفظهما: فاعل، والهاء مضاف إليه، والميم والألف حرفان دالان على التثنية ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والعلّي خبره، والعظيم خبر ثان.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآية على أهم المسائل المتعلقة بالذات الإلهية. روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن البقرة. وفيها آية هي سيدة آي القرآن، وهي آية الكرسي». ونلخص فيما يلي فنون البلاغة المنطوية فيها:

(١) الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فالكلمة مجاز عن علمه تعالى أو ملكه، وتصوير صحيح لعظمته، حذف المشبه وهو العلم والقدرة والعظمة وما يترتب على الجلوس فوق كرسي الملك من معاني الأبهة والإحاطة الجامعة.

ملاحظة ابن قتيبة:

على أن ابن قتيبة لاحظ في كتابه «مشكل القرآن» أن هذا يخالف نصوص اللغة. ورد على المعتزلة في آرائهم، قال مانصه:

وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردّوه إلى مذاهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم، فقال فريق منهم في ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: علمه. وجاؤوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر: ولا يكرسىء علم الله مخلوق كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق. والكرسي غير مهموز، ويكرسىء مهموز، يستوحشون أن يجعلوا الله كرسيًا

ولكننا لا نوافق ابن قتيبة على رأيه، فإن كثيرين من أهل السنة ذهبوا إلى ذلك.
رأي التفتازاني:

قال التفتازاني: إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق.
رأي القرطبي:

وفي تفسير القرطبي: «وقال ابن عباس: كرسية: علمه، ورجحه الطبري. وقيل: كرسية: قدرته التي يمسك بها السموات والأرض، كما تقول: اجعل لهذا الخائن كرسياً، أي: ما يعمده.

وهذا قريب من قول ابن عباس. وهذا بحث طويل يتشعب فيه الجدال، بين أهل السنة والاعتزال، فليرجع فيه إلى المطولات.

(٢) الإيجاز: فقد تضمنت آية الكرسي من الإيجاز ما لا مطمح فيه لتقليد أو محاكاة، ويمكن القول: إن البيان اتحد بالمبين في تصوير الملك الحقيقي الذي لا ينزع فيه بأرشق عبارة، وأدق وصف، وفيها ما يسمى بالفصل في علم المعاني، وهو حذف العاطف للدلالة على أن كل صفة من صفات هذا الملك العظيم مستقلة بنفسها، وذلك على النحو التالي:

أ- الجملة الأولى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
وقد بين فيها قيامه سبحانه بتدبير الخلق وتنسيق شؤونهم، وإحكام معاشتهم وهيمته عليهم، دون أن يكون ساهياً عنه طرفة عين.

ب- الجملة الثانية: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقد بين فيها أنه مالك لما يدبره غير منازع في ملكه.

ج- الجملة الثالثة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وقد بين فيها كبرياء شأنه وتضائل الجميع أمام قدرته التي لا تحده.

د- الجملة الرابعة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وقد صور فيها إحاطته بأمور الخلق وأحوالهم بحيث لا يغرب عنه شيء.

هـ - الجملة الخامسة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى آخر الآية، وقد نوّه فيها بتعلقه بالمعلومات كلها وكل شيء عنده بمقدار.

(٣) إيجاز الإيجاز: فقد اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من آيات الله سبحانه، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكنّاً في بعضها الآخر، وذلك على الترتيب التالي:

١ - الله، ٢ - هو، ٣ - الحي، ٤ - القيوم، ٥ - ضمير لا تأخذه، ٦ - ضمير له، ٧ - ضمير عنده، ٨ - ضمير بإذنه، ٩ - ضمير يعلم، ١٠ - ضمير علمه، ١١ - ضمير شاء، ١٢ - ضمير كرسيه، ١٣ - ضمير يؤوده، ١٤ - وهو، ١٥ - العلي، ١٦ - العظيم، ١٧ - الضمير المستكن الذي اشتمل عليه المصدر وهو «حفظهما» فإنه مصدر مضاف إلى المفعول، وهو الضمير البارز، ولا بد له من فاعل وهو الله، ويظهر ذلك عند فك المصدر فيقول: ولا يؤوده أن يحفظهما هو.

وقد حاول أحد الأعلام أن يوصلها إلى واحد وعشرين موضعاً، ويعتبر الأسماء المشتقة الواردة فيها تحتاج إلى ضمير كالحي والقيوم والعلي والعظيم، فيكون كل واحد باثنين، وبذلك تضاف أربعة مواضع إلى المواضع السبعة عشر، فيكون المجموع واحداً وعشرين موضعاً. وقد نازعه علم آخر فقال: هذا لطيف جداً، ولكن المشتق لا يقع على موصوفه إلا باعتباره محتملاً لضمير، فلا يمكن أن يتميز بحكم الانفراد عن الضمير، ولهذا فالاسم المشتق لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً، ألا تراك إذا قلت: زيد كريم فإن «كريم» لم يقع على زيد إلا لأنه يتحمل ضميره، حتى إذا جردت النظر إليه لم تجده مختصاً بزيد، بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس. وهذا من أدق مباحث علم المعاني، فتدبره، والله يعصمك.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾
 اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
 النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

☆ اللفظة:

﴿يَالْظَّغُوتِ﴾: كل معبود من دون الله، والجمع طواغ وطواغيت،
 والخلاف حول هذا اللفظ كثير، وهو يكون واحداً وجمعاً، ومذكراً ومؤنثاً،
 قال تعالى في الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظَّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾. وسيأتي مزيد من
 البحث عنه.

﴿يَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة في الأصل: موضع شد اليد، وأصل المادة تدل
 على التعلق. والعروة من الدلو، والكوز: المقبض، ومن الثوب: أخت زرّه،
 واعتراه الهم: تعلق به، قال:

وإني لتعروني لذكراك هزّةً كما انتفض العصفور بالله القطر

﴿الْوُثْقَى﴾: فُعِلَ للتفضيل، مؤنث الأوثق، كفضلى تأنيث الأفضل.
 وجمعها على وُثُق، وهي ما يوثق به ويستعصم.
 ﴿انْفِصَامٌ﴾: انقطاع، وأصل الفصم الكسر.

○ الإعراب:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن العاقل لا يحتاج للإكراه
 على الدين، بل يختار تلقائياً الدين الحق. ولا نافية للجنس، وإكراه اسمها،
 وفي الدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
 الجملة تعليلية لا محل لها، وقد حرف تحقيق، وتبين فعل ماض، والرشد
 فاعله، ومن الغي جار ومجرور متعلقان بتبين ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالْظَّغُوتِ﴾ الفاء
 الفصيحة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويكفر فعل الشرط المجزوم، وفاعله

ضمير مستتر يعود على «من»، وبالطاغوت جار ومجرور متعلقان بيكفر ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الواو عاطفة، ويؤمن عطف على يكفر، والجار والمجرور متعلقان بيؤمن ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه مقترن بقدر، واستمسك فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على من، وبالعروة متعلقان باستمسك والوثقى صفة للعروة، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من، وجملة من يكفر لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ الجملة في محل نصب حال من العروة، ولا نافية للجنس، وانفصام اسمها المبني على الفتح، ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الجملة إما أن تكون مستأنفة مسوقة لحمل الناس على الإيمان والردع عن الكفر، وإما أن تكون اعتراضاً تذييلياً للغاية نفسها، والله مبتدأ، وسميع عليم خبره ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الجملة مستأنفة لبيان ما في الإخراج من فضل، والله مبتدأ، وولي خبر، والذين مضاف إليه، وجملة آمنوا صلة الموصول ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الجملة إما حال من الضمير المستكن في «ولي»، أو خبر ثان للمبتدأ «الله»، ومن الظلمات متعلقان بيخرجهم، وإلى النور متعلقان بيخرجهم لاختلاف المعنيين، أي: بدءاً من الظلمات وانتهاء إلى النور، أو حال من الموصول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الواو عاطفة، والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة الموصول ﴿أُولَٰئِكَ أَطُغُوهُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية خبر الذين، والرابط الضمير ﴿يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ تقدم إعراب شبهها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ مبتدأ وخبر، والنار مضاف إليه، والجملة حالية ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وفيها متعلقان بخالدون، والجملة حال ثانية.

□ البلاغة:

(١) العروة الوثقى: استعارة تصريحية تمثيلية، فقد شبه من يسلك سبيل

الله بمن أخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع ، فهو آمن من الانزلاق ، والتردي في مهاوي الخطل والضلال .

(٢) الاستعارة التصريحية في استعارة الظلمات والنور للضلال والهدى .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ فنفي الشيء بإيجابه وهو فن عجيب فحواه أن المتكلم يثبت شيئاً في كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته . وحاصل ما ذكرناه أن الذين كفروا لم يسبق لهم نور حتى يخرجوا منه ، فقد يوهم ظاهر الكلام أنه كان لهم نور في الأصل ، ثم أخرجوا منه ، والمراد نفي النور عنهم أصلاً . ومثله قول مسلم بن الوليد المعروف بصريح الغواني :

لا يعبق الطيب خديّه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

ومثله قول أبي الطيب المتنبي :

أفدي ظباء فلاة ما عرّفن بها مَضْغَ الكلام ولاصْبَغَ الحواجِبِ
ولا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ ماثِلَةً أَوْزَاكُهُنَّ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الحالة ، والمراد في باطنه عدم الحمام مطلقاً ، وسيأتي المزيد من بحثه في هذا الكتاب . وقد يجوز أن يكون من باب المشاكلة ، وقد تقدمت . وحاصلها أن ذكر الإخراج الثاني مشاكلة للأول على حد قوله : « قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً . مع التسليم بأن المراد بالذين كفروا الذين لم يسبق لهم إيمان أصلاً ، فتأمل .

(٤) جمع الظلمات وأفرد النور لسر بلاغيّ عجيب ، وهو ينطوي على الإشارة إلى وحدة الحق وتعدد أنواع الظلمات التي هي الضلالات وما أكثرها ! ولأن طريق الحق واضحة المعالم لا لبس فيها ، ولا تشعب في مسالكها ، أما طريق الضلال فهي ملتبسة على من يسلكها .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ

إِذْ رَأَوْهُمُ الذِّى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِنْ رَأَوْهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ
يَأْتِى بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى
يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ
لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ
وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ
وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

☆ الفظة:

﴿حَاجَّ﴾: غالب خصمه بالحجة، ومن أقوالهم: كانت بينهما محاجة وملاجة.

﴿خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، أو خالية من أهلها.

﴿يَتَسَنَّهْ﴾: الهاء أصلية أو للسكت، أي: لم تمر السنة عليها، والشيء عادة يتغير بمرور الزمان، فلام السنة واو أو هاء. وقيل: أصلها يتسنن، من الحمأ المسنون. وسيرد في الإعراب تفصيل واف عن هذه اللفظة.

﴿نُنْشِزُهَا﴾: نحركها، ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب.

○ الإعراب:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ كلام مستأنف مسوق للتعجب من قصة أحد الطواغيت، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد العموم. فالهمزة للاستفهام التعجبي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، وإلى الذي جار ومجرور متعلقان بـ «تر» ولا بد من حذف مضاف،

أي: إلى قصة الذي حاجّ، وحاجّ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وإبراهيم مفعول به، وفي ربه جار ومجرور متعلقان بحاجّ ﴿أَنْ أَأَتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أن حرف مصدري ونصب، آتاه فعل ماضٍ في محل نصب بأن، والهاء مفعول به، والمصدر المنسبك من أن والفعل بعدها في محل نصب مفعول لأجله بتقدير اللام؛ لأن شرطاً من شروط المفعول لأجله قد فقد، وهو اتحاد الفاعل، وحذف اللام قياسي قبل أن وأن. والمراد أقدم على محااجة إبراهيم وملاحاته لبطره وصلفه، وكان الأجدر به أن يشكر على النعمة، ويتواضع عند الرفعة، وهذا أولى من جعله ظرفاً بمعنى وقت إتياء النعمة. والمصادر قد تقع ظرفاً مثل خفوق النجم، ومقدم الحاجّ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بحاجّ، وأجاز الزمخشري والجلال أن يكون بدلاً من «أن آتاه» إذا جعل بمعنى الوقت، ولكن النحاة نصّوا على أنه لا يقوم مقام ظرف الزمان إلا المصدر المصرح بلفظه، فلا يجوز: أجيء أن يصيح الديك، ولا: جئت أن صاح الديك، وقال إبراهيم فعل وفاعل، والجملة في محل جر بالاضافة ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ربي مبتدأ، والذي خبره، وجملة يحيي صلة الموصول لا محل لها، ويميت عطف على يحيي، وجملة ربي إلخ مقول القول ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ الجملة مستأنفة، وقال فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، وأنا مبتدأ، وأحيي فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنا، والجملة خبر أنا، وجملة أنا أحيي جملة اسمية في محل نصب مقول القول، وأميت عطف على أحيي ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة للانتقال من حجة إلى حجة أظهر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ الفاء الفصيحة، وهي الواقعة في جواب شرط مقدر؛ أي: إذا كنت قادراً كما تدعي كذباً وافتثاً، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق...، وإن واسمها، وجملة يأتي خبرها، والجملة بعد الفاء لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم، والجار والمجرور: بالشمس متعلقان بيأتي، ومن المشرق جار ومجرور متعلقان بيأتي أيضاً ﴿فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ كرر الفاء الفصيحة للتأكيد

وإرهاصاً بالحجة، واثت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل أنت، بها متعلقان باثت، من المغرب متعلقان به أيضاً ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ الفاء عاطفة، وبهت من الأفعال التي أنت مبنية للمجهول، والذي نائب فاعل، أي: على اللفظ، ويجوز أن يكون فاعلاً باعتبار المعنى، ولعله أولى. وكفر فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة صلة الذي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الواو استئنافية، الله مبتدأ، وجملة لا يهدي خبره، والقوم مفعول به، الظالمين صفة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تقدير الكلام: أو رأيت مثل الذي، فأو حرف عطف، والكاف اسم بمعنى مثل، فحذف لدلالة «ألم تر» عليه، ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيراً، والغرض من ذلك التعجب، فيقال: ألم تر إلى الذي صنع كذا، بمعنى انظر إليه. وعلى كل حال فالكاف الاسمية معطوفة على ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ والذي مضاف إليه، وجملة ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ صلة الموصول، والقرية قيل: أراد بها بيت المقدس حين خربها بختنصر ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ الواو للحال، وهي مبتدأ، وخواوية خبر، وعلى عروشها جار ومجرور متعلقان بخواوية. والمعنى سقطت السقوف أولاً ثم تلتها الأبنية. وهذا التصوير تجسيد شعري لفناء المحدثات، يبدأ الفناء بالعوالم والكائنات الحية، ثم تتلوها الجمادات، وقد رمق من طرف خفي أبو الطيب المتنبى سماء هذا المعنى البديع فنقله نقلاً دقيقاً أسرع من تنقل الطيوف في الأجفان، فقال يرثي:

أين الذي الهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ؟ ما قَوْمُهُ؟ ما يَوْمُهُ؟ ما الْمَصْرَعُ؟

تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِيناً وَيُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَشْبَعُ

والبيت الثاني هو المقصود، ومعناه أن الآثار وهي المباني تبقى بعد أربابها لتدلّ على تمكّنهم وقوتهم، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء، وسيدركها الخراب فتسقط متداعية ثم تسقط فوقها العروش، والسقوف المشيدة، فتذهب الآثار، وقد ذهب المفسرون في قصة هذا المارّ مذاهب

طريقة يحلو الرجوع إليها في المطولات ، وهل قال ما قال بمعرض الإنكار للبعث؟ وهل كان كافراً؟ هذه كلها حدوس تتألف منها قصة مجنحة ، فمن لنا بالكاتب المبدع؟ ﴿ قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال : فعل وفاعله هو ، وأنى فيها وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى متى فتكون ظرفاً متعلقاً بيحيي ، وثانيهما أن تكون بمعنى كيف فتكون حالاً من هذه ، والعامل فيها يحيي . وجملة يحيي في محل جر بالإضافة إذا كانت «أنى» ظرفاً . أو مقولاً للقول إذا كانت بمعنى كيف . ويحيي فعل مضارع ، وهذه مفعول مقدم ، والله فاعل مؤخر ، وبعد موتها ظرف زمان متعلق بيحيي أيضاً . وجملة قال مستأنفة مسوقة للتألف عليها ، والتشوق إلى عمارتها مع استشعار اليأس منها ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ الفاء عاطفة ، وأماته الله فعل ومفعول به وفاعل ، ومئة ظرف زمان متعلق بأماته ، وعام مضاف إليه ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُ عَلَىٰ أَمَاتِهِ ، وَعَطَفْنَا بِهِ عَلَىٰ النَّاسِ ﴾ وعطف بضم اللام على الألف ، وعطف بضم اللام على الألف ، وطول المدة ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال قد يساور الخاطر كأنه قيل : فماذا قال الله تعالى له حين بعثه بعد الموت؟ وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بلبث ومميزها محذوف كأنه قيل : كم وقتاً لبثت؟ ولبث فعل وفاعل ، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ جملة القول مستأنفة لتكون بمثابة الرد على السؤال ، وجملة لبث في محل نصب مقول القول ، ويوماً ظرف زمان متعلق بلبث ، وأو حرف عطف ، وبعض يوم عطف على يوماً ، منتظم في سلك الظرف الزمني ﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ جملة قال استئنافية ، بل حرف عطف عاطفة على جملة محذوفة ، لا بد من تقديرها ، والتقدير : ما لبثت؟ يوماً أو بعض يوم؟ بل لبثت مئة عام ، ومئة عام ظرف . والجملة مقول القول ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنَّهٗ ﴾ الفاء الفصيحة ، وهي هنا جواب لشرط مقدر تقديره : إذا حصل لك ارتياب وعدم طمأنينة في أمر البعث فانظر . وانظر فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وإلى طعامك جار ومجرور متعلقان بانظر وشرابك عطف على طعامك ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ،

ويتسنة فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون إذا كانت الهاء أصلية، وإذا كانت الهاء للسكت كان الفعل مجزوماً بحذف حرف العلة، وعندئذ تثبت هاء السكت في الوقف لا في الوصل، وسيأتي حكمها. وإذا كان الفعل من التَّسْنُن الذي هو التغير كان مجزوماً بالسكون المقدر على حرف العلة المحذوف الذي أبدلت النون الثانية منه، وجملة لم يتسنة حال ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ عطف على ما تقدم، وإنما خصه بالذكر لأن المارَّ كان يركبه، ولأن العبرة بالكائنات الحية أشد تأثيراً، وقد تقدم إعراب مثلها ﴿وَلَنَجْجَعَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، ونجعلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واللام والمصدر المجرور بها متعلقان بفعل محذوف، أي: فعلنا ذلك كله لنجعلك آية، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به أول، وآية مفعول به ثان، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ الواو عاطفة، وانظر فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، وإلى العظام جار ومجرور متعلقان بانظر، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، وصاحب الحال الضمير المنصوب في ننشزها، والجملة بدل من العظام وهي في محل جر أو نصب؛ لأن نظر البصرية تتعدى إلى، وهي معلقة عن العمل بسبب الاستفهام فتكون في محل نصب، أي: إلى حال العظام، وننشزها فعل مضارع مرفوع، والهاء مفعول به، والفاعل مستتر تقديره نحن ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ونكسوها فعل مضارع ينصب مفعولين أولهما الهاء، ولحماً هو المفعول الثاني ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكُمُ الْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَىٰ مَقْدَرٍ يَسْتَوْجِبُ السِّقَاقَ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَنْشِزْهَا اللَّهُ وَكَسَاهَا لَحْمًا، فنظر إليها فتبين له كيف يتم الإحياء والبعث. ولما ظرفية غير جازمة متعلقة بالجواب، وتبين فعل ماض مبني على الفتح الظاهر، وفاعل تبين ضمير مستكن يعود على كيفية الإحياء، وقدره الزمخشري تقديرًا طريفاً، قال: فلما تبين له ما أشكل عليه. وقدره الجلال: فلما تبين له ذلك بالمشاهدة. والجار والمجرور

متعلقان بتبين، وجملة تبين في محل جر بإضافة ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال فعل، وفاعله مستتر، وجملة أعلم مقول القول، وجملة القول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي أعلم.

* الفوائد :

(١) ينوب عن الظرف المصدر إذا كان مضافاً إليه، وأن يكون معيناً لوقت، أو مقدار، نحو: جئتك صلاة العصر، ومقدم الحاج.

(٢) هاء السكت: سميت بذلك لأنه يسكت عليها دون آخر الكلمة، ولها ثلاثة مواضع:

أ- الفعل المعلن بحذف آخره لجزم أو سكون، مثل: لم يتسنه، ولم يغزه، ولم يخشه، ولم يرمه، واغزه، واخشه، وارمه. ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِدْنَهُمْ أَقْتَدَةٌ﴾ وهي في كل هذا جائزة لا واجبة، إلا في مسألة واحدة، وهي أن يكون الفعل قد دخله الحذف، وبقي على حرف واحد، كالأمر من وعى يعي، فإنك تقول: عه، بحذف فائه ولامه.

ب- ما الاستفهامية المجرورة بالحرف، وذلك أنه يجب حذف ألفها إذا جرت، نحو عمّ، ومم، وبم، وفيم. فإذا وقفت عليها ألحقها الهاء حفظاً للفتحة الدالة على الألف.

ج- كل مبني على حركة بناء ولم يشبه العرب، وذلك كياء المتكلم وهو وهي، فإنك تقف عليها بهاء السكت محافظة على الفتحة، وفي القرآن: ﴿ماهيّة﴾ و﴿مالية﴾ و﴿سلطانية﴾، وقال حسان:

إذا ما ترعرع منا الغلام فما إن يقال له: ماهوه؟

وحق هاء السكت أن تكون ساكنة، وتحريكها لحن عند البصريين، وكان أبو الطيب المتنبي يراغم النحاة فقال:

واحرَّ قلباهُ ممَّن قلبه شيمٌ ومَن بجسمي وحالي عنده سقمٌ

وهو - كما تعلم - كوفي، والكوفيون يجيزون ذلك، والواقع أن علماء النحو اضطربوا كثيراً في هذه المسألة، ووقفوا حائرين أمام قول عروة في حبيته عفرأء :

يا مرجباه بحمارِ عفرأء ويا مرجباه بحمارِ ناجيه

وقد دافع أبو البقاء العكبري عن أبي الطيب المتنبي في شرحه لديوانه في بحث شيق، حبذا لورجعت إليه .

(٣) الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الأصلي، فالأول ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ معناه التعجب، أي: اعجب يا محمد من هذه القصة، والاستفهام الثاني للاستعظام، وهو ﴿ أَلَيْسَ يَحْيَى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ .

لمحة تاريخية لا بُدَّ منها:

كان عزيز بن شرخيا من سكان بيت المقدس، وقد كان في جملة من سباهم بختنصر، فلما خلص من السبي وجاء ورآها على تلك الحالة، وكان راكباً على حمار، دخلها وطاف فيها، فلم ير أحداً فيها. وكان أغلب أشجارها حاملاً، فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب، ثم ربط حماره بحبل، وجعل فضل الفاكهة في سلة، وفضل العصير في زق أو ركوة، ثم ألقى الله عليه النوم فنام، ولما نام نزع الله منه الروح، وأمات حماره، وبقي عصيره وتينه عنده، فلما مضى من وقت موته سبعون سنة سلط الله ملكاً من ملوك فارس، فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمره، وصار أحسن مما كان، وعاد أهلها إليها، وأعمى الله العيون عن عزيز هذه المدة. فلما مضت المئة أحياء الله، ثم أخذ ينظر إلى حماره تدب فيه الروح وتللم الأوصال، إلى آخر تلك القصة؛ التي نتمنى أن يعمد إليها كاتب قصصي بارع، فيجعل منها قصة فنية. وهي تشجب أقوال اليهود في عزيز أنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك.

ملاحظات هامة:

(١) تحدثنا عن قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ في باب الإعراب، وقد عثرنا على تقرير هام للتفتازاني خلاصة تقريره هذا: أن كلاً من لفظ ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ و﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ مستعمل لقصد التعجب، إلا أن الأول تعلق بالمتعجب منه فيقال: ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى انظر إليه، فتعجب من حاله. والثاني تعلق بمثل المتعجب منه فيقال: أَرَأَيْتَ مثل الذي صنع كذا؟ بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل. ولا يصح: ألم تر إلى مثله، إذ يصير التقدير: انظر إلى المثل، وتعجب من الذي صنع؛ فلذا لم يستقم عطف ﴿ كَأَلَّذِي مَرَّ ﴾ على ﴿ أَلَّذِي حَاجَّ ﴾ واحتيج إلى التأويل في المعطوف بجعله متعلقاً بمحذوف، أي: أَرَأَيْتَ إلى، أو في المعطوف عليه، نظراً إلى أنه في معنى: أَرَأَيْتَ كالذي حاج، فيصح العطف عليه حيثئذ.

قلت: وهذه دقة نظر وبعد غور لا حدَّ لهما، واستقصاء علمي منقطع النظير، ولم نصحح إعرابنا كما ارتآه، واكتفينا بإثبات هذه الملاحظة.

(٢) قال أبو السعود العمادي مفتي التخت العثماني؛ الذي تقلد الإفتاء الإسلامي مدة ثلاثين سنة، وصاحب التفسير المسمى: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» والمتوفى سنة ألف وخمسمئة وأربع وسبعين للميلاد، في صدد بحثه عن الكاف في قوله ﴿ أَوْ كَأَلَّذِي ﴾: والكاف إما اسمية كما اختاره قوم، جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر، كقولك: الفعل الماضي مثل نصر، وإما زائدة كما ارتضاه آخرون، والمعنى: أولم تر إلى الذي مر على قرية كيف هداه الله، وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود، أي: قد رأيت ذلك وشاهدته.

(٣) قال ابن هشام في «المغني»: ومن الوهم في هذا الباب قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ أن جملة الاستفهام حالية، والصواب أن «كيف» وحدها حال من مفعول ننشزها، وأن الجملة بدل من «العظام».

وأورد الدسوقي في حاشيته على ابن هشام أن هذه الجملة لا تحل محل المبدل منه، وهو شرط في صحة البدل. وفات الدسوقي أن الالتفات للمعنى، أي: إلى العظام وكيفية نشوزها، على أن هذه القاعدة أغلبية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمَّا تُوْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾

☆ اللغة:

﴿فَصُرْهُنَّ﴾: بضم الصاد ويجوز كسرهما، فعل أمر من صار يصُور، أو من صار يصير، بمعنى ضمّ أو مال، قال:

وَفَرْعٌ يَصِيرُ الْجَبَدَ وَخُفٌ كَأَنَّهُ عَلَى اللَّيْلِ قِنَوانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحُ

يصف شعر محبوبته بأنه يميل عنقها لنقله عليه ويشبهه بعناقيد الكروم المثقلات بالحمل. وقال في «مختار الصحاح»: وصارُهُ: أَمَلَهُ، من باب: قال وباع، وقرئ: فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ، بضم الصاد وكسرهما، وصار الشيء أيضاً من البابين قطعه وفصله، فمن فسره بهذا جعل في الآية تقديمًا وتأخيرًا، أي: فخذ إليك أربعة من الطير فصُرْهُنَّ.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لإيراد دليل آخر على رعاية الله للمؤمنين، وفيه تنويه بأن الرؤية والعيان لا بد منهما لتدعيم الاعتقاد وترسيخه، إذ لم يكن إبراهيم شاكاً في إحياء الله للموتى، وإذ ظرف متعلق بما ذكر مقدراً، وقال إبراهيم فعل وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، والجملة في محل نصب مقول القول. وأرني: فعل أمر

من الإراءة البصرية المتعدية لواحد، وبدخول الهمزة صارت متعدية لاثنين .
وأصل أرني أرئني، فحذفت الياء الأولى فصار أرئني، ثم نقلت حركة
الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة، وأرني فعل أمر مبني على حذف حرف
العلة، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، وكيف استفهام حال،
وتحيي فعل مضارع، وفاعله مستتر، والموتى مفعول به، وجملة كيف
تحيي الموتى في محل نصب مفعول أرني الثاني ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ﴾ قال فعل
ماض، والفاعل هو، والجملة مستأنفة بمثابة التقرير للواقع، أي: أسأل
ولم تؤمن، والهمزة للاستفهام التقريري؛ لأن الاستفهام إنما هو عن أمر
مقرر الوجود عند السائل والمسؤول على السواء. والواو عاطفة، ولم
حرف نفي وقلب وجزم، وتؤمن فعل مضارع مجزوم بلم، والجملة
الاستفهامية في محل نصب مقول القول ﴿قَالَ بَلَى﴾ جملة مستأنفة مسوقة
لتقرير الإيمان، وأتى بـ «بلى» التي هي حرف جواب لتثبيت الإيمان المنفي،
ولو كان الجواب بنعم لكان كفراً ﴿وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ الواو عاطفة على
جملة محذوفة تقديرها: «سألتك»، ولكن حرف استدراك مهمل، وليطمئن
اللام للتعليل، ويطمئن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، ولا بد من تقدير
محذوف ليصح تعليق اللام، أي: ولكن سألتك كيفية الإحياء ليطمئن قلبي،
وقلبي فاعل مرفوع بالضممة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم، والياء مضاف
إليه ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة للتدليل على ولاية الله
تعالى للمؤمنين، والسير بهم في آماذ الطريق المستقيم، والفاء هي
الفصيحة، أي: إذا أردت معرفة ذلك عياناً فخذ، وخذ فعل أمر، والفاعل
أنت، وأربعة مفعول به، ومن الطير جار ومجرور متعلقان بمحذوف بصفة
لأربعة ﴿فَصُرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ الفاء عاطفة، وصرهنّ فعل أمر، والفاعل مستتر
تقديره أنت، والهاء مفعول به، والنون علامة النسوة لا محل لها من
الإعراب، وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مضمومات
إليك ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ثم حرف عطف للترتيب
والتراخي، واجعل فعل أمر، والفاعل أنت، وعلى كل جار ومجرور

متعلقان باجعل على أنه مفعول ثانٍ لـ «اجعل»، وجبل مضاف إليه، ومنهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ «جزءاً» فلما تقدمت على الموصوف أعربت حالاً، وجزءاً هو المفعول الأول ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ عطف أيضاً، وادعهن فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل أنت، والهاء مفعول به، والنون علامة التانيث لا محل لها، ويأتينك فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم جواب الطلب، والنون فاعل، والكاف مفعول به، والجملة جواب الطلب لا محل لها وسعيًا مفعول مطلق، أي: مشياً سريعاً، ولك أن تعربها حالاً، أي: مسرعات ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الواو عاطفة، واعلم فعل أمر، والفاعل أنت، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم.

□ البلاغة:

في هذه الآية إيجاز بالحذف، وقد حذف تنمة القصة، إذ حكى سبحانه أوامره، ولم يتعرض لامثال إبراهيم عليه السلام لها؛ لأن ذلك مدرك بالبداهة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢٦١)
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

☆ اللغة:

(السنبلة): معروفة، وزنها فُنُعْلَةٌ، فالنون زائدة، يقال: أسبل الزرع: أرسل مافيه. وحكى بعض اللغويين: سنبل الزرع، فتكون النون أصلية، ووزنه فعلل. وقد روى الأساس واللسان: وأسبل الزرع وسنبل: خرج سَبْلُهُ وَسُنْبُلُهُ.

(المن): أن يعتدّ على من أحسن إليه بإحسانه.

○ الإعراب:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كلام مستأنف مسوق لضرب المثل لإنفاق الأموال في سبيل الله، ولا بد من حذف مضاف، أي: مثل نفقتهم. ومثل مبتدأ، والذين مضاف إليه، وجملة ينفقون لا محل لها لأنها صلة الموصول، وأموالهم مفعول به، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بينفقون ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، ولا بد من حذف مضاف أيضاً، أي: كمثال باذر حبة. وأنبتت فعل ماض، والفاعل هي، وسبع مفعول به، وسنابل مضاف إليه، وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف؛ لأنه على صيغة تنتهي الجموع، وجملة أنبتت صفة لحبة ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ في كل الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وسنبلة مضاف إليه، ومئة حبة: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صفة لسنابل فتكون في محل جر، أو صفة لسبع فتكون في محل نصب ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، ويضاعف فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هو يعود على الله تعالى، وجملة يضاعف في محل رفع خبر للمبتدأ «الله»، ولمن الجار والمجرور متعلقان بيزاعف، وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة من ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، وواسع خبر أول، وعليم خبر ثان ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لك أن تجعلها تابعة للجميل السابقة على أنها مبدلة منها، ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لذكر الإنفاق غير المشوب بالمن. والذين مبتدأ، أو بدل من الذين الأولى، وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة، وفي سبيل الله متعلقان بينفقون ﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي في الزمان والرتبة، ولا نافية، ويتبعون فعل مضارع معطوف على ينفقون، وما اسم موصول مفعول به أول، وجملة أنفقوا صلة ما، ومنأ مفعول به ثان، ولا أذى عطف على «منأ» ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم،

وأجرهم مبتدأ مؤخر، والظرف متعلق بمحذوف حال، وربهم مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر الذين إذا كانت مبتدأ، أما إذا كانت بدلاً فالجملة استئنافية ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تقدم إعراب هذه الآية بحروفها.

□ البلاغة:

(١) التشبيه التمثيلي: فقد شبه نفقة المنفقين في سبيل الله بالحبة في مضاعفة الأجر، فهي عندما يغرسها الغارس تنبت ساقاً يتشعب منه سبع شعب، لكل واحد سنبل. وفيه تجسيد بديع بعقد المماثلة بين المشبه والمشبه به. والغرض من التشبيه هنا توضيح المعنى وتقريبه للأذهان أولاً، ثم تأييده بالدليل المحسوس الذي لا يكابر فيه المكابر، ولا يتعنت فيه المتعنت ثانياً، ثم تزيين المشبه وتجميله، وإلهاب الرغبة فيه، بحيث لا يتردد أحد في الإنفاق بعد أن رأى بعينه سلفاً ما أعد له من جزاء ثلثاً.

(٢) «ثم» في أصل وضعها تشير إلى أن ثمة تراخياً بين المعطوف بها والمعطوف عليه، وهذا التراخي قد اختلف فيه، فبعضهم يقول: إنه تراخي الزمن وبُعد ما بينهما. والزمخشري - يرحمه الله - يحمله على التفاوت في الرتبة، فالإيهما يعتزى في هذه الآية؟

لقد أفاض علماء البيان في هذا الباب، فقال قوم: المراد التراخي في الزمن نظراً للغالب من أن وقوع المن والذى يكون بعد الإنفاق حتماً، بل هما مترتبان عليه، ولا يمكن تصورهما قبل وقوعه، وهذا حسن جميل، وذهب الزمخشري إلى أن التراخي هنا محمول على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما، حيث لا يمكن حملهما على الزمان لسياق يأبى ذلك في الآية. وحاصله أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة، وهذا من أبدع ما يصل إليه الفكر الراجح والذكاء البعيد الغور، فإن استخراج هذه الاستعارة على هذا الشكل لا يدركه قصار النظر والابتدائيون، وعلى هذا يقال: معناها الأصلي تراخي

زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمان بقائه.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٢١٢) يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٥﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَمَاتَتْ أَكْثُلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١٥﴾

☆ اللفظة:

﴿رِيقًا﴾: مصدر راءى مرأاة ورثاء، والأصل: ريباً، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة. والمفاعلة على بابها من المشاركة؛ لأن المرائي يرى الناس أعماله حتى يروه الشاء عليه والاحترام له.

﴿صَفْوَانٍ﴾: حجر كبير أملس.

(الوابل): المطر الكثير. قال الأصمعي: أخف المطر، وأضعفه الطلّ، ثم الرذاذ أقوى منه، ثم البغش، والدث، ومثله الرث، والرهمة. وقال النضر بن شميل: أول المطر رش وطش، ثم طل ورذاذ، ثم نضح ونضخ، ثم هطل وتهتان، ثم وابل وجود.

(صلد): صلب أملس، أو أجرد، نقي من التراب الذي كان عليه.

○ الإعراب:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى﴾ قول مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت، معروف: صفة لقول ومغفرة عطف على قول، خير خبر، من صدقة جار ومجرور متعلقان بخير، يتبعها فعل مضارع، والهاء مفعول به، والجملة صفة لصدقة، أذى فاعل ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وغني حلیم خبراه ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حكم هذه المسألة، وهي إبطال الصدقات بالمن والأذى. ولا ناهية، وتبطلوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وصدقاتكم مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف مضاف إليه، وبالمن جار ومجرور متعلقان بتبطلوا، والأذى عطف على المن ﴿كَالَّذِي﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لمصدر محذوف، فهو مفعول مطلق، أي: لا تبطلوها إبطالاً كإبطال الذي... أو حال من ضمير المصدر المقدر، كما نص عليه سيبويه، أو من فاعل تبطلوا، أي: لا تبطلوا صدقاتكم، مشبهين الذي ينفق ماله رثاء الناس، والوجهان جيدان ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ جملة ينفق ماله صلة الموصول لا محل لها، ورثاء الناس مفعول لأجله، وقد استكمل شروط النصب فلا يعدل عنه إلى وجه آخر كما زعم بعض المعربين ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الواو حرف عطف، لا نافية، يؤمن فعل مضارع، وفاعله هو، وبالله متعلقان بيؤمن، واليوم الآخر معطوف على الله ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ الفاء استئنافية جيء بها لمجرد الربط بين الجمل، ومثله مبتدأ، وكمثل الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر وهو مضاف، ومثل مضاف إليه، وصفوان مضاف إلى مثل ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وتراب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل جر صفة لصفوان ﴿فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ﴾ الفاء عاطفة عطف أصابه على متعلق عليه، أي: استقر عليه فأصابه، والهاء مفعول به، ووايل فاعل

﴿ فَتَرَكُوهُ صَدَقًا ﴾ الفاء عاطفة ، وترك فعل ماضٍ ينصب مفعولين أولهما الهاء والثاني صلداً ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال ، كأنه قيل : فماذا كان مآلهم ؟ فقيل : لا يقدرُونَ ، ولا نافية ، ويقدرُونَ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل ، وعلى شيء جار ومجرور متعلقان بيقدرُونَ ، وأعاد الضمير مجموعاً وهو في الظاهر مفرد ، لأن «الذي» يراد به الفريق الذي ينفق والجنس الذي ينفق ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء ، وجملة كسبوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ما ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتعريض بأن المن والأذى من صفات الكفار ، والله مبتدأ ، وجملة لا يهدي خبر ، والقوم مفعول به ، والكافرين صفة للقوم ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ الواو عاطفة على «فمثله» ، ومثل مبتدأ ، ولا بد من تقدير مضاف تقديره نفقات ، والذين مضاف إليه ، وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ مفعول لأجله ، وشروط النصب متوفرة فيه ، ومرضاة الله مضاف إليه ﴿ وَتَثْبِيَةً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ عطف على ابتغاء ، ومن أنفسهم متعلقان بـ «تثبيتاً» أي : منطلقاً من أصل أنفسهم ، وقال ابن عطية : ولا يصح أن يكون ابتغاء مفعولاً من أجله لعطف «تثبيتاً» عليه ، ولا يصح «تثبيتاً» أنه مفعول من أجله لأن الإنفاق ليس من أصل التثبيت ، ولهذا رجح أبو حيان أن يكون «ابتغاء» مصدراً في موضع الحال ، أي : مبتغين ، وكذلك «وتثبيتاً» . وفي كلامهما شيء غير قليل من بعد الغور وحسن التقدير . ولكن يمكن القول أن التثبيت من أفعال القلوب ؛ لأنه صادر عنها ، وهو يحدو صاحب القلب إلى التثبيت ، ولهذا نرجح ما أعربناه ﴿ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر للمبتدأ «مثل الذين» وبربوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنّة ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ فعل ومفعول به وفاعل ، والجملة صفة لجنّة أيضاً ﴿ فَتَأْتَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ الفاء عاطفة ، وآت فعل ماضٍ ، والفاعل مستتر تقديره هي يعود على جنّة ، وأكلها مفعول به ، والهاء مضاف إليه ، وضعفين حال ﴿ فَإِنْ لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ ﴾

فَطَلَّ ﴿٢٦٦﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، ولم حرف نفى وقلب وجزم، ويصحبها فعل مضارع مجزوم بـ «لم» في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة للجواب، وطل خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالذي يصيبها طلٌّ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان ببصير، وجملة تعملون صلة الموصول، وبصير خبر الله.

□ البلاغة:

(١) التشبيه التمثيلي الأول: فقد شبه إنفاق الأموال رثاء الناس ثم إتياع ذلك بالمنّ والتناول بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس يأتي عليه الوابل من المطر فيذروه، ويذهب به، ولا يترك له أثراً.

(٢) التشبيه التمثيلي الثاني: فقد شبه إنفاق الأموال الخالص من الرياء في سبيل الله وابتغاء مرضاته بالبستان الوريث الظلال فوق ربوة عالية، يكفيها القليل من المطر لتربو، وتهتز، وتمرع، وتخصب.

﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿نَخِيلٍ﴾: النخيل: قيل: هو اسم جمع، واحدته نخلة. وقيل: هو جمع نخل، ونخل اسم جنس.

(الأعناب): جمع عنب، أو هو اسم جنس، واحدته عنبّة.

﴿إِعْصَارٌ﴾: ريح شديدة مرتفعة، وقيل: هو الريح السموم. سميت

بذلك لأنها تلتف كما يلتف الثوب المعصور، وقيل: لأنها تعصر السحاب.
ويجمع الإعصار على أعاصير.

○ الإعراب:

﴿يَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لضرب مثل آخر لنفقة المرائين والمائنين. والهمزة للاستفهام، ويود فعل مضارع، وأحداكم فاعله، والكاف مضاف إليه ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ أن وما بعدها مصدر في محل نصب مفعول يود، وله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجنة اسمها المؤخر. ﴿مَنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة، وأعنان عطف على نخيل ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تجري فعل مضارع، ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري، والهاء مضاف إليه، والأنهار فاعل، والجملة صفة ثانية لجنة ﴿لَوْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومن كل الثمرات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمبتدأ المؤخر والمحذوف، أي: له رزق كائن من كل الثمرات حالة كونه فيها، والجملة صفة ثالثة لجنة ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ الواو حالية، وجملة أصابه الكبر في محل نصب حال ولا بد من تقدير «قد» ﴿وَلَمْ دُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ﴾ الواو حالية، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وذرية مبتدأ مؤخر، وضعفاء صفة لذرية، والجملة في محل نصب على الحال من الهاء في «أصابه» ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ الفاء حرف عطف، وأصاب فعل ماضٍ، والهاء مفعول به، وإعصار فاعل، والجملة معطوفة على صفة الجنة ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ونار مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صفة لإعصار ﴿فَأَحْرَقَتْ﴾ عطف على أصابها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الجار والمجرور «كذلك» متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، أو في محل نصب حال، ويبين فعل مضارع مرفوع، والله فاعل يبين، ولكم متعلقان بيبين، والآيات مفعول به منصوب بالكسرة، وجملة يبين استئنافية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ لعل

واسمها، وجملة تتفكرون خبرها، وجملة الرجاء في محل نصب على الحال.

□ البلاغة:

في هذه الآية يسمو البيان القرآني إلى أعلى ذروة يتصورها العقل البشري، وجميع آي القرآن من البيان الرفيع السامي. ولكن هذه الآية وآيات كثيرة وردت وسترد في مواطنها استوفت من الناحية البيانية الغاية، وأريت على النهاية، وهي بمثابة المثل لنفقة المرائي الذي ينفق للتبجح وإعلان حب النفس، وإيهام الناس بأنه بالغ أقصى الغايات، بينما تذهب أعماله سدى. وسنسط القول فيها بسطاً يتفق مع مراميها البعيدة، وفيما يلي ما أدركناه منها:

(١) الاستفهام في قوله: ﴿أَيُّدُ؟﴾ للإنكار والنفي. أما مصب النفي فهو في قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ لأنه مناطه ومثابته. وجميل قول ابن عباس فيها: هو مثل لرجل عمل بالطاعات، ثم زين له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله وطاح بها.

(٢) وفي هذه الآية فن التتميم، وقد تقدمت الإشارة إليه. ونزيده هنا بسطاً، فنقول: هو أن يأتي الشاعر أو الكاتب في كلامه بكلمات لو طرحت لنقص معناه أو صورته مع بقاء الكلام سليماً. وإليك الصور التي اندرجت فيها:

أ- لما ذكر سبحانه الجنة لم يكتف بذكرها مجردة من كل قيد، لأن الجنة في اللغة لفظ يصدق على كل شجر متكاثف ملتف، يستر من يتفياً بظلاله الوريقة. ومن هذا الشجر ما هو محدود النفع كالأثل والخمط وغيرها من الأشجار التي لا تصلح إلا للحطب، ومنها ما يتضاعف نفعه فيؤكل ثمره، وتستخرج منه مواد أخرى نافعة، ثم يكون حطبه صالحاً للوقود، فتمم ذلك النقص بقوله: ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، وفهم بالبداهة أن هذه الجنة تميزت بأن أشجارها من الصنف الثاني المتضاعف النفع، أي: أن احتراق تلك الجنة - ولو

كانت تضم الأثل والخطم ونحوهما مما هو محدود النفع - يشجي صاحبها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب؟ ألا يكون الأسف عليها أشد؟ والشجا باحتراقها أعظم؟

ب - ثم تم ذلك بذكر الأنهار الجارية للدلالة على ديمومة الخصب . إذ ما الفائدة منها إذا نضبت فيها الأمواه؟ ألا يكون مآلها إلى اليأس والذبول؟

ج - ولدفع الإيهام الذي يخیل إلى السامعين أن هذه الجنة قد تكون مقتصرة على هذين الضريين من الثمرات ، وهما : النخيل والأعناب تم بقوله ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، أي أنها تجمع جميع أفانين الثمر ، فالحسرة إذاً على احتراقها أشد ، والأسف على فنائها أعم .

د - ولما فرغ من وصف الجنة شرع في وصف الحادث المهلك الذي أدى إلى فناء الجنة بقوله : ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ يجتاح الأخضر واليابس ، ويهلك الحرث والنسل .

هـ - على أن الإعصار مهما يبلغ تأثيره فإنه ربما كان مؤجل الإهلاك ، فدفع هذا الإيهام بقوله : ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ فأحرقها بعد أن أودى بأشجارها . ولم يكتف بذكر النار لأنها قد تأتي على شيء مما تحرقه ويبقى بعد ذلك شيء آخر منها ، فدفع هذا الإيهام مرة أخرى بذكر الاحتراق .

البحترى والتتميم :

ومن التتميم في الشعر قول البحترى في وصف الإبل التي يراها السير والسرى :

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسَدِ هُم مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ

فقد شبه الإبل بالقسي المعطفات ، وهو تشبيه جميل لما فيه من تنويه بالنحول ، ولما في خلق الإبل من الحذب والانحناء . ثم جعلها مبرية على طريق الإضراب الذي يلمح إلى الغلط ، ثم ترقى في ذلك فجعلها كالأوتار . وهذا كله من أوابد البحترى التي أطلق عليها اسم «سلاسل الذهب» كما كان

يسميتها النقاد القدامى ، على أني وقفت بعد ذلك على حديث للرسول العربي محمد ﷺ ، فعلمت أن البحري لم يبتكر هذه المعاني العميقة المصوغة في أجمل بيان ، وأنه رmq سماء الحديث النبوي ، وأنه أخذه أخذاً يسبق أسهمه المبرية ، وهو قوله ﷺ : «لو صليتم لله حتى تعودوا كالقسي ، وصمتم حتى تعودوا كالأوتار» . وهذا مما أخذ بنصه وفصّه .

(٣) وفي هذه الآية أيضاً فنّ «الطاعة والعصيان» وقد أطلق هذه التسمية شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري عندما نظر في شعر أبي الطيب المتنبي ، وتحدث عنه في كتابه «معجز أحمد» ، يعني أحمد المتنبي فأثنى على قوله :

يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ويعصي الهوى في طيفها وهو راقِد
وقال : أراد المتنبي الطِّباق فعصاه ، وأطاعه الجناس ، فإنه أراد أن يقول :
يرد يداً عن ثوبها وهو مستيقظ ، فعصاه ذلك لامتناع دخوله في الوزن فقال
وهو قادر ؛ لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها وبين القافية تجانس ،
فأطاعه الجناس المقلوب بين قادر وراقِد ، وعصته المطابقة بين راقِد ومستيقظ .

أقول : هذا ما ذكره أبو العلاء المعري ، وليس في بيت المتنبي شيء من ذلك ، ولو أراد أن يقول : «يردُّ يداً عن ثوبها وهو ساهر» أو «متنبهاً» بحذف لفظة «وهو» لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن ، وإنما مراده بيان العفاف من القادر لا من غيره ، أي : أنه مع قدرته عليها لا يبيح لنفسه مدّ يده إلى إزارها ، كما أنه إذا رأى خيالها في المنام امتنع عنه كما يمتنع عنه في اليقظة . يصف نفسه ببعد الهمة عن مغازلة النساء ، إذا ففن الطاعة والعصيان الذي ابتدعه المعري ، ولم يوفق في التمثيل له ، أثبتة علماء البيان ، ومثلوا له بقول ابن النبية :

بيضاء حجّبتها الواشون حين سرت

عني فلو لمحت صبغ الدُّجى لمحت

أراد أن يقول : فلو لمحت سواد الدجى ، ليأتي نوع التدبيج بقوله بيضاء

وسواد، فعصاه الوزن فقال: «صبغ الدجى» وهو مرادف للسواد، فصدق عليه أنه عصاه التدبيج، وأطاعه فن الإرداف. ومثله قول الأرجاني:

كم رعت هذا الحيّ إما زائراً فرداً وإما سائراً في جحفل

أراد أن يقول: وإما محارباً، لتكون المقابلة بين زائر ومحارب، ولا شك أن الزائر يكون مسلماً بين قوله «فرداً» وقوله «في جحفل» فعصاه الوزن، وأعطاه الجناس اللاحق بين زائر وسائر. أما في الآية الكريمة التي نحن بصددنا فإنها وقع فيها التتميم، وقد تحدثنا عنه قبل قليل فيها. ولما كان المتكلم في الأصل يقصد المساواة في كل ما يتكلم به فإذا عصته المساواة للأغراض الانفة الذكر أطاعه التتميم، فتنبه لهذا فإنه من دقائق الفنون.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُغْنُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

☆ اللفظة:

﴿تُغْنُوا﴾: الإغماض: غَضَّ البصر، وأغمضت العين إغماضاً، وغمضتها تغميضاً: أطبقت الأجفان. والمراد به هنا التجاوز والتسامح والمساهلة.

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها، وجملة النداء وما يليه مستأنفة مسوقة لبيان ما ينفق منه، أي: أنفقوا من حلال ما كسبتم وجيده ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أنفقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ومن طيبات الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة كسبتم صلة الموصول ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ومما عطف على من طيبات، وجملة أخرجنا لا محل لها لأنها صلة الموصول، ولكم

جار ومجرور متعلقان بأخرجنا، ومن الأرض متعلقان بأخرجنا. ولك أن تعلقهما بمحذوف حال، أي: ناجماً من الأرض. ويرحم الله الفقهاء ما أُنقِبَ أذهانهم، فأبو حنيفة أبقاء على عمومته في الزكاة، والشافعي خصّه بما يزرعه الآدميون، وكلاهما صحيح ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتيمموا فعل مضارع مجزوم بلا، وأصل تيمموا: تيمّموا بتاءين، حذفت إحداهما تخفيفاً، والواو فاعل، والخبيث مفعول به، ومنه متعلقان بمحذوف حال من الخبيث ﴿تُنْفِقُونَ﴾ الجملة حالية، ومفعول تنفقون محذوف، أي: تنفقونه ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ الواو حالية، وليس واسمها، والباء حرف جر زائد، وآخذه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، وحذفت النون للإضافة، والهاء مضاف إليه، والجملة حال من فاعل تنفقون، أي: الواو ﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ أداة حصر، وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن تغمضوا، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، فهو استثناء من أعم الأحوال، ولك أن تعلقهما بآخذه، وهو أسهل ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الواو استثنائية، واعلموا فعل أمر، والواو فاعل، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا.

□ البلاغة:

في هذه الآية استعارة تصريحية، وذلك في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ شبه التجاوز عن الشيء الجدير بالمؤاخذه بغض العين عما يتفادى المرء رؤيته مما يكره.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا

أَنفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

☆ اللفظة:

(الفحشاء): المراد بها هنا البخل، والفاحش: البخيل. قال طرفة بن العبد:

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي
عقيلةً مالِ الفاحشِ المتشددِ
قال الكلبي: كل فحشاء في القرآن فالمراد بها الزنى، إلا هذا الموضع.

○ الإعراب:

﴿الْشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ كلام مستأنف مسوق للتحذير من الإصاخة للشيطان ووساوسه. والشيطان مبتدأ، وجملة يعدكم خبر، والفقر مفعول به ثان، أو منصوب بنزع الخافض ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ عطف على: ﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ والجار والمجرور متعلقان بيامركم ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ عطف على الجملة المستأنفة، ومغفرة مفعول به ثان، ومنه: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة، وفضلاً: عطف على مغفرة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وواسع عليم خبران لله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ الجملة خبر ثالث لله، أو جملة مستأنفة، ويؤتي فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والحكمة مفعول به أول، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان، وجملة يشاء صلة الموصول ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويؤت فعل الشرط مبني للمجهول، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والحكمة مفعول به ثان ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وقد حرف تحقيق، وأوتي فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وخير أمفعول

به ثان، وكثيراً صفة، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ويذكر فعل مضارع مرفوع، وإلا أداة حصر، وأولو فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والألباب مضاف إليه ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ الواو عاطفة، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لأنفقتم، ومن نفقة جار ومجرور متعلقان بمحذوف بحال، وجعلها كثيرون زائدة، وهو أسهل، ولكنه غير مقيس ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ عطف على ما تقدم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبُكُمْ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، وجملة يعلمه خبرها، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وأنصار مبتدأ مؤخر.

﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَنْفَقُوا فَنُعَمَّاهُمْ وَلِنَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
 ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَنْفَقُوا فَنُعَمَّاهُمْ﴾ كلام مستأنف مسوق لتفصيل ما أجمل في الجملة الشرطية السابقة، ولذلك ترك العاطف، وإن حرف شرط جازم، وتبدوا فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والصدقات مفعول به، فنعما: الفاء رابطة لأن الجواب فعل جامد، قال بعضهم في مواضع ربط الجواب بالفاء:

اسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنفيس

ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز، وفاعل نعم ضمير مستتر مفسر بـ «ما»، هي: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ خبره جملة نعماً لأنه المخصوص بالمدح، وجملة نعماً هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿وَلَا تَحْقُقُوهَا وَتَوْتُوها الْفُقَرَاءُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتحقوها فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وتوتوها عطف عليه، والهاء مفعول به أول، والفقراء مفعول به ثان ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الفاء رابطة للجواب، وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وخير خبر، ولكم جار ومجرور متعلقان بخير، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الواو استئنافية، ويكفر فعل مضارع مرفوع، والجملة خبر لمبتدأ محذوف، أي: والله يكفر عنكم، وعنكم جار ومجرور متعلقان بيكفر، وقرىء بالجزم عطفاً على موضع الفاء في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنه جواب الشرط، ومن سيئاتكم متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف، أي: شيئاً من سيئاتكم، نص على ذلك سيبويه، وهو أولى من جعلها زائدة في الكلام الموجب، كما صنع العربون كأبي البقاء وغيره ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وخبير خبره، والجار والمجرور متعلقان بخبير، وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ كلام مستأنف مسوق للتشدد في العقيدة والنهي عن التساهل مع أعداء الله وأعداء دينه، ومعلوم أنه كانت هنا قرابات ومصاهرات في اليهود، فنهى رسول الله ﷺ عن التصديق عليهم لحملهم على الانضواء إلى الدين القويم، وليس فعل ماض ناقص، وعليك خبرها المقدم، وهدهم اسمها المؤخر، وهو مصدر مضاف لمفعوله ﴿وَلَا يَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُشَاءُ﴾ الواو اعتراضية لا محل لها، والجملة لا محل لها، ولكن واسمها، وجملة يهدي خبرها، ومن اسم موصول مفعول يهدي، وجملة يشاء لا محل لها

لأنها صلة الموصول ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ الواو عاطفة على ما قبلها، وما شرطية جازمة في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا، وتنفقوا فعل الشرط، ومن خير في محل نصب حال، والفاء رابطة لجواب الشرط، ولأنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: فهو لأنفسكم، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وتنفقون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، وإلا أداة حصر، وابتغاء مفعول لأجله، فالاستثناء من أعم العلل، ووجه الله مضاف إليه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ تقدم إعرابها ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو، وإليكم جار ومجرور متعلقان بيوف ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ الواو حالية، وأنتم مبتدأ، وجملة لا تظلمون خبر أنتم، والجملة الاسمية في محل نصب حال. ولك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْجِلِّ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

☆ اللفظة:

﴿أُحْصَرُوا﴾ أحصرهم الجهاد، وأرصدهم للمناضلة في سبيل الله، وصرف نفوسهم عن الاشتغال بأي شيء سواه. وأرصد الشيء: أعدّه لأمر من الأمور، وفي الحديث: «إلا أن أرصده لدين علي». ويستعملونها اليوم خطأ، فيكتبون: «رصد المبلغ لكذا» والصواب: «أرصد» فتنبه.

(سيماهم) السيماء: بالقصر العلامة، ويجوز مدها: السيماء. وبعض بني أسد وثقيف يقولون: بسيميائهم. ومن ذلك قول ابن عتقاء الفزاري:
 غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيماء لا تشقُّ على البصر
 (الإحاف) شدة الإحاح في المسألة، وفي الحديث: «من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف».

○ الإعراب:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: صدقاتكم للفقراء، والذين صفة للفقراء، وجملة أحصروا في سبيل الله لا محل لها لأنها صلة الموصول، والجار والمجرور متعلقان بأحصروا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ الجملة في موضع نصب على الحال، وجملة للفقراء مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال نشأ مما سبق كأنهم سألوا لما أمروا بالصدقات: لمن هي؟ فقيل: إنها لهؤلاء. ولا نافية، ويستطيعون فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وضرباً مفعول به، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بضرباً ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾ الجملة حال ثانية للفقراء، ويحسبهم فعل مضارع، والهاء مفعول يحسب الأول، والجاهل فاعل، وأغنياء مفعول به ثان، ومن التعفف جار ومجرور في موضع نصب على أنه مفعول لأجله، وجُزَّ بـ «من» لأنه فقد شرطاً من أهم شروطه وهو اتحاد الفاعل، ففاعل الحسبان هو الجاهل، وفاعل التعفف هم الفقراء ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ الجملة حال ثالثة للفقراء، وبسيماهم جار ومجرور متعلقان بتعرفهم ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الجملة حال رابعة، ولا نافية، ويسألون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والناس مفعول به، وإلحافاً يجوز فيه أن يعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، أي: يلحفون إلحافاً، أو مصدراً مؤولاً في موضع الحال، أي: لا يسألون حالة كونهم ملحفين، أو مفعولاً من أجله، وقد استوفى شروطه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ تقدم إعرابه

قريباً ﴿قَاتِ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ﴾ الفاء رابطة، وإن واسمها، والجملة خبرها، والجملة اسمية في محل جزم جواب الشرط، وبه جار ومجرور متعلقان بالخبر «عليم» ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان صفة الصدقة ووقتها. ونزول الآية في أبي بكر أو علي بن أبي طالب لا ينزع عنها صفة شمول الحكم وعمومه. والذين مبتدأ، وينفقون فعل مضارع، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، والواو فاعل، وأموالهم مفعول به، بالليل جار ومجرور متعلقان بينفقون، والنهار معطوف على الليل، وسراً وعلانية مصدران منصوبان على الحالية، أو بنزع الخافض ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الفاء رابطة للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها، ولما في الموصول من رائحة الشرط، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأجرهم مبتدأ مؤخر، والظرف عند متعلق بمحذوف حال، وربهم مضاف إليه، والجملة خبر للموصول «الذين» ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تقدم إعرابها بحروفها كثيراً.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا﴾ فن من أبدع الفنون البيانية ويسمونه «نفي الشيء بإيجابه»، وحذّه أن يثبت الشاعر أو الكاتب شيئاً في ظاهر كلامه، ثم ينفي ما هو من سببه. وهو كثير في القرآن الكريم. أما في هذه الآية فالمنفي في ظاهر الكلام هو الإحاف في السؤال، لا نفس السؤال مجازاً، والمنفي في باطن الكلام حقيقة نفس السؤال، الإحاف كان أو غير الإحاف. وهذا الذي يقتضيه المديح، وهو، كما ترى، من طرائف علم البيان. ومن بارعة قول علي بن أبي طالب في وصف رسول الله ﷺ في مجلسه: «لا تنني فلتاته»، أي: لا تذاع سقطاته. فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات، غير أنها لا تذاع. وليس المراد ذلك، ولكن المراد أنه لم يكن ثم فلتات للنبي فتثنى. وهذا من أغرب ما توسعت فيه لغتنا العربية. وزعم ابن الأثير في كتابه «المثل

السائر» أنه قليل في الشعر، وأنه لم يسمع منه غير بيت واحد لامرئ القيس، وهو قوله:

على لاحبٍ لا يهتدى بمناره إذا ساقه العود الديافي جرجرا

فقوله: «لا يهتدى بمناره» يوهم أن له مناراً، إلا أنه لا يهتدى به، وليس المراد ذلك بل المراد أن لا مناراً له يهتدى به. وقد نسي ابن الأثير قول مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني:

تراه في الأمن في درع مضاعفة

لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعقب الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

فإن ظاهر الكلام نفى عقب الطيب ومسح الكحل، والمراد نفى الطيب والكحل مطلقاً، لانهماكه في قيادة الجيوش، وحفظ الثغور، والحراسة على خطوط القتال.

(٢) وفي الآية فن المقابلة، فقد تكرر الطباق بين الليل والنهار، وبين السر والعلانية.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

☆ اللغة:

﴿الرِّبَا﴾ الإرباء. الزيادة على الشيء، يقال منه: أربى فلان على فلان إذا

زاد عليه . وإنما قيل للرابية رابية لزيادتها في العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها .

﴿الْمَسِينُ﴾ : الجنون .

○ الإعراب :

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ كلام مستأنف مسوق لذكر حكم الربا، وهي الزيادة في المعاملة بالنقود . والذين مبتدأ، وجملة يأكلون الربا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِينِ﴾ لا نافية، ويقومون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر الذين، وإلا أداة حصر، وكما يقوم الكاف حرف جر، وما مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول مطلق، أو حال، وجملة يقوم لا محل لها لأنها واقعة بعد موصول حرفي، والذي فاعل، وجملة يتخبطه الشيطان لا محل لها لأنها صلة الموصول، ومن المس جار ومجرور متعلقان بيقومون، أي : لا يقومون من جراء المس إلا كما يقوم المصروع، ولك أن تعلقهما بيقوم، أي : كما يقوم المصروع من جنونه . واختار أبو حيان تعليقهما بيتخبطه على سبيل التأكيد، ورفع ما يتحملة «يتخبطه» من المجاز، وهو وارد، وما اخترناه أولى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والإشارة إلى العذاب النازل بهم، والباء حرف جر، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر «ذلك» أي : بسبب قولهم، وجملة الإشارة استئنافية، وقالوا فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعل ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ إنما كافة ومكفوفة مهملة، والبيع مبتدأ، ومثل خبر البيع، والربا مضاف إليه علامة جره الكسرة المقدرة، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ الواو حالية بتقدير قد بعدها، وفيه دلالة على أن القياس يهدمه النص ؛ لأنه قد يكون فاسداً، وليس ثمة أفسد من قياسهم لتحليل ما حرم الله . وأحل فعل ماض، والله فاعله، والبيع مفعول به، وحرم الربا

عطف، والجملة بعد الواو حالية ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وجاءه فعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط، وموعظة فاعل، ومن ربه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لموعظة ﴿فَأَنْتَهُنَّ﴾ الفاء عاطفة، انتهى عطف على جاءه وفاعله هو ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة سلف صلة الموصول ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وأمره مبتدأ، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة فله ما سلف في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وعاد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، واسم الإشارة مبتدأ، وأصحاب النار خبر، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هم مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بخالدون، وخالدون خبر «هم»، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مصير الربا، ويمحق فعل مضارع، والله فاعله، والربا مفعوله ﴿وَيُرِي الصِّدْقَ﴾ عطف على يمحق الله الربا ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة لا يحب خبر، وكل مفعول به، وكفار مضاف إليه، وأثيم صفة لكفار.

□ البلاغة:

(١) التشبيه التمثيلي في تشبيه آكلي الربا عند خروجهم من أجدانهم بمن أصابه من فاختل طبعه، وانتكست حاله، وصار يتهافت في مشيته، ويتكاوس في خطوته، ويتدنح ترنح الشارب السكران، ثم يهوي مكباً على وجهه من سوء الطالع، وقبح المنقلب، وشناعة المصير، والجزاء عادة وعقلاً من جنس العمل.

(٢) التشبيه المقلوب: في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَلِيسَ بِمَثَلِ الرِّبَا﴾ وهم يريدون

القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا إلى غرضهم ، وهو تحليل ما حرّمه الله ، فعكسوا الكلام للمبالغة ، وهو في البلاغة مرتبة عليا يصبح المشبه به قائماً بالمشبه وتابعاً له . ومنه في الشعر قول البحري يصف بركة بناها المتوكل على الله :

كأنّها حين لجّت في تدفّقها يدُ الخليفة لمّا سأل وادّياها
والأصل تشبيه يد الخليفة بالبركة ، فقلب الكلام للمبالغة .
وقول الآخر :

وبدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يُمْتَدَح

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٢٧٧ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٧٨ ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ٢٧٩

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين العاملين ، إن واسمها ، وجملة آمنوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ ﴾ الجمل الثلاث معطوفة على الصلة داخلة في حيزها ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأجرهم مبتدأ مؤخر ، والظرف متعلق بمحذوف حال ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ تقدم إعرابها بحروفها ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ تقدم إعرابها أيضاً ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله ، والجملة مستأنفة ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ الواو عاطفة ،

وذروا فعل أمر، والواو فاعل، وما اسم موصول مفعول به، وجملة بقي لا محل لها لأنها صلة الموصول، والجار والمجرور متعلقان بقي، أو بمحذوف حال من فاعل بقي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، ومؤمنين خبرها، وجواب الشرط محذوف، أي: فذروا، والجملة استئنافية ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، ولم حرف نفى وقلب وجزم، وتفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم، وهو فعل الشرط ﴿فَأَذْنُوتُ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واذنونا فعل أمر وفاعله، والجار والمجرور بحرب متعلقان باذنونا، ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لحرب، ورسوله عطف على الله، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتبتغوا فعل ماض وفاعله، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة للجواب، ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ورؤوس أموالكم مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ جملة لا تظلمون في محل نصب على الحال، وهي بالبناء للفاعل، وجملة ولا تظلمون عطف عليها، وهي بالبناء للمفعول.

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

☆ اللفظة:

(نظرة) - بكسر الظاء - مصدر بمعنى التأخير.

﴿مَيْسَرَةٍ﴾: مصدر ميمي، بمعنى اليسار والسعة، أو اسم زمان، أي: وقت اليسار.

○ الإعراب:

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لتقرير وجوب

الإنظار والإمهال للمدين المعسر. وفي ذلك صلاح للعباد وتأليف بين القلوب. وإن شرطية، وكان فعل ماض تام بمعنى حدث ووجد، وهي تكتفي بفاعلها كسائر الأفعال. أي: وإن حدث ذو عسرة، وذو فاعلها، وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة، وعسرة مضاف إليه ﴿فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ونظرة خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالحكم نظرة، والجار والمجرور متعلقان بنظرة، أو بمحذوف صفة لها، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الواو استئنافية، وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ، وخير خبر، والجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل على غير القياس ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، وجملة تعلمون في محل رفع خبرها، وجواب الشرط محذوف، وجملة الشرط استئنافية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، واتقوا فعل أمر، والواو فاعل، ويوماً مفعول، وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والجملة في محل نصب صفة ليوماً، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجعون ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول، وكل نفس نائب فاعل، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان، وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون في محل رفع خبر، وجملة وهم لا يظلمون في محل نصب حال.

* الفوائد:

تختص كان بأمور تشاركها فيها أخواتها، وبأمور تنفرد بها، وتؤخذ هذه الأمور من كتب النحو، وهي هنا مختصة بالتمام وتشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة أفعال لزمّت النقصان، وهي ما فتى وما زال وليس. ومن مسائلها الهامة في التمام المثل المشهور: «كأننا ما كان». ونستعمله في كتاباتنا كثيراً،

ولذلك نرى إعرابه تسهياً للطالين، وقد اختلف النحاة في إعرابه فقال
 الفارسي: هما تامان في الموضعين، وما مصدرية، وهي وما بعدها مصدر
 مؤول في محل رفع فاعل كائناً، أي: كونه. وقيل: هما ناقضان في الموضعين،
 وفي «كائناً» ضمير هو اسمها والخبر ما الموصولية، وجملة كان صلة ما، واسم
 كان ضمير مستتر فيها، وخبرها محذوف تقديره إياه، واسم «كائناً» المستتر،
 وخبر كان عائدان على الشخص المضروب في قولك: لأضربه كائناً الذي كان
 إياه، وكائناً حال من مفعول لأضربه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ
 وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
 فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ
 كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ
 بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
 وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا
 الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ
 أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
 تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا
 إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

☆ اللغة:

﴿تَدَايَنْتُمْ﴾: دان بعضكم بعضاً، ويقال: دانت الرجل، أي: عاملته.
 قال رؤبة:

داينتُ أَرْوَى والدُّيُون تُقْضَى

فَمَطَلْتُ بعضاً وأَدَّت بعضاً

ويقولون: أبعثَ بدين أم بعين؟ وهي النقد. ودنت وأدنت وتديننت واستدنت، أي: استقرضت، قال كُثَيِّر:

قضى كلُّ ذي دين فوقى غريمه

وعزّة ممطولٌ مُعْنَى غريمها

﴿وَلْيُمْلِلِ﴾: من الإملاَل والإملاء بمعنى واحد، هذا وقد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على سبيل الشذوذ، ولا يقاس عليه. ومن ذلك قولهم: أمليت الكتاب، قال تعالى: ﴿فَهِيَ ثُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. والأصل: أمليت، وقال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾. والوجه أنهما لغتان، لأن تصرفهما واحد، تقول: أملى الكتاب يمليه إملاء، وأمله يملّه إملاً، فليس جعل أحدهما أصلاً والآخر فرعاً بأولى من العكس. وقالوا: قَصَّيتَ أظفاري، حكاها ابن السكَّيت في قصصت، أبدلوا من الصاد الثالثة ياء لثقل التضعيف. ويجوز أن يكون المراد: تقصَّيتَ أظفاري، أي: أتيت على أقاصيها؛ لأن المأخوذ أطرافها، وطرف كل شيء: أقصاه. وهذا بحث يطول فيه القول، فنجتزئ بما تقدّم، وستقع على أمثلة صالحة أخرى في هذا الكتاب.

○ الإعراب:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها، وجملة النداء وما يليها مستأنفة مسوقة للشروع في بيان أحكام الدِّين والتعامل مع الناس على وجه يكفل المصلحة الاجتماعية العامة ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة تداينتم في محل جر بالإضافة، وبدین متعلقان بتداينتم، وإلى أجل متعلقان بمحذوف صفة لدين، ومسمى صفة لأجل، والفاء رابطة لجواب إذا، واكتبوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة المقترنة بالفاء لا محل لها لأنها

جواب شرط غير جازم ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويكتب فعل مضارع مجزوم باللام، وبينكم ظرف مكان متعلق ب يكتب، وكاتب فاعل، وبالعدل متعلقان بكاتب بمثابة الصفة له، أي: بكاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والتحوط، لا يزيد على ما يجب أن يكتب، ولا ينقص. ولا داعي لما ذكره ابن عطية من أن الباء متعلقة بقوله تعالى ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ وليست متعلقة بكاتب؛ لأنه كان يلتزم ألا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه، وقد يكتبها الصبي والعبد المتحوط إذا أقاما فقهها ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، ويأب فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وكاتب فاعل، وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض؛ لأن أبى بمعنى امتنع، وكما علمه الله: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق، أو نصب على الحال، وجملة علمه لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا علمتم هذا الحكم فليكتب، واللام لام الأمر، يكتب فعل مضارع مجزوم باللام، والفاعل هو ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الواو عاطفة، والذي فاعل يكتب، وعليه متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والحق مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبُّهُ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويتق فعل مضارع مجزوم باللام، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ولفظ الجلالة مفعول به، وربّه بدل ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، ويبخس فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل هو، منه جار ومجرور متعلقان بيبخس، أو بمحذوف حال لأنه كان صفة لقوله ﴿شَيْئًا﴾ وتقدمت عليه. وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، أي: لا ينقص منه شيئاً ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ الفاء استثنائية، وإن شرطية، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والذي اسم كان، وعليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والحق مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة، وسفيهاً خبر كان، وأو حرف عطف، وضعيفاً عطف على سفيهاً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُمْلَلَ

هُوَ ﴿ أو حرف عطف ، ولا نافية ، ويستطيع فعل مضارع ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول يستطيع ، وهو فاعل ، أو تأكيد للفاعل المستتر ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، واللام لام الأمر ، ويملل فعل مضارع مجزوم باللام ، ووليه فاعل ، وبالعَدل متعلقان بمحذوف حال ، أي : عادلاً ، ولك أن تعلقهما بقوله فليملل ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ الواو عاطفة ، واستشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، وشهيدان مفعول به ، ومن رجالكم متعلقان بمحذوف صفة ، أو بقوله : واستشهدوا ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكونا : فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، والألف اسمها ، ورجلين خبرها ﴿ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، ورجل خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ والخبر محذوف ، وامرأتان عطف على رجل ، والتقدير : فالشهود رجل وامرأتان ، أو فرجل وامرأتان يشهدون ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة ترضون لا محل لها لأنها صلة ، ومن الشهداء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب على أنه مفعول من أجله ؛ لأن الضلال سبب للتذكير ، فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداها الأخرى ، وسيأتي المزيد من هذا الإعراب في باب الفوائد ، وإحداها فاعل تضل ﴿ فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ الفاء حرف عطف ، وتذكر عطف على أن تضل ، وإحداها فاعل ، والأخرى مفعول به ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ الواو عاطفة ، ولا ناهية ، ويأب فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، والشهداء فاعل ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب ، وما زائدة ، ودعوا فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، والجملة في محل جر بالإضافة ﴿ وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكُنُّوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتسأموا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وأن وما في حيزها مفعول به

لتساموا، وصغيراً حال، والواو حرف عطف، و«كبيراً» عطف على «صغيراً» وإلى أجله متعلقان بمحذوف حال، أي: مستقراً في الذمة إلى حلوله، ولا يجوز تعليقه بتكتبوه لعدم استمرار الكتابة إلى أجله ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ الجملة لا محل لها لأنها مفسرة، وذلكم مبتدأ، وأقسط خبره. ويلاحظ أنه ورد اسم التفضيل من الرباعي، والقياس أن يأتي من الثلاثي؛ لأن الفعل أقسط أي: عدل، أما قسط الثلاثي فهو بمعنى جار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]. وعند ظرف مكان متعلق بأقسط، ولفظ الجلالة مضاف إليه، وأقوم عطف على أقسط، وللشهادة متعلقان بأقوم، والمعنى أصح وأثبت ﴿وَأَدْفَىٰ آلَا تَرَابًا﴾ الواو عاطفة، وأدنى عطف على أقوم، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: أقرب من انتفاء الريبة، والجار والمجرور متعلقان بأدنى ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ إلا أداة استثناء، وأن وما في حيزها مصدر منصوب على الاستثناء المنقطع؛ لأنها تجارة حاضرة لا تحتاج إلى استشهاد أو كتابة، على أنه يصح اعتباره استثناء متصلًا، كأنه استثناء من التجارة، فالأمر بالكتابة ساري المفعول، واستثنى الكتابة بالتجارة الحاضرة. وتكون فعل مضارع، واسمها مستتر تقديره: هي، أي: التجارة، وتجارة خبر. ويصح اعتبار «تكون» تامة، وتجارة فاعل، وقد قرىء بهما جميعاً. وحاضرة نعت لتجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ الجملة صفة ثانية لتجارة، وبينكم ظرف مكان متعلق بتدِيرُونَهَا ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ الفاء عاطفة عطف هذه الجملة على جملة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ أي: تسبب عن ذلك رفع الجناح في عدم الكتابة. وليس فعل ماض ناقص، وعليكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجناح اسمها المؤخر، وأن وما في حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض، أي: في ألا تكتبوها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجناح ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ الواو عاطفة، وأشهدوا فعل أمر، والواو فاعل، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة تبايعتم في محل جر بالإضافة، والجواب محذوف تقديره: فأشهدوا، ولك أن

تجرد إذا عن الشرطية وتجعلها لمجرد الظرفية الزمانية، أي: افعلوا الشهادة وقت التبائع ﴿وَلَا يُضَاكَرُ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، ويضار فعل مضارع يحتمل أنه مبني للمعلوم، فأصله يضارر بكسر الراء الأولى، ويحتمل أنه مبني للمجهول، فأصله يضارر بفتحها، وهو مجزوم على كل حال، وحرك بالفتح لخفته لأنه مضعف ﴿كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ كاتب فاعل، أو نائب فاعل، والواو حرف عطف، ولا نافية، وشهيد عطف على كاتب ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتفعلوا فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، وفسوق خبرها، وبكم متعلقان بمحذوف صفة لفسوق، أي: لاحق. والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الواو عاطفة، واتقوا فعل أمر، والواو فاعل، ولفظ الجلالة مفعول به ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ الواو استئنافية، ولا مكان لجعلها حالية، كما قرر الجلال، وتابعه كثيرون من المفسرين والمعرّبين؛ لأن المضارع المثبت لا تباشره واو الحال، وإن حاول بعضهم تقدير مبتدأ محذوف لتكون الجملة اسمية، أي: وهو يعلمكم لما فيه من تكلف، وفي جعلها عاطفة خلاف للأولى؛ لأن فيه ارتكاب عطف الخبر على الإنشاء، وذلك موضع خلاف سيرد في مكانه من هذا الكتاب، والله فاعل يعلمكم، والكاف مفعول يعلمكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وبكل شيء متعلقان بعليم، وعليم خبر الله.

□ البلاغة:

لعل هذه الآية من أحفل الآيات بذكر شؤون المعاييش التي تنتظم بها أمور العباد، وتضمن لمتابعها حسن المعاد، وقد شدد الله سبحانه فيها على حسن المعاملة؛ التي هي جماع أمر الدين وعموده، وبالح في التوصية بحفظ المال الحلال، وإحاطته بما يصونه من الهلاك، ولذلك اشتملت على ضروب من التوكيدات نوجزها فيما يلي، تاركين للقارىء الرجوع إلى المظان المعروفة.

(١) أمر بالكتابة بقوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ حذراً من الاستهداف للخطأ أو النسيان.

(٢) وذكر ﴿بِدَيْنٍ﴾ مع أنه مفهوم من قوله: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ للتأكيد وليرجع إليه الضمير بقوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكتبوا الدين، وفي ذلك إخلال بحسن النظم، وليدلّ على العموم، أي: أي دين قليلاً كان أم كثيراً.

(٣) وذكر ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ على سبيل التأكيد، وليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً بالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام. ولو قال: إلى الحصاد مثلاً، لم يجوز لعدم التسمية.

(٤) وأناط الكتابة بكاتب بالعدل مُتَّسَم به.

(٥) ونهى عن أن يأبى من يطلب إليه الكتابة ما كلف به.

(٦) وكرر الأمر بالكتابة بصيغة أخرى تشدداً في الكتابة فقال: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾.

(٧) وأمر الذي عليه الدين أن يملي على الكاتب بالعدل، لئلا تبقى له حجة.

(٨) وتحوّل للأمر بأن أمره باتقاء الله بقوله: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.

(٩) وعقب على الاتقاء بما يحتمه من عدم البخس، واستعمل هذه اللفظة التي هي في الأصل اللغوي للعين العوراء، يقال: بخست عينه، أي: عورت. ولا يخفى ما في هذا من التصوير المجسد الحاكي.

(١٠) واحتاط بما قد يطرأ على الأناسي من السأم والملالة، وما يترتب عليهما من تفريط، فتعم حينئذ الفوضى، ويطرأ الخلل؛ لأنهم لم يستوفوا كتابة ما شهدوا عليه، سواء أكان كبيراً أم صغيراً.

(١١) وبعد أن أوصى بما أوصى، نبّه إلى أن ذلك هو السبيل الأقوم، والطريق الأعدل، صرح باسمه تعالى فقال: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ تبياناً للمصير

المعلوم، وتحذير آمن تفريط المفرط وافتتات المفتت.

(١٢) وختم الآية بذكر الله ثلاث مرات متعاقبة، لإدخال الروع في القلوب، وإحداث المهابة في النفوس، وترسيخ الحكم في الأذهان، والإشعار بأنه تعالى مطلع على السرّائر، لا تعذب عنه همسات القلوب، وخلجات الضمائر.

* الفوائد:

مثل الزخشي لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ بقولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه. فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداها الأخرى. وتساءل التفتازاني في حواشيه على الكشف فقال: ومما ينبغي أن يتعرض له وجه تكرر ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ ولا خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمّر، إذ ليست المذكورة هي المناسبة إلا أن يجعل ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الثانية في موقع المفعول، ولا يجوز تقدم المفعول على الفاعل في موضع الإلباس. نعم يصح أن يقول: «فتذكر الأخرى» فلا بد للعدول من نكتة. ولم يتعرض التفتازاني للنكتة، وترك قارئه في حيرة من أمره. على أن الدماميني ذكر في شرح المغني أن المقصود هو كون التذكير من إحداها للأخرى كيفما قدر لا يستقيم إلا كذلك، ألا ترى أنه لو قيل: أن تضلّ إحداها فتذكرها الأخرى، وجب أن يكون ضمير المفعول عائداً على الضالة، فيتعيّن لها، وذلك غل بالمعنى المقصود؛ لأن الضالة الآن في الشهادة قد تكون هي الذاكرة لها في زمان آخر، فالمذكورة حينئذ هي الضالة، فإذا قيل: فتذكرها الأخرى لم يفد ذلك لتعيّن عود الضمير إلى الضالة. وإذا قيل: فتذكر إحداها الأخرى، كان مبهماً في واحدة منهما. فلو ضلت إحداها فذكرتها الأخرى فذكرت كان داخلاً، ثم لو انعكس الأمر والشهادة بعينها في وقت آخر اندرج أيضاً تحته لوقوع قوله ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ غير معيّن، فظهر الوجه الذي لأجله عدل عن «فتذكرها» إلى ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. وفي النفس من هذا التقرير ما لا يحتمله هذا الكتاب.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمُّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨٣﴾

☆ الفة:

﴿فَرِهَنْ﴾ : بكسر الراء : مصدر أو جمع رهن . والرهن : ما يوضع تأمينا للدين ، وحبس الشيء مطلقاً ، والشيء المرهون . وقرئ : فَرُهْن - بضمتين - جمع رهن أيضاً .

○ الإعراب:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الواو استئنافية ، وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ، وعلى سفر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ الواو حالية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتجدوا فعل مضارع مجزوم بلم ، وعلامة جزمه حذف النون ، والواو فاعل ، وكاتباً مفعول به ، والجملة حالية ، ويجوز لك أن تجعل الواو عاطفة ، فتكون الجملة معطوفة على فعل الشرط ، فهي في محل جزم ﴿فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، ورهان مبتدأ ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، ومقبوضة صفة ، والخبر محذوف تقديره تستوثقون بها ، ولك أن تعربها خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : فالمعتمد عليه رهان ؛ لأن السفر مظنة لإعواز الكتب . وتفاصيل المسألة مبسطة في كتب الفقه ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ الفاء عاطفة ، وإن شرطية ، وأمن فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبعضكم فاعل ، وبعضاً مفعول به ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، واللام لام الأمر ، ويؤد فعل مضارع مجزوم باللام ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، والجملة في محل جزم فعل الشرط ، والذي اسم موصول فاعل ، وأؤتمن فعل ماض مبني

للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو، والجملة صلة، وأمانته مفعول به ليؤد ﴿وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبُّهُ﴾ تقدم إعرابه بحروفه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكتموا فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والشهادة مفعول به ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويكتمها فعل الشرط، والهاء مفعوله، والفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، وإثم خبرها، وقلبه فاعل إثم لأنه اسم فاعل. ويصح في مثل هذا التركيب أن يكون الضمير في فإنه للشأن، وإثم خبر مقدم، وقلبه مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر إن. والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وبما متعلقان بعليم، وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول، وعليم خبر «الله».

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التصريحية التبعية في قوله تعالى: ﴿عَلَى سَفَرٍ﴾ فقد شبه تمكنهم من السفر وارتياضهم عليه وتمرسهم به بتمكن الراكب من ركوبه.

(٢) المجاز العقلي في قوله: ﴿إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ فقد أسند الإثم إلى القلب، والمقصود الإنسان كله لا قلبه وحده لسر عجيب، وهو أن القلب بمثابة الرأس للأعضاء، وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله، وقد تعلق الشعراء بأذيال هذه البلاغة، وحسبنا أن نذكر تلفت القلب في قول الشريف الرضي البديع:

ولقد وقفتُ على ديارهم وطلولها بيد البلى نهبٌ

وبكيتُ حتى ضجَّ من لغب نضوي ولجَّ بعذلي الركبُ

وتلفتت عيني فمذ خفيث عني الطلولُ تلفتَ القلبُ

وصرح دِعل الحزاعي بجناية القلب والطرف بقوله:

أين الشبابُ وأيةً سلكا لا أينَ يُطلبُ ضلَّ بلْ هلكا

لَا تَأْخُذْ بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا
لَا تَعْجِبْنِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفِرَ لَكُمْ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا
كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

☆ اللغة:

(الوسع): ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه.

(الطاقة): المجهود والقدرة. وهي مصدر جاء على حذف الزوائد،
والأصل: الإطاقة.

(الإصر): العبء، وأصره: حبسه، وبابه ضرب. والمراد به: التكليف
الشاقة التي ينوء بها الجسم، وتعيها عنها النفس.

○ الإعراب:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف لا محل له من الإعراب
مسوق للاستدلال على قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وغلب غير العقلاء
على غيرهم من العقلاء باستعمال «ما» لأنهم أكثر. والجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وفي السموات جار
ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول، وما في
الأرض عطف على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الواو
استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لبيان التكليف. والمؤاخذه تكون
بالخواطر التي لا ندحة للمرء عنها. وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله:

مراتبُ القصدِ خمسٌ: هاجس ذكروا

وخاطر فحديثُ النفس فاستمعاً

يليه همٌّ فعزمٌ كلَّها رفعت

سوى الأخير ففيه الأخذُ قد وقعا

وتفصيل ذلك مبسوط في المطولات فليرجع إليها من يشاء. وإن شرطية،
وتبدوا فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والجملة لا
محل لها، وما اسم موصول مفعول به، وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان
بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ عطف على تبدوا،
والهاء مفعول به ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ جواب الشرط مجزوم، والكاف ضمير
متصل في محل نصب مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بيحاسبكم، والله
فاعل، والجملة لا محل لها ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الفاء استئنافية، ويغفر فعل
مضارع مرفوع، أي: فهو يغفر، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة، ويغفر فعل
مضارع مجزوم بالعطف على يغفر، وكلتا القراءتين من السبع، وقرئ أيضاً
بالنصب على إضمار «أن»، فينسبك من ذلك مصدر مرفوع معطوف على
متوهم، أي: تكن محاسبة فغفران. ويتخرج على ذلك بيت النابغة الذبياني:

فإن يَهْلِكْ أبو قابوسَ يَهْلِكْ ربيعُ الناسِ والشَّهْرُ الحرامُ
ونأخذُ بعده بذُنابِ عيشٍ أجَبَ الظَّهْرِ ليس له سَنَامُ

يروى بجزم نأخذ ورفع ونصبه، على أن سيبويه استضعف النصب؛ لأن
القارئ الزعفراني ليس من السبعة، ولأنه موجب. ونص عبارة سيبويه وقد
يجوز النصب في الواجب في ضرورة الشعر، وهو ضعيف في الكلام. ولن

جار ومجرور متعلقان بيغفر، وجملة يشاء صلة ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير، وقدير خبر «الله» ﴿وَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن الرسول ﷺ آمن بكل ما فرض الله على العباد، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد، وما ورد ذكره في السورة من قصص الأنبياء. وآمن الرسول فعل وفاعل، وبما جار ومجرور متعلقان بآمن، وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو، وإليه جار ومجرور متعلقان بأنزل، ومن ربه جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال، أي: حالة كونه نازلاً من ربه لأنه يضمن السعادة للمجتمع البشري ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن تكون الواو عاطفة، والمؤمنون عطف على الرسول، فيكون الوقف هنا. ويشهد لهذا الإعراب ما قرأه علي بن أبي طالب: «وآمن المؤمنون» فأظهر الفعل، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والمؤمنون مبتدأ أول ﴿كُلٌّ آمَنَ﴾ كل مبتدأ ثان، وجملة آمن خبره، والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول، وهو المؤمنون، والرابط محذوف على الوجه الثاني. وعلى الوجه الأول تكون جملة «كل آمن» مستأنفة. وساغ الابتداء بكل، وهو نكرة؛ لأنه بنية الإضافة، أي كل واحد منهم، والتنوين عوض عن الكلمة المحذوفة ﴿بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بآمن وما بعده عطف عليه ﴿لَا تَفَرَّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ هذه الجملة مقول قول محذوف، وجملة القول في محل نصب على الحال، أي: قائلين: لا تفرق، ولا نافية، وتفرق فعل مضارع مرفوع، وبين ظرف مكان متعلق بتفرق، وأحد مضاف إليه، ومن رسله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد، ولم يقل: بين آحاد؛ لأن الأحد يتناول الواحد والجمع كما في قوله تعالى ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزٌ﴾ [الحاقة: ٤٧] فوصفه بالجمع لكونه في معناه؛

ولذلك دخل عليه بين، وسيرد في هذا الكتاب تفصيل ممتع عن أحد ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ الواو استئنافية، وقالوا فعل ماض، والواو فاعل، وجعلنا سمعنا وأطعنا مقول القول ﴿عُفِّرَانَكَ رَبَّنَا﴾ مفعول مطلق بإضمار عامله، ومنه قولهم: غفرانك لا كفرانك، أي: نستغفرك ولا نكفرك. وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ الواو عاطفة، والمعطوف عليه محذوف داخل في حيز القول أي: قائلين منك المبدأ، وإليك المصير. وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والمصير مبتدأ مؤخر ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة مستأنفة مسوقة لإزالة الحرج عن النفوس، ولبيان أن المؤاخذة قاصرة على ما في الوسع والطاقة، فما عداه من خواطر النفس وهو اجسها لا محاسبة عليه، وبذلك يزول الإشكال الذي ساور بعض المفسرين، فقد قالوا: إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما، فما معنى الدعاء بذلك، وهو يكاد يكون من تحصيل الحاصل؟ ولا نافية، ويكلف فعل مضارع مرفوع، والله فاعله، ونفساً مفعول به أول، وإلا أداة حصر، ووسعها مفعول به ثان ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ الجملة مفسرة لما أجمله في قوله ﴿وُسْعَهَا﴾ وسيأتي بيان ذلك في باب البلاغة. ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة الموصول، وعليها ما اكتسبت: عطف على ما تقدم، وقد ذكر إعرابه ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ ربنا منادى مضاف، ولا ناهية معناها هنا الدعاء، وتؤاخذنا فعل مضارع مجزوم بلا، ونا مفعول به، والفاعل أنت، والجملة داخلية في حيز القول المتقدم، وجملة النداء استئنافية ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إن شرطية، ونسينا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ونا فاعل، أو أخطأنا عطف عليه، والجواب محذوف، أي: فلا تؤاخذنا، وجملة الشرط وجوابه في محل نصب على الحال ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ تقدم إعرابه، وتوسيط النداء بين المتعاطفين لإظهار مدى الضراعة والاسترحام، والمبالغة في التذلل،

والاعتراف لله سبحانه برؤوسيته ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ﴾ تقدم في مثل هذا التركيب أنه مفعول مطلق، أو حال، وما مصدرية على كل حال ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ على الذين متعلقان بجملة، ومن قبلنا متعلقان بمحذوف صلة الذين، أي: كانوا من الأمم السالفة ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ عطف على ما تقدم، وما مفعول به ثان لتحملنا، ولا نافية للجنس، وطاقة اسمها المبني على الفتح في محل نصب، ولنا جار ومجرور متعلقان بطاقة، وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ دعاء معطوف على ما تقدم، وعنا متعلقان باعف ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ عطف آخر ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ عطف آخر ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، ومولانا خبر، والجملة مستأنفة بمثابة الاعتراف لله تعالى بأنه المولى؛ لأن المولى مصدر ميمي من ولي يلي، والمعنى أنت مولانا بك نلوذ، وإليك نلتجىء، وعليك نتكل، ومن حق المولى أن ينصر من يليه ويحميه إذا خاف، ويحوطه بعنايته، ويكلؤه برعايته ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ الفاء للتعليل، والجملة مسوقة لتعليل ما تقدم، فإن كونه مولانا سبب لطلب النصرة منه، وعلى القوم متعلقان بانصرنا، وذكر لفظ القوم للتعميم؛ لأن النصر على الأفراد لا يستلزم النصر على المجموع، فدفع ذلك الإيهام بذكر لفظ القوم، والكافرين صفة.

□ البلاغة:

في هذه الأبيات طائفة من فنون البلاغة نجملها بما يلي:

(١) حسن الختام: وقد تقدّم بحثه، ومن حق سورة البقرة - وقد اشتملت على العديد من الأحكام، وانطوت على التشريع البيان - أن يتناول ختامها شكر المنعم الذي منّ على الإنسان بالعقل ليفكر، ومن حق المنعم عليه أن يعترف لمن أسدى إليه الآلاء أن يشكرها، ولمن نصب أمامه محاريب الفكر ومجالي الإبداع أن يفكر فيها ويتدبرها، ويشهد لمن أبدعها بالحول، والطول، والانفراد بالوحدانية المتجلية على قلوب المؤمنين. فبالفكر وحده يحيا الإنسان، وبالفكر استدل على وجوده. وما أجمل قوله ﷺ: «السورة التي

تذكر فيها البقرة فسقاط القرآن فتعلموها، فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولن تستطيعها البطلة» قيل: وما البطلة؟ قال: «السحرة». ومعنى كونها فسقاط القرآن أنها اشتملت على معظم أمور الدين أصولاً وفروعاً، والإرشاد إلى ما فيه حسن المعاش في الدنيا والفوز في الآخرة.

(٢) المقابلة: في قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فقد طابق بين لها وعليها، وبين كسبت واكتسبت، فالفعل الأول يختص بالخير، والفعل الثاني يختص بالشر، فإن في الاكتساب اعتمالاً، والشر تشهّاه النفس وتجنّح إليه بالطبع، بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله، وكما يشرق اليقين في النفس، إشراقاً جعل من فلاسفة الإشراق مؤمنين، ومن الغزالي وديكارت أوأبين متبتلين.

* الفوائد:

(بين) ظرف للمكان أو الزمان لا يضاف إلا لمتعدّد، وقد أضيف في الآية إلى «أحد» لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع، كما يستوي فيه المذكر والمؤنث. فمعنى لا نفرّق بين أحد من الرسل: لا نفرّق بين جمع من الرسل. وقد اختلف علماء اللغة: هل تعاد بين بعد ورودها بين المتعاطفين أم لا؟ نحو: جلست بين زيد وعمرو. هل يقال: جلست بين زيد وبين عمرو؟ أجاز ذلك قوم على أن تكون بين للتأكيد.

ومن روائع النكت أنه لا يعطف بعدها إلا بالواو، فلا يقال: جلست بين زيد وعمرو. وقد اعترض على ذلك بقول امرئ القيس في مطلع معلقته:

قفّا نَبَكٍ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسقطِ اللّوى بين الدّخولِ فَحَوَمِلِ

قال الأصمعي: الصواب أن يُقال: بين الدخول وحومل، لأن البنية لا يعطف عليها بالفاء لأنها تدل على الترتيب. وقال يعقوب بن السكيت في الدفاع عن امرئ القيس: إنه على حذف مضاف، وإن التقدير: بين أهل

الدخول فحومل . وقال المرادي : إنه على اعتبار المتعدد حكماً ؛ لأن الدخول مكان لا يجوز أن يشتمل على أمكنة متعددة ، كما تقول : قعدت بين الكوفة ، تريد بين دورها وأماكنها . هذا وتشبع حركة النون فتصير «بينا» و«بينما» . وتضاف عندئذ إلى الجمل ، قال أبو ذؤيب :

بينا تعنقه الكماءُ وروغه يوماً أُتِيحَ له جريءٌ سلفع

* * *

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَمَّ ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

☆ **اللمعة:**

﴿الْعَمَّ﴾ : تقدم الكلام على فواتح السور في أول البقرة.

﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ : اسمان أعجميان، وقيل عربيان. وعلى القول بعربيتهما فالتوراة مشتقة من قولهم: ورى الزند إذا قدح فظهر منه نار. فلما كانت التوراة فيها ضياء يخرج به من الضلال إلى الهدى، كما يخرج بالنور من الظلام إلى النور، سمي هذا الكتاب بالتوراة. وقيل: هي مشتقة من وريت في كلامي من التورية. وسميت التوراة لأن فيها تلويحات وإيحاءات ومعارض. أما الإنجيل فهو على رأي القائلين بعربيته مشتق من النجل، وهو التوسعة.

ومنه قولهم: عين نجلاء، أي: واسعة. وسمي الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة.

○ الإعراب:

﴿الَمْ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وقد تقدم القول فيه مفصلاً ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الله مبتدأ، ولا نافية للجنس، وإله اسمها، وإلا أداة حصر، وهو بدل من محل لا، واسمها على الصحيح، أو من الخبر المحذوف، أي: لا إله موجود إلا هو، والجملة خبر «الله»، وقد تقدم الكلام مفصلاً في إعراب كلمة الشهادة ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ خبر ثان وثالث لـ «الله»، أو خبران لمبتدأ محذوف، أي: هو الحي القيوم ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ الجملة خبر رابع لـ «الله»، أو خبر ثان إن جعلنا الحي القيوم خبرين لمبتدأ محذوف. ونزل فعل ماض مبني على الفتح، وعليك متعلقان بنزل، والكتاب مفعول به، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الكتاب، أي: متلبساً بالحق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدقاً: حال مؤكدة، واللام حرف جر، وما اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بقوله مصدقاً، وبين ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، ويديه مضاف إليه مجرور بالياء لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء مضاف إليه ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ عطف على ما تقدم ﴿مِن قَبْلُ﴾ جار ومجرور متعلقان بأنزل ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ حال من التوراة والإنجيل، ولم يشأن لأنه مصدر؛ أي: هادين. ويجوز إعراب هدى مفعولاً من أجله، أي: أنزل هذين الكتابين لأجل هداية الناس. وللناس متعلقان بهدى ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ الواو حرف عطف، وجملة أنزل الفرقان عطف على جملة أنزل التوراة والإنجيل. من قبيل عطف العام على الخاص، أي: الكتب التي تفرق بين الحق والباطل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ جملة مستأنفة للتحديث عن وفد نجران، والتفاصيل مبسوبة في المطولات. وإن واسمها. وجملة كفروا صلة الموصول، وبآيات الله متعلقان بكفروا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وشديد صفة، والجملة

الاسمية في محل رفع خبر إن ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ وعزيز خبر أول، وذو انتقام خبر ثان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إن واسمها، وجملة لا يخفى عليه شيء خبرها، وفي الأرض متعلقان بمحذوف صفة لشيء، «ولا في السماء» عطف على ما تقدم ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ جملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان علمه سبحانه وإطلاعه على ما لا يدخل تحت الوجود، وهو تصوير عبادة في أرحام أمهاتهم، وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة يصوركم صلة الموصول، وفي الأرحام متعلقان بتصويركم ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ كيف هنا أداة شرط في محل نصب على الحال، ولم تجزم لعدم اتصال «ما» بها. ومفعول يشاء محذوف تقديره تصويركم، والجملة حالية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقدم إعرابه، وكرره لتأكيد الكلام، و﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو.

□ البلاغة:

- (١) المجاز في قوله: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ والمراد ما أمامه.
- (٢) الطباق بين ﴿الْأَرْضِ﴾ و﴿السَّمَاءِ﴾.
- (٣) الإيجاز بالحذف، فقد حذف مفعول ﴿يَشَاءُ﴾ للغرابة وإظهار قدرة الله تعالى.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿مُحْكَمَاتٌ﴾: أحكمت عباراتها، ووضحت دلالاتها، وحفظت من الاحتمال والاشتباه.

﴿مُتَشَبِّهَةٌ﴾ : فيها احتمال للتأويل . وفي هذه الكلمة إيهام ، فإن مفردا متشابه ، وكيف يشابه الشيء مع نفسه؟ وإنما يقع التشابه بين الاثنين . ومثله يقتتلان ، والمفرد لا يقتتل ، فكيف يقتتل الواحد مع نفسه؟ وقد وجه هذا الاعتراض إلى تقي الدين بن تيمية الإمام المشهور فقال لمن سأله : هذا ذهنٌ جيد . ثم عدل عن الجواب . والذي يبدو للخاطر أن العرب نطقت بألفاظ من هذه الصيغة ، ولم ترد بها المفاعلة كقولهم : طابقت النعل ، وعاقبت اللص ، وخامرت الحب ، وعاقرت الخمر . ولو فرضنا أن الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب أن التشابه لا يكون إلا بين اثنين فما فوقهما ، وإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل واحد مشابهاً للآخر ، فلما لم يصح التشابه إلا في حالة الاجتماع وصف بالجمع ؛ لأن كل واحد من مفرداته يشابه الآخر .

الحكمة في المتشابه :

فإذا خطر لك أن تسأل عن السر في الجنوح إلى ذكر المتشابه به في القرآن ، والعدول عن تعميم الحكم؟ قيل : إن القرآن في الأصل نزل على أسلوب العرب ، وبألفاظهم ، ووفقاً لكلامهم ، وهو على ضربين :

منه المحكم الذي لا يخطئه السامع ، ولا يغرب عن الفهم ، ومنه ما حفل بضروب المجازات ، وأنواع الكنايات ، والإشارات ، والتلويحات . وقد كان هذا الضرب الثاني ، أفعل في نفوسهم ، وأكثر استهواء لهم ، فأنزل القرآن مفرغاً في الأسلوبين ، حاوياً للتنوعين ؛ ليكون التحدي أعم وأشمل ، ولو نزل كله محكماً لما ترددوا في التماس المطاعن ، ولما أحجموا عن المكابرة واللجاج والاعتراض ، ولقالوا : هلاً نزل بالضرب الذي نستحسنه ، ونميل إليه؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لما يميّز به المتشابه من كدّ القرائح في استخراج المغالط ، واكتناه المرامي ، وحسر الستار عن الطرائف ؛ التي تتعالى على النظرة السطحية البدائية ، حتى إذا فتح الله عليه ، وتمكن من سبر أغوار المتشابه ، كان إيمانه أرسخ ، ويقينه أقوى من أن تعصف به الشبهات .

(الزيف) الميل عن الحق، والجنوح إلى الباطل. والزاي والياء إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة أفادتاً هذا المعنى، وسمي الزيت زيتاً لأنه سائل يميل بسرعة، وزاغت الشمس تزيف: مالت، وقس على ذلك.

○ الإعراب:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كلام مستأنف مسوق لتفصيل آيات الكتاب، وأنها قسمان: قسم يفهمه الناس، وقسم لا يفهمونه لقصورهم وعجزهم. وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة أنزل عليك الكتاب لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، وعليك متعلقان بأنزل، والكتاب مفعول به ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ الجملة حال من الكتاب، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وآيات مبتدأ مؤخر، ومحكمات صفة لآيات ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الجملة صفة ثانية لآيات، وهن ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وأم الكتاب خبره، وأخبر عن الجمع بالواحد لأن كل واحدة بمثابة أم واحدة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ عطف على آيات محكمات ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الفاء استئنافية مسوقة لتفصيل موقف الناس منه، وأما حرف شرط وتفصيل، والذين مبتدأ، وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وزيف مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا نَشَبَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ الفاء رابطة لجواب أما، وجملة يتبعون خبر الذين، واستغنى عن الجواب اكتفاء بالفاء، وما اسم موصول مفعول به، وجملة تشابه صلة الموصول، ومنه متعلقان بتشابهه، وابتغاء مفعول لأجله، والفتنة مضاف إليه ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ عطف على ابتغاء الفتنة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الواو حالية، وما نافية، ويعلم فعل مضارع مرفوع، وتأويله مفعول به مقدم، والجملة في محل نصب على الحال ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ إلا أداة حصر، والله فاعل يعلم مؤخر ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ تكلم العربون والمفسرون كثيراً، وأطالوا حول هذه الآية، والقول الفصل فيها أنه يجوز أن تكون الواو عاطفة، والراسخون معطوفة على «الله»، والمعنى: لا يهتدي إلى تأويله إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم وتمكنوا منه، ويجوز أن

يتم الوقوف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وتكون الواو استثنائية، والراسخون مبتدأ خبره جملة يقولون. وعلى القول الأول تكون جملة يقولون: حالية، أي: قائلين، وقد نشأ عن هذا الاختلاف في التفسير انقسام العلماء إلى فريقين: أصحاب تأويل وأصحاب ظاهر، ولسنا في صدد الترجيح والمفاضلة بين الآراء المتضاربة، ولكننا سنورد لمحة عنه في باب: الفوائد ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ الجملتان مقول القول، وآمنا فعل وفاعل وبه متعلقان بآمنا، وكل مبتدأ ساغ الابتداء به؛ لما في «كل» من معنى العموم والتنوين عوض عن كلمة، ومن عند ربنا الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَكُولُوا﴾ الواو حالية، أو مستأنفة، وما نافية، ويذكر فعل مضارع مرفوع، وإلا أداة حصر، وأولو فاعل يذكر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والألباب مضاف إليه.

* الفوائد:

(١) أفرد بعضهم هذه المسألة بكتاب خاص لسعة الكلام فيها، وقد استدلل القاضي البيضاوي والزنجشيري قبله على اختيارهما الوقوف على «العلم» لأن في ذلك حفزاً للعقول على التفكير والإبداع، وقال الحشوية ما خلاصته: الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ واجب حتى يكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كلاماً مستأنفاً، فإذا لم يقف عليه بل وقف على قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ليكون عطفاً على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ كان لا بد أن يبتدىء بقوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ أراد به: قائلين، وهو باطل؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون حالاً عن ﴿اللَّهُ﴾ أو عن الراسخين في العلم، كان كأن الله سبحانه والراسخين في العلم قالوا: آمنا به كل من عند ربنا. وذلك في حقه تعالى محال، أو يكون حالاً عن الراسخين في العلم فقط، وعندئذ يتخصص المعطوف بالحال دون المعطوف عليه، وهو أيضاً غير جائز، لأنه منافٍ للقاعدة المقررة في العربية، وهي أن المعطوف في حكم المعطوف عليه، فثبت أن الوقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ واجب. وإذا كان الوقف عليه واجباً فقد خاطبنا الله بما

لا نفهمه وهو المهمل . قلت : لا يخفى ما في حذف الحشويين من براءة مبنية على المغالطة ، فهم يجيزون الخطاب بالمهمل ، فإنه يجوز تخصيص المعطوف بالحال حيث لا لبس ، وهو كثير في القرآن . ومنه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء : ٧٢] فإن ﴿ نَافِلَةً ﴾ حال من المعطوف فقط ، وهو ﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾ لأن النافلة هو ولد الولد ، وإنما هو يعقوب دون إسحاق .

ما يقوله الرازي :

واستدل الإمام فخر الدين الرازي في «مفاتيح الغيب» على أن الوقف الصحيح على قوله ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ بستة أوجه ، ملخص الثاني منها أن الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ إلى آخر الآية ، ولو كان التأويل جائزاً لما ذمّه الله . وملخص الرابع : أنه لو كانت الواو في قوله : ﴿ وَالرَّسُخُونَ ﴾ عاطفة لصار قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ابتداء ، وهو بعيد عند ذوي الفصاحة ، بل كان الأولى أن يقولوا : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال : ويقولون : آمنا به ، ولهذا كله أسغنا الوجهين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٨ ﴾
 رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ٩ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ
 وَقُودُ النَّارِ ١٠ ﴾

○ الإعراب :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ الجملة مقول قول محذوف ، وربنا منادى مضاف ، ولا ناهية ، وهي هنا بمعنى الدعاء ، وتزغ فعل مضارع مجزوم بلا ، والفاعل أنت ، وقلوبنا مفعول به ، والظرف الزماني متعلق بتزغ ، وهو مضاف إلى الظرف الذي هو إذ ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن ، وجملة هديتنا في محل

جر بالإضافة، وقيل خرجت إذ عن الظرفية فهي بمعنى «أن» ولكن حكمها لم يتغير فهي ملازمة للإضافة إليها، وهو قول جميل ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ الواو عاطفة، وهب فعل أمر، ولنا جار ومجرور متعلقان بهب، ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر بمن، والكاف مضاف إليه، ورحمة مفعول به ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ الجملة تعليل للدعاء لا محل لها، وإن واسمها، وأنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، والوهاب خبر أنت، والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن، ويجوز أن تعرب أنت ضمير فصل لا محل له، والوهاب خبر إن ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ الْغُثِّ وَالنَّاسِ﴾ ربنا منادى مضاف، وإن واسمها، وجامع الناس خبرها، والجملة داخلية في حيز مقول القول ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بجامع، ولا نافية للجنس، وريب اسمها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الجملة تعليلية للحكم فإنه في مقام التماس الإنعام، وإن واسمها، وجملة لا يخلف الميعاد مفعول به بمعنى المصدر، وهو الوعد، وقد قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الجملة مستأنفة، وإن واسمها، وجملة كفروا صلة الموصول، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتغني فعل مضارع منصوب بلن، والجملة خبر إن، وعنهم متعلقان بتغني، وأموالهم فاعل تغني، ولا أولادهم عطف على أموالهم، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لـ «شيئاً» فلما تقدم أعرب حالاً على القاعدة المشهورة، والتقدير: لن تدفع عنهم الأموال والأولاد شيئاً من عذاب الله وشيئاً مفعول به، أو في موضع المصدر تقديره غنى، فيكون مفعولاً مطلقاً ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم الإغناء، ولك أن تجعل الواو عاطفة، والجملة معطوفة على خبر إن،

وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، ووقود النار خبر «هم»، والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل، ووقود النار خبر أولئك، وقد تقدم تقريره كثيراً.

* الفوائد:

(لدى ولدى) ظرفان للمكان والزمان مبنيان على السكون، والغالب في لدى أن تجر بمن كما في الآية، وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمته نون الوقاية نحو لدني، وقد ترك هذه النون فيقال لدني. وتضاف إلى المفرد وإلى الجملة. وتقع بعد لدى «غدوة» فيجوز جر غدوة بالإضافة، ويجوز نصبها على التمييز، أو على أنها خبر كان المقدرة مع اسمها، أي: لدى كان الوقت غدوة. والفرق بين لدى ولدى أن لدى لا تقع عمدة في الكلام ولدى تقع، فلا يقال: لديه علم، ولكن يقال: لديه علم.

﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

☆ اللفظة:

(الدأب): مصدر دأب في العمل، من باب: قطع، إذا كدح فيه، غلب استعماله في العادة والشأن، ومنه قول امرئ القيس:

كَذَابِكَ مِنْ أُمَّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمَّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلِ

○ الإعراب:

﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ الكاف اسم بمعنى مثل في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: دأب هؤلاء كذاب من قبلهم. ولك أن تجعل الكاف حرف جر، فيكون الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لذلك المبتدأ المحذوف. ويجوز نصب محل الكاف ومدخولها على المفعولية المطلقة أو الحال، وقد تقدم كثيراً. وآل مضاف إليه، وفرعون مضاف إليه أيضاً مجرور،

وعلامه جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الواو حرف عطف على آل فرعون، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فعل وفاعل، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا، والجملة تفسيرية لا محل لها. ولك أن تعرب الواو استئنافية، فيكون الذين مبتدأ خبره جملة كذبوا ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الفاء عاطفة، وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل، والجار والمجرور متعلقان بأخذهم، فتكون الباء للسببية، أو بمحذوف حال، فتكون الباء للملابسة، أي: متلبسين بذنوبهم ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير العقاب، والواو استئنافية، والله مبتدأ، وشديد العقاب خبره.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلُوبٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسَّ أَلْمِهَادُ﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للرد على اليهود الذين ركبوا رؤوسهم بعد موقعة بدر، وقالوا للنبي ﷺ الذي حاول حقناً لدمائهم أن يحذرهم من عواقب الغرور والطيش: لا تحسب أنا أغمار، أي: غير مجربين على القتال. وقل فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر يعود على النبي ﷺ، أي: أنت. وللذين جار ومجرور متعلقان بقل، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿سَتْغْلُوبٌ﴾ السين حرف استقبال، وتغلبون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعل، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ الواو حرف عطف، وجملة تحشرون معطوفة على ستغلبون داخلية في حيز القول ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بيحشرون، وجرت جهنم بالفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، وسيأتي القول عنها في مكان آخر ﴿وَيُسَّ أَلْمِهَادُ﴾ الواو عاطفة، والجملة معطوفة على ما قبلها داخلية في حيز القول، ويجوز أن تكون الواو

استثنائية، والجملة مسوقة لردعهم وتهويل جهنم لهم، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمهاد فاعل بئس، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: جهنم، وإنما حذف لفهم المعنى. وفيه تأييد لمذهب سيبويه، وهو إعراب المخصوص بالذم أو المدح مبتدأ خبره الجملة قبله، ومذهب غيره أنه خبر لمبتدأ محذوف، ويرد عليه أنه يلزم من ذلك حذف الجملة برأسها من غير أن يبقى ما يدل عليها، وذلك لا يجوز حتماً؛ لأن حذف المفرد أهون من حذف الجملة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣)

☆ اللغة:

(الفئة): الجماعة، ولا واحد لها من لفظها، وجمعها فئات، وقد تجمع بالواو والنون جبراً لما نقص، وإنما سميت الجماعة فئة لأنه يفاء إليها، أي: يرجع في وقت الشدة. وقال الزجاج: الفئة: الفرقة، مأخوذ من قولهم: فأوت رأسه بالسيف، أي: قطعته.

(العبرة): الاتعاظ، يقال منه: اعتبر، وهو الاستدلال بشيء على شيء يشبهه، واشتقاقها من العبور، وهو: مجاوزة الشيء إلى الشيء، ومنه عبر النهر - بفتح العين -: وهو شطه أي: عبّره من شاطئ إلى شاطئ، والمعبر: السفينة، والعبارة: يعبر بها إلى المخاطب بالمعاني، وعبرت الرؤيا مخففاً ومثقلاً: نقلت ما عندك من علمها إلى الزّائي أو غيره ممن يجهل، وكان الاعتبار انتقالاً من منزلة الجهل إلى منزلة العلم، ومنه العبرة - بفتح العين - وهي الدمع لأنها تجاوز العين.

○ الإعراب:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الجملة داخلية في حيز القول السابق، أي: قل

لليهود: ستغلبون، وقل لهم: قد كان، وقيل: هي عامة، وإن الخطاب لجميع الكفار فتكون مستأنفة، أو لجميع المؤمنين، والعبرة لا تختص بأحد، وقد حرف تحقيق، وكان فعل ماض ناقص، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم، وآية اسمها المؤخر ﴿فِي فَتْنَيْنِ اُتَقَتَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية، وجملة التقتا صفة للفتنين، والتاء تاء التانيث الساكنة، وحركت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين التي هي فاعل، وقد كان ذلك اللقاء يوم بدر ﴿فِيَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فئة خبر لمبتدأ محذوف، أي: إحداهما فئة، ويجوز جر فئة على البدلية من فتتين، وهي إحدى القراءات، وجملة تقاتل صفة لفئة، وفي سبيل الله متعلقان بتقاتل ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ الواو عاطفة، وأخرى عطف على فئة، وكافرة صفة، فمن رفع الأول رفعه، ومن جر الأول جره ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْكَيْنِ﴾ جملة يرونهم نعت للفئة التي تقاتل في سبيل الله، وهم: النبي وصحابته، ويرونهم فعل وفاعل ومفعول به، والرؤية بصرية، أو بمثابتها لشدة الالتحام، ومثليهم حال، ورأى العين مفعول مطلق مؤكد لعامله ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يؤيد خبر، وينصره متعلقان بيؤيد، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة يشاء لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للحث على الاعتبار، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، واللام المرحقة، وعبرة اسم إن المؤخر، ولأولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعبرة، وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والأبصار مضاف إليه.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآية على أرفع الخصائص البيانية فمنها:

(١) الاحتباك، وهو الحذف من كلامين متقابلين، وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر، ففي قوله تعالى: ﴿فِيَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى

كَافِرَةٌ ﴿ حذف من الكلامين ، وتقديره : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان . فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ، وحذف من الثاني ما يفهم من الأول .

(٢) الكلام الموجه ، لأن المعنى إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره ، وإما أن يحتمل منه الشيء وغيره ، وتلك الغيرية إما أن تكون ضدّاً أو لا ، وهذه الآية احتملت معنيين متغايرين ، وتلك الغيرية ضد إذا احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد ، وليس هناك ما يرجح واحداً على الآخر ؛ لأن كلاهما يصح إطلاقه في الآية . وقد ورد في الحديث من التوجيه قول النبي ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ، وهذا يشتمل على معنيين متضادين ، أحدهما : إن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت ، والآخر : أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ما شئت . وهذان معنيان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذم .

المتنبي والكلام الموجه :

وقد رmq أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية ، واستغلها في مدائحه لكافور الأخشيدي حاكم مصر ، فقد كان مضطراً إلى مجاملته لتفادي المكروه إن جابهه بما يكره من احتقار ، فجنى إليه في أماديح ، ليكون ظاهرها المدح وباطنها الهجاء ، فمن ذلك قوله فيه :

وَأَظْلَمُ أَهْلَ الظُّلَمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نَعَائِهِ يَتَقَلَّبُ

وهذا البيت يحتمل معنيين ضدين أحدهما : أن المنعم عليه يحسد المنعم ، فيكون مدحاً . وكذلك أورده ليوهم كافوراً أنه يريد ذلك . وثانيهما : أن المنعم يحسد المنعم عليه ليقرر حقيقة رسخت في هذا المخلوق الذي قذفت به المقادير ليكون ملكاً ، فهو ينعم على الآخرين ، ثم ما يلبث أن يحسدهم على ما نالوه من نعمائه . وهذا من أعجب ما اتفق في الشعر ، وهو من خصائص هذا الشاعر العجيب . وكثيراً ما كان يحنح أبو الطيب إلى هذا اللون من الشعر في

أما دمج لكافور، ومن ذلك قوله فيه من قصيدة مطلعها:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

ثم قال فيه:

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
فَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بَغِيرِ سِنَانِ

أي: دع أعداءك يقولوا ما أرادوا، ويحدثوا في الأسباب التي جعلت منك ملكاً، فإن ذلك من أسرار الله في خلقه، يرفع الوضع، ويغني البليد، ويرزق القدم الغبي، ثم يقول له مخاطباً: إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظك وسعدك، وهذا مما لا فضل فيه، ويستوي فيه القدم وغير القدم.

﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾

☆ **اللمعة:**

﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾: جمع قنطار، مأخوذ من قنطر الشيء إذا أحكمه، وهو - هنا - يعني المال الكثير. والقنطار يختلف مع الأيام والبلاد، وقد اختلف علماء اللغة في نونه، فقال فريق: إنها أصلية، وإن وزنه فعلال كقنطاس، وقيل: إنها زائدة، وإن وزنه على ففعال. وقد خبط فيه صاحب «المنجد» خبطاً عجيباً. ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ وصف للخيل، أي: المعلمة بعلامة تعرف بها، والخيل فيه قولان: أحدهما: أنه جمع لا واحد له من لفظه بل مفردة فرس، والثاني: أن واحده خائل، فهو نظير راكب وركب، وتاجر وتجر، وطائر وطيء، وسيبويه يدرجه مع قوم، ورهط، ونساء، ويجعله اسم جمع، وغيره يجعله جمع تكسير. واشتقاق الخيل إما من الاختيال وهو العجب، سميت

بذلك لاختيالها في مشيتها، والثاني: من التخيل، لأنها تتخيل في صورة هي أعظم منها.

﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: جمع نَعَم بفتحيتين، والنعم: اسم جمع لا واحد له من لفظه، وهو يذكر ويؤنث، ويطلق على الإبل والبقر والغنم. وسيرد المزيد من بحثه في سورة الأنعام.

﴿الْمَاءِ﴾: يصح أن يكون مصدراً صحيحاً، أو اسماً للمكان، أو الزمان، وهو على كل حال مفعول بفتح العين، من آب يؤوب، أي: رجع، وأصله: مأوب، فنقلت حركة الواو إلى الهمزة الساكنة قبلها، فقلبت الواو ألفاً.

○ الإعراب:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ كلام مستأنف لا محل له مسوق لبيان حقارة أعراض الدنيا. زين فعل ماض مبني للمجهول، وللناس جار ومجرور متعلقان بـ «زين»، وحُب الشهوات نائب فاعل ﴿مِنَ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ من بيانية، وهي مع مجرورها متعلقان بمحذوف حال، والبنين: الواو عاطفة، والبنين معطوف على النساء مجرور، وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والمقنطرة صفة للقناطر ﴿مِنْكَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ﴾ من بيانية أيضاً، وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف حال، وما بعده عطف عليه ﴿ذَلِكَ مَتَكِّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ومتاع الحياة خبر، والدنيا صفة، والجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان حقارة ذلك كله؛ لأنه فاني لا يبقى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ الواو استئنافية، وما بعدها كلام مستأنف، مسوق للدلالة على أنه ليس فيما عدد من ظواهر النعمة خير ولا نفع، والله مبتدأ، والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وحسن المآب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر «الله».

□ البلاغة:

في الآية فن مراعاة النظر، وهو أن يجمع الشاعر أو الناثر بين أمر وما يناسبه، مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المقابلة والمطابقة، وقد جمع سبحانه في هذه الآية معظم وسائل النعيم الآيلة بالمرء إلى الانهماك في الفتنة، والانسياق مع دواعي النفوس الجموح، وقد زينت للناس واستهوتهم بالتعاجيب والمفاتن، ابتلاء لهم. وللمتكلمين مناظرات وجولات حول تزيين هذه الشهوات، والمزین لها، ويشتجر الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال، مما لا سبيل إلى ذكره لأنه خارج عن نطاق كتابنا، ولكننا نجتزئ بالإلماع إليه، ليرجع من يشاء إلى المظان المعروفة.

﴿ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْإِعْرَابِ ۝١٥﴾

○ الإعراب:

﴿ قُلْ ﴾: فعل أمر، وفاعله أنت، أي: يا محمد، والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخير لما عند الله، وأفضليته على شهوات الدنيا ﴿ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، وأنبيء فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، والكاف مفعول به، وبخير جار ومجرور متعلقان بأنبيءكم على أنه ناب مناب المفعول الثاني، كما سيأتي في باب: الفوائد، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بخير، والإشارة إلى أنواع الشهوات الأنفة الذكر. وجملة الاستفهام في محل نصب مقول القول ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجملة اتقوا لا محل لها، لأنها صلة الموصول، وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من جنات، لأنه كان في الأصل صفة لها، فلما تقدم عليها أعرب حالاً. وجنات

مبتدأ مؤخر . ولك أن تعلق الظرف بما تعلق به «للذين» من الاستقرار لأنه من جملة الخير ، ولك أن تجعل الكلام موصولاً فلا تقف عند ذلكم ، وعندئذ يكون للذين نعتاً للخير ، وجنات خبر لمبتدأ محذوف ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الجملة صفة لجنات ، والأنهار فاعل تجري ، ومن تحتها متعلقان بتجري ﴿حَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الذين اتقوا ، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أزواج عطف على جنات ، ومطهرة نعت لأزواج ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ عطف على جنات أيضاً ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وبصير خبر ، وبالعباد متعلقان ببصير .

* الفوائد :

(أنبأ ونبا) فعلان يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل إذا كانا بمعنى العلم . وأما في الآية فهو بمعنى الإخبار ، فيتعديان لاثنين فقط . والحقيقة أن الذي يتعدى لثلاثة مفاعيل فعلان ، وهما : أرى وأعلم ، أما الخمسة الباقية وهي : أخبر وخبر وأنبأ ونبا وحدث ، فقد ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، ومنه قول الحارث بن حلزة الشكري :

إن منعتم ما تسألون فمن حدّ ثَمُوهُ لهُ عَلَيْنَا الْعِلَاءُ

فهو شاهد على أنه متعد لثلاثة مفاعيل ، فالتاء نائب الفاعل وهي المفعول الأول ، والميم علامة جمع الذكور ، والواو لإشباع ضمة الميم ، والهاء هي المفعول الثاني ، وجملة : له علينا العلاء جملة اسمية في موضع المفعول الثالث ، فافهم ذلك جيداً ؛ لأنه عزيز المنال . هذا وتستعمل هذه الأفعال الخمسة متعدية لواحد بأنفسها ، وإلى مضمون الثاني ، والثالث بالباء ، نحو : حدثك بأمر .

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
الصَّكِيرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ

﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

☆ اللغة:

(الأسحار): جمع سحر، كفرس وأفراس: أواخر الليل، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء. والسحر: وقت إدبار الليل وإقبال النهار، فهو متنفس الصبح. واختلف أهل اللغة في تحديده بالضبط، فقال الزجاج وجماعته: إنه الوقت قبل طلوع الفجر، وقال الراغب في مفرداته: السحر: اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار، ثم جعل اسماً لذلك الوقت. وأما السحر بسكونه، فهو منتهى قصبة الخلقوم. ومنه قول عائشة - رضي الله عنها -: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري. ومن مجاز العرب قولهم: انتفخت مساحره؛ إذا ملّ وجبن.

(القسط): العدل. يقال: أقسط، أي: عدل، وقسط، أي: جار، فهو مدح في الرباعي، وذم في الثلاثي.

○ الإعراب:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ اسم موصول يجوز فيه الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين، والنصب على المدح بفعل محذوف، أي: أمدح الذين، والجرّ على أنه بدل من اسم الموصول في الآية السابقة، أو نعت له، يقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والجملة صلة ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَتْنَا﴾ الجملة مقول القول، وربنا منادى محذوف منه حرف النداء، وإن واسمها، وجملة آمنا خبرها ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الفاء للتعليل؛ لأن الإيمان علة الغفران، واغفر فعل أمر للدعاء، ولنا متعلقان به، وذنوبنا مفعول به ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ الواو حرف عطف، وق فعل أمر للدعاء مبني على حذف حرف العلة، وحذفت واو المثال كما هي القاعدة، والفاعل أنت، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، وعذاب النار مفعول به ثان ﴿الْمُكَذِّبِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ الصابرين

منصوب على المدح بفعل محذوف، وما بعده عطف عليه، وهي في الأصل صفات قطعت عن الوصفية بتوسط واو العطف بينها؛ للدلالة على انفرادهم بأنواع الكمالات، كما سيأتي في باب: البلاغة، والجملة استئنافية ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لتعداد أصول الدين وفوائده، وقد وردت فيها أحاديث كثيرة ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض، أي: بأنه، والجار وما بعده متعلقان بشهد، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة، فجدد به عهداً ﴿وَأَلَمَلَكْتُكُمْ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ الواو حرف عطف، والملائكة عطف على الله، وأولو العلم عطف أيضاً. ورفع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ﴿فَأَيُّمًا بِالْقِسْطِ﴾ حال لازمة من الله، أو من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا، ولعله أولى. وجاز مجيء الحال بعد معطوفين لأن المنفصل الالباس، فلو لم يؤمن الالباس لم يجز مجيء الحال، نحو: جاء عليّ وخالد ضاحكاً؛ لعدم العلم بمن هو الضاحك. ووضح أن القيام بالقسط من خصائص الله تعالى، فيكون بمثابة التتمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات. وهنا بحث هام سيأتي في باب: الفوائد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقدم إعرابها ﴿أَلْفَرِيدُ الْحَكِيمُ﴾ خبران لمبتدأ محذوف تقديره: هو، ولك أن تعربهما بدلين من «هو».

□ البلاغة:

(١) في دخول الواو على الصفات، مع أن الموصوف واحد تفخيم للموصوف؛ لأنه إيدان بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف، ثم إن الموصوف ليس واحداً كما يبدو للنظرة العجلى.

(٢) وفي الآية الأخيرة رد العجز على الصدر، فقد رد ﴿أَلْفَرِيدُ﴾ إلى تفرد به بالوحدانية التي تقتضي العزة، ورد ﴿أَلْحَكِيمُ﴾ إلى العدل الذي هو القسط، فهو الله تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف.

* الفوائد:

(١) المثال الذي فاؤه حرف علة إذا بني منه فعل أمر حذفت واؤه أو ياؤه، فتقول في وعد: عدّ، فإذا كان لفيماً مفروقاً، أي: إذا كانت فاؤه ولامه حرفي علة أصبح على حرف واحد لأن الحرفين يحذفان، فتقول في وعى: ع، وفي وقى: ق، وفي وفي: ف، وفي وأى: إ، وعلى هذا يتخرج اللغز المشهور الذي يتندربه صغار العربيين وهو:

إن هندُ المليحةُ الحسنةُ وأي من أضمرت لخل وفاء

وإيضاحه كما يلي: إن: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والنون نون التوكيد الثقيلة، ومعنى إ: عد، وفعله وأى، أي: عدي يا هند، وعد امرأة أضمرت الوفاء لخلها. وهند منادى مفرد علم، محذوف منه حرف النداء، مبني على الضم، والمليحة نعت على اللفظ، والحسنة نعت ثان لهند على المعنى، ووأي مفعول مطلق. وإنما نبهنا إلى إعرابه لنبين أن للنحاة المتأخرين أموراً متكلفة يجدر بنا اجتنابها؛ لأنها تفسد الذوق، وتعطل الملكة الفنية، وهي أشبه بالألاعيب.

(٣) الأصل في الحال أن تكون متقلة لا ثابتة، وتقع وصفاً ثابتاً في ثلاث

مسائل:

أ - أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها، نحو: زيد أبوك عطوفاً، فإن الأبوة من شأنها العطف، وذلك مستفاد من مضمون الجملة. أو لعاملها نحو: ﴿وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] فإن البعث من لازمه الحياة، فمعناها مستفاد من دون ذكرها.

ب - أن يدل عاملها على تجديد ذات صاحبها وحدوثه، أو تجدد صفة له، فالأول نحو قولهم: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها. فيديها بدل من الزرافة، بدل بعض من كل، وأطول حال ملازمة من يديها، ومن رجلها متعلقان بأطول لأنه اسم تفضيل، وعامل الحال خلق، والثاني نحو قوله

تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] فالكتاب قديم، والإنزال حادث، أي: محدث النزول لا الوجود.

ج- أن يكون مرجعها إلى السماع نحو: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾. على أن بعضهم أعرب ﴿قَائِمًا﴾ بأنه نصب على المدح، كما في قول امرئ القيس:

إِذَا قُلْتُ: هَاتِي نَوَّلِيْنِي تَمَائِلْتُ عَلَيَّ هَضِيمَ الْكُشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخِلِ

فهضيم نصب بتقدير: أمدح، لا حال، لأنها صفة لازمة. بقي الاعتذار عن جهة تأخيره عن المعطوفين، فقال التفتازاني: كأنها للدلالة على علو مرتبتهما، أي: الملائكة وأولي العلم، حيث قرنا به تعالى من غير فاصل فتنبه لهذا الفصل، فله على الفصول الفضل.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الجملة مستأنفة مؤكدة للأولى، وإن واسمها، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف حال، والإسلام خبر إن. وقد اعترض أبو البقاء على مجيء الحال بعد إن، وهو اعتراض مردود، لأنهم جوزوا في «ليت» وفي «كأن» وفي «هاء التنبيه» أن تعمل في الحال، لما تضمنت هذه الأحرف من معاني التمني والتشبيه والتنبيه، وإن للتأكيد فهي تعمل في الحال أيضاً، فلا تتقاعده عن «ها» التي للتنبيه، بل هي أولى منها، وذلك أنها عاملة، و«ها» التي للتنبيه ليست عاملة، فهي أقرب لشبه الفعل من «ها»، ولك أن تجعلها حالاً من الدين، أي: كائنا وثابتاً عند الله. والإسلام خبر إن ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الاختلاف، وما نافية، واختلف الذين فعل وفاعل، وجملة أوتوا

صلة الموصول، وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وهو المفعول الأول، والكتاب مفعول به ثان ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ إلا أداة حصر، ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلاف، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، أي: من بعد مجيء العلم لهم، وجاءهم فعل ومفعول به، والعلم فاعله ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مفعول لأجله، وبينهم ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّيْنِتْ اللَّهُ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويكفر فعل الشرط، وآيات الله جار ومجرور متعلقان بـيكفر ﴿فَاتِ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها، وسريع خبرها، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط، وجوابه خبر «من».

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآية على ضروب من المبالغات في ذم اليهود، وذلك على النحو التالي:

أ- وصفهم بأنهم أهل الكتاب، والاختلاف بحد ذاته قبيح، ولكنه بعد إتيان الكتاب والعلم بنواجه أقبح.

ب- ثم ترقى في المبالغة فوصفهم بأنهم بعد أن أوتوا كتاباً جاءهم علم آخر يوضح لهم طريق الصواب، ولكن طبيعة اللجاج المركوزة في نفوسهم أبت إلا التماذي في الضلال، وركوب متن الشطط، فكان القبح أزيد.

ج- ثم ترقى مرة أخرى في المبالغة، فجعل الاختلاف بعد ظهور العلم لديهم مرتين متتاليتين لم يكن إلا بغياً منهم، وهذا ما تعامله الناس منهم، واشتهروا به إلى اليوم، وبذلك استوفت المبالغة غايتها، فسيحان المتفرد بالبيان.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

وَالَّذِينَ آمَنُوا فَهُمْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ
وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾

☆ اللفظة:

﴿حَاجُّكَ﴾ : خاصموك يقال: حاجه حجاجاً ومُحاجةً، أي: خاصمه وجادله.

○ الإعراب:

﴿فَإِنْ حَاجُّكَ فَقُلْ﴾ الفاء استثنائية، والجملة مستأنفة مسوقة لتضييق الخناق على اليهود؛ الذين أخذوا يخرجون النبي فيكيدون له، وإن شرطية، وحاجوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعل، والكاف مفعول به، والفاء رابطة، وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿أَسَلِّتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ الجملة في محل نصب مقول القول، وأسلمت فعل وفاعل، ووجهي مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بأسلمت ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ الواو للعطف، أو للمعية، ومن اسم موصول معطوف على التاء في أسلمت، أو مفعول معه، وجملة اتبعن صلة الموصول، والنون للوقاية، وقد حذفت ياء المتكلم وقفاً ووصلاً موافقة للرسم. والذي حسن ذلك أنها فاصلة ورأس آية. وسيرد أمثالها مثل: أكرم من، وأهانن. وقال بعض النحاة: حذفت مع نون الوقاية خاصة، فإن لم تكن هناك نون فالكثير إثباتها، على أن هذه الياء أثبتت في بعض القراءات السبع.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الواو عاطفة، وقل فعل أمر، وللذين جار ومجرور متعلقان بقل، وجملة أوتوا الكتاب صلة، والواو نائب فاعل، والكتاب مفعول به ثان ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الذين أوتوا الكتاب، وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم، والمراد بهم مشركو العرب، وإن كانوا يكتبون ويقرؤون؛ لأنه لم ينزل عليهم كتاب بعد ﴿أَسَلِّمُوا﴾ الجملة الاستفهامية في

محل نصب مقول القول، ومعنى الاستفهام التنديد والتعير، كما سيأتي في: البلاغة ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا﴾ الفاء استثنائية، وإن شرطية، وأسلموا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، واهتدوا فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل، والجملة المقترنة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ الجملة معطوفة على الجملة الأولى، وإنما كافة ومكفوفة، وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والبلاغ مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ الواو استثنائية، والله مبتدأ، بصير خبر، وبالعباد متعلقان ببصير.

□ البلاغة:

(١) المجاز المرسل في قوله: ﴿أَسَلَّمْتُ وَجْهِي﴾، تعبيراً عن الكل بأشرف أعضائه، وهو: الوجه، والعلاقة هنا الكلية.

(٢) الاستفهام في قوله: ﴿أَسَلَّمْتُمْ﴾ معناه: التنديد والتعير، كأنما قد أفرغ جهده في مناصحتهم، ولم يترك وسيلة إلا تشبث بها لإفهامهم، ولكنهم لم يفهموا. وفي هذا الضرب من الاستفهام استركاك لعقولهم، وامتهان لأفهامهم، فكأنما أصبحت الحجج عندهم كلا حجج، وأصبحت البراهين أضيع ما يكون لديهم، فلم يبق أمامه سوى أن يسألهم مندداً: أأسلمتم بعد هذا كله؟ أم لا يجدي الضرب على الحديد البارد؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أَلَيْسَ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِّنْ نَّصِيرٍ ﴿٢٢﴾

☆ اللغة:

﴿حَبِطَتْ﴾ : ذهبت سدى وفسدت، وهو من مجاز اللغة. والأصل في الحبوط أو الحبط بالسكون: أن تأكل الماشية خضرة فتستوبلها وتهلك. ومنه حبط دم القاتل بكسر الباء، أي: هدر وبطل.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للحديث عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، فقد قتل آباؤهم الأنبياء من قبل، وهم اليوم يحاولون التشبه بأبائهم الأولين، ويرضون بفعلهم، فيتحينون الفرص لقتل النبي ﷺ، ولكن الله أحبط أعمالهم. وإن واسمها، وجملة يكفرون صلة الموصول، والجار والمجرور متعلقان بيكفرون ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ﴾ بِفَعْرِ حَقٍّ الواو عاطفة، ويقتلون فعل مضارع معطوف على يكفرون، والنيبين مفعول به منصوب بالياء، وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: ظالمين، وإنما قيد القتل، وقتل النبيين لا يكون إلا كذلك، زيادة في التشنيع عليهم ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ مِنَ النَّاسِ عطف على ما تقدم، ومن الناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: كائنين منهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الفاء واقعة في جواب الموصول؛ لما فيه من رائحة الشرط، ودخول إن على الموصول لا يؤثر في خبريته، فالجملة خبر إن؛ لأن المعنى لم يتغير، بل ازداد تأكيداً، وذلك شائع في القرآن، وفي الشعر العربي، قال:

فوالله ما فارقْتُكم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

ولكن إذا دخلت ليت أو لعل على «الذي» امتنع دخول الفاء لنسخ الخبرية، وتحول الكلام إلى إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب، كما هو

مقرر في علم المعاني، وسيأتي في باب: الفوائد بحث هام في أسرار الحروف. وبشرهم فعل أمر، والهاء مفعول به، والفاعل أنت، وبعذاب متعلقان ببشرهم، وأليم صفة، والجملة المقترنة بالفاء في محل رفع خبر إن ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الجملة مفسرة للذين يقتلون لا محل لها، وأولئك مبتدأ، والذين خبر، وجملة حبطت أعمالهم صلة الموصول، والجار والمجرور متعلقان بحبطت ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد لفظاً، وناصرين مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر.

* الفوائد:

جرى النحاة والمعربون على القول بزيادة بعض الحروف، ولا يعنون بزيادتها أنها جاءت لغواً أو عبثاً، وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد، ولكننا نريد أن نميط اللثام عن شيء غفل عنه هؤلاء جميعاً، ورددوه وهم لا يكتنهنون فحواه حتى صار من المقولات البديهة، وقد مربك حتى الآن، وسيمر معك الكثير من الأحرف التي قالوا بزيادتها، ومع ذلك قصروا عملها على الشكل دون المعنى، فقله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ لا غنى عن إيراد «من» الزائدة لفظاً فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب، و«من» هي التي نقلته من أصل وضعه الأول إلى دلالة النفي البات والإنكار الحاسم، وسيطالع القارئ في كتابنا ما يذهله من أسرار هذه الحروف التي يمزج النحاة بها مروراً سريعاً، فهم يقولون بزيادتها، ويتركون الطالب في مهامه الحيرة؛ لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

○ الإعراب:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ كلام مستأنف، مسوق
للتعجب من حالهم وسوء صنيعهم، والهمزة للاستفهام التعجبي، ولم
حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف
حرف العلة، والفاعل أنت، وإلى الذين متعلقان ب ﴿تَرَ﴾ والرؤية هنا
بصرية، وجملة أوتوا صلة الموصول، والواو نائب فاعل، ونصيباً مفعول به
ثان، ومن الكتاب متعلقان بمحذوف صفة لنصيباً ﴿يُلْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ﴾ جملة يدعون حالية، ويدعون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو
نائب فاعل، وإلى كتاب الله جار ومجرور متعلقان بيدعون، وليحكم اللام
للتعليل، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار
والمجرور متعلقان بيدعون، وبينهم ظرف مكان متعلق بيحكم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى
فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ويتولى فعل مضارع
مرفوع، والفريق فاعل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿وَهُمْ
مُّعْرِضُونَ﴾ الواو حالية، وهم مبتدأ، ومعرضون خبر، والجملة في محل
نصب على الحال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ ذلك مبتدأ، والجملة استئنافية،
والإشارة إلى التولي عن مجلس النبي ﷺ، وبأنهم الباء حرف جر، وأن مع
مدخولها في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر،
أي: ذلك التولي بسبب قولهم، وجملة قالوا خبر أن ﴿لَن تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ الجملة في محل نصب مقول القول قولهم، ولن حرف نفي
ونصب واستقبال، وتمسنا فعل مضارع منصوب بـلن، ونا ضمير متصل في
محل نصب مفعول به، والنار فاعل تمسنا، وإلا أداة حصر، وأياماً ظرف
متعلق بتمسنا، ومعدودات صفة، وعلامة نصبه الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث
سالم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الواو عاطفة، وغرهم فعل

ومفعول به، وفي دينهم متعلقان بغرهم، وما اسم موصول في محل رفع فاعل، وجملة كانوا يفترون صلة الموصول، وكان واسمها، وجملة يفترون خبرها.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧)

☆ اللفظة:

﴿تُولِجُ﴾ تدخل، من أولوج الشيء: أدخله. وولوج يلج من باب: وعد، ولوجاً، ولجة: دخل.

○ الإعراب:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ﴾ هذا التركيب من المشكلات، ويتلخص من الأوجه التي أوردها المعربون، وجهان جديران بالاعتبار:

(١) كيف اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم، والمبتدأ محذوف، تقديره: حالهم، وتكون جملة قائمة بذاتها، وكيف عندئذ لا يستغنى عنها، كما مر في قاعدة كيف.

(٢) كيف اسم استفهام في محل نصب حال من فعل محذوف هو جواب إذا، أي: استقرت. وإذا على الوجه الأول متعلقة بالاستقرار الذي تعلقت به «كيف» و«إذا» غير متضمنة معنى الشرط، بل هي للظرفية المحضة، وعلى الوجه الثاني هي ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلقة بالجواب المحذوف، وهو: استقرت. وعلى هذا الوجه يتخرج البيت المشهور:

أشوقاً ولَمَّا يَمُضُ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ إِذَا جَدَّ الْمَطِيُّ بَنَا عَشْرًا

وقد رجَّح ابن هشام وأبو البقاء الحالية، ونحن نرى الوجه الأول أبعد عن التكلف، لأننا لا نرى أثراً للشرطية في «إذا» بهذا التركيب العجيب، فتأمل. وجملة جمعناهم في محل^(١) جر بالإضافة، والفاء الداخلة على كيف استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لإبطال ما غرهم، ولتهويل ما سيحيق بهم من الأهوال ﴿لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الجار والمجرور متعلقان بجمعناهم، ولا نافية للجنس ولا ريب اسمها مبني على الفتح في محل نصب، وفيه متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ الواو عاطفة، ووفيت فعل ماض مبني للمجهول، وكل نفس نائب فاعل، وما اسم موصول مفعول به، وجملة كسبت صلة الموصول ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ الواو حالية، وهم مبتدأ، ولا نافية، ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة لا يظلمون في محل رفع خبرهم، والجملة الاسمية المقترنة بالواو في محل نصب على الحال ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على المنافقين الذين لم يصدقوا قوله: إن أمتي ظاهرة. وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، واللهم: منادى مفرد علم، والميم المشددة عوض عن «يا» لا محل لها، ومالك منادى ثان حذف منه حرف النداء، أي: يا مالك الملك، وإنما لم يجعل نعتاً لأن الميم المشددة تمنع التبعية، كما قرر سيبويه؛ إذ قال: «إن الميم أخرجت هذه اللفظة عن نظائرها من الأسماء». قال ابن يعيش: «واعلم أن سيبويه لا يرى نعت «اللهم» لأنه لفظ لا يقع إلا في النداء، فهو لا ينعت». وخالفه أبو العباس المبرد، واستدل بقوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦]. فسيبويه يحمل فاطر السموات على أنه نداء ثان لا نعت، وقال المبرد: إن الميم بدل من «يا» والمنادى مع «يا» لا يمتنع وصفه، فكذا مع ما هو عوض

(١) ليست في الأصل، وأثبتت ليستقيم المعنى.

عنها ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ لك أن تجعل هذه الجملة حالية من المنادى؛ لأنه بمثابة المفعول به، وتؤتي فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت، والملك مفعول به أول، ومن اسم موصول مفعول به ثان، وجملة تشاء صلة الموصول ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ عطف أيضاً ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والخير مبتدأ مؤخر، والجملة أيضاً ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جملة مستأنفة بمثابة التعليل لما تقدم ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ الجملة حالية أيضاً ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ عطف على الجملة الآتية ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عطف أيضاً ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطف أيضاً، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة تشاء صلة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ترزق.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التصريحية إذ أراد بالحي والميت المسلم والكافر، فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به. وإذا أراد النطفة والبيضة كان الكلام جارياً على جانب الحقيقة، لا على جانب المجاز.

(٢) الاكتفاء في قوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ فاقصر على الخير من باب الاكتفاء بالمقابل، أي: والشر، كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَفِيصُكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد، ولأن الخير هو المرغوب فيه.

(٣) المقابلة فقد طابق بين ﴿تُؤْتِي وَتَنْزِعُ﴾ وبين ﴿وَتُعْزِزُ وَتُذِلُّ﴾ وبين ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وبين ﴿الْحَيَّ وَالْمَيِّتَ﴾.

(٤) وخرج بالاستفهام عن معناه الحقيقي بقوله: ﴿فَكَيْفَ﴾ إلى معنى التهويل واستفظاع ما أعد الله لهم في يوم عاصيب، تحار فيه الأبصار والبصائر، وتشخص فيه القلوب والضمائر.

* الفوائد:

﴿اللَّهُمَّ﴾ قد تخرج عن^(١) النداء المحض، فيكون لها معنيان:

أ - أن يذكرها المجيب تمكيناً للجواب في نفس السامع، فإذا حدثك أحد بشيء قلت: اللهم نعم.

ب - أن تستعمل للدلالة على الندرة وقلة وقوع المذكور معها، كقولك لمن كان متكاسلاً: إنك ناجح اللهم إن بذلت مجهوداً أكبر، وقد علمت أنه غير باذل أي مجهود، أو إن ذلك مستبعد منه، وعلى هذا يخطيء كتابنا في استعمالها قبل إلا.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

☆ اللفظة:

﴿تُقَنَّةً﴾ أصلها وقية، بضم الواو، فأبدلت الواو تاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فهي مصدر تقية، كرمية.

○ الإعراب:

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للنهي عن موالاتهم، كما نشاهد اليوم. ولا ناهية يتخذ فعل مضارع مجزوم بلا، المؤمنون فاعل، والكافرين مفعول به أول، وأولياء مفعول به ثان، ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أي: حال كون المؤمنين متجاوزين موالات المؤمنين، أو من المفعول، أي: حال كون الكافرين ناصرين من دون المؤمنين ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

(١) في الأصل: عند.

الواو اعتراضية، والجملة كلها اعتراضية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويفعل فعل الشرط مجزوم، وذلك اسم إشارة في محل نصب مفعول به، والفاء رابطة لجواب الشرط، وليس فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر يعود على «من». ومن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة الشيء، فلما تقدم أعرب حالاً، وفي شيء: متعلقان بمحذوف خبر ليس ﴿إِلَّا أَنْ تَكْتَفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ إلا أداة حصر، وإن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله، والمعنى لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لأمر من الأمور إلا للتقية، ومنهم متعلقان بتتقوا، وتقاة منصوب على المفعولية المطلقة، والمعنى تتقوا اتقاء، والمصادر يتناوب بعضها بعضاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به على تضمين «تتقوا» معنى الخوف، أي: إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ الواو استئنافية، ويحذركم فعل مضارع، والكاف مفعول به، والله فاعل، ونفسه مفعول به ثان ليحذركم؛ لأنه في الأصل يتعدى لواحد، فازداد بالتضعيف آخر ﴿وَالِ اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ الواو استئنافية، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والمصير مبتدأ مؤخر.

□ البلاغة:

أ - في هذه الآية التفات بديع من الغيبة إلى الخطاب، ولو جرى على سنن الكلام لقال: إلا أن يتقوا، ولكنه عدل عن الغيبة، والخطاب لسر كآته أخذه السحر؛ فإن موالاة الكفار والأعداء وكل من يتأمر على سلامة الأوطان أمر مستسبح مستقبح، ينكره الطبع، ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء، فجاء به غائباً كأنه يرسم خطأ بيانياً.

على أن هذا إنما يكون فيما لا ضرر فيه، ولكن التآمر على الكيان، وسلامة أرواح المؤمنين، ولكن التقية لا تجوز مع الأعداء الذين لا هم لهم سوى اغتصاب الأرض، وامتصاص الطاقات، فهؤلاء لا تسوغ معهم

مهادنة، ولا يجوز بحال عقد أي عهد معهم؛ لأنهم لا يؤمن أن ينقضوه. وقد يستغلونه للانقضاض على من اطمأنوا إليهم، وركنوا إلى عهودهم، على حدّ قولي:

أَيَّ شَأْنِ الْعُهُودِ قَطَعْتَ ثُمَّ أَضَحْتُ تَرَهَاتٍ بَعْدَ حِينٍ
لَا تَغْرُنْكَ قِصَاصَاتُ غَدَتٍ شَرَكًا يُنْصَبُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ

حذار من العدو - لمحة تاريخية:

وهنا تجد ربنا أن نأتي على ما يرويه التاريخ بصدد نزول هذه الآية، فقد روي أن جماعة من المسلمين كانوا يوادُّون اليهود، فأنزل الله هذه الآية، ناهياً عن الاسترسال في ذلك. وقيل: إنَّ عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله معي خمسمئة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو.

فنزلت هذه الآية، إذ لا تتفق موالاة الوليِّ وموالاة العدو في وقت واحد. قال:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّي صَدِيقُكَ لَيْسَ التَّوَكُّعُكَ بِعَازِبٍ
(٢) المشاكلة في قوله: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾. وإطلاق ذلك عليه سبحانه وتعالى جائز في المشاكلة كقوله أيضاً: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. وقيل: الكلام مجاز مرسل معناه: ويحذركم الله عقابه، مثل: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] مجاز مرسل، فجعلت النفس في موضع الإضمار، وفي ذلك تهديد شديد، وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه.

﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوْهُ﴾ كلام مستأنف مسوق ليكون بياناً

لقوله: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وقل فعل أمر فاعله ضمير مستتر تقديره أنت، وإن شرطية، وتخفوا فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وفي صدوركم: جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما، وأو حرف عطف، وتبدوه معطوف على تخفوا، وجملة الشرط، وجوابه الآتي في محل نصب مقول القول ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ جواب الشرط، والهاء مفعول به، والله فاعل ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الواو استئنافية، ويعلم فعل مضارع مرفوع، وفاعله هو يعود على الله، وإنما جيء به مستأنفاً لا معطوفاً، لأن علم الله تعالى غير متوقف على شرط، فهو من باب ذكر العام بعد الخاص. والأحسن أن يقدر مبتدأ محذوف فتكون جملة «يعلم» خبره، والتقدير: وهو يعلم، والجملة بعد الواو مستأنفة لا محل لها، وما مفعول به، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما، وما في الأرض عطف على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير، وقدير خبر الله.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

☆ اللفظة:

(الأمد): الغاية والمنتهى، والفرق بينه وبين الأبد؛ أن: الأمد مدة من الزمن محدودة، وإن يكن الحد مجهولاً، أما الأبد فهو مدة من الزمن غير محدودة.

○ الإعراب:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ يوم ظرف متعلق تقديره: «اذكر» وجملة تجد في محل جر بالإضافة، «وتجد» يجوز أن تكون بمعنى

تصادف وتصيب، فتتعدى لواحد، ويجوز أن تكون بمعنى تعلم فتتعدى لاثنتين، وكل نفس فاعل تجد، وما اسم موصول مفعول به، وجملة عملت صلة، والعائد محذوف، أي: عملته، ومن خير متعلقان بمحذوف حال، ومحضراً حال على الأول، ومفعول به ثان على الثاني، والجملة كلها مستأنفة لا محل لها ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ الواو استئنافية، وما اسم موصول مبتدأ، وجملة عملت صلة، ومن سوء متعلقان بمحذوف حال ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ جملة تود خبر ما، ولو الواقعة بعد تود مصدرية، ولكن يشكل هنا دخول الحرف على مثله، فالأولى أن تبقى شرطية، وأن حرف مشبه بالفعل مصدرية، وبينها ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لأن، وبينه عطف على الظرف. ويكون جواب «لو» محذوفاً تقديره: لفرحت واطمأنت، وأن وما بعدها في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ثابت، أو فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت. ويلاحظ عندئذ أن المحذوفات كثرت، فقد حذف مفعول تود، وجواب لو وخبر أن أو فعل الفاعل، ولذلك كان اعتبارها مصدرية أسهل، لولا المانع الفني، وهو: دخول الحرف المصدرية على حرف مصدرية مماثل ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ تقدم إعرابها قريباً، وكررها ليكون الخوف من الله نصب أعينهم ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، ورؤوف خبره، وبالعباد جار ومجرور متعلقان برؤوف.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان معنى محبة الله، وقل فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، وإن شرطية، وكان

فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، وجملة تحبون الله خبرها، والفاء رابطة لجواب الشرط، واتبعوني فعل أمر، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وجملة إن كنتم مقول القول ﴿يُحِبِّكُمْ﴾ جواب الطلب مجزوم والكاف مفعول به ﴿اللَّهُ﴾ فاعل ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ عطف على يحبكم ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وغفور رحيم خبران للمبتدأ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ كلام مستأنف أيضاً، وجملة أطيعوا في محل نصب مقول القول ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين، وهو فعل الشرط، والجملة لا محل لها. ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً مستنداً للضمير الغيبة، فيكون من باب الالتفات من المخاطب إلى الغائب، والجملة في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها، وجملة لا يحب الكافرين خبرها، وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط.

□ البلاغة:

المجاز المرسل في حب العباد لله تعالى وحبهم لهم، والعلاقة ما يكون.
وأما حبه لهم فالمراد منه ما يؤول إليه من الرضا عنهم والغفران لذنوبهم.
وهذه لمحة لا مندوحة عن إيرادها عن الحب:

الحب عند الفلاسفة: أما الفلاسفة فيقررون كما يتحدث عنهم سويدنبرغ السويدي: أن الحب هو حياة الإنسان، وأن الله وحده هو عين الحب، لأنه هو عين الحياة، فالمحبة لغة: ميل المتصف بها إلى أمر ملذ. واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس كلذة الذوق في الطعم، ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة، ولذة الشم في الروائح العطرية، ولذة السمع في النغمات الحسنة، وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها. وإذا تفاوتت البواعث، فليس

معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق ، وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات .

الحب عند المتصوفة : أما المتصوفة فهم يقولون : إن الحب هو سكر المشاهدة ، وشجاعة البذل ، وإيمان الولي ، والأصل الأصيل للتحقق الخلقي والإدراك الروحي . قال الثوري لرابعة العدوية : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته ، فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه . وأنشدت :

أحُبُّكَ حُبِّيْن : حُبُّ الهوى وحبّاً لأنك أهلٌ لذاك
فأما الذي هو حُبُّ الهوى فشغلي بذكركَ عمّا سواكا
وأما الذي أنتَ أهلٌ له فكشْفُكَ لي الحجبَ حتّى أراكا
والكلام يطول ، فحسبنا ما تقدّم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

☆ التلخيص :

(نوح) علم أعجمي لا اشتقاق له ، وقيل : إنه مشتق من النوح ، وهو منصرف على كل حال ، لأنه علم أعجمي ثلاثي ساكن الوسط . (عمران) علم أعجمي أيضاً ممنوع من الصرف ، وإن قيل : إنه عبري مشتق من العمر ، فهو ممنوع للعلمية وزيادة الألف والنون .

○ الإعراب :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ إن واسمها ، وجملة اصطفى آدم ، ونوحاً خبر ﴿ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ عطف على آدم ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الجار والمجرور متعلقان باصطفى ، والجملة استئنافية ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾

ذرية: بدل من آدم، ومن عطف عليه، أو من الآلين، أي: أن الآلين ذرية واحدة، ويجوز نصبها على الحال، والعامل فيه ﴿أَصْطَفَى﴾. وبعضها مبتدأ، ومن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، والجملة صفة لذرية ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وسميع عليم خبران له.

□ البلاغة:

(١) في الآية فن التوشيح، وهو كما يقول قدامة في «نقد الشعر»: أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية إن كان شعراً، أو السجع إن كان نثراً. فإن معنى اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه الفاصلة؛ لأن المذكورين صنف مندرج في العالمين.

وفي الآية أيضاً فن براعة التخلص، فإنه سبحانه وتعالى وطأ بهذه الآية إلى سياق خبر ميلاد المسيح عليه السلام، فقد خلص إلى ذكر امرأة عمران ليسوق قصة حملها بمريم وكفالة زكريا لها، وذكر ولده يحيى، وقصة حمل مريم بالمسيح، وما تخلل ذلك من آيات باهرات، وعبر بالغات.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿مُحَرَّرًا﴾ معتقاً خالصاً لخدمة بيت المقدس. روي أن حنة - وهو اسمها - كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت، فبينما هي في ظل شجرة وريف، بصرت بطائر يطعم فرخاً له، فتحركت نفسها للولد وتمنته، فقالت: اللهم إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً، لأتصدقن به على بيت المقدس، فيكون

من سدنته . فحملت بمريم ، وهلك عمران ، وهي حامل بمريم .

○ الإعراب:

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً، وتكون الجملة مستأنفاً مسوقة لتقرير اصطفاء آل عمران ، وجملة قالت امرأة عمران في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعلقه بعضهم بقوله: ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، وليس ثمة ما يمنع ذلك ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة عليها، وإن واسمها، وجملة نذرت خبرها، وجملة إني نذرت مقول القول، ولك متعلقان بنذرت، وما اسم موصول مفعول به، وفي بطني متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما، ومحرراً حال من «ما» ﴿ فَتَقَبَّلَ مِنِّي ﴾ الفاء استئنافية، وتقبل فعل أمر، وفاعله أنت، ومني متعلقان بتقبل ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ إن واسمها، وأنت مبتدأ أو ضمير فصل لا محل له، والسميع العليم خبران لأنت، والجملة الاسمية خبر لأن، أو خبران لأن، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ الفاء استئنافية، ولما ظرفية حينية، أو حرف للربط، ووضعتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وجملة قالت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وإن واسمها، وجملة وضعتها خبر إن، وأنثى حال مؤكدة، أو مبنية، وسيأتي الفرق بينهما، وجملة النداء مقول القول ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ الواو اعتراضية، والله مبتدأ، وأعلم خبر، بما جار ومجرور متعلقان بأعلم، وجملة وضعت لا محل لها لأنها صلة ما ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَو كَالْأُنْثَى ﴾ الواو عاطفة، وليس فعل ماض ناقص، والذكر اسمها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، أو الكاف اسمية، وهي الخبر، والأنثى مضاف إليه ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ الواو عاطفة، والجملة معطوفة على جملة: ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا ﴾ ، وإن واسمها، وجملة سميتها خبرها، والهاء مفعول سميت الأول، ومريم مفعوله الثاني ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا ﴾

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الواو عاطفة أيضاً، والجملة معطوفة على جملة «إني سميتها»، وإن واسمها، وجملة أعيذها خبر إن، والهاء مفعول به، وبك متعلقان بأعيذها، وذريتها عطف على الهاء، أو مفعول معه، ومن الشيطان متعلقان بأعيذها، والرجيم صفة للشيطان.

□ البلاغة:

(١) فائدة الخبر في قوله: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا﴾ للتحسر، وليس مرادها الإخبار بمفهومه، لأن الله عالم بما وضعت، بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها والوفاء بما التزمت به، والاعتذار؛ حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته.

(٢) تكررت إن أربع مرات، وفي الثلاث الأولى كان خبرها فعلاً ماضياً، وفي المرة الرابعة عدلت عن الماضي إلى المضارع، فقالت: أعيذها، لنكتة بلاغية، وهي ديمومة الاستعاذة، وتجدها دون انقطاع، بخلاف الأخبار السابقة فإنها انقطعت.

(٣) المراد بالخبر في قوله تعالى حكاية عن نفسه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ لازم الفائدة، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود؛ الذي لم تأبه له بادية الأمر، وهي جاهلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام.

(٤) المراد بالخبر في قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَوَّ كَالْأُنثَى﴾ نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة، فإن الغيب أعمق غوراً من أن يسبروه، وأبعد منالاً من أن يدركوه، وكم من النساء من فاقت الرجال، وأربت عليهم في الدرجات، وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذا المعنى البديع بقوله:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

وما التأييْتُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهِلال

(٥) الإطناب في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ والغرض من التصريح بالتسمية التقرب إلى الله والازدلاف إليه بخدمة بيت المقدس أولاً، ورجاء عصمتها ثانياً، فإن مريم في لغتهم العابدة، وإظهاراً لعزمها على الوفاء بوعدها ثالثاً، أي: إنها وإن لم تكن خليفة بالسدانة، فأرجو أن تكون من العابدات المطيعات. وقد أهمل صاحب المنجد الإشارة إلى ذلك في كتابه «المنجد».

* الفوائد:

تنقسم الحال إلى مبينة أو مؤسسة، وهي التي لا يستفاد معناها من دون ذكرها، كجاء عليٌّ ركباً إذ لا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر ركباً. ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها من دون ذكرها، وهي إما مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى، نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩] و﴿فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكَا﴾ [النمل: ١٩] وإما مؤكدة لصاحبها نحو: ﴿لَا مَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] فجميعاً حال من فاعل آمن، وهو «من» الموصولة، مؤكدة لها، وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو: «هو الحق بيناً» وقول الشاعر:

أنا ابنُ دارةٍ معروفًا بها نسبي وهل بدارةٍ يالللناسِ من عار

فإن جعلت «أنسى» حالاً من الضمير كانت مؤكدة، وإن جعلتها حالاً من «النسمة والنفس» المفهومة من سياق الكلام كانت مبينة.

﴿فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَرُمُ أَنَّ لِّي هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ

﴿اللَّهُ إِنَّا اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧)

☆ اللغة:

﴿وَكَفَّلَهَا﴾ - بتشديد الفاء - أي : ضمنه إياها، وضمها إليه، وجعله كافلاً لها، وضامناً لمصالحها. ويؤيد هذا المعنى قراءة «وأكفلها» بوصفه زوج خالتها، وذلك عن طريق الاقتراع.

﴿الْمِحْرَابِ﴾ والمحرب آلة الحرب، وهذا هو القياس الصّرفي. ولكن المحراب له معان مستقلة ليست داخلية في القياس الاشتقاقي، فمن معانيه: صدر البيت وأكرم مواضعه، وصدر المجلس، ومأوى الأسد، ومحراب المسجد. ويرى علماء اللغة أن محراب المسجد سمي بذلك لأن المتعب فيه يحارب الشيطان، ولذلك يقال لكل محل من محال العبادة: محراب، والباحث يحار ويدهش في أمر هذه اللغة الشريفة كيف تطورت؟ ما هي تفاعلات الزمن التي أسهمت في هذا التطور؟ إن المتتبع لموادها اللغوية يعجب كيف تهياً لها هذا التطور الحركي الذي يحتاج إلى مالا يحصى من الزمن، فالحاء والراء حرفان يدلان في الأصل على الحر والحرق، ولو تتبعنا جميع الجذور الأخرى لرأينا أن كل كلمة تبتدىء بهما تدل على معنى يكاد يكون منتزعا من هذا المعنى، أو متفرقا عنه. فلنستعرض الآن مادة الحرب، إنها احتراق بكل معنى لاهب، والحَرْب بفتحتين: الهلاك، وهو مقتفيات الحرق ومستلزماته، قال أبو تمام:

لما رأى الحرب رأي العين توفلسُ والحربُ مشتقةُ المعنى من الحَرْبِ

وحرث الأرض: شقّها بالسكة، وهذا يمت إلى المعنى الأصلي، بأوثق الأسباب، والخرج: الضيق، وحرد الرجل - بكسر الراء - : غضب، فهو حردان، وهي عامية فصيحة. وهكذا إلى آخر المادة حيث تنتهي إلى هذا التقرير العجيب.

○ الإعراب:

﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ الفاء عاطفة، وتقبل فعل ماضٍ، والهاء مفعول به، وربها فاعل، والجار والمجرور متعلقان بتقبلها، وحسن صفة ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ الواو عاطفة، وأنبتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ونباتاً مفعول مطلق، وحسناً صفة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ الواو عاطفة، وكفل فعل ماضٍ، والهاء مفعول به أول، وزكريا مفعول به ثانٍ، أي: جعل زكريا كافلاً لها، وضامناً لمصالحها، وفي قراءة تخفيف الفاء يكون زكريا هو الفاعل. وقد نسجت أساطير حول هذه الكفالة، ويرجع فيها إلى المطولات ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ كلما ظرف زمان تقدم إعرابه مراراً، وهو متعلق بوجد لأنه جواب الشرط. وجملة دخل عليها في محل جر بإضافة الظرف إليها، والمحراب مفعول به على السعة، أو منصوب بنزع الخافض ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعندها ظرف متعلق بوجد ورزقاً مفعول به، وجملة الشرط استئنافية ﴿قَالَ يَمْرُؤُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ الجملة مستأنفة، وهذا أصبح ما قيل فيها رغم الاختلاف الشديد الذي لا طائل تحته. وقال فعل ماضٍ، والفاعل هو، ويا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم مبني على الضم، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف، كأنه سؤال عن الكيفية، أي: كيف تهيأ لك وصول هذا الرزق إليك؟ قال الكميّ:

أنى ومن أين أبك الطرب من حيث لا صبوة ولا طرب

وقيل معناه هنا: من أين. وعلى الحالين هو منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبر مقدم، ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وهذا مبتدأ مؤخر ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الجملة مستأنفة، وهو مبتدأ، ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن واسمها، وجملة يرزق خبر، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول، وبغير حساب جار ومجرور متعلقان بـ: يرزق،

وجملة إن الله مقول القول أيضاً إذا كان من كلامها، أو مستأنفة.

□ البلاغة:

في هذه الآية فنون نشير إليها بما يلي :

(١) الجناس المغاير في قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ وفي قوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ وفي قوله ﴿ رِزْقًا ﴾ و ﴿ رِزْقٌ ﴾ .

(٢) الإشارة، وهو التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي في قوله : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أي : هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلا الله .

(٣) التنكير في قوله : ﴿ رِزْقًا ﴾ لإفادة الشروع والكثرة، وأنه ليس من جنس واحد، بل من أجناس كثيرة .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٨) فَدَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَآذُنُكَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ (٤١)

☆ اللفظة:

(العافر) من لا يولد له، رجلاً كان أو امرأة. مشتق من العقر، وهو: القطع، لقطعه النسل.

(الحصور) - بفتح الحاء - فعول محول عن فاعل للمبالغة، وهو الذي لا يأتي النساء، وهو قادر على ذلك والممنوع منهن أو من لا يشتهيهن ولا يقربهن. ثم استعمل لكل من لا يشارك في لعب ولهو ومجانة.

قال الأخطل :

وشاربٍ مُزجٍ بالكأسِ نادَمني لا بالحُصُورِ ولا فيها بِسَارٍ

(العشي) من حين تزل الشمس إلى أن تغيب، وهو اسم مفرد لا جمع كما توهم الجلال وأبو حيان .

(الإبكار) - بكسر الهمزة - مصدر لأبكر بمعنى بكر، ثم استعمل اسماً، وهو طلوع الشمس إلى وقت الضحى .

○ الإعراب:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ هنالك اسم إشارة للمكان في محل نصب على الظرفية المكانية، وقد يتجاوز به الزمان، واللام للبعد، والكاف للخطاب، والظرف متعلق بدعا، وزكريا فاعل دعا، وربه مفعول، والجملة مستأنفة، مسوقة للإشارة إلى تحول زكريا عن اعتقاده بشأن الولادة والعقم، أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير أوانه قادر على الإتيان بالولد في حال الكبر ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتحقيق ما خطر له من سوانح بعد التحول الفكري الطارئ عليه، وقال فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره هو يعود على زكريا، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وهب فعل أمر، ولي متعلقان بهب، ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وذرية مفعول به، وطيبة صفة، وأنشئت الصفة لتأنيث الموصوف لأنه لم يقصد به معين، أما إذا قصد به ذلك امتنع اعتبار اللفظ، نحو: طلحة وحمة، وجملة النداء في محل نصب مقول القول ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ إن واسمها وخبرها، والجملة تعليلية لا محل لها ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ ﴾ الفاء عاطفة، ونادته الملائكة فعل ومفعول به وفاعل ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ وقائم خبره، والجملة نصب على الحال من مفعول النداء، وجملة يصلي في المحارب لك أن تجعلها خبراً ثانياً لهو، أو تنصبها على الحال من القيام، وفي المحارب متعلقان بيصلي ﴿ أَنَّ اللَّهَ

يُبَشِّرُكَ بِحَيٍّ ﴿٣٨﴾ أن وما في خبرها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بنادته، وقرىء بكسر همزة ﴿إِنْ﴾ بتقدير قول محذوف، فالجمله مقول القول، وجمله القول حال، أي: حال كون الملائكة قائلين. وجمله يبشرك خبرها، والجار والمجرور متعلقان ببشرك، ويحیی ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة إن كان أعجمياً، وإن كان عربياً فللعلمية ووزن الفعل ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدقاً حال، وبكلمة متعلقان بمصدقاً، والمراد بالكلمة عيسى ابن مريم، وإنما سمي كلمة لأن الله تعالى قال له: كن فكان من غير أب. وهناك أقوال أخرى يرجع فيها إلى المطولات ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ الكلمات الثلاث عطف على ﴿مُصَدِّقًا﴾ ومن الصالحين صفة لنبياً ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ قال: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره هو يعود على زكريا، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وأتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية، والظرف متعلق بمحذوف يكون إذا اعتبرت ناقصة، أو حال إذا اعتبرت تامة، ولي متعلقان بمحذوف حال، وغلام اسم يكون، أو فاعلها، وجمله قال استئنافية، وجمله النداء مقول القول ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وبلغني فعل ماض، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والكبر فاعل، والجمله في محل نصب حال ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ الواو حالية أيضاً، وامرأتي مبتدأ، وعافر خبر، والجمله حالية من الياء في «لي» فتكون حالاً متعددة، ولك أن تجعلها حالاً من الياء في ﴿بَلَغَنِي﴾ ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ اضطرب كلام المعربين والمفسرين في هذه الآية، وأقرب ما تراءى لنا وجهان متساويا الرجحان، أولهما أن الجمله كلها مستأنفة، والقائل هو الله تعالى، و﴿كَذَلِكَ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول مطلق، أي: يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العافر، أو على أنهما في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من: ﴿يَفْعَلُ﴾ وذلك على مذهب سيويه في هذه المسألة، وقد تقدم بحثها. والله مبتدأ، وجمله يفعل خبر، وما اسم موصول في محل نصب

مفعول به، والجملة مقول القول. والوجه الثاني أن يتعلق كذلك بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، وجملة يفعل ما يشاء في محل رفع خبر الله، وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ قال: فعل ماض، والفاعل زكريا، ورب منادى تقدم إعرابه، واجعل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، ولي متعلقان باجعل، وآية مفعول به، وجملة النداء وما تلاه مقول القول، وجملة القول مستأنفة ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ الجملة مستأنفة، وآيتك مبتدأ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر خبر، وتكلم فعل مضارع منصوب بأن، والناس مفعول به، والجملة مقول القول ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ ثلاثة أيام: ظرف متعلق بتكلم، وإلا أداة استثناء منقطع واجب النصب؛ لأن الرمز ليس من جنس الكلام، ولك أن تعتبره من جنس الكلام فتكون «رَمَزًا» استثناء من أعم الأحوال، أو من أعم المصادر، أي: حالاً أو مفعولاً مطلقاً، وهذه الأوجه متساوية الرجحان في هذا التركيب العجيب ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ الواو استئنافية، واذكر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، وربك مفعول به، وكثيراً مفعول مطلق، أو ظرف زمان، أي: ذكراً كثيراً، أو وقتاً كثيراً ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ الواو عاطفة، وسبح عطف على اذكر، وبالعشي جار ومجرور متعلقان بسبح، والإبكار عطف عليه.

□ البلاغة:

في قوله ﴿رَمَزًا﴾ فن الإشارة، وقد تقدم بحثه قريباً، لأنه دل على ما في نفس البشر من خلجات ومعان. وقد تشبَّث الشعراء بأذيال هذه البلاغة، قال أبو تمام:

توحي بأسرارنا حَوَاجِبُنَا وأعينٌ بالوصالِ تَزْتَشِقُ
وقال أيضاً:

كلمته بجفونٍ غير ناطقةٍ فكان من ردّه ما قال حاجبه

وقال آخر:

إذا كلمتني بالعيونِ الفَوَائرِ رددتُ عليها بالدموعِ البوارِدِ

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

☆ اللفظة:

﴿اصْطَفَاكِ﴾: اختارك.

﴿أَقْنِي﴾: أخلصي العبادة، وأديمي الطاعة.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ الواو عاطفة، والجملة معطوفة، فقد عطف قصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة. ولك أن تعطف «إذ» على الظرف السابق، وأن تعلقه باذكر محذوفاً، وقالت الملائكة: فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ يا حرف نداء، ومريم منادى مفرد علم، وإن واسمها، وجملة اصطفاك خبر إن، والجملة كلها مقول القول ﴿وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ الفعلان معطوفان على اصطفاك، وعلى نساء متعلقان باصطفاك، والعالمين مضاف إليه ﴿يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾ يا حرف نداء، ومريم منادى مفرد علم، واقتني فعل أمر مبني على حذف النون، والياء فاعل والجار والمجرور متعلقان باقتني ﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ فعلا الأمر منسوقان على اقتني، ومع ظرف مكان متعلق باركعي، والراكعين مضاف إليه.

□ البلاغة:

(١) في هاتين الآيتين التقديم، فقد قدم السجود وهو متأخر في حكم

الصلاة للاهتمام به، ولكونه أدل على التذلل والعبادة. وهذا ديدنهم تقديم الأهم على المهم.

(٢) وفيهما أيضاً التكرير، فقد كرر النداء للإيذان بأن كل واحد منهما مسوق لمعنى، فالأول تذكير بالنعمة، وهو بمثابة تمهيد للثاني؛ الذي هو للتكليف والترغيب في العمل.

(٣) وفيهما أيضاً إطلاق الجزء وإرادة الكل، وقدم السجود لأنه أفضل أركان الصلاة كما تقدم.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَفْلَهُمْ يَكْفُلْ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ٤٤ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

☆ اللفظة:

﴿ أَفْلَهِمْ ﴾ الأعلام: جمع قلم، وهو فعل بمعنى مفعول، أي: مقلوم. والقلم: القطع، ومثله القبض والنقض، بمعنى المقبوض والمقتوض.

﴿ الْمَسِيحُ ﴾: لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق، وهو بالعبرية المسيح، ومعناه: المبارك، وسمي المسيح قيل: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخصص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء.

﴿ عِيسَى ﴾ معرب من إيشوع، وقيل: مشتق من العيس، وهو بياض تعلوه حمرة.

○ الإعراب:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ ذلك اسم إشارة مبتدأ، ومن أنباء الغيب خبره، والجملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن ذلك كله من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ فعل مضارع، وفاعله نحن، والهاء مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بنوحيه، والجملة حالية، أو استئنافية أيضاً ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وما نافية، وكان واسمها، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت، أي: موجوداً لديهم ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ إذ ظرف لما مضى، ودخوله على المضارع لحكاية الحال الماضية، وهو متعلق بما تعلق به ﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: بالاستقرار المحذوف.

وقد قال أبو علي الفارسي: العامل في «إذ» هو «كنت». وقد اعترض عليه بما قرره هو نفسه إذ قال: إن «كان» الناقصة سلبت الدلالة على الحدث، وتجردت للزمان، فلا يتعلق بها الظرف ولا الجار والمجرور. وجملة يلقون في محل جر بالإضافة، وأقلامهم: مفعول به ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ الجملة في محل نصب حال بتقدير فعل، أي: يتساءلون، ويبعد جعلها فاعلاً لفعل محذوف، لما في ذلك من التكلف، كما فعل الجلال، وأي مبتدأ، والهاء مضاف إليه، والميم علامة جمع الذكور، وجملة يكفل مريم خبر المبتدأ. ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت، وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار المحذوف، وجملة يختصمون في محل جر بالإضافة ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ظرف متعلق بمحذوف، أي: اذكر، وقالت الملائكة فعل وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة، وجملة الظرف ومتعلقه مستأنفة مسوقة للشروع في قصة عيسى عليه السلام ﴿ يَمْزِغُ ﴾ يا أداة نداء، ومريم منادى مفرد علم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ الجملة مقول القول، وإن واسمها، وجملة يبشرك خبرها ﴿ بِكَلِمَةٍ ﴾ متعلقان ببشرك ﴿ وَمَنْهُ ﴾ صفة لكلمة ﴿ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ اسمه مبتدأ،

والمسيح خبر، والجملة صفة ثانية لكلمة، وعيسى بدل من المسيح، وابن مريم بدل أو نعت. وذكرت مريم مع أنها هي المخاطبة للإيدان باختصاص عيسى عليه السلام بأنه ولد من غير أب كما جرت العادة ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وجيهاً حال من كلمة، وإن كانت نكرة لأنها موصوفة، والجار والمجرور متعلقان بوجيهاً فهما في موضع نصب على الحال ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ الواو عاطفة، ويكلم فعل مضارع، والفاعل هو، والجملة معطوفة على «وجيهاً» فهي حال أيضاً، وعدل إلى الفعلية للتجدد، والناس مفعول به، وفي المهدي متعلقان بمحذوف حال من فاعل «يكلم» ﴿وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عطف على قوله ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، أي: صبيّاً وكهلاً، ومن الصالحين عطف على وجيهاً، فاستتم بذلك الأوصاف الأربعة لـ: «كلمة».

□ البلاغة:

الكناية في قوله: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ عن القرعة.

* الفوائد:

(إذ) تكون على ثلاثة أوجه:

(١) تكون اسماً للزمن الماضي، وهو الغالب. ويأتي بعدها فعل مضارع، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ جِنْدٌ نَّظَرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤].

(٢) تكون للتعليل، وهذه حرف بمنزلة لام التعليل، كقول الفرزدق: فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر فالظرفية هنا منسلخة ولا تصح بحال، لأن المعنى يفسد، أي: أعاد الله نعمتهم وقت كونهم قريشاً، فيفيد أن كونهم من قريش أمر طارئ عليهم.

(٣) أن تكون للمفاجأة، وهي الواقعة بعد «بيناً» و«بينما» كقوله:

استقدر الله خيراً وأرضين به
فبينما العسر إذ دارت مياسير
والأولى عندئذ أن تكون حرفاً.

(أي) تأتي على خمسة أوجه :

(١) اسم شرط جازم ، وتعرب بحسب موقعها .

(٢) اسم موصول وتعرب بحسب موقعها إلا إذا أضيفت ، وحذف صدر صلتها ، فتبنى على الضم نحو : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا ﴾ [مريم : ٦٩] .

(٣) اسم استفهام كما في الآية المتقدمة ، وحكمها حكم الموصولية .

(٤) أن تقع صفة للنكرة أو حالاً بعد المعرفة للدلالة على معنى التمام والكمال ، كقول أبي العتاهية :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجَدَّ مَفْسِدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسِدَةٍ

(٥) تكون وصلة لنداء ما فيه أل : يا أيها الناس .

(العلم) ينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب ، وإذا اجتمع الاسم واللقب يؤخر اللقب عن الاسم ، وربما قدم عليه كما في الآية . ويترد هذا إذا كان اللقب أشهر من الاسم ، ولا ترتيب في الكنية ، ويعرب الثاني بدلاً من الأول ، ويجوز أن تضيف اللقب إلى الاسم إذا كانا مفردين ، كهارون الرشيد ومحمد المهدي .

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ ﴾ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (٤٨) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ

مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حُدَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٤٧

☆ اللفظة:

﴿الْأَكْمَهَ﴾ : الذي ولد أعمى ، يقال : كمه كمهأ ، من باب : تعب ، فهو أكمه والمرأة كمهاء ، مثل أحمر وحمراء ، وهو العمى يولد عليه الإنسان ، وربما كان عارضاً .

﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ : المصاب بالبرص - بفتحتين - وهو داء معروف يعثرى الإنسان ، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ، فكانوا يصفون العظيم إذا أصيب به بالوضاح فقالوا : جذيمة الوضاح ، وهو من ملوك العرب المشهورين ، ويقال للقمر أبرص لشدة بياضه ، ولوزغ سام : أبرص لبياضه .

○ الإعراب:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ تقدم إعرابها قبل قليل بحروفها ، فجدد بها عهداً ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ الواو للحال ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويمسني فعل مضارع مجزوم بلم ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به ، وبشر فاعل ، والجملة حالية ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق لفعل محذوف ، أو حال ، وعلقهما بعضهم بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، والله مبتدأ ، وجملة يخلق خبر ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة الله يخلق مفعول القول ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ إذا ظرف مستقبل ، وجملة قضى في محل جرباً لإضافة ، وأمرأ مفعول به ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا ، وجملة إنما يقول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وله متعلقان بيقول ، وكن فعل أمر تام ، والجملة مفعول القول ، والفاء استئنافية ، ويكون فعل مضارع تام مرفوع بالضممة ، والفاعل هو ، والجملة خبر لمبتدأ محذوف ، أي : فهو يكون ، والجملة مستأنفة ، وهذا قول سيبويه ،

وهو الصحيح . وقرأ ابن عامر بالنصب (فَيَكُونَنَّ) على أن الفاء للسببية، ويشكل على هذه القراءة أن الاستقبال مسلوب عنه عندئذ بها. ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ الواو استئنافية، ولك أن تعطفها على «وجيهاً» كأنه قال: وجيهاً ومعلماً، وقرئ: ونعلمه، فتكون الجملة مقولاً لقول محذوف؛ لأنه يكون من كلام الله، ويعلمه فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، والكتاب مفعول به ثان، وما بعده منسوق عليه ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الواو عاطفة، ورسولاً مفعول به لفعل محذوف، أي: ويجعله رسولاً، أي: من باب الإخبار بالمغيبات، وأجاز الزمخشري وغيره أن يعرب رسولاً حالاً، كأنه عطفه على يعلمه بالمعنى، وإلى بني إسرائيل متعلقاً بمحذوف صفة لـ: «رسولاً» ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِتَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأني قد جئتكم، وقد سبق القول بأن هذا مطرد قبل أن وأن، والجار والمجرور متعلقان بـ «رسولاً» لأنه تضمن معنى النطق، أي: ورسولاً ناطقاً بأني قد جئتكم. وقد كثرت التأويلات في هذه التعابير، ولذلك جعلها الزمخشري من المضائق المعجزة. وقيل: الباء للملابسة، وهي مع مدخولها في محل نصب على الحال، والمعنى أني رسول الله إليكم حال كوني متلبساً بمجيبىء بالآيات، وجملة قد جئتكم خبر أن، وبآية متعلقان بجئتكم، ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لآية ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من آية؛ لأن ما يفعله لا يعدو أن يكون من دلائل آياته الباهرة، ولك أن تجعله خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: هي، والمعنى واحد، وفي قراءة بكسر همزة إن فتكون إن وما بعدها مستأنفة، وجملة أخلق خبر إن، ولكم متعلقان بمحذوف في محل نصب على معنى التعليل، أي: لأجل هدايتكم، أو معنى الحال، أي: هادياً لكم، ومن الطين متعلقان بأخلق، وكهيئة الكاف اسم بمعنى مثل، فهي في محل نصب مفعول به، أو حرف فتكون وما بعدها في محل نصب صفة لمفعول به محذوف، أي: شيئاً مثل هيئة الطير، وهيئة مضاف إليه إن كانت اسماً، والطير مضاف إلى هيئة ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الفاء عاطفة، أنفخ

معطوف على أخلق، والجار والمجرور متعلقان بأنفخ ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^ط
 الفاء عاطفة، ويكون فعل مضارع ناقص معطوف على أخلق، وطيراً خبر
 يكون، واسمها مستتر، ويأذن الله متعلقان بيبكون على رأي من يميز تعلق الجار
 والمجرور والظرف بالأفعال الناقصة، أو بمحذوف حال، والأول أقرب إلى
 المعنى ﴿وَأُتِرِئْتُمُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ عطف على أخلق، والأكمة مفعول به
 ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، ويأذن الله متعلقان بأحيي
 ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ عطف أيضاً، والجار والمجرور متعلقان بأنبئكم ناب
 عن المفعولين، وجملة تأكلون لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَمَا تَدْخَرُونَ فِي
 بُيُوتِكُمْ﴾ الواو عاطفة، وما عطف على «ما» المتقدمة، وجملة تدخرون
 لا محل لها، وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بتدخرون ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك جار ومجرور متعلقان
 بمحذوف خبر إن المقدم، واللام هي المرحلقة، وآية اسمها المؤخر، ولكم
 جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية، وجملة إن وما في حيزها إما أن
 تكون من كلام عيسى عليه السلام فتكون داخلة في حيز القول، ويحتمل أن
 تكون من كلام الله تعالى فتكون مستأنفة. وإن شرطية، وكنتم في محل جزم
 فعل الشرط، وكان فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، ومؤمنين خبرها،
 وجواب الشرط محذوف، والتقدير: إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية،
 وجملة الشرط استئنافية ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ الواو عاطفة،
 ومصدقاً حال من فعل محذوف، أي: وجئتكم مصدقاً، أو تعطفه على محل
 ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ولما: اللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام، والجار
 والمجرور متعلقان «بمصدقاً» وبين ظرف متعلق بمحذوف لا محل له؛ لأنه
 صلة ما، ويديّ مضاف إليه، وعلامة جره الياء لأنه مثنى، والياء مضاف
 إليه، ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الواو حرف عطف، واللام للتعليل، وأحلّ فعل
 مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، واللام ومدخولها
 متعلقان بجئتكم مقدرة، ولا يجوز عطفه على «مصدقاً» لأنه حال، ولأحل

تعليل، ولكم جار ومجرور متعلقان بأحل، وبعض مفعول به، والذي اسم موصول مضاف إليه، وجملة حرم عليكم لا محلّ لها لأنها صلة الموصول ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الواو حرف عطف، وجملة جئتكم عطف على جئتكم السابقة، وتكررت للتوكيد، وبآية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، فالباء للملابسة، والمعنى أني رسول إليكم حال كوني متلبساً بمجيئي. ولك أن تعلقها بجئتكم، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا علمتم أنه لا يسوغ لكم بعد هذه الآلاء الباهرة التي مننت بها عليكم أن تأخذكم هوادة في طاعة الله فاتقوا الله. واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وأطيعوا عطف على اتقوا، وحذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَمَكْرُوءٌ وَمَكَرٌ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ﴾ ﴿٥٤﴾

☆ اللفظة:

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: جمع حواري، وهو صفوة الرجل وخالسته، ومنه قيل للحضرىات: حوارىات، لخلوص ألوانهن وفتنتهن ونعومتهن، قال: فقلّ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا ولا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحُ وتكاد هذه النسبة تكون مطردة كالحوالي، وهو الكثير الحيلة. وزعم صاحب «المنجد» أن اللفظة حبشية، ولكننا نرجح أنها عربية خالصة. ففي «أساس البلاغة»: وامرأة حوارية ونساء حواريات: بيض، قال الأخطل: حوارية لا يدخل الدّم بيتها مطهرة يأوي إليها مطهر

وقد نسجت أساطير جميلة حول الحواريين، تحتاج إلى قصاص بارع يصوغ منها أروع القصص.

(المكر) في اللغة: الستر، يقال: مكر الليل، أي: أظلم وستر بظلمته ما فيه، واشتقاقه من المكر، وهو شجر ملتف، كأنهم تخيلوا أن المكر يلف الممكور به. وامرأة ممكورة البطن، أي: ملتفة، ثم خصصوه بالخبث والخداع.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير أصل الديانة المترتبة على الإيمان بما أورده، وإن واسمها، وربي خبرها، وربكم عطف على ربي. فاعبدوه: الفاء الفصيحة، أي: إذا شئتم حسن المصير فاعبدوه، واعبدوه فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وجملة اعبدوه لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يصح أن تكون الجملة مستأنفة أو مفسرة، وعلى الحالين لا محل لها. وهذا مبتدأ، وصراط خبر، ومستقيم صفة لصراط ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف تقديره: فكذبوه؛ لأنه قول مرتب على هذا المحذوف. ويجوز أن تعرب استئنافية، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وقد تقدم ذكرها كثيراً، وجملة أحس عيسى في محل جر بإضافة الظرف إليه، أو لا محل لها إذا أعربناها رابطة. وأحس فعل ماض، وعيسى فاعل، ومنهم جار ومجرور متعلقان بأحس، والكفر مفعول به، ويجوز أن يتعلقا بمحذوف حال من الكفر، أي: حال كونه صادراً منهم ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وهو لما، ومن اسم استفهام مبتدأ، وأنصاري خبره، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الياء في: أنصاري، والمعنى: من أنصاري حال كوني ماضياً إلى سبيل الله، شارعاً في المناضلة عنه ونصرته؟ وللزخشي رأي طريف في هذا الجار والمجرور إذ جعلهما من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة، كأنه قال: من

الذين يضيفون أنفسهم إليَّ ينصرونني كما ينصروني؟ ﴿قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجواب على استفهامه. وقال الحواريون فعل وفاعل، وجملة نحن أنصار الله من المبتدأ والخبر مقول القول ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ آمنا فعل وفاعل، والله جار ومجرور متعلقان بآمنا، والجملة خبر ثان لنحن ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ الواو استئنافية، واشهد فعل أمر، وبأنا الباء حرف جر، وأن واسمها، ومسلمون خبرها. وأن وما في حيزها مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بأشهد، وهذا أحسن من جعلها عاطفة لثلاث يلزم عطف الإنشاء على الخبر، وهو مرجوح، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ ربنا منادى مضاف، وجملة آمنا خبر ثالث لنحن، وبما جار ومجرور متعلقان بآمنا، وجملة أنزلت لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عطف على جملة آمنا، والرسول مفعول به ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا كان الأمر كما تقدم فاكْتُبْنَا، ولك أن تجعلها استئنافية، ومع ظرف مكان متعلق باكْتُبْنَا، والشاهدين مضاف إليه ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ حَيُّ الْمَكْرِينَ﴾ الواو استئنافية، ومكروا فعل وفاعل، ومكر الله عطف على مكروا، والله الواو الحالية، والله مبتدأ، وخير الماكرين خبره، والجملة في محل نصب على الحال.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التمثيلية في أَحَسَّ: إذ لا يحس إلا ما كان متجسداً، والكفر ليس بمحسوس، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس.

(٢) فن المشاكلة، وقد مرت الإشارة إلى هذا الفن، وحقيقة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، فكأنه قال: وأخذهم بمكرهم؛ لأن الله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة توهم الشناعة. وهو كثير شائع في القرآن، فاعلمه. ومنه في الشعر قول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

أي : فنجازيه على جهله ، فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه للمشاكلة .
ومن طريف المشاكلة قول أبي تمام الطائي :

وَالدَّهْرُ الْأُمُّ مَنْ شَرَقَتْ يَلْوِمُهُ إِلَّا إِذَا أَشْرَقَتْهُ بِكَرِيمٍ

أي : انتصرت عليه بكريم ، فقال : أشرقته ، للمشاكلة .

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٥٧ ﴾ .

○ الإعراب:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بذكر مقدر ، أو متعلق بمكروا ، أو ظرف لخير الماكرين . وجملة قال الله في محل جر بالإضافة ، ويا حرف نداء ، وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على الألف ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ ﴾ إن واسمها ، ومتوفيك خبرها ، والكاف مضاف إليه ، ورافعك عطف على متوفيك ، وإلى جار ومجرور متعلقان برافعك لأنه اسم فاعل ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ومطهرك عطف على ما تقدم ، ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمطهرك ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وجاعل عطف أيضاً ، والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وجملة اتبعوك صلة الموصول لا محل لها ، وفوق ظرف مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجاعل ، والذين مضاف إليه ، وجملة كفروا صلة الموصول ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان

بجاءل، يعني: أن هذا الجعل مستمر إلى يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وإلى جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ﴿فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ﴾ الفاء حرف عطف للتعقيب، وأحكم فعل مضارع مرفوع، وبينكم ظرف مكان متعلق بأحكم ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فيما جار ومجرور متعلقان بأحكم، وجملة كنتم صلة الموصول، وكان واسمها، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون، وجملة تختلفون في محل نصب خبر كنتم، والجملة كلها في محل نصب مقول القول ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لتكون تفسيراً للحكم بين الفريقين. وأما حرف شرط، وتفصيل، والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها ﴿فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الفاء رابطة لجواب أما، وأعذبهم فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة الفعلية خبر الذين، وعذاباً مفعول مطلق، وشديداً صفة، وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية، والآخرة عطف على الدنيا ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وما نافية، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر، والجملة حالية، أو استئنافية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عطف على الآية السابقة، والصلاحات مفعول به منصوب بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم ﴿فَيُوفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ الفاء رابطة لجواب أما، ويوفيههم فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والهاء مفعول به أول، وأجورهم مفعول به ثان، والجملة خبر الذين ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة لا يحب الظالمين خبر.

□ البلاغة:

اختلف المفسرون في قوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، قال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، والتقدير: إني رافعك إلي ومتوفيك. يعني: بعد ذلك. قال علي بن طلحة عن ابن عباس: إني متوفيك، أي: مميتك. وجهور

المفسرين يقولون: المراد بالوفاة - هنا - النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ الآية. وقد اقتبس هذا المعنى بلفظه بعض الشعراء فقال:

تَبَارَكَ مَنْ تَوَفَّاكُم بَلِيلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ فِي النَّهَارِ

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ٥٨ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥٩ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ٦٠ .

○ الإعراب:

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما تقدم من أمر عيسى، وذلك مبتدأ، وجملة نتلوه خبر، وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ويجوز أن يكون اسم الإشارة مبتدأ، وجملة نتلوه في موضع نصب على الحال، ومن الآيات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ عطف على الآيات، والحكيم صفة ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ كلام مستأنف سيق تمهيداً لذكر محاجة وفد نجران؛ الذي قدم على النبي ﷺ يسأله في أمر عيسى عليه السلام. وإن واسمها، وعيسى مضاف إليه، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، وآدم مضاف إليه مجرور بالفتحة؛ لأنه لا ينصرف كما تقدم ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ الجملة مفسرة لشبه عيسى بآدم لا محل لها، وخلقه فعل ومفعول به، والفاعل هو يعود على الله، ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقته ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وقال فعل ماض، وله جار ومجرور متعلقان بقال، وجملة كن التامة في محل نصب مقول القول، وقوله فيكون عطف، وهي حكاية حال ماضية ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التغير هو من ربك، فالحق مبتدأ، ومن ربك خبر، ويجوز أن يكون الحق

خبراً لمبتدأ محذوف، أي: ما قصصنا عليك هو الحق، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا علمت هذا وقد علمته فلا تكن، والجملة جواب الشرط غير جازم لا محل لها، ولا ناهية، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، واسمها ضمير مستتر تقديره: أنت، ومن الممترين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر.

□ البلاغة:

المقصود بالنهي ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ إما زيادة تهيبه ﷺ على الثبات، والطمأنينة، وحاشاه أن يكون ممترياً، أو أن الخطاب لغيره لطفاً بهم.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (١٣)

☆ اللفظة:

﴿حَاجَّكَ﴾: خاصمك وجادلَكَ، وقارعَكَ الحجة. والمحااجة هي مفاعلة، ولا تقع إلا من اثنين فصاعداً.

﴿تَعَالَوْا﴾: تعال فعل أمر على الأصح، ولامه مفتوحة دائماً، وأصله طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك، وإذناً للمدعو؛ لأنه من العلو والرفعة. فإذا أمرت المفرد قلت: تعال، ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب المجيء. وقد لحنوا أبا فراس الحمداني لأنه كسر لامة مع ياء الخطاب بقوله: أَيْ جَارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تعالي أُقَاسِمُكَ الهموم تعالي

وقد يُجاب عنه بأنه ضرورة شعرية .

﴿ نَبْتَهْلُ ﴾ المباهلة والابتهال في الأصل : الملاعنة . وفعله الثلاثي بهله بهلاً، من باب : نصر، لعنه . واسم الفاعل : باهل، والأنثى : باهلة، وبها سميت قبيلة عربية، ثم تطورت الكلمة وأطلقت على كل دعاء خيراً كان أم شراً، وإن لم يكن لعناً . وقد استعمل هذه الكلمة أبو العلاء المعري في «رسالة الغفران» إذ قال في صدد حديثه عن الخزمية، وهم فئة من الزنادقة : فعلى معتقدي هذه المقالة بهلة المبتهلين . والبُهلة - بضم الباء وفتحها - اللعنة، أي : لعنة اللاعنين، وهذا المعنى هو المراد في الآية .

○ الإعراب:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، حاجك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والكاف مفعول به، وفيه جار ومجرور متعلقان بحاجك، والضمير يعود إلى عيسى أو الحق مطلقاً، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المباهلة وشروطها المستنبطة من الكتاب والسنة . وحاصل كلام الأئمة فيها أنها بعد النبي ﷺ لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً، وقع فيه اشتباه وعناد، لا يتاح دفعهما إلا بالمباهلة ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بحاجك، أي : من ذلك الوقت، وما اسم موصول مضاف إليه، وجملة جاءك صلة الموصول، ومن العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي : كائناً من العلم ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ الفاء رابطة، وقل فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره : أنت، وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وجملة قل في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط، وجوابه خبر «ما»، وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول، وندع فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، وفاعله نحن، وأبناءنا مفعول به وأبناءكم وما تلاه عطف على قوله «أبناءنا»، وإنما أضافهم إليه ﷺ والأمر مختص به وبمن يباهله؛ لأن ذلك أكد في الدلالة على الثقة

بالنفس والإيمان بانتصار حجته، وإلا ما كان عرض أفلاذ كبده وأهله للهلاك، ولكن المباهلة لم تتم، ورجع الوفد بحجة استشارة قومه، من دون الارتطام بها، كما هو مبين في كتب التاريخ، فارجع إليها. ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، ونبتهل فعل مضارع معطوف على ندع مجزوم، والفاء حرف عطف للتعقيب، ونجعل عطف على نبتهل، والفاعل بينهما نحن، ولعنة الله مفعول به، وعلى الكاذبين جار ومجرور متعلقان بنجعل، أو في محل نصب، على أنهما بمثابة المفعول الثاني ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقدير ما تقدم ذكره، وإن واسمها، اللام المرحقة، وهو ضمير فصل لا محل له، والقصص خبر، أو «هو» مبتدأ، والقصص خبره، والجملة خبر إن، والحق صفة للقصص ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، ومن حرف جر زائد، وإله مجرور لفظاً مبتدأ، ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً، أي: لنا. وإلا أداة حصر، والله بدل من محل إله، وهو الرفع. ويجوز أن يكون الله خبر إله، والجملة مستأنفة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم إعراب نظيرتها قريباً ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، وإن شرطية، وتولوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل، والجملة في محل جزم فعل الشرط، فإن الفاء رابطة، وإن واسمها، وعليم خبرها، وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بعليم، والجملة في محل جزم جواب الشرط.

* الفوائد:

نصَّ العلماء على كتابة «لعنة» بالتاء المفتوحة هنا، وفي سورة النور فقط، وما عداها تكتب بالتاء المربوطة على الأصل المعروف.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للبحث في الجدل الذي ثار حول إبراهيم عليه السلام عند مقدم وفد نجران، وقل فعل أمر، وفاعله أنت، ويا حرف نداء، وأهل الكتاب منادى مضاف ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ الجملة نصب على أنها مقول القول، وتعالوا تقدم إعرابها قبل قليل، وإلى كلمة جار ومجرور متعلقان بتعالوا، وسواء صفة، وبيننا ظرف مكان متعلق بسواء؛ لأنها أجريت مجرى المصادر كما تقدم في أول البقرة، وبينكم عطف على بيننا ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ أن وما في حيزها مصدر مؤول بدل من «كلمة»، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي، وأن مصدرية، ولا نافية، ونعبد فعل مضارع منصوب بأن، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وإلا أداة حصر، والله مفعول به. والكلمة تطلق في اللغة على الجملة المفيدة ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ونشرك عطف على نعبد، وبه جار ومجرور متعلقان بنشرك، وشيئاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وقد تقدم الكلام على هذا الإعراب ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويتخذ فعل مضارع معطوف على لا نعبد ولا نشرك، وبعضنا فاعل، وبعضاً مفعوله الأول، وأرباباً مفعوله الثاني، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ: «أرباباً» ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ الفاء استئنافية، وما بعدها كلام مستأنف لا محل له، مسوق لتقرير جوابهم، وإن شرطية، وتولوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، واشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة في محل نصب مقول القول، وبأننا الباء حرف جر، وأن حرف مشبه بالفعل، ونا اسمها، ومسلمون خبرها، وأن وما بعدها في محل مصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بأشهدوا.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٥ هَتَأَنْتُمْ هَؤُلَاءَ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٦

○ الإعراب:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ كلام مستأنف لإتمام قصة الجدل في أمر إبراهيم عليه السلام، ويا حرف نداء، وأهل الكتاب منادى مضاف، ولم: اللام حرف جر، وما اسم استفهام حذف ألفها بعد حرف الجر، كما سيأتي في باب: الفوائد، والجار والمجرور متعلقان بتحاجون، وتحاجون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وفي إبراهيم جار ومجرور متعلقان بتحاجون، ولا بد من حذف مضاف، أي: في دين إبراهيم لأن المجادلة لا تكون في الذوات ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ الواو حالية، وما نافية، وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول، والتورا نائب فاعل، والإنجيل عطف على التورا، وإلا أداة حصر، من بعده جار ومجرور متعلقان بأنزلت، فهو استثناء مفرغ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي، وهي داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بهذا العاطف، أي: ألا تفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم؟ ﴿هَتَأَنْتُمْ هَؤُلَاءَ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ الهاء للتنبيه، وأنتم مبتدأ، وهؤلاء خبر، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان بطلان قولهم، وجملة حاججتم مستأنفة، مسوقة لبيان الجملة قبلها، والمعنى: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وآية حمقكم أنكم أمعنتم في اللجاج والمكابرة فيما لا طائل تحته، وفيما جار ومجرور متعلقان بحاججتم، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لعلم، فلما تقدم أعرب حالاً، وعلم مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها صلة ما الموصولة

﴿ فَلَمْ تَحَاجُّوْنَ ﴾ الفاء عاطفة ، ولم تحاجون تقدم إعرابها قريباً ﴿ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ فيما جار ومجرور متعلقان بتحاجون ، وليس فعل ماض ناقص ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ، وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وعلم اسم ليس المؤخر ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يعلم خبر ، وأنتم الواو عاطفة ، وأنتم ضمير منفصل مبتدأ ، وجملة لا تعلمون خبر .

* الفوائد :

(١) اعلم أن الأصل وصل الهاء التنبيهية باسم الإشارة ؛ لأن تعريف أسماء الإشارة في أصل الوضع بما يضاف إليها من إشارة المتكلم الحسية من يد أو جارحة أخرى ، فجيء في أوائلها بحرف ينبه بها المتكلم المخاطب حتى يلتفت إليه ، وينظر إلى أي شيء يشير من الإشارة الحاضرة ، ويفصل بـ : «أنا» وأخواته كثيراً ، نحو : ها أنا ذا ، وها أنتم أولاء ، وها هو ذا ، وبغيرها قليلاً ، وليس المراد بقولك : ها أنا أفعل ، أن تعرف المخاطب نفسك ، وأن تعلمه أنك لست غيرك ؛ لأن هذا محال ، بل المعنى فيه وفي : ها أنت ذا تقول ، وها هو ذا يفعل ، استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلم ، أو المخاطب ، أو الغائب . والجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الأمر المستغرب ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة ، وقال أبو عمرو بن العلاء :

الأصل في ها أنتم : أنتم ، أبدلت الهمزة الأولى هاء لأنها أختها . قال النحاس : وهذا قول حسن . وقال بعضهم : هي حالية ، أي : ها أنت قائلاً والحال هنا لازمة ؛ لأن الفائدة معقودة بها ، والعامل في الحال حروف التنبيه ، أو اسم الإشارة . والذي نراه أن ما قرناه أولى ، وأن الاستئناف هو الأرجح ، إذ ليس المراد أنت المشار إليه في حال قولك . وما أعجب هذه اللغة الشريفة !

(٢) إذا وصلوا «ما» في الاستفهام حذفوا ألفها لوجوه :

الأول : للفرقة بينها وبين أن تكون حرفاً .

والثاني: لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال.

والثالث: للتخفيف؛ لأن «ما» تقع كثيراً في الكلام، وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها، كما فعلوا في علام؟ وإلام؟ وحتام؟ وبم؟ وعم؟ وفيم؟ ومم؟ قيل: إن بعض العوام سأل أحد النحويين فقال له: بما توصيني؟ وأثبت الألف في «ما»، فقال: بتقوى الله، وإسقاط الألف من «ما».

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٧) إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾

☆ اللفظة:

(الحنف) الميل، والمراد: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم.

○ الإعراب:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ كلام مستأنف، أورده سبحانه تبرئة لإبراهيم مما حاولوا إلصاقه به. وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وإبراهيم اسمها، ويهودياً خبرها، والواو حرف عطف، ولا نافية، ونصرانياً معطوف على «يهودياً» ﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ الواو عاطفة، ولكن مخففة مهملة، وكان فعل ماض ناقص، واسمها هو، وحنيفاً خبرها الأول، ومسلماً خبر ثان ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ عطف على ما تقدم، ومن المشركين متعلقان بمحذوف خبر كان ﴿ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾ إن واسمها، والناس مضاف إليه، وإبراهيم جار ومجرور متعلقان بأولى، والجملة استثنائية ﴿ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ اللام المرحقة، والذين خبر إن، واتبعوه فعل وفاعل ومفعول به،

والجملة صلة ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ الواو حرف عطف على الذين، والنبي بدل من اسم الإشارة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الواو حرف عطف، والذين اسم موصول معطوف على هذا النبي، وجملة آمنوا صلة الموصول ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وولي خبر، والمؤمنين مضاف إليه.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يتأهل الكتاب لم تكفروا بتأييد الله وأنتم تشهدون ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

☆ اللغة:

﴿تَلْسُونَهُ﴾ - بكسر الباء - أي: تخلطون.

○ الإعراب:

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ودت فعل ماض، والتاء للتأنيث، وطائفة فاعل، ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة، والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن اليهود؛ الذين دعوا عدداً من الصحابة منهم حذيفة ومعاذ وعمار إلى دينهم. وسيأتي بحث مهم عن معنى ودت في باب: الفوائد ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ لو مصدرية، ويضلونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به، ولو مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب؛ لأنه مفعول ودت، والتقدير: تمت إضلالكم ﴿وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ الواو حالية، وما نافية، ويضلون فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وأنفسهم مفعول به، والجملة في محل نصب حال ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِتَايِدِ اللَّهِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم، ويا حرف نداء، وأهل الكتاب منادى مضاف، ولم: اللام حرف جر، وما اسم استفهام في محل جر باللام، وحذفت ألف ما لوقوعها بعد حرف الجر، كما تقدم قريباً،

وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون ﴿وَأَنْتُمْ كُفَرَاءُ﴾ والواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وتشهدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والجملة خبر، وجملة أنتم تشهدون في محل نصب حال ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَاتِبُ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ يَابْطِلُ﴾ جملة مستأنفة ثالثة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم، وقد تقدم إعراب نظيرتها ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ الواو عاطفة، وتكتمون فعل مضارع، والواو فاعل، والحق مفعول به ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تقدم إعرابها.

* الفوائد:

تستعمل «ود» بمعنى تمنى، فتستعمل معها لو أو أن، وربما جمع بينهما فيقال: وددت لو أن فعل «والمصدر» الودادة، والاسم منه ودٌ، وقد يتداخلان في المصدر والاسم، وقال الراغب: إذا كان ود بمعنى أحب لا يجوز إدخال «لو» فيه أبداً، وقال علي بن عيسى: إذا كان «ود» بمعنى تمنى صلح للماضي وللحال والمستقبل، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح إلا للماضي؛ لأن الإرادة كاستدعاء الفعل، وإذا كان للحال والمستقبل جاز أن ولو، وإذا كان للماضي لم يجوز أن؛ لأن أن للمستقبل.

﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْهُمْ يُرْجَعُونَ﴾ (٧٢) وَلَا تَوَّعُّبُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

☆ اللغة:

﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أوله، وسُمِّي الوجه وجهاً؛ لأنه أول ما يبدو من الإنسان

لمن يشاهده، قال:

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

وقال:

وتضيءُ في وجهِ الظَّلامِ منيرةٌ كجمانةِ البحري سَلَّ نِظَامُهَا

○ الإعراب:

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للحديث عن نوع آخر من تلييسات اليهود، فقد تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان، دون اعتقاد بالجنان، ثم اكفروا آخر النهار لإدخال التشكيك في صدور أصحاب محمد، وربما أفضى ذلك إلى رجوعهم عن دينهم. وقالت فعل ماض، وطائفة فاعل، ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة ﴿ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الجملة في محل نصب مقول القول، وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون، وبالذي جار ومجرور متعلقان بآمنوا، وجملة أنزل صلة، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، وعلى الذين آمنوا جار ومجرور متعلقان بأنزل، وجملة آمنوا صلة ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ﴾ ظرف زمان متعلق بآمنوا ﴿وَكَفَرُوا آخِرُهُ﴾ الواو حرف عطف، وكفروا فعل أمر مبني على حذف النون، معطوف على آمنوا، وآخره ظرف زمان متعلق بكفروا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ جملة الرجاء في محل نصب على الحال، أي: راجين رجوعهم عن دينهم، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها، ثم أردف بتتمة مقولهم، فهو داخل في حيزه ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتؤمنوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإلا أداة استثناء، ولمن اللام حرف جر، ومن اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من محذوف تقديره: ولا تؤمنوا، أي: تعترفوا وتظهروا بأن يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم لأحد من الناس إلا لأشياكم دون غيرهم، وتبع فعل ماض، وفاعله هو،

والجملة الفعلية صلة ، ودينكم مفعول به ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ الجملة من قل ومقولها وهو أن واسمها وخبرها لا محل لها ؛ لأنها اعتراضية ﴿أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بتؤمنوا ، وأحد نائب فاعل يؤتى ، ومثل مفعول به ثان ، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وجملة أوتيتم صلة ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ أو حرف عطف ، ويحاجوكم فعل مضارع معطوف على يؤتى ، وعلامة نصبه حذف النون ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، وعند ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ، وربكم مضاف إليه ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ قل مكان متعلق بمحذوف حال ، وإن وما في حيزها جملة اسمية في محل نصب مقول القول بمحذوف خبر ، وإن وما في حيزها جملة اسمية في محل نصب مقول القول ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ جملة يؤتيه في محل نصب حال ، ويؤتي فعل مضارع ، وفاعله هو ، والهاء مفعول يؤتي الأول ، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول يؤتي الثاني ، وجملة يشاء صلة ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وواسع خبر أول ، وعليم خبر ثان ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الجملة خبر ثالث ، ويختص فعل مضارع مرفوع ، وفاعله هو ، أي : الله تعالى ، وبرحمته جار ومجرور متعلقان ب يختص ، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة يشاء لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الواو عاطفة ، والله مبتدأ ، وذو الفضل خبر مرفوع ، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة ؛ لأنه من الأسماء الخمسة ، والفضل مضاف إليه ، والعظيم صفة للفضل .

* الفوائد :

كثر الخوض في هذه الآية والاختلاف في إعرابها وتخريجها ، وأوصل بعض المعربين أوجه الإعراب فيها إلى تسعة ، دون أن يصلوا إلى وجه حاسم يخلو من الاعتراضات .

ما يقوله الواحدي :

قال الواحدي وهو من كبار المشتغلين بالمسائل الإعرابية : وهذه الآية من مشكلات القرآن ، وأصعبه إعراباً وتفسيراً ، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها ، مع بيان المعنى ، وصحة النظم .

ما يقوله الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسّمين : اعلم أنه قد اختلف الناس والمفسرون والعربون في هذه الآية على أوجه . وذكر السمين الأوجه التسعة ، ولما كان كتابنا يتوخى الأسهل والأقرب إلى المنطق ، والأبعد عن التكلف ، اكتفينا في باب الإعراب بما أوردناه فيه ، ورأينا أنه الأقرب إلى ما توخيناه ، وقد اختاره الزمخشري في كشافه ، ولكننا نرى من المفيد أن نثبت ما قاله أبو حيان ، ثم نعقب عليه بما قاله ابن هشام .

ما يقوله أبو حيان :

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط» بعد كلام طويل :
يحتمل القول وجوهاً :

(١) أن يكون المعنى : ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم ، مخافة أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم ، ومخافة أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربهم إذا لم يستمروا عليه ، وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر ، مع المعرفة بصحة نبوة محمد ﷺ .

(٢) أن يكون التقدير : أن لا يؤتى ، فحذفت لا لدلالة الكلام ، ويكون ذلك متفياً داخلاً في حيز إلا ، لا مقدراً دخوله قبلها ، والمعنى : ولا تؤمنوا لأحد بشيء إلا لمن تبع دينكم بانتفاء أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، وانتفاء أن يحاجوكم عند ربكم ، أي : إلا بانتفاء كذا .

(٣) أن يكون التقدير بأن يؤتى متعلقاً بتؤمنوا ، ولا يكون داخلاً في حيز

إِلا، والمعنى: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وجاء بمثله وعاضداً له، فإن ذلك لا يؤتاه غيركم. ويكون معنى أو يحاجوكم عند ربكم بمعنى إلا أن يحاجوكم، كما تقول: أنا لا أتركك أو تقضيني حقي. وهذا القول على هذا المعنى ثمرة التكذيب لمحمد ﷺ، على اعتقاد منهم أن النبوة لا تكون إلا في بني إسرائيل.

(٤) أن يكون المعنى: لا تؤمنوا بمحمد وتقرؤا بنبوته، إذ قد علمتم صحتها، إلا لليهود الذين هم منكم، وأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم صفة لحال محمد ﷺ، فالمعنى تستروا بإقراركم أن قد أوتي أحد مثلما أوتيتم، أو فإنهم يعنون العرب يحاجونكم بالإقرار عند ربكم.

ولعمري لقد أبدع أبو حيان، ولكنه اكتفى بإيراد المعنى مجرداً عن الإعراب.

ما يقوله ابن هشام:

وقال ابن هشام في معرض حديثه عن الجمل: كثيراً ما تشبه المعترضة بالحالية، ويميزها منها أمور: أحدها أنها تكون غير خبرية كالأمرية في: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾، كذا مثل ابن مالك وغيره بناء على أن: ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ﴾ متعلق بتؤمنوا، وأن المعنى: ولا تظهروا تصديقكم بأن أحداً يؤتى من كتب الله مثل ما أوتيتم، وبأن ذلك الأحد يحاجونكم عند الله تعالى يوم القيامة بالحق فيغلبونكم إلا لأهل دينكم؛ لأن ذلك لا يغير اعتقادهم، بخلاف المسلمين فإن ذلك يزيدهم ثباتاً، وبخلاف المشركين فإن ذلك يدعوهم إلى الإسلام. ومعنى الاعتراض حينئذ أن الهدى بيد الله، فإذا قدره لأحد لم يضره مكرهم. والآية محتملة لغير ذلك، وهي أن يكون الكلام قد تم عند الاستثناء، والمراد: لا تظهروا الإيمان الكاذب الذي توقعونه وجه النهار وتنقضوه آخره، إلا لمن كان منكم كعبد الله بن سلام ثم أسلم، وذلك لأن إسلامهم كان أغبط لهم، ورجوعهم إلى الكفر كان عندهم أقرب، وعلى هذا ف: ﴿أَن يُؤْتَىٰ﴾ من كلام

الله تعالى؛ وهو متعلق بمحذوف مؤخر، أي: الكراهية أن يؤتى أحد دبرتم هذا الكيد.

وهذا الوجه أرجح لوجهين: أحدهما: أنه الموافق لقراءة ابن كثير: «أن يؤتى» بهمزين، أي: الكراهية أن يؤتى قلت ذلك، والثاني: أن في الوجه الأول عمل ما قبل إلا فيما بعدها، مع أنه ليس من المسائل الثلاث المذكورة آنفاً، والثاني مما يميزها الدعائية كقول عوف بن محلم:

إِنَّ الثَّمَانِينَ، وَبُلَّغَتْهَا قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وكالتنزيهية في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] وكالاستفهامية في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْفُرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر هذا البحث الممتع الذي عكزه الأسلوب الجاف.

ما يقوله الزمخشري:

ولا مندوحة لنا عن ذكر عبارة الزمخشري التي جاءت مؤيدة لما ذهبنا إليه في الإعراب، قال: ولا تؤمنوا متعلق بقوله: أن يؤتى أحد، وما بينهما اعتراض، أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم، أرادوا: أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا مثلما أوتيتم، ولا تفشوه إلا لأشياعكم وحدهم دون المسلمين؛ لئلا يزيدهم ثباتاً، ودون المشركين لئلا يدعوه إلى الإسلام، أو يحاجوكم به عند ربكم: عطف على أن يؤتى، والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع، ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق، ويغالبونكم عند الله بالحجة.

وقد كدنا نخرج عن شرط الكتاب في تلخيص الأقوال، فحسبنا ما أوردناه ولعل بعض العلماء كان على حق عندما قرر أن هذه الآية أعظم أي هذه السور إشكالاً، وكلام الله أكبر، وغور لغتنا العربية أبعد وأعمق من أن يسبر.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

☆ اللغة:

(دينار): الدينار: ضرب من قديم النقود الذهبية، والجمع دنانير، وأصله دَنَار بنونين، فاستثقل توالي مثلين، فأبدلوا أولهما حرف علة تخفيفاً لكثرة دورانه في الاستعمال، ويدل على ذلك رده إلى النونين عند جمعه جمعاً مكسراً أو عند تصغيره، فقالوا: دنانير، ودينير.

﴿ الْأُمِّيَّتَيْنِ ﴾ جمع أمي، والمراد به هنا: من ليس من أهل الكتاب. ومعلوم أن اليهود استباحوا دماء العرب، وأموالهم، وأعراضهم.

○ الإعراب:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للشروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدين، والواو استئنافية، ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ من اسم موصول مبتدأ مؤخر، ولك أن تعربها نكرة موصوفة أيضاً، أي: ناس، وهي مبتدأ مؤخر، وإن شرطية، وتأمنه فعل الشرط مجزوم، والهاء مفعول به، والفاعل أنت، وبقنطار جار ومجرور متعلقان بتأمنه، ويؤده جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والهاء مفعول به، وإليك جار ومجرور متعلقان بيؤده، وجملة الشرط وجوابه إما صلة للموصول إذا كانت من موصولة، وإما صفة لها في محل رفع إذا كانت من نكرة موصوفة ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ عطف على الجملة السابقة، وتقدم إعرابها بحروفها ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ إلا أداة حصر، وما دمت فعل

ماض ناقص، والتاء اسمها، وقائماً خبرها، وعليه جار ومجرور متعلقان بـ «قائماً»، والاستثناء مفرغ من الظرف العام فهو ظرف ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان استحلالهم أموال العرب، واسم الإشارة في محل رفع مبتدأ، والباء حرف جر، وأن وما بعده في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة قالوا خبر إن ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَكِيلٌ﴾ الجملة في محل نصب مقول قولهم، وليس فعل ماض ناقص، وعلينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ليس المقدم، وفي الأميين جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وسبيل اسم ليس المؤخر ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ الواو استئنافية، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون، والكذب مفعول به على التضمين، فمعنى يقولون: يفترون، والأحسن أن يعرب صفة لمصدر محذوف، وذلك المصدر مفعول مطلق، أي: القول المكذوب ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ الواو حالية، وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة يعلمون خبر.

* الفوائد:

(ما دام) من أخوات كان، وشرط إعمالها أن تتقدمها «ما» الظرفية والمصدرية، فإذا قلت: لا أكلمك ما دام زيد قاعداً، فالمراد: زمن دوام قعوده، و«ما» من قولك: ما دام، تقع لازمة، ولا بد منها، ولا يكون معها الفعل إلا ماضياً، وليس كذلك ما زال، فإنه يجوز أن يقع موقع «ما» غيرها من حروف النفي، ويكون الفعل مع النافي ماضياً ومضارعاً، نحو: ما زال، ولم يزل، ولا يزال، وأصل مادة «دام» السكون والثبوت، يقال: دام الماء، أي: سكن، ودوّمت الشمس؛ إذا وقفت في كبد السماء.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ

اللَّهُ وَأَيَّمَنِيهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

○ الإعراب:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾ كلام مستأنف، مسوق ليكون إثباتاً لما نفوه بقولهم: ليس علينا في الأميين سبيل، أي: العرب. وبلى حرف جواب وتصديق مثل نعم، وأكثر ما تقع بعد الاستفهام، وتختص بالإيجاب، وسيأتي المزيد عنها في موضعه من هذا الكتاب، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وأوفى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وبعهده جار ومجرور متعلقان بأوفى، واتقى عطف على أوفى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، وجملة يحب خبرها، والمتقين مفعول به، وجملة فإن الله الخ في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر «من» ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيَّمَنِيهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كلام مستأنف لا محل له من الإعراب، مسوق لبيان كذب اليهود إذا حلفوا أو باعوا سلعة وحلفوا أنهم أعطوا فيها كذا وكذا، وإن واسمها، وجملة يشترون صلة، وبعهد الله جار ومجرور متعلقان يشترون، والباء داخلة على المترك، وأيمانهم عطف على بعهد الله، وثماناً مفعول به، وقليلاً صفة ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ولا نافية للجنس، وخلاق اسمها المبني على الفتح، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وجملة لا خلاق لهم خبر أولئك، وجملة الإشارة وما تلاها في محل رفع خبر إن ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويكلمهم فعل مضارع مرفوع؛ والهاء مفعول به مقدم، والله فاعل مؤخر، والجملة عطف على جملة لا خلاق لهم ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ عطف أيضاً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الظرف متعلق بينظر ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ عطف على «ولا ينظر إليهم» ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ولهم جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة، والجملة معطوفة أيضاً.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة المكنية في الاشتراء، أي: أنهم يستبدلون بما عاهدوا عليه وبما حلفوا به من الأيمان متاع الدنيا، وأراد بذلك تحريفهم للتوراة، وتبديل ما ورد فيها.

(٢) الكناية في قوله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ عن السخط وشدة الغضب، ومعنى ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: بما يسرهم ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يعطف عليهم بخير مقتاً من الله لهم، كقول القائل: انظر إلي نظر الله إليك، بمعنى تعطف عليّ تعطف الله عليك بخير ورحمة، وكما يقال للرجل: لا استجاب الله لك. والله لا تخفى عليه خافية على حد قول شمير بن الحارث الضبي:

دعوتُ اللهَ حتَّى خفتُ ألا يكونَ اللهُ يسمعُ ما أقول

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨)

☆ اللغة:

﴿يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ يفتلون، ويديرونها عن الصحيح إلى المزيف، يقال: لويت عنقه، أي: فتلته، والمصدر: اللَّيُّ واللَّيَان، وأصل اللَّي: الفتل والقلب، من قول القائل: لوى فلان يد فلان، ومنه قول فرعان بن الأعرف السعدي في ابنه منازل:

تخون مالي ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه

وهذا البيت من أبيات جميلة، وقبله :
 جزت رحم بيني وبين منازل
 جزاء كما يستنزّل الدّين طالبه
 وما كنتُ أخشى أن يكون منازلُ
 عدويّ وأدنى شأنيّ أنا راهبه
 حملت على ظهري وفديت صاحبي
 صغيراً إلى أن أمكن الطّر شاربه
 وأطعمته حتى إذا صار شيطماً
 يكاد يساوي غاربَ الفحل غاربه
 تخون مالي ظالماً . . . البيت .

○ الإعراب:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لوصف فريق منهم ككعب بن الأشرف، ومالك بن الصّيف، وحيي بن أخطب، وأبي ياسر، وشعبة بن عمرو الشاعر، كانوا يلوون ألسنتهم، ويتشددون بها محرفين ما فيها من نعت النبي محمد ﷺ وغيره، والواو استئنافية، وإن حرف مشبه بالفعل، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم، واللام المرحلقة، وفريقاً اسم إن المؤخر، وجملة يلوون صفة لـ «فريقاً» وجمع الضمير اعتباراً بالمعنى، لأنه اسم جمع كالرّهط والقوم، والواو فاعل، وألسنتهم مفعول به، وبالكتاب: جار ومجرور متعلقان بيلوون ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ اللام لام التعليل، وتحسبوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وحذفت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والهاء مفعول تحسبوه الأول، ومن الكتاب جار ومجرور في موضع المفعول الثاني، وأن المضمرة وما بعدها في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بيلوون ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الواو حالية، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس، وهو ضمير منفصل في محل رفع اسمها، ومن الكتاب جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الواو حرف عطف، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وهو معطوف على يلوون، وهو مبتدأ، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تقدم إعرابها بحروفها ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ عطف على ما سبق، ويقولون فعل مضارع، والواو فاعل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون. الكذب مفعول به، أو مفعول مطلق، وقد تقدم إعرابه قريباً ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الواو حالية، وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة يعلمون خبرها.

□ البلاغة:

التشبيه في قوله: «لتحسبوه» أي: يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيِّعَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

☆ اللغة:

(البشر) الإنسان ذكراً وأنثى، واحداً وجمعاً، ولا واحد له من لفظه، مثل القوم والخلق.

﴿رَبِّينَ﴾ الربانيون: جمع رباني، وفيه أقوال أشهرها وأصحها ما ذكره سيبويه قال: الرباني: منسوب إلى الرب، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة، كرقباني، ولحياني، وشعراني، للغليظ الرقبة، والطويل اللحية، والكثير الشعر، ولا تفرد هذه الزيادة عن النسب، أما إذا

نسبوا إلى الرقبة واللحية الشعر من غير مبالغة، قالوا: رقبتي ولحوي وشعري .
وهذه فائدة جلييلة نرى أطرادها في كل نسبة قصد منها المبالغة، فيصح أن
يقال: علماني نسبة للعلم .

○ الإعراب:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ كلام مستأنف،
مسوق لبيان افتراء اليهود على الأنبياء إثر افتراءهم على الله، وما نافية، وكان
فعل ماض ناقص، ولبشر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأن
حرف مصدري ونصب، ويؤتيه فعل مضارع منصوب بأن، والهاء مفعول به
أول، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر اسم كان المؤخر، والله فاعل
يؤتيه، والكتاب مفعول به ثان، والحكم والنبوة معطوفان ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ﴾
ثم حرف عطف للتراخي، وجملة يقول معطوف على يؤتيه، وللناس جار
ومجرور متعلقان بيقول ﴿ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الجملة في محل نصب
مقول القول، وكان واسمها، وعباداً خبرها، ولي جار ومجرور متعلقان
بمحذوف صفة لـ «عباداً» ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال
﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ الواو عاطفة، ولكن مخففة من الثقيلة مهملة، وكونوا
فعل أمر ناقص مبني على حذف النون، والواو اسمها، وربانيين خبرها،
وجملة كونوا ربانيين في محل مقول قول محذوف، أي: ولكن يقول كونوا ﴿ يَمَا
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ الباء حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها
بمصدر مجزور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بربانيين لما فيه من رائحة
الفعل، وكان واسمها، وجملة تعلمون الكتاب خبر كنتم، والكتاب مفعول به
﴿ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ عطف على ﴿ يَمَا كُنْتُمْ ﴾ وجملة تدرسون خبر كنتم
﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ الواو عاطفة، ولا مزيدة لتأكيد
النفي في قوله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ﴾، ويأمركم فعل مضارع معطوف على
يؤتيه، أي: ما كان لبشر أن يؤتيه الله ما ذكر، ثم يأمر الناس بعبادة نفسه، أو
باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، وتوسيط الاستدراك بين المعطوف والمعطوف

عليه للمسارعة إلى تحقيق الحق . وقرئ برفع يأمركم على الاستئناف وابتداء الكلام . وسيأتي مزيد من تفصيل إعرابه في باب : الفوائد . أن تتخذوا الواو حرف عطف ، وتتخذوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون ، والواو فاعل ، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بيأمر ، والملائكة مفعول به أول ، والنبين معطوف على الملائكة منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم ، وأرباباً مفعول به ثان ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ كلام مستأنف لخطاب المؤمنين عن طريق التعجب من حال غيرهم ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، ويأمركم فعل مضارع مرفوع ، وفاعله هو ، والكاف مفعول به ، وبالكفر جار ومجرور متعلقان بيأمركم ، وبعد ظرف زمان متعلق بيأمركم أيضاً ، وإذ ظرف زمان مضاف لـ «بعد» ، وقد مر أنه لا يضاف إليه إلا الزمان نحو : حينئذ ، ويومئذ ، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، ومسلمون خبره ، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها .

* الفوائد :

(١) نفي الكون في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ ﴾ يراد به نفي خبره نحو : ما كان لك أن تفعل هذا ، والمراد نفي الفعل لا نفي الكون ، ويترد هذا في نوعين :

أ - نوع يكون النفي من جهة العقل ، كآية الآنف الذكر ؛ لأن الله لا يعطي الكتاب لمن يقول مثل هذه المقالة الشنعاء .

ب - نوع يكون فيه النفي على سبيل الانبغاء والإمكان ، كقول أبي بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم فيصلي بين يدي رسول الله ، أي : ما ينبغي له ذلك ولا بإمكانه ، والمدار في التمييز بينهما على الذوق والإلمام بسياق الكلام وفحواه .

(٢) إذا عطف قوله : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ على ﴿ يُؤْتِيهِ ﴾ فتكون ﴿ لَا ﴾ زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق . وإذا عطفته على ﴿ يَقُولُ ﴾ فيجوز فيه وجهان :

أ - الزيادة، فالمعنى: ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له، ويأمرهم أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً.

ب - أن تكون غير زائدة، ووجهه بأن النبي ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة، وأهل الكتاب عن عبادة عيسى، فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبئه الله، ثم يأمر الناس بعبادته، وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبين، وقيل: هو معطوف على قوله ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ ويكون التقدير: ولا له أن يقول، وقرئ بالرفع على الاستئناف وابتداء الكلام.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١)

☆ اللفظة:

(الإصر): المراد به هنا العهد، وسمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر، أي: يعقد ويشد. والإصر: كل ما يشده.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ كلام مستأنف مسوق لبحث العهد الذي أخذه الله تعالى على النبيين وأممهم، والواو استئنافية، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بذكر محذوفاً، وقد مر نظيره، وجملة أخذ في محل جر بالإضافة، والله فاعل، وميثاق مفعول به، والنبيين مضاف إليه ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ اللام المفتوحة موطئة للقسم؛ لأن أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف، وقيل: هي للابتداء التي يتلقى بها القسم، وما اسم موصول مبتدأ، وجملة آتيتكم لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول، ومن كتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وحكمة

عطف على كتاب ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وجاءكم فعل ماضٍ، والكاف مفعول به، ورسول فاعل مؤخر مرفوع، ومصدق صفة، ولما اللام حرف جر، وما اسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمصدق، ومعكم ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ الواو واقعة في جواب قسم مقدر، وتؤمنن فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والأصل لتؤمنونن، ولما التقى ساكنان حذفت الواو أيضاً وهي فاعل، وبقيت الضمة دليلاً عليها، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة لا محل لها، وبه متعلق بتؤمنن ولتنصرنه عطف على لتؤمنن، وهن مثله في الإعراب، والواو المحذوفة فاعل، والهاء مفعول به، وجملة القسم المقدر وجوابه خبر ما ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ جملة مفسرة لا محل لها، وقال فعل ماضٍ، وفاعله هو، والهمزة للاستفهام التقريري والتوكيدي؛ لأن الاستفهام بمعناه الحقيقي مستحيل في حقه، وأخذتم فعل وفاعل، والجملة في محل نصب مقول القول، وأقررتم عطف على أقررتم، وعلى ذلكم جار ومجرور متعلقان بأخذتم، وإصري مفعول به، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، وجملة أقررنا في محل نصب مقول القول ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لتسجيل الشهادة على إقرارهم، وقال فعل ماضٍ، والفاعل هو، فاشهدوا: الفاء هي الفصيحة، واشهدوا فعل أمر، والواو فاعل، والجملة لا محل لها، وأنا: الواو حالية، أو استئنافية، وأنا مبتدأ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف حال، ومن الشاهدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة أنا معكم في محل نصب على الحال، أو استئنافية لا محل لها.

* الفوائد :

(١) شغلت هذه الآية المعربين كثيراً، وسنورد خلاصة لأهم ما قيل فيها، سالكين سبيل الاختصار.

ما يقوله سيبويه :

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ فقال : «ما» بمعنى الذي ، قال النحاس في شرحه لكتاب سيبويه : التقدير في قول الخليل : الذي آتيتكموه ، ثم حذفت الهاء لطول الاسم ، واللام لام الابتداء ، وبهذا قال الأخفش ، وتكون «ما» في محل رفع على الابتداء . وقوله : ثم جاءكم وما بعده جملة معطوفة على الصلة ، والعائد محذوف ، أي : مصدق به .

ما يقوله المبرد والزجاج والكسائي :

ما : شرطية دخلت عليها لام التحقيق ، كما تدخل على إن ، ولتؤمنن جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق ، إذ هو بمنزلة الاستحلاف كما تقول : أخذت ميثاقك لتفعلن كذا ، وهو ساد مسد الجزاء . وقال الكسائي : إن الجزاء في قوله فمن تولى .

ابن هشام يرد على أبي البقاء :

وقال ابن هشام في الرد على أبي البقاء : وأما أبو البقاء فإنه قال في ﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية : من فتح اللام ففي «ما» وجهان ، أحدهما : أنها موصولة مبتدأ ، والخبر إما من كتاب ، أي : الذي آتيتكموه من الكتاب ، أو لتؤمنن به ، واللام جواب القسم ؛ لأن أخذ الميثاق قسم ، وجاءكم عطف على آتيتكم ، والأصل : ثم جاءكم به ، فحذف عائد ما ، والأصل : مصدق له ، ثم ناب الظاهر عن المضمّر ، أو العائد ضمير استقر الذي تعلقت به «مع» والثاني أنها شرطية ، واللام موطئة ، وموضع ما نصب

بأتيت، والمفعول الثاني ضمير المخاطب و«من كتاب» مثل «من آية» في ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾، وفيه أمور:

أ - إن إجازته كون من كتاب خبراً فيه الإخبار عن الموصول قبل كمال الصلة؛ لأن «ثم جاءكم» عطف على الصلة.

ب - إن تجويزه كون لتؤمنن خبر مع تقديره إياه جواباً لأخذ الميثاق يقتضي أن له موضعاً، وأنه لا موضع له من حيث جعله خبراً، ومن حيث أنه جواب للقسم، وهذا تناقض، وإنما كان حقه أن يقدره جواباً لقسم محذوف ويقدر الجملتين خبراً، وقد يقال: إنما أراد بقوله: اللام جواب القسم؛ لأن أخذ الميثاق قسم، وأخذ الميثاق دال على جملة قسم مقدرة ومجموع الجملتين، وإنما سمي «لتؤمنن» خبراً لأنه الدال على المقصود بالأصالة؛ لأنه وحده هو الخبر بالحقيقة، وأنه لا قسم مقدر بل ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو جملة القسم، وقد يقال: لو أراد هذا لم يحصر الدليل فيما ذكر للاتفاق على وجود المضارع مفتوحاً بلام مفتوحة مختتماً بنون مؤكدة، وهو دليل قاطع على القسم، وإن لم يذكر معه أخذ الميثاق أو نحوه.

ج - إن تجويزه كون العائد ضمير استقر، يقتضي عود ضمير مفرد إلى شيئين معاً، فإنه عائد إلى الموصول.

د - إنه جوّز حذف العائد المجرور مع أن الموصول غير مجرور، فإن قيل: اكتفى بكلمة به الثانية، فيكون كقوله:

لو أن ما عاجلت لين فؤادها فقسا استلين به لالان الجنادل
قلنا: قد جوز على هذا الوجه عود «به» المذكورة إلى «الرسول» لا إلى «ما».

هـ - إنه سمي ضمير آتيتكم مفعولاً ثانياً، وإنما هو مفعول أول.

(٢) اللام الموطئة للقسم: هي الداخلة على شرط، وسميت موطئة لأنها توطئ ما يصلح أن يكون جواباً للشرط وللقسم، فيصير جواب الشرط محذوفاً إذ ذاك لدلالة جواب القسم عليه.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

○ الإعراب:

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ كلام مستأنف للرد على أهل الكتاب الذين اختصموا إلى النبي ﷺ، والفاء استئنافية، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ، تولى فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وبعد ظرف متعلق بتولى، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، وهم ضمير فصل لا محل له، والفاسقون خبر، أو «هم الفاسقون» مبتدأ وخبر، والجملة خبر أولئك، وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر «من». ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ودخلت على الفاء العاطفة جملة على جملة، والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون، ثم توسطت الهمزة بينهما، ويجوز أن يعطف على محذوف، تقديره: أيتولون فغير دين الله يبغون، وقد تقدمت الإشارة إليه. ويبغون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الواو حالية، وله جار ومجرور متعلقان بأسلم، وأسلم فعل ماضٍ، والجملة في محل نصب حال، ومن اسم موصول فاعل أسلم، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة، والأرض عطف على السموات، وطوعاً وكرهاً مصدران منصوبان على الحالية بمعنى طائعين أو كارهين، أو على أنهما مفعولان مطلقان لفعلين محذوفين، والأول أولى ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ الواو عاطفة، وإليه جار ومجرور متعلقان بيرجعون، ويرجعون قرىء بالتاء والياء، وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون، والواو نائب فاعل.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

☆ اللفظة:

(الأسباط): جمع سبط بكسر السين، وهو ولد الولد، ويغلب على ولد البنت، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن. والأسباط من اليهود مقابل القبيلة من العرب.

○ الإعراب:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للطلب إلى النبي ﷺ أن يقول هو وأصحابه: آمنا بالله. ولذلك وحد الضمير في قوله: «قل» وجمعه في قوله: «آمنا». وقل فعل أمر، وفاعله أنت، وآمنا فعل ماض وفاعل، وجملة آمنا مقول القول، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ الواو عاطفة، وما اسم موصول معطوف على الله، وجملة أنزل علينا صلة الموصول ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الواو حرف عطف، وما اسم معطوف على ما الأولى، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وجملة أنزل صلة، وعلى إبراهيم جار ومجرور متعلقان بأنزل، والأسماء المتعاقبة عطف على إبراهيم ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عطف على ما تقدم، وأوتي فعل ماض مبني للمجهول، وموسى نائب فاعل وما بعده عطف عليه، ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بأوتي ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نافية، ونفرك فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن، وبين ظرف مكان متعلق بنفرك، وأحد مضاف إليه، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد، والجملة حالية ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الواو حالية، أو استئنافية،

ونحن مبتدأ، وله جار ومجرور متعلقان بـ «مسلمون». ومسلمون خبر نحن، والجملة إما نصب على الحال، وإما مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٨٥ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

○ الإعراب:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في الحديث عن المرتدين الذين لحقوا بالكفار، وكانوا اثني عشر رجلاً ارتدوا وخرجوا من المدينة، وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري. والواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويبتغ فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، وغير: لنا فيها وجهان: إما أن تكون مفعولاً به ليبْتَغِ، وديناً تمييز، وإما أن تكون حالاً؛ لأنها كانت في الأصل صفة لـ: ديناً، ثم تقدمت عليه، وديناً على هذا الوجه مفعول به، فلن: الفاء رابطة لجواب الشرط، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـلن، ومنه جار ومجرور متعلقان بيقبل، وجملة لن يقبل منه في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الواو للعطف، وهو مبتدأ وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بالخاسرين، ومن الخاسرين: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر هو، والجملة عطف على جواب الشرط، ويحتمل أن تكون الواو استئنافية، والجملة مستأنفة بمثابة الإخبار عن حاله في

الآخرة ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ كلام مستأنف مسوق للحديث عن المرتدين الأنفي الذكر، وقيل: نزلت بشأن اليهود، أو المراد هؤلاء وأولئك. وكيف اسم استفهام معناه الجحد والنفي، أي: لا يهدي الله، وهو في محل نصب حال، ويهدي فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء، والله فاعل، وقوماً مفعول به، وجملة كفروا صفة لـ: قوماً، وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا، وإيمانهم مضاف إليه ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ هذا العطف من الدقائق إذ لا يصح عطفه على كفروا كما يبدو لأول وهلة لفساد المعنى، فالأصح أن يعطف على ما في «إيمانهم» من معنى الفعل؛ لأن معناه: بعد أن آمنوا بالله، فهو من باب العطف على التوهم. ويمكن أن يقال: إن الواو لا تقتضي الترتيب فهي معطوفة على كفروا، ويجوز أن تكون الواو حالية بإضمار «قد» بعدها، أي: وقد شهدوا، والأول أمكن في المعنى، وأبعد عن الوهن. وأن واسمها وخبرها، وهي وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض، أي: بأن الرسول حق فيكون الجار والمجرور متعلقين بشهدوا ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الواو عاطفة، وجاءهم فعل ماض ومفعول به، والبيّنات فاعل، والجملة عطف على جملة شهدوا، ويجوز أن تكون الواو للحال بتقدير قد، أي: وقد شهدوا، فالجملة نصب على الحال ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي خبر، والقوم مفعول به، والظالمين صفة القوم ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لبيان جزائهم ومصيرهم، وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ أول، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وأن وما في حيزها خبر جزاؤهم، والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم، ولعنة الله اسم أن المؤخر ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ﴾ الواو حرف عطف، والملائكة عطف على الله، والناس عطف أيضاً، وأجمعين تأكيد مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خالدين: حال، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ الجملة حال ثانية، ولا نافية، ويخفف فعل مضارع مبني

للمجهول، وعنهم جار ومجرور متعلقان بيخفف، والعذاب نائب فاعل ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وينظرون أي: يمهلون فعل مضارع، والواو نائب فاعل، والجملة في محل رفع خبر «هم»، والجملة عطف على جملة لا يخفف ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ إلا أداة استثناء، والذين مستثنى، وجملة تابوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ جار ومجرور متعلقان بتابوا، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ الجملة معطوفة على جملة تابوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الفاء هي الفصيحة، وإن واسمها، وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني. هذا وقد اختلف في إعراب جملة الاستثناء، وأكثر المعربين يعربونها حالاً متداخلة، أي: حالاً من حال؛ لأن خالدين حال من الضمير في «عليهم» وأعربها آخرون جملة مستأنفة، وهي بذلك مسوقة لبيان خلودهم في النار، وجدير بالذكر أن الذي تاب هو الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري حين ندم على رده، وأرسل إلى قومه الأنصار يقول: سلوا هل لي من توبة؟ فأرسل إليه أخوه الجلاس الآية، فأقبل إلى المدينة فتاب، وقبل رسول الله ﷺ توبته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق للحديث عن اليهود الذين كفروا بعبسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: هي عامة، وإن واسمها، وجملة كفروا لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، وبعد ظرف

زمان متعلق بكفروا، وإيمانهم مضاف إليه ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وازدادوا فعل ماضٍ، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، وكفراً تمييز محول عن الفاعل، أي: ازداد كفرهم، وزاد يتعدى لاثنين، ومطاوعه يتعدى لواحد فقط ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لن حرف نصب، وتقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـلن، وتوبتهم نائب فاعل، والجملة خبر إن ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ الواو حرف عطف أو استئنافية؛ لئلا نحتاج إلى تقدير في عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وقيل: هي للحال، والمعنى لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون، وأولئك اسم إشارة. وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثانٍ، والضالون خبر «هم»، والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة، أو «هم» ضمير منفصل لا محل له، والضالون خبر أولئك ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتأكيد ما تقدم، وإن واسمها، وجملة كفروا صلة الموصول، وماتوا عطف على كفروا، وهم الواو حالية، وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وكفار خبر، والجملة نصب على الحال ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ أَلَّا تُرْضَ ذَهَبًا﴾ الفاء رابطة للجواب لما في الموصول من رائحة الشرط، وإنما دخلت الفاء هنا، ولم تدخل في قوله ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأن الفاء مؤذنة بالاستحقاق بالوصف السابق، وهنا قال: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ولم يصرح هناك بهذا القيد، ولن حرف نصب، ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـلن، والجملة خبر إن، ومن أحدهم جار ومجرور متعلقان بيقبل، وملء نائب فاعل، والأرض مضاف إليه، وذهباً تمييز، وقد اختلف في ناصبه اختلافاً حذا بالكسائي إلى ترجيح نصبه بنزع الخافض، ولعله أرجح ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ الواو عاطفة على محذوف، وسيأتي حكمها في باب: الفوائد، لو شرطية غير جازمة، وافتدى فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدر على الألف، وفاعله هو، وبه جار ومجرور متعلقان بافتدى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الجملة برأسها خبر ثانٍ لأن، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، والجملة

الاسمية خبر اسم الإشارة، وأليم صفة ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر.

※ الفوائد:

(١) العطف على التوهم: جعل جمهور النحاة العطف على التوهم مطرداً، وهو أن تتوهم أن الأمر جار على الأصل فتعطف عليه كقول زهير بن أبي سلمى:

بدا لي أنني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً
بعطف سابق على توهم زيادة الباء في خبر ليس، أي: لست بمدرك ولا سابق، وقول الآخر:

مشائيم ليسوا مُصلحين عشيرة ولا ناعبٍ إلا بين غُرابها
أي: ليسوا بمصلحين ولا ناعب.

(٢) زعم نحويو البصرة أنه نصب الذهب لاشتغال الملء بالأرض، ومجيء الذهب بعدهما، فصار نصبها نظير نصب الحال، وذلك أن الحال يجيء بعدها فعل قد شغل بفاعله، فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفاعل الذي قد شغل بفاعله. قالوا: ونظير قوله: ملء الأرض ذهباً، في نصب الذهب في الكلام: لي مثلك رجلاً، بمعنى: لي مثلك من الرجال. وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم، فينصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل.

(٣) استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى: ﴿لَن تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مع كون التوبة مقبولة كما في الآية الأولى، وكما في قوله تعالى: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ وغير ذلك، ف قيل: لن تقبل توبتهم عند الموت. قال النحاس: وهذا قول حسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ [النساء: ١٨]. وقيل: الأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب، فكأنه عبر

عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة، أو تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ تَاكُسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ [السجدة: ١٢] الخ وبقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

(٤) الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط، الذي اقترنت الواو به، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى. مثاله قولك: أكرم فلاناً ولو أساء، فهذه الواو عطف المذکور على محذوف تقديره: أكرم فلاناً لو أحسن ولو أساء، إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه إن أساء، على أن إكرامه إن أحسن بطريق الأولى، والافتداء بملء الأرض ذهباً هو جدير بالقبول، فإن لم يقل فبطريق الأولى ألا يقبل الافتداء بأقل من ذلك، وهذا من دقائق النكت، وأسرار لغتنا، التي لاتقف عند مدى.

﴿لَن نَّأْلُوا الْإِبْرَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْهُ عَلَيْهِمُ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾

☆ اللفظة:

﴿حَلَالٌ﴾ الحِلُّ: بكسر الحاء مصدر حلَّ، يقال: حل الشيء حلالاً وحلالاً. ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

○ الإعراب:

﴿لَن نَّأْلُوا الْإِبْرَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: كلام مستأنف، مسوق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفار ولا يقبل منهم، ولن

حرف نفي ونصب واستقبال، وتنالوا فعل مضارع منصوب بـلن، وعلامة نصبه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والبر مفعول به، وحتى حرف غاية وجر، وتنفقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى، والواو فاعل، ومما جار ومجرور متعلقان بتنفقوا، وجملة تحبون لا محل لها لأنها صلة ما الموصولية. واعلم أن هذه الآية وردت منظومة من غير قصد، فلا تعد شعراً، لأن الشعر عند العروضيين هو المنظوم بقصد، وهذه الآية بيت كامل من مجزوء الرَّمَل، ويأتي على الشكل التالي:

لن تنالوا البرَّ حتَّى تنفقوا ممَّا تحبُّون

وسيرد الكثير من الآيات الموزونة بغير قصد الشعر.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا، وتنفقوا فعل الشرط مجزوم، والواو فاعل، ومن شيء جار ومجرور متعلقان بتنفقوا، فإن الفاء رابطة لجواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له، وقد وقعت موقعه، والتقدير: فيجازيكم بحسبه ومقداره فإنه عليم بكل شيء، وإن واسمها، وعليم خبرها، وبه: جار ومجرور متعلقان بعليم ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ﴾ كلام مستأنف مسوق لتفنيد تحرصات اليهود إذ قالوا للنبي ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل ولا ألبانها، وأنت تأكل ذلك وتشربه، فلست على ملته. وكل مبتدأ، وجملة كان حلاًّ خبره، وكان فعل ماضٍ، واسمها هو، وحلاًّ خبرها، ولبنى إسرائيل جار ومجرور متعلقان بقوله «حلاًّ» وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف، والمانع له العلمية والعجمة ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ إلا أداة استثناء، وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من اسم كان المستتر، وجملة حرم لا محل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول، وإسرائيل فاعل، وعلى نفسه جار ومجرور متعلقان بحرم،

والمراد بإسرائيل يعقوب، وجملة الاستثناء حالية ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾^{٩٢} اختلف العربون في تعليق من قبل، والظاهر أنه متعلق بـ: حلاً لمناسبة المعنى، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لقبل، والتوراة نائب فاعل ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^{٩٣} الجملة مستأنفة، مسوقة لقطع الطريق على جوابهم، والفاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن شرط مقدر، أي: إذا كنتم واثقين من أقوالكم وأصررتم عليها، فأتوا بالتوراة، وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وبالتوراة متعلقان بأتوا، والجملة مقول القول، فاتلوها الفاء عاطفة، واتلوها فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، وصادقين خبرها، جواب الشرط محذوف دل عليه ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ﴾^{٩٣} ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^{٩٤} جملة مستأنفة، مسوقة لوصف المفتريين بالظالمين، والفاء استئنافية، ومن اسم شرط غير جازم في محل رفع مبتدأ، وافترى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر يعود على «من»، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى، والكذب مفعول به ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾^{٩٥} الجار والمجرور متعلقان بافترى، أو بمحذوف حال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^{٩٦} الفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، والظالمون خبر «هم» والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة، وهم ضمير فصل، والظالمون خبر أولئك، وجملة الإشارة وما بعدها في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر «من».

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^{٩٧} إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

☆ اللغة:

(بكة) لغة في مكة، وسميت مكة لأنها قليلة الماء، تقول العرب: مك الفصيل ضرع أمه وأمكه، إذا امتص ما فيه من اللبن. وفي القاموس ما يدل على أنها سميت بذلك لأنها تمك الذنوب، أي: تمحوها وتزيلها. أما بكة فقد سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي: تذلمهم وتهلكهم. وقيل: من بكه إذا زحمه، سميت بذلك لازدحام الناس فيها. قال:

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّهْ فَخَلَّهْ حَتَّى يَبُكَ بَكَّهْ

هذا، وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأم رحيم، وأم القرى، وصلاح، والعرش، والقدس، لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والناسة بالنون، وبالباء أيضاً، والحاطمة، والرأس، وكوئاء، والبلدة، والبنية، والكعبة.

○ الإعراب:

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ كلام مستأنف، مسوق للتعريض بكذبهم، أي: ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون. وقل فعل أمر مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وصدق الله فعل ماض وفاعل، والجملة في محل نصب مقول القول، فاتبعوا: الفاء هي الفصيحة، أي: إذا أردتم النجاة بعد أن ثبت لكم ذلك على الوجه الأكمل فاتبعوا، واتبعوا فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، وملة مفعول به، وإبراهيم مضاف إليه، وحنيفاً حال ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الواو حالية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على إبراهيم، ومن المشركين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للدلالة على أن أول مسجد وضع للناس هو المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وأول من بناه

إبراهيم عليه السلام، وإن واسمها، وبيت مضاف إليه، ووضع فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، وللناس جار ومجرور متعلقان بوضع، والجملة صفة لبيت، وللذي اللام المفتوحة هي المرحلة، والذي اسم الموصول في محل رفع خبر إن، وبيكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له، لأنه صلة الموصول ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ مباركاً حال من اسم الموصول، أو من الضمير المستكن في متعلق الجار والمجرور، وهدي عطف على مباركاً، وللعالمين جار ومجرور متعلقان بهدي، أي: هادياً لهم ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، وآيات مبتدأ مؤخر، وبينات صفة لآيات، والجملة مستأنفة لبيان بركته وهده، ومقام مبتدأ خبره محذوف، أي: منها مقام إبراهيم، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أحدها، أي: أحد تلك الآيات البيّنات مقام إبراهيم، والجملة استئنافية.

وسترى في باب: الفوائد مناقشة طريفة، وما أوردناه هو الأولى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ الواو استئنافية، ومن شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويجوز أن تكون موصولة، ودخله فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل هو، والهاء مفعول به على السعة، أو منصوب بنزع الخافض، وقد تقدم إعرابه، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم جواب الشرط، واسمه هو، وآمناً خبر كان، وفعل الشرط وجوابه خبر من الشرطية والموصولة ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لفرض الحج، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعلى الناس جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الخبر وهو «الله»، وحج مبتدأ مؤخر، والبيت مضاف إليه، ومن اسم موصول في محل جر بدل من الناس بدل بعض من كل، أو اشتمال، والضمير محذوف، أي: منهم، وأعربها بعضهم فاعلاً بـ «حج»، وفيه نظر يأتيك تفصيله الممتع في باب: الفوائد، وجملة استطاع صلة الموصول، وإليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل

صفة لسبباً، فلما تقدمت عليه أعربت حالاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ أو اسم موصول، وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله هو، والفاء تعليل لجواب الشرط المقدر، أي: فلن يضر الله فإن الله عنه غني، وعلى كل حال، فالجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول، وفعل الشرط وجوابه خبر، وإن حرف مشبه بالفعل، والله اسمها، وغني خبرها، وعن العالمين جار ومجرور متعلقان بغني.

* الفوائد:

(١) للنحاة كلام طويل اشتجر فيه الخلاف بينهم، وشايعهم المفسرون فهاموا في كل واد، حتى كاد يفوتهم المراد، ولو أنهم جنحوا إلى السهولة لاختاروا الوجه الذي اخترناه فأراحوا واستراحوا، ولكنهم خاضوا في القول، واستغلوا طاقاتهم النحوية القوية، فأتوا في مناقشتهم بالمتع المطرب، وسنعرض لك هنا خلاصة عن تلك المناقشات؛ لتكون تسجيلاً تاريخياً لاشتجار الآراء، وشاهداً لموضوعية الفكر.

قال الزمخشري: مقام: عطف بيان من آيات، ورد عليه النحاة فقالوا: إنه خرق لإجماع النحاة؛ الذين قرروا أن النكرة لا تبين بالمعرفة، وجمع المؤنث السالم لا يبين بالمفرد المذكر. وقالوا: لا يجوز أن يكون بدلاً من آيات؛ لأنهم نصوا على أن المبدل منه إذا كان متعدداً، وكان البديل غير واف بالعدة تعين القطع. ورد عليهم أنصار الزمخشري بأنه - أي: الزمخشري - كان مجتهداً، فلا يبالي بمخالفة الإجماع.

وابن جني أجاز خرق الإجماع:

وقال ابن جني: إنه يجوز خرق الإجماع في الفنون الأدبية.

ما يقوله جلال الدين السيوطي:

وقال الجلال السيوطي في حاشيته على البيضاوي ما نصه: قوله: مبتدأ

محذوف خبره، أي: أحد الوجوه في مقام، قال الشهاب الحلبي: وهو المختار. وقال الزمخشري: هو عطف بيان، ورد عليه بأن «آيات» نكرة و«مقام إبراهيم» معرفة ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البصريين والكوفيين. وقال الصفاقسي: يحتمل أن يكون الزمخشري أطلق عطف البيان، وأراد به البدل كالجماعة تسمحاً، وكذلك قال ابن هشام في «المغني»: قد يكون عبر عن البدل بعطف البيان لتأخيها. ويؤيده قوله في ﴿أَسْكَنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أن «من وجدكم» عطف بيان لقوله: ﴿حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ وهذا سيبويه - إمام الصنعة - يسمي التوكيد صفة، وإنما نقلنا هذا الكلام - وهو غيض من فيض - للاستمتاع وترويض الذهن، وقد أغنانا إعراب «مقام» مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف عن كل هذا التطويل.

(٢) المناقشة الثانية في «من استطاع»:

ما ارتأيناه من إعراب «من» بدلاً من «الناس» هو المختار، وقال بعض النحاة: «من» فاعل حج؛ لأنه مصدر يعمل عمل فعله، والمصدر مضاف إلى مفعوله. ورد النحاة عليه بأنه يجب على الناس أن يحج مستطيعهم، وذلك باطل. وأجاب التاج السبكي عن ابن السيد، فقال: ولا مانع من أن يكون في الحج شيئان: فرض كفاية على كل الناس أن يحج مستطيعهم، فإن لم يحج أثم الخلق كلهم، وفرض عين على المستطيع. ولا حاجة إلى كل هذا التكلف، والأخذ والرد، وذلك بإعراب «من» بدلاً من الناس، فتأمل والله يرشدك.

هذا وقد أعرب الكسائي «من» شرطية في محل رفع مبتدأ، وجوابها محذوف، والتقدير: من استطاع فليحج، أو فعله أن يباشر الحج بنفسه.

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٨ ﴿قُلْ

يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

☆ اللغة:

(العوج) بكسر العين وفتحها، معروف، ولكن العرب فرقوا بينهما جرياً على سلاتقهم في التصرف بهذه اللغة الشريفة، فخصوا المكسور بالمعاني، والمفتوح بالأعيان. تقول: في كلامه عوج - بالكسر - وفي الجدار عَوَج - بالفتح -.

○ الإعراب:

﴿ قُلْ يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للإنكار على الذين يكفرون بآيات الله. وقل فعل أمر، وفاعله أنت، ويا حرف نداء للمتوسط، وأهل الكتاب منادى مضاف، ولم اللام حرف جر، وما اسم استفهام إنكاري في محل جر باللام، وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها، والجار والمجرور متعلقان بتكفرون وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون أيضاً، وجملة النداء استئنافية ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ الواو حالية، والله مبتدأ، وشهيد خبر، والجار والمجرور متعلقان بشهيد، وجملة تعملون صلة، وجملة والله شهيد حالية ﴿ قُلْ يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كلام مستأنف لتأكيد الإنكار والتوبيخ، وقد تقدم إعراب مثلها ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ من اسم موصول مفعول به لتصدون، وجملة آمن لا محل لها لأنها صلة «من» ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ الجملة حالية، وتبغونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وعوجاً حال وقع فيها المصدر موضع الاسم المشتق، أي: معوجة، وفي هذا الإعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج، على طريق المبالغة في مثل رجل صوم، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم. وقيل: الهاء في تبغونها ضمير منصوب بنزع الخافض. وعبرة ابن جرير الطبري: ومعنى قوله

﴿ تَبْعُونَهَا عِوَجًا ﴾: تبغون لها عوجاً، وعليه قول سحيم عبد بني الحسحاس:
بَغَاكَ وَمَا تَبْغِيهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ أَوْعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدَا

يعني: طلبك وما تطلبه، يقال: ابغني كذا، يراد: ابتغ لي، فإذا أرادوا:
أعني على طلبه، وابتغه معي، قالوا: أبغني بفتح الهمزة، وهو قول سليم.
﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ
وشهداء خبر والجملة الاسمية حالية ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ الواو للحال
أيضاً، وما نافية حجازية، والله اسمها المرفوع، والباء حرف جر زائد،
وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر «ما»، وعما جار ومجرور متعلقان
بغافل، وجملة تعملون صلة ما الموصولية.

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ۖ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾

○ الإعراب:

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ كلام مستأنف،
مسوق لإيراد خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية التي يتميزون بها،
ويا حرف نداء للمنادى المتوسط، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم
في محل نصب، والهاء للتنبيه، والذين بدل، وجملة آمنوا صلة الموصول، وإن
شرطية، وتطيعوا فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال
الخمسة، والواو فاعل، وفريقاً مفعول به، ومن الذين جار ومجرور متعلقان
بمحذوف صفة لقوله فريقاً، وجملة أوتوا الكتاب صلة، والكتاب مفعول به
ثان لأوتوا المبني للمجهول ﴿ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴾ يردوكم جواب الشرط
مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل،
والكاف مفعول به أول ليردوكم، وبعد إيمانكم ظرف متعلق بكافرين،

وكافرين مفعول به ثان ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتوجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر عن طريق المبالغة، وكيف اسم استفهام إنكاري مبني على الفتح في محل نصب على الحال، وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وأنتم الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وتلى فعل مضارع مبني للمجهول، والجملة خبر، وعليكم جار ومجرور متعلقان بتلى، وآيات الله نائب فاعل ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ الواو حالية أو عاطفة، وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ورسوله مبتدأ مؤخر ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويعتصم فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، وبالله جار ومجرور متعلقان بيعتصم، فقد: الفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، وهدي فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو، وإلى صراط جار ومجرور متعلقان بهدي، ومستقيم صفة، وجملة فقد هدي في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من.

* الفوائد:

لمحة تاريخية:

لليهود أصالة راسخة في إحداث التفرقة بين الأمم والشعوب ليضمّنوا لأنفسهم السيادة والاستعلاء المزعومين، وهي خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية التي يتميزون بها، ويشتدون في الدعاية لها. وفي معرض نزول هذه الآية يروي التاريخ أن شأساً بن قيس اليهودي، وكان شيخاً طاعناً في السن، ممعناً في اللجاجة واللدد، يكره المسلمين، ويتربص بهم الدوائر للإيقاع بهم وتفريق شملهم الملتئم، مرّ شأس هذا بنفر من الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية. فقال: والله مالنا معهم إذا اجتمعوا من قرار. فأمر شاباً من اليهود وكان معه فقال له:

اعمد إليهم، واجلس معهم، وذكّرهم يوم بُعث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا يتناشدونه من أشعار تستهدف إثارة الحفاظ (وَبُعث بضم الباء، وهو: يوم مشهور اقتتل فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس) ففعل الشاب اليهودي ما أمره به شأس، فتنازع عند ذلك القوم، وانبعثت أسباب الخصام من جديد، وتفاخروا، وتغاضبوا، وتبادلوا الشتائم، وتنادوا: السلاح السلاح، وكادوا يمتشقون السيوف، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار، فقال: «يا معشر المسلمين! أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع عنكم إصر الجاهلية، وألف بين قلوبكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين. فما كان يوم أقبح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٠﴾
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ
فَانْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١١﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ الاعتصام: الالتجاء والتمسك، وأنا معتصم بفلان، ومستعصم به، ومعتصم بحبله، ونحن في عصمة الله، وكل ما عصم به الشيء أي: - حفظ وصين - فهو عصام. وللعين والصاد - إذا كانتا فاءً وعيناً للكلمة - خصائص لغوية رائعة، فهما تدلان على الشدة والمنعة وما هو بمعناها من الحفظ والتأبي، فيقال: فلان لا تعصب سلماته، أي: لا يقهر، قال الكميت بن زيد:

ولا سمراتي يبتغيهن عاصِد ولا سَلَمَاتي في بَجيلة تُعَصَّب

وفلان معصوب الخلق: مطويه مكتنز اللحم. وكانوا إذا سودوا إنساناً عصبوه. وهذا يوم عصيب وعصبصب، أي: شديد. وفلان يتعصب لقومه. وعصر معروف، ولا بد من استعمال شدة في العصر، وهذا أمر قد تعصرت الشبيبة به وبلغت الأشد عليه. والمعصرات: السحب التي تمطر الماء. وعصفت الريح، فهي عاصف ومعصفة، وهي أشد، وعصف بهم الدهر: أودى بهم وأبادهم، قال عدي بن زيد:

ثم أضحوا عصفَ الدهر بهم وكذلك الدهر حالاً بعد حال

وجعلهم كعصف مأكول معروف، ويقال للجائع: صاحت عصفير بطنه، وهو تعبير عامي فصيح، أي: صوّت بشدة. وسمي العصفور لأنه لا ينفك عن الزقزقة. ووهب النعمان للنابعة مئة من عصفيره، وهي نجائب كانت له، انتهت في يوم دارة مأسل، قال ذو الرمة:

نجائب من ضرب العَصافير ضربها أخذنا أباهَا يوم دارة مأسل

ولو شئنا الاستقصاء لأسمعناك العجب العجائب، فحسبنا ما تقدم.

﴿شَفَا﴾ الشفا: طرف الحفرة، بالتذكير والتأنيث. وسيأتي المزيد من الكلام عنها في باب: الفوائد.

○ الإعراب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لما فيه تكميل المؤمنين لأنفسهم، وقد تقدم إعراب النداء، فجدد به عهداً. واتقوا فعل أمر، والواو فاعل، والله مفعول به، وحق تقاته مفعول مطلق، والإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، والأصل التقاة الحق، والتقاة مصدر تقدم تحقيقها ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، وتموتن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير

متصل في محل رفع فاعل، والنون المشددة للتوكيد ولا محل لها، وإلا أداة حصر، والواو حالية، وأنتم مبتدأ، ومسلمون خبر، والجملة الاسمية نصب على الحال ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الواو عاطفة، واعتصموا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وبحبل الله جار ومجرور متعلقان باعتصموا، وجميعاً حال، ولا ناهية، وتفرقوا فعل مضارع حذف إحدى تاءيه جوازاً، وأصله تتفرقوا مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الواو حرف عطف، واذكروا فعل أمر معطوف على اعتصموا، ونعمة الله مفعول به، وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا، وجملة كنتم في محل جر بالإضافة إليها، وكنتم فعل ماض ناقص واسمها، وأعداء خبرها، والفاء عاطفة، وألف فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، وبين ظرف متعلق بألف، وقلوبكم مضاف إليه ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ الفاء عاطفة، وأصبحتم فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، وبنعمته جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وإخواناً خبر أصبحتم ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ عطف على ما تقدم، وكان واسمها، وعلى شفا حفرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، ومن النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحفرة، فأنقذكم عطف على كنتم، ومنها جار ومجرور متعلقان بأنقذكم ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال، وقد تقدم كثيراً، ويبين الله فعل مضارع وفاعل، وآياته مفعول به، والجملة مستأنفة، ولعل واسمها، وجملة تهتدون خبرها، وجملة الرجاء حالية.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التمثيلية في الاعتصام بحبل الله، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال من يمسك بحبل وثيق، وقد تدلى من مكان عال، فهو آمن من انقطاعه وانباته. وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم، لقول

النبي ﷺ: «القرآن حبل الله المتين، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد. من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم».

(٢) الطباقي بين أعداء وإخوان.

* الفوائد:

(١) الشفا في الأصل مذكر، وقد عاد الضمير عليه في الآية مؤنثاً؛ لأنه اكتسب التأنيث بإضافته إلى الحفرة. والقاعدة المطردة هي أن المضاف المذكر قد يكتسب من المضاف إليه المؤنث تأنيثه وبالعكس، وشرط ذلك في الصورتين صلاحية المضاف للاستغناء عنه بالمضاف إليه مع صحة المعنى. فمن الأول قول الأغلب:

طولُ الليالي أسرعُ في نقضي نقضن كُلِّي ونقضن بعضي

فأثَّ «أسرعت» مع أنه خبر عن مذكر، إلا أنه اكتسب التأنيث من «الليالي». وعليه يفسر قول مجنون ليل:

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي ولكنْ حُبٌّ مَن سَكَنَ الدِّيارِ

ومن التصوير الثاني قول الآخر:

إنارةُ العقلِ مكسوفٌ بطوعِ هوى

وعقلُ عاصيِ الهوى يزدادُ تنويراً

فذكر «مكسوف» مع أنه خبر عن مؤنث وهو «إنارة»؛ لأنها اكتسبت التذكير من إضافتها إلى العقل، وهذا باب هام، فتأمل.

(٢) (أصبح) تستعمل لاتصاف الموصوف بصفة وقت الصباح، وتستعمل بمعنى صار، فلا يلحظ فيها وقت الصباح، بل مطلق الانتقال والضرورة من حال إلى حال، قال الربيع بن ضبع:

أصبحتُ لا أحملُ السِّلَاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفرا

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ كلام معطوف على ما قبله من عطف
الخاص على العام مسوق لبيان رأس الخيرات . والواو حرف عطف، ولك أن
تجعلها استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما تقدم، واللام لام الأمر،
وهي تسكن بعد الواو والفاء وثم، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلام
الأمر، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لتكن، وأمة اسمها
المؤخر، وجملة يدعون إلى الخير في محل رفع صفة لأمة، ويجوز أن تكون جملة
يدعون هي الخبر، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة تقدمت على
الموصوف فأعربت حالاً، وإلى الخير جار ومجرور متعلقان بيدعون ﴿وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الجملتان معطوفتان على جملة يدعون إلى الخير
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾
الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، والواو
اسمها، وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، ولك أن تجعل
الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر، والذين اسم موصول في محل جر
بالإضافة، وجملة تفرقوا صلة الموصول ﴿وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾
الواو عاطفة واختلفوا عطف على تفرقوا ومن بعد جار ومجرور متعلقان
باختلفوا، وما مصدرية مؤولة مع جاءهم البيئات بمصدر مضاف لبعده،
والهاء مفعول به مقدم، والبيئات فاعل مؤخر ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
الواو استئنافية، أو عاطفة، واسم الإشارة مبتدأ، ولهم جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة، والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة.

□ البلاغة:

(١) في الآية عطف الخاص، وهو باب دقيق المسلك يبدو كأخذه السحر، فهو يؤذن بمزيد العناية بالخاص، وتفصيل ذلك أن الدعوة إلى الخير عامة، وإردافها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤذن باختصاصهما بمزيد من العناية، وإظهار فضلها على سواهما من الخيرات.

(٢) المقابلة: فقد طابق بين الأمر والنهي وبين المعروف والمنكر.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾

○ الإعراب:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، فتكون الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال الفريقين. وجملة تبيض وجوه في محل جر بإضافة الظرف إليها. ووجوه فاعل، وتسود وجوه عطف على تبيض وجوه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الفاء للتفريع، وفيها معنى الاستئناف، فتكون الجملة مستأنفة، وأما حرف شرط وتفصيل، والذين اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة اسودت وجوههم صلة ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ الجملة مقول قول محذوف مع الفاء الرابطة لجواب أما، أي: فيقال لهم: أكفرتم، وجملة «فيقال» خبر الذين، وهي جواب «أما» وشرط «أما» لا يذكر صريحاً بل التزموا حذفه، ويظهر عند حل المعنى والتعبير بما نابت عنه «أما» وهو مهما، والتقدير: مهما يكن من شيء فأما الذين اسودت يقال لهم كذا، فاحفظه

وقس عليه، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وكفرتم فعل وفاعل، وبعد ظرف متعلق بكفرتم، وإيمانكم مضاف إليه ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عما هو مقدر، أي: إذا عرفتم ذلك فذوقوا العذاب، وبما جار ومجرور متعلقان بذوقوا، وما مصدرية وهي مع مدخولها في محل جر بالباء، أي: بسبب كفركم، وجملة تكفرون في محل نصب خبر كنتم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اتَّبَعَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ تقدم إعرابها ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الفاء رابطة لجواب أما، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر الذين، وهم مبتدأ، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدون، وخالدون خبرهم، وجملة هم فيها خالدون حالية.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فن التدبيج، وهو فن دقيق المسلك، حلو المأخذ، رشيق الدلالة، وحده أن يذكر الشاعر أو الناثر لونين أو أكثر، يقصد بذلك الكناية أو التورية عما يريد من أغراض، وقد لا يقصد غير الوصف. فالبياض والسواد لونان متضادان، والتضاد يعني التطابق، ولكنه كنى بهما عن فريقين من الناس، فمن كان من أهل الحق وسم ببياض اللون ونصاعته، ومن كان من أهل الباطل وسم بسواد الليل وحلكتة، ولا يخفى ما في ذلك من التهويل، وتباين المصير المحتوم لكل من الفريقين. ومن طريف التدبيج في الشعر وما ينطوي عليه من كناية قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي شهيد الجهاد:

تردَّى ثياب الموتِ حمراً دجا لها الليلُ إلا وهي من سُندسٍ خضرُ

والتدبيج تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين، وأصل الديباج فارسي معرب. ومن طريفه قول صفى الدين الحلبي:

بيضُ صنائعنا سودُ وقائعنا خضرُ مرابعنا حمزُ مواضينا

(٢) الاستعارة في «ذوق للعذاب» فقد شبهه بالمرء مما يؤكل، وثم حذف

المشبه به ، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الذوق . ولا يخفى ما فيه من الشعور بالمرارة ؛ وذلك على طريق الاستعارة التبعية المكنية .

(٣) المجاز المرسل في «رحمة الله» والعلاقة فيه الحالية ؛ لأن الرحمة لا يحل فيها الإنسان ، وإنما يحل في مكانها ، وهو الجنة .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

○ الإعراب:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ كلام مستأنف ، مسوق لبيان ما اشتمل على نعيم الأبرار وعذاب الكفار . واسم الإشارة مبتدأ ، وآيات الله خبره ، وجملة نتلوها عليك حالية ، أي : متلبسة بالحق ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أيضاً ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ الواو استئنافية ، وما نافية حجازية ، والله اسمها ، وجملة يريد في محل نصب خبرها ، وظلماً مفعول به ، وللعالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ «ظلماً» ، والعالمين مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الواو استئنافية ، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة للموصول لا محل له من الإعراب ، وما في الأرض عطف على «ما في السموات» ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ الواو حرف عطف ، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجع ، وترجع فعل مضارع مبني للمجهول ، والأمور نائب فاعل .

□ البلاغة:

(التكرير) في هذه الآية فن التكرير . وقد اختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ظاهراً ، وقد

تقدم اسمه ظاهراً في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فقال بعض البصريين: ذلك نظير قول العرب: وأما زيد فذهب زيد، وكما قال الشاعر:

ألا لأرى الموتَ يسبق الموتَ شيء نغص الموتُ ذا الغنى والفقير

فأظهر في موضع الإضمار. وقال بعض نحويي الكوفة: ليس ذلك نظير هذا البيت؛ لأن موضع الموت في البيت موضع كناية، أي: ضمير، وليس ذلك كذلك في الآية؛ لأن قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خبر، ليس من قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في شيء، وذلك أن كل واحد من القصتين مفارق معناها معنى الأخرى، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها، غير محتاجة إلى الأخرى، وما قال الشاعر: لا أرى الموت، محتاج إلى تمام الخبر عنه. وهذا القول الثاني عندنا أولى بالأرجحية؛ لأن كتاب الله عز وجل لا توجه معانيه، وما فيه من البيان إلى الشواذ من الكلام والمعاني، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني وجه صحيح موجود.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْأَكْثَرِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ولتشبث المؤمنين على ما هم عليه من الجنوح إلى الخير والصدوف عن المنكر، وكان واسمها، وخير أمة خبرها وقيل: كان تامة، أي: وجدتم وخلقتم خير أمة، والأول أرجح، وأخرجت فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، وللناس جار ومجرور متعلقان بأخرجت، والجملة في محل نصب خبر ثان لكنتم، وقيل: نصب على الحال، وقيل: نعت لأمة، والأوجه متساوية الرجحان

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الجملة خبر ثالث لكتنم، أو نصب على الحال، واختار الزمخشري أن تكون مستأنفة مبينة كونهم خير أمة، كما تقول: زيد كريم يطعم الناس، ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم، وأرى أنها مفسرة لا محل لها، وتأمررون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بتأمررون، ومثلها وتنهون عن المنكر ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الجملة معطوفة ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتكون جواباً عن سؤال فحواه: كيف قال ذلك مع أن غير الإيمان لا خير فيه حتى يقال: إن الإيمان خير منه؟ ولو شرطية، وآمن فعل ماض مبني على الفتح، وأهل الكتاب فاعل، واللام واقعة في جواب لو، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المصدر، وهو الإيمان المدلول عليه بفعله، وخيراً خبر كان، ولهم جار ومجرور متعلقان بـ «خيراً»، والجملة واقعة في جواب الشرط ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عما ينشأ من لو الشرطية الدالة على انتفاء الإيمان، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمؤمنون مبتدأ مؤخر، وأكثرهم مبتدأ، والفاسقون خبره.

□ البلاغة:

(المقابلة) في الآية فن المقابلة، فقد تعدد الطباق بين تأمررون وتنهون، وبين المعروف والمنكر، وبين «المؤمنون» و«الفاسقون»، وقد تقدم الكلام عن المقابلة.

﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىٌ وَإِنْ يُفْتَلِكُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الَّذِينَ يَبْتَغِي حَقَّ دَمِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١١﴾

☆ اللغة:

﴿تُقْفَوْا﴾ تقدم معناها فيما سبق، وهي هنا بمعنى أدركوا، وغلبوا، ودلوا. ومن أقوالهم: طلبناه فثقفناه في مكان كذا، أي: أدركناه. وثقفت العلم في أوحى مدة إذا أسرع في أخذه. وكان أبو تمام ثقفاً لثقفاً. ﴿وَبَاءُوْا﴾: رجعوا.

○ الإعراب:

﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أن ضررهم منقطع يقع في فترات لا يؤبه لها. ولن حرف نفى ونصب واستقبال، ويضروكم فعل مضارع منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، والكاف مفعول به، وإلا أداة حصر، وأذى مفعول مطلق، أي: ضرراً مقتصراً على أذى مؤقت لا يلبث أن يزول فالاستثناء مفرغ، وقيل: الاستثناء هنا منقطع، وعليه اقتصر ابن جرير الطبري، قال: وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو مخالف معنى ما قبله، كما قيل: ما اشتكى شيئاً إلا خيراً، وهذه الكلمة محكية عن العرب سماعاً ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ الْأَدْبَارُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويقاتلوكم فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به أول، والأدبار مفعول ثانٍ ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وقد أتت هنا لمجرد الاستئناف، ولا نافية، وينصرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو نائب فاعل، وسيأتي في باب: البلاغة سر العدول عن العطف على الفعل المجزوم، كما يقتضيه سياق الكلام، كأنه قال: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ضرب الذلة على اليهود، وضربت فعل ماضٍ مبني للمجهول، التاء للتأنيث، وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت، والذلة نائب فاعل، وأينما اسم شرط جازم، منصوب على

الظرفية المكانية، متعلق بضربت، وثقفوا فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، والواو نائب فاعل، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فقد ضربت عليهم ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ﴾ إلا أداة استثناء، والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من أعم الأحوال فيكون مستثنى بمعنى الحال، أي: ضربت عليهم الذلة في أعم أحوالهم إلا في هذه الحالة، وهي اعتصامهم بحبل من الله، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وعلى هذا فهو استثناء متصل، وقال آخرون: هو منقطع. وسيأتي مزيد بيان لهذا الإعراب في باب: الفوائد ﴿وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ﴾ عطف على قوله بحبل من الله ﴿وَبَاءُ وَيَغْضِبِ مِّنْ اللَّهِ﴾ الواو حرف عطف، وباءوا فعل ماض معطوف، والواو فاعل، والجملة عطف على جملة ضربت، وبغضب جار ومجرور متعلقان بباءوا، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ عطف على ما تقدم، وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت، والمسكنة نائب فاعل ضربت، وكرر الجملة تأكيداً للذلة المضروبة على اليهود ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب ضرب الذلة والمسكنة على اليهود، واسم الإشارة مبتدأ، والإشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة وغضب الله، وبأنهم الباء حرف جر، وأن واسمها، والمصدر المؤول من أن، وما في حيزها في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر اسم الإشارة، وكان واسمها، والجملة خبر «أنهم»، وجملة يكفرون في محل نصب خبر كانوا، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكفرون ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ عطف على ما تقدم، والأنبياء مفعول به، وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان تعليل العلة، فعصيانهم سبب لكفرهم وقتلهم الأنبياء، وهما سبب الذلة والمسكنة والغضب، واسم الإشارة مبتدأ والباء حرف جر، وما مصدرية، أي: بسبب عصيانهم، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر «ذلك»، وكان واسمها، وجملة يعتدون خبرها.

□ البلاغة:

اشتملت هاتان الآيتان على ضروب من البلاغة بلغت أسمى حدود الإعجاز، ولئن أسهب علماء البلاغة، عليهم رضوان الله، في إظهار أسرارها، وسبر أغوارها، واكتناه نخباتها، فقد أتيح لنا أن نشهد بأم أعينا مصير فلسطين بسبب اليهود، وبسبب ما نالوه من نجاح خالب مؤقت، وسنوجز القول فيما قاله علماء البلاغة أولاً، ثم نعقب عليه بما استنتجناه بأنفسنا، وحسنا به من مآل اليهود الذي لا بد منه.

(١) في الآية الأولى فن يقال له: «فن الإيضاح»، وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه، والإشكال الذي يحله الإيضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي إعرابها، فإن في ظاهر هذه الآية إشكالين أحدهما من جهة الإعراب والآخر من جهة المعنى. فأما الذي من جهة الإعراب فعطف ما ليس بمجزوم على المجزوم، والذي من جهة المعنى أن صدر الآية يغني عن فاصلتها؛ لأن توليهم عند المقاتلة دليل على الخذلان، والخذلان والنصر لا يجتمعان، والجواب أن الله سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا إن قاتلهم انهزم، ثم أراد تكميل العدة بإخبارهم أنه مع توليه الآن لا ينصر أبداً في الاستقبال، فهو مخذول أبداً ما قاتلهم.

ولو وقع الاقتصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد، لأنه لا يعطي قوله: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ أَلَدَبَارٌ﴾ أنهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك فإن قولك: «إذا جاء زيد أكرمته» لا يلزم منه متى جاء على الدوام والاستمرار كان عليك الإكرام، وإنما يعطي أنه إن جاءك أكرمته لتلك الجيئة، ولعلمه سبحانه أن الاقتصار على ما هو دون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد، والمقصود ديمومتها، قال: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ومنع الفعل الجزم، وإن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذي وضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال، ونوى في الفعل الاستئناف

لا العطف على ما تقدم، والله سبحانه يريد إدخال الطمأنينة في روع المؤمنين الذين تعاهدوا على الموت؛ لأن الاستشهاد في معمعان الوغى وصحصحان الجهاد هو مستهل حياة قشبية جديدة هي حياة المجد والخلود، على حد قول الشاعر:

إن تسلّ أين قبورُ العظما فعلى الأفواه أو في الأنفس

نقول: أراد الله سبحانه أن يؤكد للمؤمنين المجاهدين أن النصر سيكون حليفهم، فأعقب الكلام الذي تم بجملة توضيح اليقين، وهي قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ليفيد الديمومة والاستمرار في الجهاد، وعدم الاستسلام للعدو، وببشرهم بأن عدوهم مخذول أبداً، وأن عليهم أن يباشروا قتاله في كل وقت، وأن لا يهنوا إذا خيل إليهم أن عدوهم قد ظهر عليهم، فلا بُدَّ له أن يخذل في مستقبل الأيام، فإن تاريخ الأمة لا يحسب بحساب الزمن، ولا يعد بالسنين القليلة وإن حياة الأمم والشعوب ليست كحياة الأفراد.

والإشكال الثاني أنه عطف الفعل المضارع المرفوع على المضارع المجزوم، وهو يبدو للوهلة الأولى أو لأصحاب النظر السطحي المجرد أنه خلاف الأولى، ولكنه عدل عن الجزم إلى الرفع ليعلم أن عدم النصر لهم هو عهد قطعه الله على نفسه، ومن أصدق من الله حديثاً أو عهداً، وإن انتفاء النصر عنهم مستمر إلى الأبد، ولا عبرة في الحالات الطارئة، والظروف الاستثنائية المؤقتة؛ التي تسنح لهم في الفترات الطويلة المتعاقبة التي ينتصرون فيها، فعدل عن الجزم الذي يقتضيه سياق الكلام، كأنه قال ثم أخبركم مبشراً بأنهم لا ينصرون في المستقبل أبداً. كما أشرنا إلى ذلك في باب: الإعراب.

(٢) والفتن الثاني في هذه الآية هو: «فن التعليق». وهو أن يتعلق الكلام إلى حين، ولذلك اختير لفظ «ثم» دون حروف العطف، لأنه يدل على المهلة الملائمة لدلالة الفعل المضارع على الاستقبال، كأنه قال: ثم ها هنا ما هو أعلى في الامتتان، وأسمى في مراتب الإحسان، وهو أن هؤلاء اليهود قوم

لا ينصرون البتة مهما واتتهم الإمكانات، ومهما أغدقت عليهم المساعدات.

(٣) والفن الثالث في هذه الآية هو فن المطابقة المعنوية بين نصر المؤمنين وخذلان الكافرين.

(٤) والفن الرابع في هذه الآية هو: «فن الاحتراس»؛ لأن الكلام لو عطف بالواو مثلاً لظن قصار النظر أنهم إنما وعدوا بالنصر في تلك الحالة ليس غير، فدفع هذا الظن بكلمة «ثم» التي تقطع قطعاً لا يرين عليه الشك، بأن النتيجة الحتمية هي النصر المؤزر للمؤمنين، خشية أن يظن بعض الذين لا يحبون المسارعة إلى الموت بأن الوعد بالنصر في تلك الحالة فقط، وأن الحرب قد تكون سجلاً، وأنه قد يأتي دورهم بالنصر، فنفي سبحانه هذا الاحتمال، وقطع على هؤلاء الظانين الطريق لالتماس المعاذير للتخلف عن الجهاد.

(٥) والفن الخامس: هو الإيغال، أي: عدم الوقوف عند تولية الأدبار مع تمام الكلام، فأتى بما يوافق بقية الفواصل مع ما يكمل به المعنى التام.

(٦) ثم جاءت الآية الثانية مكملة للفنون التي تضمنتها الآيتان، وذلك على الوجه التالي:

أ- الكناية التي هي هنا عبارة عن نسبة، وقد تقدم ذكرها، وهي في ضرب الذلة والمسكنة عليهم كما يضرب البيت أو القبة على أهلها، على حد قول أبي الطيب المتنبي:

إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

ب- الاستعارة التمثيلية في تشبيه التمسك بأسباب السلامة بالتمسك بالحبل الوثيق، وقد تدلى من مكان عال، فهو آمن من مغبة السقوط، والخذلان، والارتطام.

فإذا أضفنا إلى ما تقدم من فنون ما تميزت به الآيتان من «حسن الافتتان» و«جمال النسق» و«روعة العبارة» و«نصاعة البيان» تبين لك إلى أي مدى

وصلتا إليه من إعجاز وسمو، تميز بهما كتاب الله العظيم.

* الفوائد:

اختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ فقال بعض نحويي الكوفة وعلى رأسهم الفراء في كتابه «معاني القرآن»: الذي جلب الباء في قوله: بحبل، فعل مضمر قد ترك ذكره. ومعنى الكلام: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا أن يعتصموا بحبل من الله، فأضمر في ذلك. واستشهد الفراء بقول حميد بن ثور الهلالي:

رَأْنِي بِحَبْلِهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رِوَعَاءُ الْفَوَادِ فَرُوقُ

وقال: أراد أقبلت بحبلها. ويقول أبي الطمحان القيني:

حَتَّتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسُبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مَقِيداً أَنِي يَقِيدِ

يريد مقيداً بقيد، فأوجب إعمال فعل محذوف وإظهار صلته وهو متروك، وذلك في مذاهب العربية ضعيف، ومن كلام العرب بعيد. إلى أن يقول: وقال بعض نحويي البصرة: قوله: «إلا بحبل من الله» استثناء خارج من أول الكلام، قال الفراء: وليس ذلك بأشد من قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، وقال آخرون من نحويي الكوفة: هو استثناء متصل، والمعنى: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، أي: بكل مكان إلا بموضع حبل من الله، كما تقول: ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان. وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل، ولو كان متصلاً كما زعم لوجب أن يكون إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة، وليس ذلك صفة اليهود لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس، أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس، فالذلة مضروبة عليهم، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل، فلو كان قوله: «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» استثناء متصلاً لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم، وذلك خلاف ما وصفهم

الله به من صفتهم، وخلاف ما هم به من الصفة، فقد تبين بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً.

تعليق ابن جرير:

وقال أبو جعفر الطبري: ولكن القول عندنا أن الباء في قوله: «إلا بحبل من الله» أدخلت لأن الكلام؛ الذي قبل الاستثناء يقتضي في المعنى الباء، وذلك أن معنى قوله: «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا»: ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا فيه، ثم قال: «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» على غير وجه الاتصال بالأول، ولكنه على الانقطاع عنه، ومعناه: ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس، كما قيل في: ﴿وَمَا كَأَنَّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ ف «خطأ» وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء، فليس قوله باستثناء متصل بالأول، بمعنى إلا خطأ، فإن له قتله كذلك، ولكن قد يقتله خطأ، فكذلك قوله: «أينما ثقفوا إلا بحبل من الله» وإن كان جلب الباء التي بعد إلا الفعل الذي يقتضيها قبل إلا، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله، بمعنى أن القوم إذا لقوا، فالذلة زائلة عنهم، بل الذلة ثابتة بكل حال، ولكن معناه ما بيناه آنفاً.

وقد آن أن ننتهي من هذا البحث الذي طال بعض الطول، ونحمد الله على أنه ألهمنا ما لم يلهم أحداً من قبل. ولعلهم لو امتد بهم العمر إلى أيامنا لأدركوه كما أدركناه، وسبروا غوره كما سبرناه. ولعل من خير حسن الختام أن ننبه إلى خطأ وقع فيه بعض الأئمة من المتقدمين وجل من تنزه عن الخطأ، فقد زعم بعض من لا تحصيل له أن المعطوف على جواب الشرط بـ «ثم» لا يجوز جزمه البتة قال: لأن المعطوف على الجواب جواب، وجواب الشرط يقع على بعده وعقبه، و«ثم» تقتضي التراخي فكيف يتصور وقوعه عقب الشرط؟ فلذلك لم يجزم مع «ثم». وهذا فاسد واضح البطلان، وليس لنا أن نستشهد على بطلانه إلا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ فـ «لا يكونوا» مضارع مجزوم نسقاً على «يستبدل» الواقع جواباً للشرط

والعاطف ثم . وبهذا يكتمل عقد هذا البحث الذي نرّفه إلى العالمين العربي والإسلامي ليستبشروا فالنصر آت ، وزوال هذه الدويلة المسخ وعُدّ تنزلت به الآيات . ونقتبس هذه العبارة للزحشري فهي خير ما يقال : وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً ، كأنه قال : ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها ، وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون ، منتفٍ عنهم النصر والقوة ، لا ينهضون بعدها بنجاح ، ولا يستقيم لهم أمر ، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر . والله الموفق للصواب .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

☆ الفقرة:

(الآناء) الساعات ، واحداً أنى بفتح الهمزة والنون ، بوزن عَصَا ، أو إِنى بكسر الهمزة وفتح النون بوزن مَعَى ، أو أَنى بفتح الهمزة وسكون النون بوزن ظَنِي ، أو إِنى بكسر الهمزة وسكون النون بوزن حَمَل .

○ الإعراب:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت بين أهل الكتاب ، وليس واسمها وخبرها ، والوقف تام على سواء ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان ما أجمله ، ولتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد . وأمثالهم من اليهود الذين أسلموا ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأمة مبتدأ مؤخر ، وقائمة صفة ، واختار الفراء أن تكون أمة

مرفوعة على فاعل سواء، ولا أدري كيف استقام له ذلك مع ما فيه من توهين نظام الجملة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ جملة يتلون صفة ثانية لأمة، والواو فاعل يتلون، وآيات الله مفعوله، وآناء الليل ظرف زمان متعلق يتلون، وهم الواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة يسجدون في محل رفع خبر ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الجملة صفة ثالثة لأمة، والجار والمجرور متعلقان بيؤمنون، واليوم عطف على الله، والآخرة صفة لليوم ﴿وَيَا مَرْسُوكَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ جمل ثلاث معطوفة على جملة يؤمنون بالله ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الواو استئنافية، واسم الإشارة مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر اسم الإشارة ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ الواو استئنافية، وما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليفعلوا، ويفعلوا فعل الشرط مجزوم، والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب على الحال، والفاء رابطة، ولن حرف نصب، ويكفروه فعل مضارع منصوب بلن، والواو نائب فاعل، والهاء مفعول به ثان، وقد نصب فعل كفر مفعولين؛ لأنه تضمن معنى الحرمان والمنع، وجملة «فلن يكفروه» في محل جزم جواب الشرط ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعليهم خبره، والجار والمجرور متعلقان بعليم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثلي ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴿١١٧﴾

☆ اللفظة:

(الصّر) - بكسر الصاد -: الريح الباردة، كالصرصر. قال حاتم الطائي:

أوقد فإنَّ الليلَ ليلٌ قُرُ والريِّحُ يا غلامُ ريحٌ صِرُّ

وسياقي المزيد عنها في باب : البلاغة .

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر خلة من خلال اليهود، وهي حبهم للمال وشراهتهم إليه، ومعاداتهم من أجله، على أن خصوص الحديث يفيد عمومهم، فليس الحديث عن بني قريظة والنضير بمانع من شموله لكل من يجعل ديدنه حب المال والتطويح بكل خلق جميل في سبيله، وإن واسمها، وجملة كفروا صلة، ولن حرف نصب، وتغني فعل مضارع منصوب بلن، وعنهم جار ومجرور متعلقان بتغني، وأموالهم فاعل، ولا أولادهم عطف على «أموالهم»، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل نعت لقوله شيئاً، وتقدم عليه، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، وجملة لن تغني في محل رفع خبر إن ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الواو عاطفة، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، وأصحاب النار خبره، والجملة معطوفة على جملة لن تغني ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هم مبتدأ، فيها جار ومجرور متعلقان بقوله خالدون، وخالدون خبر «هم»، والجملة خبر ثان لأولئك ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل في بيان كيفية عدم إغناء أموالهم؛ التي كانوا يعملون عليها في دفع المضار النازلة بهم، ومثل مبتدأ، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة ينفقون صلة، وفي هذه جار ومجرور متعلقان بينفقون، والحياة بدل من إسم الإشارة، والدنيا صفة للحياة ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مثل، وريح مضاف إليه، وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم مبتدأ مؤخر، والجملة صفة ريح ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ جملة أصابت صفة ثانية لريح، وحرث قوم مفعول به لأصابت، وجملة ظلموا في محل جر صفة لقوم، وأنفسهم مفعول به لظلموا، فأهلكته عطف على أصابت ﴿وَمَا

ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٦﴾ الواو استثنائية، وما نافية، وظلمهم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، ولكن مخففة من الثقيلة مهملة لمجرد الاستدراك، وأنفسهم مفعول به مقدم ليظلمون، ويظلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل.

□ البلاغة:

(١) التشبيه التمثيلي، فقد شبه سبحانه ما أنفقوه في عدم جدواه وقلة غنائه بالحرث الذي عصفت به الرياح الصر، وأصل الكلام: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم، فأصابته ريح فيها صر، ولكن خولف النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة، وهي تقديم ما هو أهم؛ لأن الرياح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث، فقدمت عناية بذكرها، واعتماداً على أن الأذواق والفطر المستقيمة تستطيع ردّ الكلام إلى أصله على أيسر وجه. وقد استدل الفقهاء بهذه الآية على أن صدقة الكفار لا تنفع أصحابها؛ لأن العقيدة هي الأصل، وعليها الاعتماد، وهذا أسمى ما يصل إليه البيان.

(٢) التتميم: وقد تقدم ذكره، وهو أن يأتي المتكلم بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو صفاته، والتتميم هنا في كلمة ﴿فِيهَا صَرْ﴾ فإنها أفادت المبالغة كما أفادت التجسيد والتشخيص، كما تقول: برد بارد، وليلة ليلاء، ويوم أيوم، ثم قيد الصّر بالظرفية؛ لأن الرياح مطلقة ثم قيدها بالظرفية، وكل مقيد ظرف لمطلقه؛ لأن المطلق بعض المقيد، فحصل التجسيد والتشخيص. وهذه من عيون النكت البلاغية، فاحرص عليها، والله يعصمك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا

مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ
الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

☆ اللفظة:

﴿بِطَانَةٍ﴾ بطانة الرجل - بكسر الباء - ووليجه من يطلعه على أسرار ه ثقة به، وارتكاناً على مودته. وهو مشبه ببطانة الثوب، وهي خلاف ظهارته. وفي «مختار الصحاح»: وليجة الرجل: خاصته وبيطانته، ومنه قول الشاعر:

وَهُمْ خُلَصَائِي كُلَّهُمْ وَبِطَانَتِي وَهُمْ عَيْتِي مِنْ دُونِ كُلِّ قَرِيبٍ

﴿يَا لُونُكُمْ﴾ من ألا في الأمر، أي: قصر فيه. ويتعدى إلى مفعولين؛ لأنه يتضمن معنى المنع، يقال: لا آلوك نصحاً، أي: لا أمنعك نصحاً. وقيل: هو لازم لا ينصب مفعولاً. وسيأتي ذلك مفصلاً في باب: الإعراب.

﴿خَبَالًا﴾ الخبال - بفتح الخاء -: الفساد، وأصله ما يلحق الحيوان من مرض وفتور، فيورثه فساداً واضطراباً، يقال: خبله بالتخفيف، وخبله بالتشديد، فهو خابل ومخبّل، وذاك مجنون ومخبّل.

﴿عَنِتُّمُ﴾ العنت - بفتح العين والنون -: شدة الضرر والمشقة.

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتحذير المؤمنين من موالاته اليهود، لما بينهم من أواصر قرابة وصداقة، والمراد إطلاقه، فموالاته المستعمر الأثيم لا تجوز مطلقاً. وقد تقدم إعراب النداء، ولا ناهية، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وبطانة مفعول به، ومن دونكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبطانة، أي: كائنة من غيركم، أو من غير أبناء جنسكم، ويجوز تعليقها بتتخذوا، فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به الثاني لتتخذوا، وعلى الأول مفعول تتخذوا الثاني محذوف إيجازاً، وتقديره: أصفياء أو أولياء ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا﴾ الجملة

مستأنفة، كأنها بمثابة البيان لحال البطانة الكافرة العدو، وقيل: هي صفة ثانية لبطانة، لا نافية، ويألو نكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به أول، وخبالاً مفعول به ثان. وإذا قلنا الفعل لازم فتكون الكاف في محل نصب بنزع الخافض، أي: لا يألون لكم، وخبالاً منصوب أيضاً بنزع الخافض، أي: في الخبال، ولك أن تنصبه على التمييز، أو على أنه مصدر في موضع الحال ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ الجملة مستأنفة كسابقتهما، وقيل: هي صفة ثالثة لبطانة، وكلاهما صحيح، وودوا فعل وفاعل، وما مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر هو المفعول به، أي: ودوا عنتكم، وضرركم، وسوء ثقتكم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ الجملة مستأنفة أيضاً، أو هي صفة رابعة لبطانة، وقد حرف تحقيق، وبدت فعل ماض مبني على الفتح المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والبغضاء فاعل، ومن أفواههم جار ومجرور متعلقان ببدت، وعلقهما أبو البقاء بمحذوف منصوب على الحال. ومعنى ظهور البغضاء من أفواههم: أنهم ينسبون بما ينم على البغضاء المركوزة في سلاثتهم وخلالهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ الواو للحال، أو للاستئناف، فالجملة حالية أو مستأنفة، وما اسم موصول مبتدأ، وجملة تخفي صلة، وصدورهم فاعل تخفي، وأكبر خبر «ما» ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الجملة مستأنفة، تفيد التعليل، مسوقة لتقرير أن الآيات المترادفة جديدة بحملكم على موالة أولياء الله ومعاداة أعدائه، وقد حرف تحقيق، وبيننا فعل ماض وفاعل، ولكم جار مجرور متعلقان ببينا، والآيات مفعول به، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسم كنتم، وجملة تعقلون خبر كنتم، والجواب محذوف تقديره: فلا توادوهم أبداً.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التصريحية في قوله «بطانة» إذ هي في الأصل بطانة الثوب

المعروفة، ثم استعيرت لخصيص الرجل وصفيه الذي يفضي إليه بذات نفسه وخلجات صدره.

(٢) الانفصال: وهو أن يقول المتكلم ما يوهم أنه معلوم ظاهر، ولكنه ينطوي على أمر وراء ذلك، وهو أبعد غاية، وأسمى متناولاً، وذلك في قوله: ﴿مِنْ أَقْوَاهُمْ﴾ فإنَّ المعلوم أن المرء يعبر عما يمكنه بفمه، والانفصال في ذلك التسجيل عليهم بأنهم لا يتمالكون أن تند عن ألسنتهم ألفاظ تنم على الشعور بالبغضاء، والمؤجدة.

(٣) الطباق بين بدت وتخفي.

* الفوائد:

اختلف علماء النحو والبيان في إعراب الجمل الواقعة بعد بطانة، وقد أجزنا أن تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة من دون جنسكم وأبناء قومكم. وعليه جرى الزمخشري فقال: الأحسن والأبلغ أن تكون مستأنفات، ويجوز أن تكون صفات متعاقبة. وقد منع الواحدي هذا الوجه لعدم وجود حرف العطف، وزعم أنه لا يقال: لا تتخذ صاحباً يؤذيكَ أحب مفارقتكم. على أنه يظهر لي أن الصفة تتعدد بغير عاطف كما يتعدد الخبر نحو: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١-٤].

بين ابن هشام والرازي:

تعقب ابن هشام الإمام فخر الدين الرازي بصدد هذه الآية، فقال ما نصه: «وحصل للإمام فخر الدين في تفسير هذه الآية سهو، فإنه سأل: ما الحكمة في تقديم «من دونكم» على «بطانة»؟ وأجاب بأن محط النهي هو «من دونكم» لا «بطانة» فلذلك قدم الأهم، وليست التلاوة كما ذكر.

وأبو حيان وهم وتبعه الصفاقسي والحلبي:

ومضى ابن هشام في تعقيبه قائلاً: ونظير هذا أن أبا حيان فسر في سورة

الأنبياء كلمة «زبراً» بعد قوله تعالى: ﴿وَنَقَطَ عَمَّا أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣] وإنما هي في سورة المؤمنين، وترك تفسيرها هناك، وتبعه على هذا السهو رجلان لخصاً من تفسيره إعراباً.

قلت: أراد ابن هشام بالرجلين اللذين شاركا أبا حيان في سهوه هما الصفاقسي وشهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين.

﴿هَآأَنَآ أَؤَلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

☆ اللفظة:

(العض): تحامل الأسنان بعضها على بعض، وعضه بأسنانه: تناوله، يقال: عضضت - بكسر الضاد - أعض عضاً وعضيضاً، والعض كله بالضاد إلا مع الزمان أو نحوه في قولهم: عظ الزمان، أي: اشتد، وعظت الحرب، أي: اشتدت، فإنهما يتبادلان. وللعين والضاد إذا كانتا فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة خاصة، فهما تفيدان معنى الشدة والإيذاء وما يدخل في معنهما، قال الأخطل:

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والعضب: الشتم والقطع، ولا يخفى ما فيهما من شدة ومن إيذاء، وسيف عضب، أي: قاطع، وشاة عضباء: مكسورة القرن، وعضده: شد أزره وساعده، والمؤمن معضود بتوفيق الله، قال تعالى: ﴿سَنَسُدُّ عَصْدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]، وداء معضل: صعب لا يحل، وبه مرض عضال، وقد أعيا الأطباء وأعضلهم، وأعضل الأمر، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيّه يسألهم مهرها فمنعوه، فقال:

واحدة أعضلكم أمرها فكيف لو دُرْتُ على أَرْبَع؟

وفلان عضلة، من العضل، أي: داهية من الدواهي. وهذا من أعجب ما يسمع عن هذه اللغة الشريفة.

﴿الْأَنَامِلُ﴾: جمع أنملة، وهي: رأس الإصبع.

○ الإعراب:

﴿هَآئِنتُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتنبيه المؤمنين على خطئهم بموالاته اليهود، وها للتنبيه وقرع العصا، وأنتم مبتدأ، وأولاء خبره، وقد تقدم أن اسم الإشارة لا بد من ذكره لوجود «ها» التي هي للتنبيه، وجملة «تحبونهم» حالية، أو مستأنفة، كأنها بمثابة البيان لخطئهم وسوء اختيارهم لأصفيائهم، وجملة «ولا يحبونكم» معطوفة على جملة تحبونهم، وأعرب الجلال وغيره أولاء منادى، أي: يا هؤلاء، فتكون جملة «تحبونهم» هي الخبر ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ يصح أن تكون الواو عاطفة، فالجملة معطوفة على جملة «تحبونهم»، ويصح أن تكون الواو حالية، فتكون الجملة نصباً على الحال، وبالكتاب جار ومجرور متعلقان بتؤمنون، وكله تأكيد للكتاب، وفي هذا منتهى التنديد بهم؛ لأن مصافاة من لا يجبك أمر يستوجب اللوم والتنديد. هذا وقد منع أبو حيان أن تكون الواو حالية؛ لأن المضارع المثبت إذا وقع حالاً لا تدخل عليه واو الحال، تقول: جاء زيد يضحك، ولا يجوز: ويضحك، وانتهى إلى القول: لكن الأولى ما ذكرناه من كونها للعطف ﴿وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، وجملة «لقوكم» في محل جر بالإضافة، وجملة «قالوا» لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة «آمنا» في محل نصب مقول القول ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة «خلوا» في محل جر بالإضافة، وخلا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجملة عضوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بعضوا، والأنامل مفعول به، ومن الغيظ جار ومجرور في محل

نصب تمييز، أي: غيظاً، ويجوز أن تكون بمعنى اللام، فتفيد العلة، فيكون الجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله، أي: من أجل الغيظ ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ الجملة مستأنفة، وجملة «موتوا» في محل نصب مفعول القول، وبغيظكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف نصب على الحال، أي: متلبسين بغيظكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الجملة مستأنفة تفيد التعليل للأمر بالموت، والأسهل أن تكون من جملة المقول، فتكون في محل نصب بالقول، وإن واسمها وخبرها، وبذات الصدور: جار ومجرور متعلقان بعليم. ومعنى ذات الصدور: المضمرات وخلجات النفوس، فذات تأنيث ذي، بمعنى صاحبة الصدور، وجعلت صاحبة الصدور لأنها لا تنفك عنها.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فن الكناية، وعض الأنامل كناية عن صفة. وقد جرت عادة العرب على التعبير عن المغتاض النادم على ما فعل بعض الأنامل والبنان، وقد طفحت أشعارهم بهذا التعبير، قال أبو طالب:

وقد صالحو قوماً علينا أشحّة يعضّون عضاً خلفنا بالأباهم

(٢) وفي الآية خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الدعاء عليهم بديمومة غيظهم.

* الفوائد:

ذهب الكوفيون إلى أن أسماء الإشارة إذا أريد بها التقريب كانت من أخوات كان، في احتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب، نحو: كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً؟ وكيف أخاف البرد وهذه الشمس طالعة؟ وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثاني له في الوجود، نحو: هذا ابن صياد أسقى الناس، فيعربون هذا للتقريب اسماً ناقصاً، والمرفوع اسم التقريب، والمنصوب خبر التقريب. وهو كلام منطقي، ولذلك أوردناه للاطلاع عليه.

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢﴾

○ الإعراب:

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان تناهي عداوتهم واقتنائهم في أصناف العداوات، وإن شرطية، وتمسكم فعل الشرط مجزوم، والكاف مفعول به مقدم، وحسنة فاعل مؤخر، وتسوهم جواب الشرط المجزوم، والهاء مفعول به ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ جملة معطوفة على الجملة السابقة ماثلة لها في الإعراب ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ الجملة معطوفة أيضاً، وإن شرطية، وتصبروا فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، وتتقوا عطف على تصبروا، ولا نافية، ويضركم جواب الشرط، وحرك بالضم لا تباع ضمة الضاد. كما هي القاعدة في الفعل المضعف، وقد تقدمت. ويجوز تحريكها بالفتح لخفتها كما في قراءة ثانية، وهناك قراءة ثالثة، وهي: يضركم - بكسر الضاد وسكون الراء - من ضاره يضره، أي: يضره، والكاف مفعول به، وكيدهم فاعل، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الضرر ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ جملة مستأنفة تفيد التعليل، وإن واسمها، ومحيط خبرها، وبما جار ومجرور متعلقان بمحيط، وجملة يعملون لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول.

□ البلاغة:

في الآية استعارة مكنية جميلة، فقد استعير المس للحسنة، وهي لا تمس الإنسان للدلالة على أنها أقل تمكناً من الإصابة، إشارة إلى أن الكافرين يستأثرون مما يصيب المؤمنين من خير، وإن سنح لهم سنوحاً، أو مرَّ بهم مروراً عارضاً. أما إذا تمكنت السيئة منكم واجتاحتكم، فلا تسل عن مدى فرحهم وسرورهم، وهذا من بدیع الكلام الذي تتقطع دونه الأعناق.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

☆ اللفظة:

﴿غَدَوْتَ﴾ الغدو: الخروج أول النهار، يقال: غدا يغدو، أي: خرج غدوة، ويستعمل غدا بمعنى صار، فيكون ناقصاً يرفع الاسم وينصب الخبر، ومثلها: راح، وعاد، ورجع، وأض، وارتد، وقعد، وتحول، واستحال، وكلها بمعنى صار، وملحقة بها في العمل. قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

فيحور هنا ناقصة بمعنى صار، واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المرء، ورماداً خبرها. وفي الحديث الشريف: «لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خفاصاً، وتروح بطاناً» أي: تذهب في الصباح جائعة، وترجع في المساء وقد شبعت، وامتلأت بطونها، أما في الآية فهي محتملة للمعنيين كما سيأتي.

﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة على مقدم، وعلى كل حال فالجملة مسوقة ليدكر النبي ﷺ أصحابه بيوم أحد، ليتذكروا ما وقع في هذا اليوم في هذه الحالات الشاذة من عدم الصبر، وكيف غدا النبي إلى أحد من حجرة عائشة كما سيأتي في باب: الفوائد، والظرف متعلق بمحذوف، أي: اذكر وجهلة غدوت في محل جر بإضافة الظرف إليها، والتاء إما فاعل غدوت، وإما اسمها في رأي من أجعلها

عمل صار، والجار والمجرور متعلقان بغدوت على الأول، وبمحذوف حال على الثاني، وجملة تبوء حالة على الأول من فاعل غدوت، أو خبر غدوت، والمؤمنين مفعول به لتبوء، ومقاعد مفعول به ثان لتبوء، وللقاتال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمقاعد، أي: مقاعد مهياة للقتال ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وسميع عليم خبره ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن بدل من إذ الأولى، أي: اذكر ذلك الوقت، وهو يوم أحد، وجملة همت في محل جر بالإضافة، وطائفتان فاعل همت، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله «طائفتان»، وأن حرف مصدري ونصب، وتفشلا فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعل، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بهمت؛ لأنه يتعدى بالباء، والتقدير: بأن تفشلا، ولك في محلها وجهان النصب على نزع الخافض والجر، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ لك في الواو أن تجعلها حالة، فتكون الجملة في محل نصب على الحال، ولك أن تجعلها مستأنفة، والله مبتدأ، ووليها خبر ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الواو عاطفة، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل، والفاء هي الفصيحة؛ لأنها دخلت لمعنى الشرط، والمعنى: إذا حزب الأمر وصعب فتوكلوا، والمؤمنون فاعل.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣) ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ (١٢٤) ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٥)

☆ النسخة:

﴿بدر﴾ اسم ماء بين مكة والمدينة، وقد كان هذا الماء لرجل اسمه بدر،

فسمي به . وعنده جرت الوقعة الموسومة بهذا الاسم ، في السابع عشر من شهر رمضان ، في السنة الثانية للهجرة .

﴿ فَوْرِهِمْ ﴾ : الفور : العجلة والسرعة ، وهو مصدر من فارت القدر ؛ إذا غلت فاستعير للسرعة ، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ، ولا إبطاء ، ولا تعريج على شيء .

﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ معلمين بعلامة واضحة . وقد قرئت بصيغة اسم الفاعل ، وبصيغة اسم المفعول .

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ ﴾ الواو استئنافية ، واللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، ونصركم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، وببدر جار ومجرور متعلقان بنصركم ، والجملة مستأنفة مسوقة لتسليية المؤمنين عما لحق بهم من ضرر في غزوة أحد ، وتذكيرهم بنعمة الله ، وللإشارة بأن هزيمتهم في أحد كانت بسبب مخالفة النبي في الصمود والثبات ، وأن الحلاوة قد تعترتها مرارة ، وأن الجنات حفت بالمكارة ﴿ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ الواو للحال ، وأنتم مبتدأ ، وأذلة خبر ، والجملة في محل نصب على الحال ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ الفاء الفصيحة ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والله مفعول به ، ولعل واسمها ، وجملة تشكرون خبرها ، وجملة الرجاء في محل نصب حال ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنصركم ، أو بدل من «إذ» الأولى ؛ لأن الكلام هنا في صدد غزوة أحد . وجملة تقول في محل جر بالإضافة ، وللمؤمنين جار ومجرور متعلقان بتقول ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول قوله ﷺ ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، كأنهم كانوا كالأيسين من النصر ، ولن حرف ناصب ، ويكفيكم فعل مضارع منصوب بلن ، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، وأن حرف مصدري ونصب ، ويمدكم فعل مضارع منصوب بها ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يكفيكم ،

وربكم فاعل يمدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ بثلاثة الجار والمجرور متعلقان بيمدكم، وآلاف مضاف إليه، ومن الملائكة جار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لثلاثة آلاف، ومنزلين صفة ثانية ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ بلى حرف جواب لإيجاب النفي في قوله: «ألن يكفيكم»، والمعنى: يكفيكم الإمداد بالملائكة. ولكن ذلك مرهون بشروط لا بد من تأديتها، وهي: الصبر، والتقوى. وإن شرطية، وتصبروا فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وتتقوا عطف على تصبروا، ويأتوكم عطف أيضاً، ومن فورهم جار ومجرور متعلقان بياأتوكم، وهذا اسم إشارة في محل جر صفة لفوركم، أو بدل منه، والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتعيين شروط الإمداد ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ يمددكم جواب الشرط، والكاف مفعول به، وربكم فاعل، ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخمسة آلاف، ومسومين صفة ثانية.

□ **البلاغة:**

الكناية في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ عن ضعف حالتهم، وضآلة عددهم وعددهم: ذكر التاريخ أنهم خرجوا يعتقب التفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد يوم بدر.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا أَلْتَصَّرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾

☆ **اللفظة:**

﴿طَرَفًا﴾: أراد به الجانب، أو الطائفة منهم.

﴿يَكْبِتُهُمْ﴾: يخرزهم، ويغيظهم من الكبت، وهو: الإصابة بالمكروه،

وقيل : هو الصرع للوجه واليدين . وعلى هذين المعنيين تكون التاء أصلية ، وليست بدلاً من شيء ، بل هي مادة مستقلة بذاتها . وقيل : التاء بدل من الدال ، وأصله كبده إذا أصابه بمكروه أثر في كبده وجعاً ، كقولك : رأسه ؛ إذا ضربت رأسه . ويدل على ذلك قراءة بعضهم : أو يكبدهم ، بالدال . والعرب قد تبدل التاء من الدال ، ولعل أبا الطيب المتنبي قد رمق هذا الإبدال ، فلام بين لفظين ملاءمة غريبة عندما قال :

لَا كَيْتَ حَاسِدًا وَأَرِي عَدُوًّا كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ

فقد لاحظ أبو الطيب إبدال التاء من الدال فتوهمها لأكبد ، وناسب أن يأتي بأري من الوري ، وهو إصابة الرئة يقال : وراه الحب رياً وتورية ، وهو فساد الجوف من حزن أو صباية ، قال عبد بنى الحساس :

وَرَاهُنَّ رَيِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْتَنِي وَأَحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَوِيَا

ومنه الحديث الشريف : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه» . وهذا من أوابد أبي الطيب التي لا تُلْحَق .

○ الإعراب:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ كلام مستأنف ، مسوق لشرح كيفية النصر ، والواو استئنافية ، وما نافية ، وجعله الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، وإلا أداة حصر ، وبشرى مفعول به ثان إذا كان الجعل هنا بمعنى التصيير ، ولك أن تعتبر الجعل هنا بمعنى الخلق فتكون متعدية لواحد ، وبشرى منصوب على أنه استثناء من أعم العلل ، فهو مفعول لأجله ، وقد استوفى شروط النصب ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشرى ﴿وَلِنُطْمِئِنَّ قُلُوبُكُم بِهٖ﴾ الواو عاطفة ، واللام للتعليل ، وتطمئن فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور في محل نصب عطف على بشرى ، وجر باللام لاختلال شرط من شروط النصب ، وهو عدم اتحاد الفاعل ؛ فإن فاعل الجعل هو «الله» تعالى ، وفاعل الاطمئنان القلوب ، ولك أن تعلق الجار والمجرور بفعل محذوف تقديره : فعل هذا لتطمئن قلوبكم ،

وقلوبكم فاعل تطمئن، وبه جار ومجرور متعلقان بتطمئن ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، والنصر مبتدأ، وإلا أداة حصر، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، والعزيز الحكيم صفتان لله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اللام للتعليل، ويقطع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بنصركم في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾، وقيل: بمحذوف تقديره: أمدكم ونصركم، ورجح أبو حيان أن يكونا متعلقين بأقرب مذكور وهو العامل في قوله: ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كأن التقدير: وما النصر إلا كائن من عند الله لا من عند غيره، لأحد أمرين: إما قطع جانب من الكفار بقتل وأسر، وإما بخزي، وانقلاب بخيبة. وطرفاً مفعول به، ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وجملة «كفروا» لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ أو حرف عطف، ويكتبهم فعل مضارع معطوف على يقطع، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، الفاء حرف عطف، وينقلبوا عطف على يكتبهم، وخائبين حال، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم.

□ البلاغة:

الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ فقد شبه من قتل منهم وتفرق بالشيء المقتطع؛ الذي تفرقت أجزاؤه، واختل نظامه.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

○ الإعراب:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتهوين الأمر على

النبي ﷺ بعد ما أصيب به في غزوة أحد، وليس فعل ماض ناقص، ولك جار
ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم، ومن الأمر جار ومجرور متعلقان
بمحذوف حال، وشيء اسم ليس المؤخر ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أو حرف عطف،
ويتوب فعل مضارع معطوف على اسم خالص من التقدير بالفعل، فهو
منصوب بأن مضمرة بعد العاطف، وهو أو، وسيأتي في باب: الفوائد،
وعليهم جار ومجرور متعلقان ببيتوب ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ عطف على يتوب ﴿فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ﴾ الفاء للتعليل، وإن واسمها وخبرها، والجملة التعليلية لا محل
لها؛ لأنها بمثابة الاستئنافية ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الواو
استئنافية، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وما اسم موصول
في محل رفع مبتدأ مؤخر، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف
لا محل له؛ لأنه صلة، وما في الأرض عطف على ما في السموات ﴿يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ الجملة الفعلية في محل نصب حال لوقوعها بعد
المعرفة، ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر، ويشاء فعل مضارع مرفوع،
وفاعله هو، والجملة صلة الموصول، وجملة يعذب من يشاء عطف عليها،
ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الواو
استئنافية، والله مبتدأ، وغفور خبره الأول، ورحيم خبره الثاني.

* الفوائد:

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة جوازاً بعد عاطف مسبق باسم خالص
من التقدير بالفعل، وأحرف العطف المختصة بذلك أربعة، وهي: الواو،
والفاء، وأو، وثم. ومن ذلك قول ميسون بنت بحدل:

ولبسُ عَبَاءَةٍ وتقرَّ عيني أحبَّ إليَّ من لبسِ الشَّفَوفِ

هذا؛ ويجوز أن تكون «أو» بمعنى «إلى» فيكون الفعل منصوباً بأن مضمرة
وجوباً بعد أو.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٢٥) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٧﴾

○ الإعراب:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كلام مستأنف مسوق للنهي عن الربا، والإمعان في تخويف المؤمنين، قال أبو حنيفة - رحمه الله -: هذه الآيات أخوف آيات القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين. ولا ناهية، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، والربا مفعول به، وأضعافاً حال، ومضاعفة صفة، وجاءت الصفة لتنفى القلة التي يعبر عنها جمع القلة، وهو وزن: أفعال، وقيل: الصفة إشارة إلى تكرير التضعيف عاماً بعد عام. والمبالغة في هذه العبارة تفيد التوبيخ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الواو عاطفة، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والله مفعوله، ولعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ واتقوا عطف على ما تقدم، والنار مفعول به، والتي اسم موصول في محل نصب صفة، وجملة أعدت صلة الموصول، وللكافرين جار ومجرور متعلقان بأعدت ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الواو عاطفة، وأطيعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والله مفعول به، والرسول عطف على الله، ولعل واسمها، وترحمون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والجملة خبر لعل، وجملة الرجاء حالية.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ

الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٩﴾

☆ اللفظة:

(الكاظمين) اسم فاعل من كظم الغيظ، وهو: أن ينطوي على نفسه، ويمسك على ما فيها معتصماً بالصبر، وأصله من كظم القربة؛ إذا ملأها، وسدّها فاهاً لثلاً يندلق ما فيها.

○ الإعراب:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الواو عاطفة، وسارعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإلى مغفرة جار ومجرور متعلقان بسارعوا، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ وجنة عطف على مغفرة، وعرضها مبتدأ، والسموات خبر، والأرض عطف على السموات، والجملة الاسمية صفة لجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الجملة الفعلية صفة لجنة أيضاً، وأعدت فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هي، وللمتقين: جار ومجرور متعلقان بأعدت ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ اسم الموصول نعت للمتقين، وجملة ينفقون صلة الموصول، وفي السراء جار ومجرور متعلقان بينفقون، والضراء عطف على السراء ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ عطف على المتقين، والغيظ مفعول لاسم الفاعل الكاظمين، والعافين عطف أيضاً، وعن الناس جار ومجرور متعلقان بالعافين ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، ويحب فعل مضارع، والمحسنين مفعول به، والجملة خبر.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآية على فن جليل القدر، وهو التنكيث في التشبيه، وحده أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه لأجل نكته، وإذا وقع في التشبيه فقد بلغ الغاية، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ ﴿١٣٥﴾ ، فقد أراد وصفها بالسعة فخصّ عرضها بالذكر دون الطول ، وإنما عدل عن ذكر الطول ؛ لأن المستقر في البدائه والأذهان أن الطول أدل على السعة ، فإذا كان عرضها مما يسع السموات والأرض ، فما بالك بطولها !

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ١٣٥ ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ ١٣٦ ﴿

○ الإعراب:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ الواو عاطفة ، أو استئنافية ، والذين عطف على المتقين ، أي : أعدت للمتقين ، والمنفقين ، وللتائبين . ويجوز أن يكون «الذين» مبتدأ خبره «أولئك» كما سيأتي ، وإذا ظرف مستقبل ، وجمله فعلوا في محل جر بالإضافة ، وفاحشة مفعول به ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ أو حرف عطف ، وظلموا عطف على فعلوا ، وأنفسهم مفعول به ، وجمله ذكروا الله لا محل لها ؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الفاء عاطفة ، واستغفروا عطف على ذكروا ، أي : تابوا عنها ، ولذنوبهم جار ومجرور متعلقان باستغفروا ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الواو استئنافية ، ومن استفهامية ، ومعنى الاستفهام هنا النفي ، وهي في محل رفع مبتدأ ، وجمله يغفر خبر ، والذنوب مفعول به ، وإلا أداة حصر ، والله بدل من الضمير في يغفر ، أي : من الفاعل المستتر ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ عطف على استغفروا ، ولم حرف جازم ، ويصروا فعل مضارع مجزوم بلم ، وعلامة جزمه حذف النون ، على ما فعلوا جار ومجرور متعلقان بيصروا ، وجمله فعلوا صلة ، وهم : الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجمله «يعلمون» خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير «يصروا» . ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

أولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، وجزاؤهم مبتدأ ثان، ومغفرة خبر جزاؤهم، والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الإشارة. وإذا أعربنا الذين مبتدأ كانت الجملة خبراً للموصول، ومن ربهم صفة لمغفرة ﴿وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وجنات عطف على مغفرة، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات، وخالدين حال، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الواو استئنافية، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، وأجر العاملين فاعل نعم مضاف لمقترن بآل، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: نعم أجر العاملين ذلك، يعني: المغفرة في الجنات.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

☆ اللغة:

﴿سُنَنٌ﴾ طرائق، جمع سنة، وهي الطريقة والعادة. ومعنى خلوها: مضيتها، وأصل الخلو في اللغة: الانفراد، والمكان الخالي هو المنفرد عمن فيه، ويستعمل أيضاً في الزمان بمعنى المضي؛ لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه، وكذلك الأمم الخالية، أي: الماضية.

○ الإعراب:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسلية المؤمنين عما أصابهم من الحزن والكآبة، وتتمة لتفصيل بقية قصة أحد، فإنه لا ينال أحد الخير حتى يمهره بالتضحية، والصبر، والجهاد. وقد حرف تحقيق، وخلت فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بخلت، وسنن فاعل ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الفاء الفصيحة، وهي التي تقع جواباً لشرط مقدر لأن المعنى مترتب عليه، أي: إذا شككتهم فسيروا في الأرض لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم، وسيروا فعل

أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيروا، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الفاء حرف عطف، وانظروا معطوف على سيروا، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وكان عاقبة كان واسمها، والمكذبين مضاف إليه، والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظروا ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ كلام مستأنف، والبيان هنا الدلالة التي تفيد إمطة الشبهة الحاصلة، وهذا مبتدأ، وبيان خبره، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبيان، وهدى معطوف على بيان، وكذلك موعظة، وهو من عطف الخاص على العام، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بموعظة، أو بمحذوف صفة لها.

□ البلاغة:

المجاز في قوله: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ والعلامة في هذا المجاز ما يؤول إليه أمر السير في الأرض، وتلي الآثار المعروضة، واستجلاء ما تركه الأولون من مخلفات ينبغي الاستبصار بها. وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المجاز الرفيع بقوله:

تَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِيناً وَيُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبْعُ

ثم تساءل:

أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ؟ مَا قَوْمُهُ؟ مَا يَوْمُهُ؟ مَا الْمَصْرَعُ؟

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

☆ اللفظة:

﴿تَهْنَأُوا﴾ تضعفوا، وأصله: توهنوا، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة في الأصل؛ لأن الفعل وهن بالفتح في الماضي وبالكسر في المضارع.

(القرح): بفتح القاف وتضم أيضاً، وقيل: هو بالفتح الجراح، وبالضم ألمها، وقد قرىء بهما.

﴿نُذَاوِلُهَا﴾ نصرفها بين الناس، نذيل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ودالت له الدول، ودالت الأيام، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه.

قال أبو البقاء الرندي يرثي الأندلس:

هي الأمور كما شاهدتها دُولٌ مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

(التمحيص) التصفية، والتطهير.

(يمحق) يهلك.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَهْنَأُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ الواو عاطفة، والكلام معطوف على المفهوم من قوله: فسيروا، ولا ناهية، وتهنوا فعل مضارع مجزوم بلا، ولا تحزنوا عطف أيضاً، وأنتم الواو حالية، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، والأعلون خبره مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم، والجملة نصب على الحال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن شرطية، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، ومؤمنين خبرها، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فلا تهنوا، وجملة الشرط استئنافية ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسلية المؤمنين أيضاً، وإن شرطية، ويمسكم فعل الشرط، والكاف مفعول به، وقرح فاعل

يمسككم، وجواب الشرط محذوف، أي: فتأسوا وتسألوا. ومن أعرب فقد مس القوم هو الجواب غلط؛ لأن الماضي معنى لا يكون جواباً، والتعليق لا يكون إلا في المستقبل. فقد: الفاء عاطفة، وقد حرف تحقيق، ومس القوم عطف على الجواب المحذوف، ومس فعل ماضٍ، والقوم مفعول به مقدم، وقرح فاعل مؤخر، ومثله نعت لقرح ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ الواو استئنافية، واسم الإشارة مبتدأ، والأيام بدل منه، وجملة نداولها خبر، والهاء مفعول به، وبين الناس ظرف مكان متعلق بنداولها. ويجوز إعراب الأيام خبراً لاسم الإشارة، وجملة نداولها حالية، والعامل فيها معنى اسم الإشارة، أي: يشير إليها حالة كونها مداولة ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الواو عاطفة على المعلن المحذوف، والتقدير: فعلنا ذلك ليتعظوا، وليعلم اللام للتعليل، ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والله فاعل، والذين اسم موصول مفعول به، وآمنوا فعل ماضٍ مبني على الضم، والجملة صلة ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ الواو عاطفة، ويتخذ فعل مضارع معطوف على يعلم، ومنكم جار ومجرور متعلقان بيتخذ، أو بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشهداء، وشهداء مفعول به ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الواو اعتراضية، والجملة معترضة بين هذه العلل المتعاقبة، والله مبتدأ، وجملة لا يحب الظالمين خبر ﴿وَلَيَمَحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الجملة معطوفة على العلل المتقدمة، والله فاعل، والذين اسم موصول مفعول به، وجملة آمنوا صلة ﴿وَيَمَحِصَ الْكَافِرِينَ﴾ عطف على ما سبق من العلل.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿١٤٣﴾

○ الإعراب:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أم عاطفة منقطعة بمعنى بل، وقد تقدم

بحثها، والكلام معطوف على ما تقدم على طريق الإضراب عن التسلية إلى طريق التوبيخ، والهمزة التي في ضمنها للإنكار، وحسب فعل ماض بمعنى ظن، والتاء فاعل، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعوليتها، والمعنى: لا تحسبوا، أو لا يدر بخلد أحد منكم أنكم تدخلون الجنة من دون جهاد وصبر، والجنة مفعول به على السعة، أو منصوب بنزع الخافض ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ الواو حالية، ولما جازمة، ويعلم فعل مضارع مجزوم، والله فاعل، والذين اسم موصول مفعول به، وجملة جاهدوا صلة لا محل لها، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والجملة نصب على الحال ﴿وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ قرأ السبعة بفتح الميم، فالواو للمعية، ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية، والفاعل هو، والصابرين مفعول به، وقد تقدم النفي عليها، ونفي العلم بالنسبة إلى الله كناية عن نفي المعلوم، وهما: الجهاد، والصبر. ومن العجيب أن يتنطع بعض المعربين القدامى فيقول: إن الفتحة فتحة التقاء الساكنين، والفعل مجزوم عطفاً على «يعلم» الأولى، فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج إلى تحريك آخره، فكانت الفتحة أولى؛ لأنها أخف، إذ لا يجوز حمل القرآن على الوجوه المرجوحة ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفَوْهُ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وكنتم كان الناقصة واسمها، وجملة تمنون خبرها، وأصل تمنون تتمنون، فحذفت إحدى التاءين، والموت مفعول به، من قبل جار ومجرور متعلقان بتمنون، وأن تلقوه أن حرف مصدري ونصب، وتلقوه فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والمصدر المؤول مضاف إليه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ الفاء عاطفة، وقد حرف تحقيق، ورأيتموه فعل وفاعل ومفعول به، والواو لإشباع الضمة، وأنتم الواو حالية، وأنتم مبتدأ، وجملة تنظرون خبر، ولا بد من تقدير مضاف، أي: سبب الموت.

* الفوائد:

كان المسلمون في الصدر الأول يتمنون الموت، لا ليخلو الجو لعدوهم، ولكن لنيل كرامة الاستشهاد مع ضمان التفوق والغلبة، وهذا تنبيه لا بد منه لثلاث يتساءل متنتع: كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها غلبة للكافر على المسلم؟ فقد كان ديدن الصحابة - رضوان الله عليهم - الاستشهاد في سبيل الله، ولا ننسى بكاء خالد بن الوليد عندما حضره الموت؛ لأنه مات على فراشه، وقال عبد الله بن رواحة حين نهد إلى حرب مؤتة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغ تقذف الرّبداً
أو طعنةً يبدّي حرّاناً مُجهّزةً بحربةٍ تُنفذ الأحشاء والكبداً
حتى يقولوا إذا مؤوا على جدّتي أرشدك الله من غازٍ وقد رشداً

ومعنى قوله: ذات فرغ، أي: ذات سعة، والفرغ: الدلو، أي: تحدث في جسمي ما يشبه الدلو الممتلئة بالماء. والحران: العطشان الظامىء إلى دمي.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

☆ اللفظة:

(الأعقاب) جمع عقب، وهو: مؤخر القدم، والانقلاب على الأعقاب: الإدبار والفرار.

○ الإعراب:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لبيان

أن موت محمد ﷺ، أو قتله، لا يوجب ضعفاً، أو تراخياً في دينه. ما نافية، ومحمد مبتدأ، وإلا أداة حصر، ورسول خبر ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الجملة صفة لرسول، وقد حرف تحقيق، وخلت فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، ومن قبله جار ومجرور متعلقان بخلت، والرسول فاعل ﴿أَفَاِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف، وقد أتت متأخرة ورتبتها التقديم؛ لأن الهمزة لها الصدارة، وقد ذكرنا سابقاً أن الزمخشري ومن نحا نحوه يقدرون بينهما فعلاً محذوفاً تعطف عليه الفاء ما بعدها، والتقدير: أتؤمنون به في غضون حياته فإن مات ارتددتم، وكلاهما صحيح. وفائدة العطف تعلق الجملة الشرطية بما قبلها على معنى التسبب، وإن شرطية، ومات فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، أو قتل عطف على مات، وانقلبتم فعل ماض في محل جزم جواب الشرط، وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وسيأتي المزيد من البحث في باب: البلاغة عن هذا القصر ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُورَ اللَّهُ شَيْئاً﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، وينقلب فعل الشرط، وعلى عقيبهِ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والفاء رابطة لجواب الشرط، ويضر فعل مضارع منصوب بـلن، والله مفعول به، وشيئاً مفعول مطلق، وجملة فلن يضر في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر «من» ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ الواو استئنافية، ويجزي فعل مضارع مرفوع، والله فاعل، والشاكرين مفعول به.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فن القصر، وهو في اللغة: الحبس، وفي الاصطلاح تخصيص أحد الأمرين على الآخر ونفيه عما عداه، وهو يقع للموصوف على الصفة وبالعكس، والآية من النوع الأول، أي: أن محمداً ﷺ مقصور على الرسالة لا يتعدها إلى البعد عن الهلاك بناء على

استعظام الصحابة ألا يبقى رسول الله ﷺ لهم، فكأنهم أثبتوا له وصفين: الرسالة وعدم الهلاك، فخصص بقصره على الرسالة، فهو من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، وهو قصر أفراد، ردّاً على من يدعي أمرين أو أحدهما بلا ترجيح، وهو على كل حال من باب القصر القلبي؛ لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يموت كما ماتوا، وأنه يجب عليهم التمسك بدينه بعده، كما يجب التمسك بأديانهم بعدهم.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ ١٤٥

☆ اللفظة:

﴿ مُّوجَّلاً ﴾ مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، من أجل الشيء أو أجله بالتشديد والتخفيف، أي: ضرب له أجلاً لا محيد عنه.

○ الإعراب:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتحقيق ما تقدم، وهو: أن كل نفس لن تموت إلا بمشيئة الله، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن طوح بنفسه وخاض المعارك. والواو استئنافية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنفس جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم، وأن تموت المصدر المنسبك من أن وما في حيزها اسمها المؤخر، وإلا أداة حصر، وبإذن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وهو استثناء مفرع من أعم الأحوال، والتقدير: وما كان لها أن تموت إلا ما دوناً لها ﴿ كِنَبَأً مُّوجَّلاً ﴾ كتاباً مصدر منصوب على المفعولية المطلقة المفيدة لتأكيد مضمون الجملة التي قبله؛ لأن المعنى كتب الموت

كتاباً، ومؤجلاً صفة، واختار ابن عطية أن يكون منصوباً على التمييز، وقيل: هو منصوب على الإغراء، ولا داعي لهذا التكلف البعيد ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن الذين تركوا مراكزهم، وطلبوا الغنائم، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ، ويرد فعل الشرط، وثواب الدنيا مفعول به، ونؤته جواب الشرط، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والهاء مفعول به، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من، وقد تقدم تقرير ذلك، ومنها جار ومجرور متعلقان بنؤته ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ تقدم إعراب هذه الآية ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ الواو استئنافية، وسنجزى فعل مضارع مرفوع، وفاعله نحن، والشاكرين مفعول به، والجملة استئنافية لا محل لها.

﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

☆ اللغة:

﴿رِيتُونَ﴾ ربانيون نسبة إلى الرب، وقد تقدم بحثها، ووردت في اللغة بتثنية الراء والفتح هو القياس، والضم والكسر من تغييرات النسب.

﴿اسْتَكَانُوا﴾: ضعفوا وذلوا، والاستكانة: الانكسار والوهن، وأصل هذا الفعل استكن من السكون لأن السكون الذل، وأصله: (استكون) فنقلت الفتحة إلى الكاف، ثم قلبت الواو ألفاً.

○ الإعراب:

﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ﴾ كَأَيْن خبرية بمعنى كم الخبرية، وهي في محل رفع مبتدأ، ومن نبي تمييز كَأَيْن، وتنوينه للتكثير، أي: كثير من الأنبياء، وجملة قاتل خبر كَأَيْن، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر

مقدم، وريون مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية نصب على الحال ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾
 لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿الفاء عاطفة، وما نافية، ووهنوا فعل ماض مبني
 على الضم، والواو فاعل، ولما اللام حرف جر، وما اسم موصول في محل
 جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بوهنوا، وجملة أصابهم صلة، وفي
 سبيل الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ولك أن تجعل
 ما مصدرية، والمصدر المنسبك من ما وما في حيزها مجرور باللام ﴿وَمَا
 ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ عطف على: «ما ووهنوا». ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ الواو
 استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يحب الصابرين خبر.

※ الفوائد:

﴿وَكَايْنِ﴾ بمعنى كم في الاستفهام والخبر. وهي مركبة من كاف
 التشبيه، ومن كم الخبرية، ولا تتعلقان بشيء لأنهما صارتا بمنزلة كلمة
 واحدة؛ ولذلك رأى أبو حيان أن تكون «كأين» كلمة بسيطة غير مركبة، ولم
 أجد من يؤيده، وإن كان رأيه جميلاً سهلاً، وهي توافق كم الخبرية في
 خمسة أمور:

١- الإبهام.

٢- الافتقار إلى التمييز.

٣- البناء

٤- لزوم التصدير.

٥ - إفادة التكرير تارة والاستفهام تارة أخرى. قال أبي لابن مسعود: كأين
 تقرأ سورة الأحزاب آية؟ قال: ثلاثاً وسبعين. وتخالف كم في خمسة
 أمور:

١ - أنها مركبة وكم بسيطة.

٢ - أن مميزها مجرور بمن غالباً، حتى زعم بعضهم لزومه، وهو مردود بما
 رواه سيويوه ويونس أنهما سمعا من يقول: كأى رجلاً.

٣ - أنها لا تقع استفهامية عند الجمهور.

٤- أنها لا تقع مجرورة، فلا تقول: بكأين تبیع هذا؟ وأجازه بعضهم .

٥- أن خبرها لا يقع مفرداً، قال زهير:

وكائن ترى من صامت لك مُعْجِبٌ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكْلُمِ
وقال الخليل وسيبويه: هي «أي» دخلت عليها كاف التشبيه وثبتت معها، فصارت بعد التركيب بمعنى كم، وصورت في المصحف نوناً؛ لأنها كلمة نقلت عن أصلها فغير أصلها لتغير معناها، فتصرفت فيها العرب بالقلب والحذف فصار فيها أربع لغات قرىء بها: إحداها «كائن» كقول زهير، والثانية كأَيٍّ مثل كَعَيْنٍ، وهو الأصل، والثالثة كأين مثل كعين، والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة.

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ١٤٧ ﴿ فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابٌ دُنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ آخِرَةٍ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسِنِينَ ﴾ ١٤٨ ﴿

○ الإعراب:

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ الواو عاطفة، والكلام معطوف على ما تقدم لبيان محاسنهم القولية بعد أن أثبتوا محاسنهم الفعلية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وقولهم خبرها المقدم، واسمها أن المصدرية وما في حيزها، وقرأ ابن كثير وعاصم برفع «قولهم» على أنه اسم كان، والخبر أن وما في حيزها، وإلا أداة حصر، والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وجملة اغفر في محل نصب مفعول القول، ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر، وذنوبنا مفعول به، وإسرافنا عطف عليه، في أمرنا جار ومجرور متعلقان بإسرافنا، وإنما نسبوا الإسراف إلى أنفسهم هضمًا لها، وقدموا طلب الغفران باعتباره أهم لديهم من كل شيء ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ الواو حرف عطف، وثبت فعل دعاء، وأقدامنا مفعول به، وانصرنا عطف أيضاً، وعلى القوم جار ومجرور متعلقان بانصرنا، والكافرين صفة ﴿فَقَالَتْ لَهُمْ أَلَلَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ الفاء عاطفة، أو استئنافية، وآتاهم الله فعل ومفعول به وفاعل، وثواب الدنيا مفعول به ثان ﴿وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الواو حرف عطف، وحسن عطف على ثواب، وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنويهاً بفضلها، وأنه أولى ما يعتد به المرء ويشده ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يحب المحسنين خبر.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥١﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

☆ اللغة:

﴿الرُّعْبَ﴾ بضم الراء وسكون العين وضمها، وقد قرئ بهما: الخوف، يقال: رعبته فهو مرعوب، وأصله الامتلاء، يقال: رعبت الحوض، أي: ملأته، وسيل راعب، أي: ملأ الوادي، ويتعدى بنفسه وبالهمزة.

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إن شرطية، وتطيعوا فعل الشرط، والواو فاعل، والذين اسم موصول مفعول به، وجملة كفروا صلة، والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتحذير

المؤمنين من الاغترار بأقوال المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم، ولو كان محمد نبياً لما قتل. وقيل: إن تستكينوا لأبي سفيان وجماعته يردوكم إلى دينهم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ يردوكم جواب الشرط مجزوم، والواو فاعل، والكاف مفعول به، وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ﴾ الفاء عاطفة، وتنقلبوا فعل مضارع معطوف على يردوكم، وخاسرين حال ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانِكُمْ﴾ بل حرف إضراب وعطف، والله مبتدأ، ومولاكم خبر. والكلام معطوف على ما هو من مضمون الشرط، كأنه قيل: فليسوا أنصاراً لكم حتى تطيعوهم بل الله، وقرىء الله بالنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: بل أطيعوا الله، ومولاكم بدل منه ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، وخير الناصرين خبره ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ كلام مستأنف، مسوق على طريق الالتفات للتنبيه على هول ما سيلقيه تعالى في قلوبهم، والسين حرف استقبال، ونلقي فعل مضارع مرفوع، وفاعله نحن، وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بنلقي، والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة كفروا صلة لا محل لها، والرعب مفعول به لنلقي ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ بما الباء حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بنلقي، أي: بسبب إشراكهم، أو ما اسم موصول، والجملة صلة، وبالله جار ومجرور متعلقان بأشركوا، وما اسم موصول مفعول أشركوا، وجملة لم ينزل به سلطاناً صلة الموصول، وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لـ «سلطاناً» وسلطاناً مفعول ينزل ﴿وَمَا وَهُمْ الشَّاكِرُونَ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لبيان أحوالهم في الآخرة بعد بيان أحوالهم في الدنيا من الخذلان المبين، وما وأهم مبتدأ، والنار خبره، ويجوز العكس، ولعله أولى ﴿وَيَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ الواو استئنافية، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، ومثوى فاعل مضاف لمقترن بـ «ال» والظالمين مضاف

إليه ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره : النار .

□ البلاغة:

(١) الالتفات في قوله تعالى : ﴿ سَنُلْقِيْكُمْ ﴾ فقد التفت من الغيبة إلى التكلم للاهتمام بما يليق به تعالى في قلوبهم .

(٢) الاستعارة في قوله تعالى : ﴿ سَنُلْقِيْكُمْ ﴾ لأن الإلقاء لا يكون إلا في الأجرام ، فاستعير هنا للرعب تجسيداً وتشخيصاً بتنزيل المعنوي منزلة المادي .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَىٰكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝١٥٢﴾
 ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرُّسُلُ يَدْعُوكُمْ فِي ۖ أَخْرَبَكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ عَمَّا يَغْمُرُ لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٥٣﴾

☆ اللفظة:

﴿ تَحُسُّونَهُمْ ﴾ تقتلونهم قتلاً ذريعاً وتستأصلونهم ، من حسّه يحسّه ، من باب : نصر ، إذا أبطل حسّه . قال جرير :

تحسّهم السيوف كما تسامى عريق النار في الأجم الحصيد

﴿ تَصْعَدُونَ ﴾ بضم التاء من أصدع ، أي : ذهب بعيداً في الجبل وفي الأرض ، ويقال : صعد في الجبل ، وأصدع في الأرض .

﴿ تَكُونُوا ﴾ تصرفون وجوهكم ، ولا تعرجون على أحد .

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لتفصيل موقعة أحد كما ذكرتها المطولات، واللام جواب القسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وصدقكم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، ووعدته منصوب بنزع الخافض؛ لأن صدق يتعدى لاثنتين أحدهما بنفسه، والآخر بحرف الجر، أي: بوعدته ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بصدقكم، وجملة تحسونهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وإذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل تحسونهم، أي: مأذوناً لكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يجوز في حتى هنا أن تكون حرف غاية وجر بمعنى إلى، وتكون مع مدخولها متعلقة بتحسونهم، أي: تقتلونهم إلى هذا الوقت، وعلقها الزمخشري بصدقكم، أي: صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم. وكلاهما صحيح، ويجوز أن تكون ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية، إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه، وجملة فشلتكم في محل جر بالإضافة، وجواب إذا محذوف على الصحيح، والتقدير: منعكم نصره، أو انهزمتكم، أو بانتم لكم الحقيقة جلية واضحة، وتنازعتم: الواو عاطفة، وجملة تنازعتم عطف على جملة فشلتكم، وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنازعتم ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾ عطف على ما تقدم، ومن بعد جار ومجرور متعلقان بعصيتكم، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لـ«بعد»، وأراكم فعل ماضٍ، والفاعل هو، والكاف مفعول به أول، وما اسم موصول مفعول به ثانٍ، وجملة تحبون صلة لا محل لها ﴿مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الجملة مفسرة لا محل لها، والمعنى: حتى إذا كان ذلك كله، وانقسمتم إلى قسمين، ثم فسر القسمين. ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة يريد صلة الموصول، والدنيا مفعول به،

ومنكم من يريد الآخرة عطف على الجملة الأولى، وفيها تفسير للقسم الثاني ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وجملة وصرفكم عطف على جواب إذا المحذوف، أي: منعكم نصره، ثم صرفكم عنهم، أي: ردكم عنهم ليمتحن صبركم وثباتكم، وعنهم جار ومجرور متعلقان بصرف، ليبتيكم اللام للتعليل، ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بصرف أيضاً ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وعفا فعل ماض، وعنكم جار ومجرور متعلقان بعفا ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وذو فضل خبر، وعلى المؤمنين جار ومجرور متعلقان بفضل، أو بمحذوف صفة له ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، أو بصرفكم، أو بعفا عنكم، كأنه من باب التنازع، وجملة تصعدون في محل جر بالإضافة، ولا تلوون عطف على تصعدون، ولك أن تجعل الواو حالية، فتكون الجملة منصوبة على الحال، وعلى أحد جار ومجرور متعلقان بتلوون ﴿وَأَرْسُولًا يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَانِكُمْ﴾ الواو حالية، والرسول مبتدأ، وجملة يدعوكم خبر، وفي أخراكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: كائناً في ساقتكم، أو في جماعتكم، وهو تصوير جميل لموقف القائد وثباته، وهو يقول: «إِلَيَّ إِلَيَّ عباد الله، أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة» ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ﴾ الفاء عاطفة، وأثابكم فعل ماض، ومفعول به وغماً يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً بتضمين أثابكم معنى المجازاة والإعطاء، ويجوز أن يعرب تمييزاً، وبغم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، أي: غمماً متصلاً بغم ﴿لِيَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ اللام حرف جر، وكى حرف تعليل ونصب واستقبال، ولا زائدة، وتحزنوا فعل مضارع منصوب بكى، والجار والمجرور متعلقان بأثابكم، وعلى ما فاتكم جار ومجرور متعلقان بتحزنوا، وجملة فاتكم صلة الموصول، ولا ما أصابكم

عطف على «ما فاتكم» ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وخبير خبر، وبما جار ومجرور متعلقان بخبير، وجملة تعملون صلة الموصول.

* الفوائد:

(كي): للعرب فيها مذهبان:

(١) أحدهما أن تكون للفعل بنفسها بمنزلة «أن» وتكون مع ما بعدها بمنزلة اسم كما كانت «أن» كذلك.

(٢) وثانيهما أن تكون حرف جر بمنزلة اللام فينصب الفعل بعدها بإضمار «أن» كما ينتصب بعد اللام فإذا كانت بمنزلة «أن» جاز دخول اللام عليها كآلية الأنفة الذكر، وإذا كانت حرف جر جاز دخولها على الأسماء كدخول حرف الجر، من ذلك قول العرب: كيّمه؟ فأدخل كي على «ما» في الاستفهام كما يدخل عليها حروف الجر نحو: لِمَ وبِمَ وعمّ، فحذف الألف كما يحذفها مع حروف الجر، وأدخل عليها هاء السكت في الوقف فقال: كيّمه.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

☆ اللفظة:

(النعاس): - بضم النون -: مقاربة النوم، أو أوله، وفترة في الحواس.

○ الإعراب:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأنزل فعل ماض، والجملة عطف على فأثابكم، وأثابكم عطف على صرفكم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بأنزل، ومن بعد الغم جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً، وأمنة مفعول به، ونعاساً بدل من أمنة، ويجوز أن يكون بدلاً مطابقاً بالنظر لمصدوقهما، وأن يكون بدل اشتمال؛ لأن كلاً منهما مشتمل على الآخر، والعائد محذوف للعلم به، أي: فيهما، ولأن الكلام يرشد إليه كما سترى في باب: الفوائد. ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾ الجملة صفة لقوله «نعاساً» وطائفة مفعول به ليغشى، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة، وهم الذين صدقوا ربهم، وثبت يقينهم ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ الواو استئنافية، وطائفة مبتدأ، وساغ الابتداء به لوصفه بمحذوف دلّ عليه السياق، أي: من غيركم بدليل: يغشى طائفة منكم، وجملة قد أهتمت أنفسهم هي الخبر، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين ﴿يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ جملة يظنون حالية من الهاء في أهتمت، ويجوز جعل ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ صفة وجملة يظنون هي الخبر، وبالله جار ومجرور متعلقان بـيظنون وغير الحق صفة لمفعول مطلق محذوف والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يساور النفوس، وظن الجاهلية بدل من «غير الحق»، أو منصوب على المصدرية التشبيهية، أي: ظناً مثل ظن الجاهلية، أو منصوب بنزع الخافض، وعلى هذا لم يذكر ليظنون مفعولين، وتكون الباء ظرفية، كما تقول: ظننت بزيد، وإذا كان ذلك كذلك لم تعد «ظننت» إلى مفعولين، وقد نص النحاة على ذلك، وعليه قول الشاعر:

فقلت لهم: ظنُّوا بِالْفَيِّ مُدَجِّجٌ سَرَاتُهُمْ فِي السَّابِرِيِّ الْمُسَرَّدِ

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ جملة يقولون بدل من جملة يظنون، وهل حرف استفهام إنكاري معناه النفي، أي: ليس لنا، ولنا جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشيء، ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالاً، ومن حرف جر زائد، وشيء مجرور بمن لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة مقول القول ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الجملة معترضة، وإن واسمها، وكله تأكيد لـ «الأمر» لأنه يتجزأ، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ جملة يخفون حال من ضمير يقولون، أي: يقولون فيما بينهم متسارين، وفي أنفسهم جار ومجرور متعلقان بيخفون، وما اسم موصول مفعول به، ولا نافية، وجملة يبدون لا محل لها لأنها صلة ما، ولك جار ومجرور متعلقان بيبدون ﴿يَقُولُونَ كَوْ كُنَّا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ جملة يقولون مستأنفة مسوقة لبيان ما قبله، ولتكون بمثابة شروع في الحديث عنهم مجدداً تطرية لنشاط السامع واسترعاء لانتباهه. ولو شرطية، وكان فعل ماض ناقص، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم، ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وشيء اسم كان المؤخر، وما نافية، وقتلنا فعل ماض مبني للمجهول، ونا نائب فاعل، وجملة ما قتلنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وها هنا: الهاء للتنبيه، وهنا اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بقتلنا ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان أن الآجال مكتوبة، وأنهم لو أقاموا في المدينة لحدثت لهم أسباب يخرجون فيها لملاقاة حتوفهم، وأنهم إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. ولو شرطية، وكنتم كان واسمها، وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ اللام واقعة في الجواب، وبرز الذين فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة كتب عليهم القتل صلة الذين، وإلى مضاجعهم جار ومجرور متعلقان ببرز، أي: إلى مصارعهم ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ الواو عاطفة على محذوف تقديره: وفعل

ما فعله في أحد لمصالح جملة وليبتلي، اللام للتعليل، ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف، أي: فعل ذلك لمصالح تجهلونها، وليبتلي ما في الصدور، وما اسم موصول مفعول به، وفي صدوركم جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ عطف على ليبتلي ما في صدوركم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لتأكيد علمه تعالى بالسرائر والكوامن، والله مبتدأ، وعليم خبر، وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم.

□ البلاغة:

لو شئنا الإسهاب في إظهار مواطن البلاغة المنطوية فيها لضاق بنا المجال، وحسبنا أن نلم بها إلاماً سريعاً، يأتي على ما تطول فيه العبارة وتمتد، فمنها:

(١) الإيجاز: ويبدو في كثير من المواطن فيها على الشكل التالي:

أ- في كلمة ثم الواقعة في مستهلها، للدلالة على أن تراخياً من الزمن قد امتد بعد أن حل بهم ما حل في وقعة أحد في تلك الحادثة العجيبة، فبعد تصعيدهم في الجبل، وإشاحة وجوههم عن رؤية ما حدث لفرط ما نابهم من الدهشة، واستولى عليهم من الفزع والهلع، أتبعهم الله غماً بعد غم، أو على غم، أو بسببه حدث نزول الأمن فرتق النعاس في الأجفان، وهومت الرؤوس، واسترخت المفاصل، فكانوا يميّدون تحت الحَجَف، وكانت السيوف تسقط من أيديهم. والحجف - بفتحتين -: جمع حجة اسم الترس، أو الدرقعة.

ب- في كلمة «أمنة» وإبدال النعاس منها إيجاز كثير، يدل على أن الأمن والهدوء استوليا عليهم فور ترنيق النعاس وأخذ ديب الكرى بمعاقد أجفاهم، وإنما ينعس من أمن، وزايله الخوف، والخائف لا ينام، بل يرى

أعداءه في كل مكان . وقد رمق المتنبي هذه السماء العالية فقال :

وَصَاقَتْ الْأَرْضُ حَتَّى كَادَ خَائِفُهُمْ

إذا رأى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا

ج - في كلمة «شيء» من قوله : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ التي احتوت على ما تضييق عنه الصحف كالنصر والظهور على العدو ، بعد أن اشتدت وطأته وضرأوته .

د - في حذف خبر «طائفة» تنزيهاً لهم عن نسبة من اهتموا بأنفسهم ، ولم تبق لهم رغبة إلا في نجاتها دون النبي ﷺ وأصحابه ، فإنهم لم يناموا ، أما تقدير الخبر فيمكن أن يقدر : تعرفهم بسيماهم .

(٢) الكناية ، فقد كنى بالمضاجع عن المصارع ، حيث لاقوا حتفهم ، وصافحوا منايهم .

(٣) المخالفة في جواب لو ، فقد جاء مرة بغير لام وجاء مرة مقترناً بها ، وفي هذا سر عجيب ، فقد قال : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا ﴾ ثم قال : ﴿ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ ﴾ والقاعدة المعروفة هي أن جواب لو إذا كان منفيًا بما ، فالأكثر عدم اللام وفي الإيجاب بالعكس ؛ لأن الإيجاب أحوج إلى التثبيت والترسيخ وهذا من الأسرار التي تميز كتاب الله بها ؛ ليكون المعجزة أبد الدهر .

* الفوائد :

(١) هذه الآية تجمع حروف المعجم ، ليس في القرآن غيرها وغير آية الفتح وهي قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

(٢) لا بد في بدل الاشتمال من عائد يربطه بالأول ، فأما في قوله : «نعاساً» فالمراد : نعاساً فيها ؛ لأن المخاطب يعلم ذلك بسهولة كما تقدم ؛ لأن كلاً من الأمانة والنعاس مشتمل على الآخر .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥)

☆ اللغة:

﴿ اسْتَزَلَّهُمْ ﴾ طلب منهم الزلل، واستدرجهم إليه. والزلل: هو الانحراف عن الحق، والوقوع في المناكر.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان سبب هزيمة المنهزمين، واستزلال الشيطان إياهم، فحرموا قوة القلب، وثبات الجنان، وهما عدة النصر. وإن واسمها، وجملة تولوا صلة الموصول، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ويوم ظرف زمان متعلق بتولوا، وجملة التقى في محل جر بالإضافة ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ الجملة خبر إن، وإنما كافة ومكفوفة، واستزلهم الشيطان فعل ومفعول به وفاعل، وأعاد إن بطريق الحصر تنبيهاً على مصدر الغي وسببه، وهو ركونهم إلى الشيطان، وإنصاتهم لداعيه. وبيعض جار ومجرور متعلقان باستزلهم، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة كسبوا صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: بتركهم المركز الذي أمرهم الرسول بالثبات فيه، فجرّهم ذلك إلى الهزيمة ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لإعلان العفو عنهم بعد ما تابوا واعتذروا، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وعفا الله فعل وفاعل، وعنهم جار ومجرور متعلقان بعفا ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ إن واسمها، وغفور حلیم خبران لإن، والجملة تعليلية لقوله: عفا عنهم.

﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي
قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَخْتِي وَيُخَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

☆ النكتة:

﴿ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: سافروا فيها، وأبعدوا في سفرهم للتجارة، أو للغزو، أو لغير ذلك من المقاصد.

﴿غُزًى﴾ جمع غازٍ، والقياس غزاة، كرام ورماة، وساع وسعاة ولكنهم حملوا المعتل على الصحيح.

○ الإعراب:

﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا ناهية، وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، والواو اسمها، وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر، والذين اسم موصول مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، وجملة النهي مستأنفة، مسوقة لتحذير المؤمنين من الاحتذاء بالمنافقين، والنطق بمثل ما قالوه ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على الصلة، والمراد بالإخوة اتفاق الجنس أو النسب. وإذا لمجرد الظرفية يراد بها حكاية الحال الماضية تجسيدا للصورة، والظرف متعلق بقالوا، وجملة ضربوا في الأرض في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ عطف على جملة ضربوا في الأرض، وغزى خبر كانوا، والواو اسمها ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ الجملة في محل نصب مقول القول، ولو شرطية، وكان واسمها، وعندنا ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كانوا، أي: مقيمين عندنا، وجملة ما ماتوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير

جازم، وجملة وما قتلوا عطف على جملة ما ماتوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ اللام لام العاقبة، أو الصيرورة، أي: قالوا ذلك ليصيروا إلى هذه العاقبة ويجعل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام العاقبة، وهي والمصدر المجرور بها متعلقان بفعل محذوف يفهم من السياق، أي: قالوا ذلك واعتقدوه، والله فاعل، وذلك مفعول به أول، وحسرة مفعول به ثان، وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحسرة، والمشار إليه هو الجهر بالقول والاعتقاد، وجعله الزجاج ظنهم بأنهم لو لم يحضروا لم يقتلوا ﴿وَاللَّهُ يُمَيِّتُ وَيُمِيتُ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يحيي خبر، وجملة يميت عطف على جملة يحيي ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وبما جار ومجرور متعلقان ببصير، وجملة تعلمون لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، وبصير خبر «الله».

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فن رائع من فنون البلاغة، وهو حكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة في الذهن، وتجسيداً للمعنى المراد، وتشخيصاً لما يريد المتكلم عرضه، فإذا ظرف للمستقبل، وقد جاء متعلقاً بقالوا، وهي فعل ماض، وكان ظاهر الكلام يقضي باستعمال «إذا» المفيدة للمضي، ولكنه عدل عنها إلى «إذا» لحكاية الحال الماضية، واستحضارها في الذهن، وفائدتها: استمرار الزمان المنتظم للحال الذي يدور عليه الحديث إلى وقت التكلم، وقد فصل الزجاج هذا المعنى تفصيلاً بارعاً بقوله: إذا هنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل، يعني: أنها لمجرد الوقت، أو يقصد بها الاستمرار.

(٢) الطباق بين يحيي ويميت، وهو من أوجز الحديث، وأصدقه، وأبعده في الدلالة على المعنى المراد، فإنه سبحانه قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما موارد الهلكة، ثم يميت المقيم والقاعد مع أخذهما

بأسباب الحيلة والحذر . وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية من البلاغة بقوله :

يُقْتَلُ العَاجِزُ الجَبَانُ وَقَدْ يَعُ
وَيُوقَى الفَتَى المِخْشُ وَقَدْ خَوَّ ضَ في مَاءِ لَبَّةِ الصَّنْدِيدِ

يقول : لا تجبن ، ولا تحرص على الحياة ، فالعجز والجبن ليسا من أسباب البقاء ، وليسا بمنجيين من الموت ، ويرحم الله خالد بن الوليد أنه قال عند موته : ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وها أنذا أموت كما يموت العَيْرُ ، فلا نامت أعين الجبناء .

* الفوائد :

(لام العاقبة) أو الصيرورة ، هي التي تدل على مآل الشيء وعقباه ، وحكمهما في العمل حكم لام التعليل في إضمار أن بعدها جوازا ، وستأتي أمثلة منها .

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

○ الإعراب :

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ كلام مستأنف ، مسوق لتقرير أن ما تحذرون وقوعه ليس مما ينبغي أن يحذر منه ، بل يجب أن يكون حافزاً لكم على القتال ، ومواصلة الجهاد . والواو استئنافية ، واللام موطئة للقسم المقدر ، وإن شرطية ، وقتلتم فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط ، وهو مبني للمجهول ، والتاء نائب فاعل ، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقتلتم ، أو متم عطف على قتلتم ، ومتم فعل ماضٍ من مات يموت ، كقال يقول ، فهي بضم الميم ، ويجوز كسرهما إذا كانت من مات يمات ، كخاف يخاف ، وقد قرئ بهما ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ اللام

لام الابتداء، ومغفرة مبتدأ ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لوصفه بالجار والمجرور، ورحمة عطف على مغفرة، وخير خبر، ومما جار ومجرور متعلقان بخير، وجملة يجمعون صلة ما، ولام الابتداء ومدخولها جملة لا محل لها لأنها جواب للقسم حسب القاعدة المقررة، وهي أنه إذا اجتمع قسم وشرط فالجواب يعطى للمتقدم منهما ﴿وَلَيْنَ مُتَمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ تقدم إعرابها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾ اللام ومدخولها جواب القسم، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بتحشرون، وتحشرون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل.

□ البلاغة:

في هذه الآية والتي قبلها فن منتظم في باب: التقديم والتأخير، فقد ورد الموت والقتل فيهما ثلاث مرات، وتقدم الموت على القتل في الأول والأخير منها، وتقدم القتل على الموت في المتوسط، تبعاً لتقديم الأهم والأشرف.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩)

☆ اللفظة:

﴿فَطًا﴾: جافياً. والفظاظة: الجفوة في المعاشرة قولاً وفِعْلاً. قال الراغب: الفظ: كرية الخلق، وذلك مستعار من الفظ، وهو ماء الكرش، وذلك مكروه شرهه إلا في ضرورة. والغلظة: ضد الرقة. ويقال: غلظ وغلظ، بالكسر والضم، وعن الغلظة تنشأ الفظاظة، وقدمت الفظاظة لسر، وهو تقديم ما هو ظاهر للحسن على ما هو خاف في القلب.

○ الإعراب:

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّتَ لَهُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ما يجب سلوكه لتأليف الناس، وترغيبهم في الخير، والفاء استئنافية، وبما رحمة جار ومجرور متعلقان بلنت، وما زائدة للتوكيد، ومن الله: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرحمة، ولنت فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعل، ولهم: جار ومجرور متعلقان بلنت ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الواو عاطفة على محذوف مقدر، أي: لنت ولو لم تكن ليناً، ولو شرطية، وكنت كان الناقصة واسمها، وفظاً خبرها، ولا نفضوا: اللام واقعة في جواب لو، وانفضوا فعل وفاعل، والجملة، لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومن حولك: جار ومجرور متعلقان بانفضوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الفاء هي الفصيحة، أي: إذا شئت سلوك الطريق المثلى فاعف عنهم فيما يختص بك، واعف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله أنت، وعنه: جار ومجرور متعلقان باعف، واستغفر عطف على اعف، أي: فيما يختص بغيرك، ولهم: جار ومجرور متعلقان باستغفر ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ عطف أيضاً، وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بشاورهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الفاء عاطفة، ولك أن تجعلها استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما يجب عمله بعد المشاورة، وقدم المشاورة للإشارة إلى أن التوكل ليس يعني إهمال التدبير، وبيان أن الشورى من أفضل الأمور، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل وتفويض الأمور لله تعالى. وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة عزمتم في محل جر بالإضافة، فتوكل: الفاء رابطة لجواب إذا، وتوكل فعل أمر، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ الجملة تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة يحب المتوكلين خبرها.

* الفوائد:

زيادة (ما) بين الباء وعن ومن والكاف ومجروراتها أمر معروف في اللسان العربي، وقرر في علم العربية. وذهب بعض المعربين إلى أن «ما» ليست زائدة بل هي نكرة تامة بمعنى شيء، ورحمة بدل منها. وكأن قائلها هذا يفرون من أنها زائدة. وقيل: «ما» هنا استفهامية، قال الفخر الرازي ما نصه: قال المحققون: دخول اللفظ المهمل الوضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز، وهنا يجوز أن تكون «ما» استفهاماً للتعجب تقديره: فبأي رحمة من الله لنت لهم! وذلك بأن جنايتهم لما كانت عظيمة، ثم إنه ما أظهر البتة تغليظاً في القول، ولا خشونة في الكلام، علموا أن هذا لا يتأتى إلا بتأييد رباني قبل ذلك. وما قاله هؤلاء المحققون صحيح ولكن زيادة «ما» للتوكيد لا ينكره في موطنه المقررة من له أدنى مُسكة في الذوق والتعلق بالعربية، فضلاً عما يتعاطى تفسير كلام الله. وليس «ما» في هذا المكان مما يتوهمه أحد مهملاً، فلا يحتاج ذلك إلى تأويلها بأن تكون استفهاماً للتعجب، ثم إن تقديره ذلك: «فبأي رحمة» دليل على أنه جعل «ما» مضافة للرحمة، وما ذهب إليه خطأ من وجهين، أحدهما: أنه لا تضاف ما الاستفهامية ولا أسماء الاستفهام غير «أي» بلا خلاف، و«كم» على خلاف. والثاني: أنه إذا لم تصح الإضافة فيكون إعرابه بدلاً، وإذا كان بدلاً من اسم الاستفهام، فلا بد من إعادة همزة الاستفهام في البدل كما هو مقرر، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسور عليه قول الزجاج في «ما» هذه: إنها صلة فيها معنى التوكيد بإجماع النحويين والبيانين.

مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير:

وقد جرت مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير، فقال الغزالي في حديثه عن أقسام المجاز: القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ﴾ ف «ما» هنا زائدة لا معنى لها، أي:

فبرحمة من الله لنت لهم». ورد عليه ابن الأثير فقال: وهذا القول لا أراه صواباً، وفيه نظر من وجهين: أحدهما: أن هذا القسم ليس من المجاز؛ لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة، وهذا غير موجود في الآية، وإنما هي دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة. والوجه الآخر: إني لو سلّمت أن ذلك من المجاز لأنكرت أن لفظة «ما» زائدة لا معنى لها، ولكنها وردت توضيحاً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ﷺ لهم، وهي محض الفصاحة، ولو عري الكلام منها لم تكن له تلك الفخامة. إلى أن يقول: وأما الغزالي - رحمه الله - فإنه عندي معذور في ألا يعرف ذلك؛ لأنه ليس فنه، ومن ذهب إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له، فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسماً في دينه واعتقاده، وقول النحاة: إن «ما» في هذه الآية زائدة، إنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل، كما يسمونها في موضع آخر: كافة، أي: أنها تكف الحرف العامل عن عمله، كقولك: إنما زيد قائم، ف «ما» قد كفت «إن» عن العمل في «زيد»، وفي الآية لم تمنع عن العمل، ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة! فتأمل هذه المناقشة فإنها من الحسن بمكان.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ كلام مستأنف لإيجاب التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه. وإن شرطية، وينصركم فعل الشرط، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والله فاعل، فلا: الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية للجنس تعمل عمل إن، وغالب اسمها المبني على الفتح،

وجملة فلا غالب لكم في محل جزم جواب الشرط، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويخذلكم فعل الشرط، فمن الفاء رابطة لجواب الشرط، ومن اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ، وذا اسم إشارة في محل رفع خبر «من»، والذي اسم موصول في محل رفع بدل من اسم الإشارة، ومن بعده جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فمن الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وجملة ينصركم صلة لا محل لها ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الواو عاطفة، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل، والفاء لتأكيد الاستئناف، واللام لام الأمر، ويتوكل فعل مضارع مجزوم باللام، والمؤمنون فاعل، وفي تأكيد الاستئناف بعد الإنكار والنفي حث مبالغ فيه على الاتكال، بعد الأخذ بأسباب الحيطة والحذر.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١٦١ ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَرِثَسَ الْمَصِيرُ﴾ ١٦٢ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ١٦٣

☆ اللفظة:

﴿غُلَّ﴾: أخذ خفية، واستغلالاً، وخيانة. والغلول: صفة تتنافى مع النبوة. ومن طريف الجناس قولهم: يد المؤمن لا تغلّ وقلب المؤمن لا يغلّ الأولى بضم الغين من الغلول والثانية بكسرها من الغل، أي: الحقد.

○ الإعراب:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ كلام مستأنف مسوق لنفي الغلول عن النبي ﷺ. وفي قراءة بالبناء للمجهول، أي: ينسب إلى الغلول. وكلتا القراءتين تنفي

هذه الصفة عن النبي لعصمته، ولتحريم الغلول. والواو استئنافية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص مبني على الفتح، ولنبي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأن يغل مصدر مؤول اسمها المؤخر ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق للردع عن الغلول. ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويغلل فعل الشرط، ويأت جوابه، وبما جار ومجرور متعلقان بيات، وجملة غل صلة الموصول، ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيات أيضاً، وجملة فعل الشرط، وجوابه خبر من ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول معطوف على الجملة الشرطية، وكل نفس نائب فاعل، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان، وجملة كسبت صلة الموصول ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الواو استئنافية، أو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون خبر «هم»، والجملة استئنافية، أو حالية، ونرى الاستئناف أرجح؛ لأنها بمثابة إيضاح لتوفى كل نفس ما كسبت على طريق العدل، فينال كل إنسان جزاءه من غير حيف، أو نقصان ﴿أَفَمَنْ أَتَّبِعْ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، والنية التقديم على الهمزة، وقد تقدم البحث في هذا التركيب، وإن تقدير المحذوف: أجعل لك ما تميز به بين الضال والمهتدي، فمن اتبع رضوان الله واهتدى ليس كمن باء بسخطه، والاستفهام الإنكاري معناه النفي، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة اتبع صلة، ورضوان الله مفعول به لاتبع، والجملة معطوفة على المحذوف؛ الذي هو مستأنف ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ كمن الكاف حرف جر، ومن اسم موصول في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر «من»، أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر، ومن مضاف إليه، وجملة باء صلة الموصول، وبسخط جار ومجرور متعلقان بباء، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الواو حرف عطف، وماأواه مبتدأ، وجهنم خبره، والجملة عطف على الصلة، أي: وكمن مأواه جهنم. ولك أن تجعل الواو استئنافية،

وعلى كلا الوجهين لا محل لها من الإعراب وبئس الواو عاطفة أيضاً، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمصير فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: جهنم ﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت ما بين الفريقين، كما سيأتي في باب: البلاغة، وهم مبتدأ، ودرجات خبر، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لدرجات، والله الواو استئنافية، والله مبتدأ، وبصير خبر، وبما جار ومجرور متعلقان ببصير، وجملة يعملون صلة.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون شتى يضيق عنها العدّ، ويمكن إيجازها على الوجه التالي:

(١) المبالغة في النهي، وقد وردت المبالغة على هذه الصيغة كثيراً في القرآن، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

(٢) والغلول أولى بأن يبالغ فيه؛ لأن تصور المبالغة على وجه يبعث الخوف، ويحجب خاطر عن التفكير فيه، وتصويره، بله ارتكابه والخوض في مناحيه، ويحسن بنا أن نورد حديثاً فيه تجسيد فني لصورة الغلول، أو الاستغلال، أو اجتلاب المنافع الخاصة على حساب المجاهدين والضارين في سبيل الله، حتى على حساب الحيوانات التي لا تعقل، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره، حتى قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة فيقول: يا رسول الله أغثنى! فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد أبلغتك» والحديث طويل اجتزأنا منه بما تقدم.

(٣) التشبيه البليغ في قوله ﴿هُم دَرَجَتٌ﴾ فقد جعلهم الدرجات نفسها؛ للمبالغة في إظهار التفاوت، لما بينهم في الثواب والعقاب.

(٤) الالتفات ، وهو هنا : العدول عن ذكر الخاص ، وهو النبي إلى ذكر العام ، وهو كل نفس ، ليشمل كل كاسب بغير حق ، وليتلطف ويتعطف في تقرير الغلول ونتائجه بالنسبة للنبي . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴾ فقد بدأ المصطفى بالعفو ، ولو لم يبدأ به لتفطر قلبه .
(٥) الطباق بين الرضوان والسخط .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦٤)

○ الإعراب:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ اللام جواب لقسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، ومنَّ الله فعل وفاعل ، وعلى المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمنَّ ، والكلام مستأنف مسوق لتأكيد نزاهة النبي ﷺ ، وبيان خطأ الذين نسبوا إليه الغلول ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمنَّ ، وجملة بعث في محل جر بالإضافة ، وفيهم جار ومجرور متعلقان ببعث ، ورسولاً مفعول به ، ومن أنفسهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ «رسولاً» ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ﴾ الجملة صفة ثانية لـ «رسولاً» ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتلو ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الجملتان معطوفتان على يتلو ، والكتاب مفعول به ثان ليعلمهم ، والحكمة عطف على الكتاب ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الواو حالية ، وإن مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها ، وكان واسمها ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وقبل ظرف مبني على الضم في محل جر بمن ، وفي اللام هي الفارقة ، وفي ضلال جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانوا ، ومبين نعت .

□ البلاغة:

في الآية فن رفيع من فنون البلاغة يعرف بفن التجريد، وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله فيها مبالغة لكمالها فيه؛ كأنه أبلغ من الاتصاف بتلك الصفة. وهو أقسام كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتب البلاغة، ولكننا نشير إلى أهمها:

(١) أن يكون بـ «من» الجارة، ومن أوابده في النثر خطبة أبي طالب في تزويج خديجة بالنبي ﷺ ومنها: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضي معد.

(٢) ويكون بالباء التجريدية كقول أبي تمام:

هتاك الظلام أبو الوليد بغرة فتحت لنا باب الرجاء المقل
باتم من قمر السماء إذا بدا بذراً وأحسن في العيون وأجمل
وأجل من قس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

(٣) ويكون بفي الجارة التجريدية، قال تعالى: ﴿هُم فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨] أي في جهنم فانترع منها داراً أخرى مبالغة. وقد رملها أبو الطيب فقال:

تمضي المواكب والأبصار شاخصة

منها إلى الملك الميمون طائر

قد حزن في بشر في تاجه قمر

في ذرعه أسد تدمي أظافره

فإن الأسد هو الممدوح نفسه، لكنه انتزع منه أسداً آخر؛ تهويلاً لأمره، ومبالغة في اتصافه بالشجاعة، والإقدام.

(٤) ومن أقسام التجريد: أن ينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام، ثم يخاطبه كقول المتنبي:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ
 فَلْيُسْعِدِ الطُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
 وَأَجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
 بغير قولٍ وَنُعْمَى الْقَوْمِ أَقْوَالُ

وجميل قول أبي النواس :

يَا كَثِيرَ التَّوْحِ فِي الدَّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
 سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَنْنِ

ومراذه الخطاب مع نفسه ، ولذلك قال بعدها :

ظَنَّ بِي مَنْ قَدْ كَلَفْتُ بِهِ فَهُوَ يَجْفُونِي عَلَى الظَّنِّ
 بَاتَ لَا يَعْنِيهِ مَا لَقِيتُ عَيْنُ مَمْنُوعٍ مِنَ الْوَسَنِ
 رَشَاءُ لَوْلَا مَلَا حُتُّهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

وقال شوقي في العصر الحديث :

قُمْ نَاجٍ جَلَّقَ وَانْشُدْ رَسْمَ مَنْ بَانُوا

مَشَتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثٌ وَأَزْمَانُ

فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر يمثل في الشاعرية والقدرة على مناجاة دمشق الخالدة ، التي صمدت للاستعمار دائماً . ويكثر هذا القسم في مطالع القصائد ، ولكن سبيله صعبة محفوفة بالخطر ؛ لأنه قد يخاطب ممدوحه أو معشوقه ، أو أي مخاطب كان بما يكره ، ويتطير به ، كما فعل جرير عندما استهل قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان : -

أَتَضْحُو أَمْ فَوَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمٍّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ

فقال له عبد الملك : ويلك ! ما لك ولهذا السؤال يا ابن الفاعلة : وكما تورط أبو الطيب المتنبى نفسه متعمداً في مديح كافور :

كفى بك داءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِئاً

وحسبُ المنايا أَنْ يَكُنَّ أُمَانِيَا

ومن القصائد البديعة التي تغلغل التجريد إلى أبياتها قصيدة الصمة بن عبد الله في صاحبه رياء، ونوردها كاملة، ففيها لعشاق الأدب سلوى وتأساء:

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشُعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعاً
وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدَّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِالْحَمَى
وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا
وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعَ
إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
وَحَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنَّ نُزْعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلَمِ أَسْبَلْنَا مَعَا
تَلَقَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى حَسِبْتَنِي
وَجَعْتَ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتاً وَأَخْدَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَثْنِي
عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصْدَّعَا

* الفوائد:

تخفف «إن» المكسورة الهمزة المشبهة بالفعل، فتهمل لزوال اختصاصها، وتدخل على الخبر لام تسمى: اللام الفارقة، مثل: إن خالد لمسافر، فرقاً بينها وبين إن النافية، وإذا وليها فعل كانت مهملة حتماً،

ويكون هذا الفعل من النواسخ، أي: كان وظن وأخواتهما، ولا بد من دخول هذه اللام على هذه الأفعال. وقد أعملها بعض العرب في القسم الأول على قلة، فقالوا: يجوز أن نقول: إن خالداً لمسافر، ولهذا أخطأ الزمخشري وخالف كتابه «المفصل» عندما أعملها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عندما قدر اسمها اسماً ظاهراً، أي: إن الشأن والحديث. وقد تبع الزمخشري في الخطأ الجلال وأبو السعود، وجل من لا يسهو.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥)

○ الإعراب:

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري والتقريع، والواو عاطفة على ما تقدم من قصة أحد، والمعنى: لا ينبغي لكم أن تتعجبوا من فشلكم فإنكم تعلمون السبب، وإذا عرف السبب بطل العجب، ولما ظرفية حينية، متعلقة بقلتم، أو رابطة فهي حرف، وسيأتي حكمها في باب: الفوائد. وأصابتكم فعل ماض ومفعول به، ومصيبة فاعل ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ الجملة صفة لمصيبة، وقد حرف تحقيق، وأصبتكم فعل وفاعل، ومثلها مفعول به ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ جملة قلتم لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وأنى اسم استفهام خبر مقدّم، وهذا مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والمعنى: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل، ونحن نقاتل في سبيل الله، ومعنا رسول الله، وقد وعدنا الله بالنصر عليهم؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ جملة القول مقول للقول، وهو مبتدأ، ومن عند أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إن واسمها وخبرها، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير، والجملة تعليلية لا محل لها.

* الفوائد :

(١) أورد ابن هشام في «المغني» هذه الآية شاهداً على أن الهمزة تدخل على النفي، كما تدخل على الإثبات، وهذا وهم منه لم نكن نتوقع صدوره عن رجل ذكي مثله؛ لأن لما هنا حينية لا نافية، فلا يصلح هذا مثلاً لدخولها على النفي، ولا يقال: إن الهمزة للإنكار، وهو بمثابة النفي، فالكلام الذي دخلت عليه منفي أيضاً، فصح التمثيل لأننا نقول: الإنكار هنا توبيخي، فمدخوله ثابت، كقولك لضارب أبيه: أتضربه وهو أبوك؟! فالأولى الاعتراف بأن ابن هشام اشتبه عليه لفظ لما، لعل المراد أنه أراد لما النافية، وقد انتبه السيوطي لهذه الغلطة وقال: والأولى التمثيل بقول الشاعر: فقلت: ألما أصح والشيب وازع. وهذه من هنات ابن هشام اليسيرة التي سجلناها عليه، وجلّ من لا يسهو، وقال الدماميني في شرحه للمغني: والأولى أن يجعل مدخولها محذوفاً هو المعطوف عليه، أي: ألم تجزعوا، أو قلت لـ ما أصابتكم مصيبة، ويكون المصنف مثل للنفي المذكور والمحذوف قال: فإن قلت هذا لا يراه المصنف كما يأتي، وإنما يرى الهمزة الداخلة على مدخول الواو قدمت تنبيهاً على أصلتها في التصدير، كما يأتي، فكيف يحمل كلامه على ما ذكرت؟ قلت: المصنف لم يذكر هذا في الهمزة التي للإنكار نحو: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أو مثل على قول الزمخشري ومن تبعه.

(٢) (لما) على ثلاثة أوجه:

أ - تختص بالمضارع فتجزمه وتقلبه ماضياً كـلم، ولكن نفيها مستمر إلى الحال بعكس لم.

ب - أن تختص بالماضي، وقد اختلف فيها علماء النحو، فقال جماعة هي ظرف بمعنى حين، وقال جماعة: هي حرف لربط جملتين لا بد منهما، نحو: لما جاءني أكرمته.

ج - أن تكون حرف استثناء، فتدخل على الجملة الاسمية، نحو: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] وسيأتي الكلام عنها في مكانها.

(٣) قد: حرف توقع لاقتترانه بالأفعال المتوقعة والمسؤول عنها، ولذلك يقال: إذا دخلت على الماضي حرف تحقيق، وإذا دخلت على المضارع حرف تقليل، ومعنى تقليلها: تقريبها من الحال، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ وقد تخرج عن موقعها وتجيء من قبيل الأسماء بمعنى حسب، تقول: قدك، أي: حسبك. قال أبو تمام:

قدك اثَّبت أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَإِذَنْ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَلَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١٦٧)

○ الإعراب:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ الكلام مستأنف، مسوق لنتمة قصة أحد، والواو استثنائية، وما اسم موصول مبتدأ، وجملة أصابكم صلة، ويوم ظرف متعلق بأصابكم، وجملة التقى الجمعان في محل جر بالإضافة ﴿فَإِذَنْ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وإِذَنْ الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فهو بإذن الله، والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الموصول، وليعلم الواو عاطفة، واللام للتعليل، ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور متعلقان بما تعلق به بإذن، والعطف هو من باب عطف السبب على السبب، ولك أن تعلقهما بفعل محذوف تقديره: فعل ذلك ليعلم، والمؤمنين مفعول به ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ عطف على ليعلم، والذين اسم

موصول مفعول به، وجملة نافقوا صلة الموصول ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾ كلام مستأنف، مسوق للإخبار بأنهم مأمورون إما بالقتال وإما بالدفع، ولك أن تجعله معطوفاً على نافقوا داخلاً في حيز الموصول، أي: وليعلم الذين حصل منهم النفاق والقول المذكور، وقيل فعل ماض مبني للمجهول، ولهم جار ومجرور متعلقان بقتل، وجملة تعالوا مقول القول، وكذلك جملة قاتلوا، وكلتا الجملتين نائب فاعل قيل، ولم يأت بحرف العطف بينهما؛ لأن كلا من الجملتين مقصودة بالذكر لذاتها، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقاتلوا، أو حرف عطف، وادفعوا معطوف على قاتلوا، وحذف مفعول ادفعوا للعلم به؛ لأنه العدو، ودفعه إنما يكون بتكثير سواد المسلمين، وسواد المسلمين: جماعتهم ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ﴾ الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة، مسوقة لتعبر عن تحملهم وإمعانهم في اللجاج، وركوب متن الغي والضلال، ولو شرطية، وسماها سيبويه حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره جملة: لو نعلم، قتالاً مقول قولهم؛ لأن رأي عبد الله بن أبي كان في الإقامة بالمدينة. واللام واقعة في جواب لو، واتبعناكم فعل ماض وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للقطع بأمرهم، وهم مبتدأ، وللکفر جار ومجرور متعلقان بأقرب، ويوم ظرف زمان مضاف لظرف آخر، وهو متعلق بمحذوف حال، وأقرب خبرهم، ومنهم جار ومجرور متعلقان بأقرب، وللإيمان جار ومجرور متعلقان بأقرب أيضاً، وهذا من خصائص اسم التفضيل يتعلق به حرفا جر متحدان لفظاً ومعنى، وحرف آخر غير متحد بعامل واحد، لأنه في قوة عاملين، فهو يدل على أمرين، وهما أصل الفعل والزيادة فيه، فيعمل كل منهما بواحد ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، أو حالية من الضمير في أقرب، فيكون المعنى قربوا للکفر في حالة كونهم قائلين هذه المقالة، وبأفواههم جار ومجرور متعلقان بيقولون، وإنما صرح بالجار والمجرور، والقول لا يكون إلا

بالأفواه لأن القول يطلق على اللساني والجسماني فتقييده بأفواههم تقييد لأحد محتمليه، وقيل لمجرد التأكيد، وما اسم موصول مفعول به، وجملة ليس في قلوبهم صلة ما، وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير أنه تعالى عليم بما يكتُمونه من نفاق، أو بما كانوا يبيتونه في الخفاء، ولك أن تجعلها حالية، والله مبتدأ، وأعلم خبر، وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم، وجملة يكتُمون صلة ما.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٦٨)

○ الإعراب:

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ الذين اسم موصول لك في إعرابه وجوه متساوية، منها: أن تعربه بدلاً من اسم الموصول في الآية المتقدمة، أي: الذين نافقوا، أو من الواو في نافقوا، أو تنصبه على الذم بفعل محذوف تقديره: أذم، وهو شائع في كلامهم، ويدل على تجسيد وتصوير، ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، فتكون الجملة مستأنفة، وجملة قالوا صلة، وإخوانهم جار ومجرور متعلقان بقالوا، والواو يجوز فيها أن تكون حالية، أو عاطفة، والجملة إما حالية من الواو في قالوا، وقد مقدرة، وإما معطوفة على جملة قالوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ لو شرطية، وأطاعونا فعل ماض وفاعل ومفعول به، وما نافية، وقتلوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة ما قتلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة لو أطاعونا في محل نصب مقول القول ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الجملة مستأنفة، وقل فعل أمر، والفاء هي الفصيحة، أي: إذا صحت دعواكم فادرءوا عن أنفسكم، أي: ادفعوا، وعن أنفسكم جار ومجرور متعلقان بادرءوا، والموت مفعول به، وإن

شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، وصادقين خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فادروا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم أن القعود ينجي صاحبه، ولا يقال: إن الإنسان يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الأجل إذا أخذ بأسباب التوقي، فذلك إرجاف لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

* الفوائد:

﴿لو﴾ في الكلام ضربان: مصدرية وشرطية.

أ - المصدرية هي التي يحسن في موضعها أن المصدرية، وأكثر ما تقع بعد ودّ، أو ما في معناه، كقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ب - الشرطية هي للتعليق في الماضي، كما أن إن في المستقبل، ومن ضرورة كون التعليق في الماضي أن يكون شرطها منفي الوقوع؛ لأنه لو كان ثابتاً لكان الجواب كذلك، وأما جوابها فإن كان مساوياً للشرط في العموم، كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، فلا بد من انتفاء أيضاً، وإن كان أعم من الشرط كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً، فلا بد من انتفاء القدر المادي منه للشرط، ولذلك تسمع النحاة يقولون: لو حرف امتناع لامتناع، أي: يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط، ولا يرون أنها تدل على امتناع الجواب مطلقاً لتخلفه في نحو: لو ترك العبد سؤال ربه لأعطاه، وإنما يريدون أنها تدل على انتفاء المساوي من جوابها للشرط، والأولى أن يقال: لو حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم من ثبوته ثبوت غيره، فينبه على أنها تقتضي لزوم شيء لشيء، وكون الملزوم منفيًا، ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقاً، ولا لثبوته؛ لأنه غير لازم من معناها، وسيرد بحث ممتنع عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا

فَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴿[لقمان: ٢٧] فانتظر، واقرأ العجيب من هذه اللغة الشريفة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لإخبار النبي ﷺ وأمته بمصائر الشهداء، ولئن كان الكلام خاصاً بشهداء أحد فلا ينتفي عنه العموم، وقد سبق القول في شهداء بدر وما نزل فيهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، والواو استئنافية، ولا ناهية، وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بلا الناهية، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، والذين اسم موصول مفعول به أول، وأمواتاً مفعول به ثان ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ بل حرف عطف يعطف جملة على جملة، وأحياء خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم أحياء، وليست بل التي تعطف مفرداً على مفرد؛ لأن المعنى يختل إذ يصير: لا تحسبنهم أحياء، بل الغرض الإعلام بحياتهم ترغيباً في الجهاد، وحثاً عليه، وعند ربهم ظرف متعلق بيزرقون، ويجوز أن تعلقه بمحذوف خبر ثان، ويجوز أن تعلقه بمحذوف صفة، وهذه الوجوه متساوية الرجحان، وجملة يزرقون في محل رفع خبر ثالث أو ثان ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فرحين حال من الضمير في يزرقون، وبما جار ومجرور متعلقان بفرحين، وجملة آتاهم الله صلة ما الموصولية، ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم، ولك أن تعتبر من تبضيعة فتعلقها مع مجرورها بمحذوف حال ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الجملة

معطوفة على فرحين من جهة المعنى فهي حال؛ لأن الصفة المشبهة تشبه المضارع، وبالذين جار ومجرور متعلقان بـيستبشرون، وجملة لم يلحقوا بهم صلة الذين، ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الواو في: لم يلحقوا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أن هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض، أي: بأن لا خوف عليهم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل اشتمال من الذين، أي: ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوهم خلفهم أحياء في الدنيا من المؤمنين، ولا يخفى ما في هذا الاستبشار من إلهاب للرغبة في الجهاد، ولا نافية للجنس مهمة، وخوف مبتدأ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، ولا هم يحزنون عطف عليه، وقد تقدم إعراب نظائره؛ فلذلك اجتزأنا بما تقدم.

□ البلاغة:

(١) الطباق بين أموات وأحياء، وهي مطابقة بلغت الغاية في تصوير شهداء معركة أحد، والشهداء الذين يستشهدون في معمعان الجهاد، وقد خولف الإعراب بين المتعاطفين في الظاهر للدلالة على أن الموت أمر طارئ، يعقبه الهمود، والاندثار، وعدم تجدد الذكر؛ أما الرفع وجعله جملة اسمية فهو أبلغ في الدلالة على الديمومة، وطروء الذكر، وتجده كل يوم، وقد وردت أحاديث تجسد الموقف البديع.

(٢) مراعاة النظير؛ وهو فن بديع جميل، تفنن علماء البلاغة في تسميته، فسماه بعضهم التناسب والتوفيق، وسماه آخرون الائتلاف والمؤاخاة، وحده أن يجمع الناظم والنثر بين أمر وما يناسبه، سواء أكانت المناسبة لفظاً أم معنى، فقد ناسب سبحانه بين فرحين ويستبشرون، وبين عدم الخوف وعدم الحزن وبين النعمة والفضل.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١)
 الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ
 وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾

○ الإعراب:

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ كرر الفعل للتأكيد، والجملة استئنافية، مسوقة للتأكيد، ولك أن تجعلها تأكيداً لسابقتها، أو بدلاً منها، وبنعمة جار ومجرور متعلقان يستبشرون، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنعمة، وفضل عطف على نعمة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وأن واسمها، وجملة لا يضيع خبرها ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ اسم الموصول مبتدأ، ولك أن تنصبه بفعل محذوف على المدح، أو تجره على أنه صفة للمؤمنين، وجملة استجابوا صلة الموصول، والله جار ومجرور متعلقان باستجابوا، والرسول عطف على الله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ من بعد جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وما مصدرية، وأصابهم القرح فعل ومفعول به وفاعل، وما المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لبعده ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾ للذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجملة أحسنوا صلة، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، واتقوا عطف على أحسنوا، وأجر مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة، وجملة للذين خبر الذين في قوله: الذين استجابوا، إذا أعربت الذين مبتدأ، أو حالية.

غزوة حمراء الأسد:

الذين استجابوا لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي ﷺ، وهم المؤمنون الذين ساهموا في الحرب بمعركة أحد، ويقول التاريخ: حمراء

الأسد هي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة، وكانت هذه الغزوة صبيحة يوم الأحد لست عشرة مضت، أو ثمان خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذن رسول الله ﷺ أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، أي: من شهد معركة أحد، فخرج معه جميع من شهدا من المؤمنين الخلف، وكانوا ستمئة وثلاثين، وأقام بها ﷺ الإثنين والثلاثاء والأربعاء، وكان قد أصابهم القرع بسبب ما نالهم في أحد، فتسارعوا يحفرهم حبّ الثأر، فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، ويحققوا الهدف المرجو، وساور المشركين الرعب، فلم يnehدوا لقتال، ولم يبرزوا إلى ميدان، بل قبعوا في مكة لا تدين بأذيال الخوف والنجاة، ثم رجع النبي وصحابته إلى المدينة يوم الجمعة، ولم يستغرق نهوده للمشركين إلا خمساً.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الذين بدل أو صفة ثانية لـ: الذين استجابوا، ولكن يشكل على هذا الإعراب أن الذين استجابوا لله والرسول هم الذين حضروا معركة أحد، وهؤلاء الذين وقع لهم هذا القول المذكور هم مطلق المؤمنين، فتعذر البدلية، أو الوصفية، وتفادياً لهذا الإشكال نرى من الأولى أن نعرب الموصول منصوباً بفعل محذوف على المدح، والتقدير: امدح، وجملة قال صلة الموصول، ولهم جار ومجرور متعلقان بقال،

والناس فاعل ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ الجملة مقول القول، وإن واسمها، وقد حرف تحقيق، وجملة جمعوا خبر إن، ولكم جار ومجرور متعلقان بجمعوا، والفاء الفصيحة، واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ الفاء عاطفة، وزاد عطف على قال، والفاعل ضمير مستتر مفهوم من قال لهم، أي: زادهم القول، وإيماناً مفعول به ثان، ويجوز إعرابه تمييزاً ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وقالوا عطف على زادهم، وحسبنا خبر مقدم، ونا مضاف إليه، والله مبتدأ مؤخر، ونعم الواو حالية، ولك أن تجعلها استثنائية، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والوكيل فاعل، والمخصوص بالمدح هو الله تعالى ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ الفاء عاطفة، وجملة انقلبوا معطوفة على مقدر مفهوم من سياق الكلام، أي: وخرجوا مع النبي فانقلبوا، وبنعمة جار ومجرور متعلقان بانقلبوا، أو بمحذوف حال، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وفضل عطف على نعمة ﴿لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ﴾ الجملة حالية، ويمسّسهم فعل مضارع مجزوم بلم، والهاء مفعول به، وسوء فاعل ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ الجملة عطف على جملة انقلبوا ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ الواو استثنائية، والله مبتدأ، وذو فضل خبر، وعظيم صفة ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان القائل، وإنما كافة ومكفوفة، وذلکم مبتدأ، والشيطان مبتدأ ثان، وجملة يخوف خبر الشيطان، والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الإشارة، ويجوز أن نعرب ذلكم مبتدأ، والشيطان بدلاً من ذلكم، وجملة يخوف خبر ذلكم، ويجوز أيضاً أن نعرب ذلكم مبتدأ، والشيطان خبره، وجملة يخوف أوليائه مستأنفة، أو حالاً ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ الفاء هي الفصيحة، أي: إذا وثقتم بهذا فلا تخافوهم، وخافون عطف على لا تخافوهم، والواو فاعل، والنون للوقاية، وحذفت ياء المتكلم جوازاً باتفاق القراء السبعة في الرسم، وإن شرطية، كنتم كان واسمها، وفعل الشرط في محل جزم بإن، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله، ومؤمنين خبر كنتم.

□ البلاغة:

(١) العموم والخصوص في ذكر الناس عامة بعد ذكر الخاصة، وهم الذين استهموا في غزوة أحد من إطلاق العام وإرادة الخاص .

(٢) اللف والنشر المرتب في قوله : ﴿ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ مع طي ذكر الملفوف والمنشور، وهما : السلامة بالأجسام التي تعود إلى النعمة، والربح بالتجارة الذي يعود إلى الفضل .

﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

☆ اللفظة:

﴿ يَحْزُنُكَ ﴾ - بفتح الياء وضم الزاي - لغة في أحزنه، وبهما قرىء، ومثله فتنه وأفتنه، فهما لغتان فاشتقان لثبوتهما بطريق التواتر .

○ الإعراب:

﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للمبالغة في تسليته ﷺ، والواو استئنافية، ولا ناهية، ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا، والكاف مفعول به، والذين فاعل، وجملة يسارعون صلة الموصول، وفي الكفر جار ومجرور متعلقان بيسارعون لتضمينها معنى يقعون ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ الجملة تعليلية لا محل لها للإيذان بأن مضاربتهم للنبي ﷺ بمثابة مضارته سبحانه، وفي ذلك مسلاة له، ومدعاة له إلى اطراح الحزن جملة، ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نفاق، وارتداد من ارتد، وهذه عظة بالغة للاعتداد بالنفس، والثقة، والاحتفاظ بالشخصية، ورباطة الجأش عند نزول المصيبة، وإن واسمها، وجملة لن يضرروا الله خبرها، وشيئاً مفعول مطلق، أي : شيئاً من الضرر ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي

الْآخِرَةَ ﴿ الجملة مستأنفة، ويريد الله فعل وفاعل، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريد، وحظاً مفعول يجعل الأول، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان، وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الجملة مستأنفة أيضاً للمبالغة في امتهائهم، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة لعذاب.

□ البلاغة:

التنكير في قوله ﴿ شَيْئًا ﴾ فإن التنوين يزيد النكرة شياعاً، وتنكيراً، وقلة، وحقارة، وذلك لتأكيد ما هم عليه من القلة، والحقارة، وضآلة الشأن.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١٧٧ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿ ١٧٨ ﴾

☆ النسخة:

﴿ نُمَلِّي لَهُمْ ﴾ نتركهم وشأنهم، وأمليت له في الأمر: أخرت، وأمليت للبعير في القيد: أرخيت له ووسعت.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴾ كلام مستأنف لتعميم الحكم على الكفار والمرتدين بعد أن كان خاصاً بالمنافقين، وإن واسمها، وجملة اشتروا صلة الموصول؛ والكفر مفعول به، وبالإيمان جار ومجرور متعلقان باشتروا ﴿ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ تقدم إعرابها بحروفها، والجملة خبر إن ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الواو عاطفة

على قوله ولا يحزنك، أو استثنائية، ولعلها أولى لتعميم الحكم، ولا ناهية، ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ أن حرف مشبه بالفعل، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر، هو اسم أن، أي: أن إملأنا، ويجوز أن تكون موصولة فتكون اسمها، وكان من حقها أن تكتب مفصولة من أن، ولكن طريقة المصحف كتابتها موصولة بها، ولهم جار ومجرور متعلقان بنملي، وخير خبر أن، ولأنفسهم جار ومجرور متعلقان بخير، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبن ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ الجملة مستأنفة بمثابة التعليل للجملة التي قبلها، فهي علة الإملاء، ونملي فعل مضارع، ولهم جار ومجرور متعلقان بنملي، واللام لام التعليل، ويزدادوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعل، وإثماً تمييز، والجار والمجرور - لام التعليل والمصدر المؤول - متعلقان بنملي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ تقدّم إعرابها.

* البلاغة:

(١) الاستعارة المكنية في اشتراء الكفر بالإيمان، وقد تقدّم القول في هذا.

(٢) الاستعارة التصريحية في الإملاء، فقد شبه إمهالهم، وترك الحبل لهم على غواربهم، بالفرس الذي يملأ له الحبل ليجري على سجيته، ويرتقي كيف يشاء، فحذف المشبه وهو الإمهال والترك، وأبقى المشبه به وهو الإملاء.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

☆ اللغة:

(يذر) و (يدع) فعلان مضارعان، أَمَات العرب ماضيهما، فلم يأت منهما إلا المضارع والأمر، ومعناها: الترك. وقال علماء العربية: إن كلمتي ذر ودع في معنى الترك، إلا أن دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به، وذر: أمر له بتركه بعد ما علمه، روي أن بعض الأئمة سأل الإمام الرازي عن قوله تعالى ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ ﴿لَمْ يَلَمْ يَقُلْ: وتَدعون أحسن الخالقين، وهو أقرب من الفصاحة للمجانسة بينهما؟ فقال الإمام: لأنهم اتخذوا الأصنام آلهة، وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين، استكباراً، فلذلك قيل لهم: وتذرون ولم يقل وتَدعون، هذا وقد ورد في الحديث الشريف مصدر يدع قال: «لَيْسَتْ هُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعات» أي: عن تركها.

﴿يَمِيزُ﴾ مضارع ماز، أي: عزل هذا عن ذاك.

﴿يَجْتَنِي﴾ يختار، ويصطفي.

○ الإعراب:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف لبيان أن الله سبحانه عالم بكل شيء، وهو لا يترك عباده على ما هم عليه من اختلاط في الأمر والتباس فيما يعانونه من شؤون، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، والله اسمها، وليذر اللام لام الجحود، وهي المسبوقة بكون منفي، وقد تقدّم ذكرها، ويذر فعل مضارع منصوب بأن مقدرة وجوباً بعد لام الجحود الجارة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان، والتقدير لم يكن الله مريداً تركهم على حالة من الاختلاط والالتباس، والمؤمنين مفعول به ﴿عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ والجار والمجرور متعلقان بيذر، وأنتم مبتدأ، وعليه خبره، وجملة أنتم عليه صلة ما الموصولية ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ حتى حرف غاية

وجر، ويميز فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أي: مريداً تركهم، والخبيث مفعول به، ومن الطيب جار ومجرور متعلقان بيميز ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ تقدم إعرابها ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبَىٰ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف مشبه بالفعل بمعنى الاستدراك، والله اسمها، وجملة يجتبي خبرها، ومن رسله جار ومجرور متعلقان بيجتبي، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة يشاء صلة الموصول ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الفاء الفصيحة، وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، بالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا، ورسله معطوف على الله، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وهو الذي وقعت الفاء في جوابه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي هَبْأَنْعُسِكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ لِكُلِّ يَوْمٍ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية، وتؤمنوا فعل الشرط، وتتقوا عطف على تؤمنوا، فلكم الفاء رابطة لجواب الشرط، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأجر مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة، والجملة في محل جزم جواب الشرط.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في ذم البخل وتقرير جزاء البخيلين، ولك أن تجعل الواو عاطفة، فيكون الكلام منسوقاً على ما تقدم، ولا ناهية، ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والذين اسم موصول فاعل، وجملة يبخلون صلة الموصول ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ بما جار ومجرور متعلقان بيبخلون، وجملة

آتاهم الله صلة ما الموصولية، ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم، والمفعول الأول ليحسبن محذوف دلّ عليه سياق الكلام، أي: البخل، وهو ضمير منفصل لا محل له، وخيراً مفعول يحسبن الثاني، ولهم جار ومجرور متعلقان بخير، وسيرد بحث شيق عن قراءة تحسبن في باب: الفوائد ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وهو مبتدأ، وشر خبر، ولهم جار ومجرور متعلقان بشر ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الجملة تفسيرية لقوله: هو شرّ لهم، ولك أن تجعلها مستأنفة بمثابة التعليل، والسين حرف استقبال يفيد التوكيد، ويطوقون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وما اسم موصول منصوب بنزع الخافض، أي: بما بخلوا به. وبه جار ومجرور متعلقان ببخلوا ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيطرقون، ولك أن تعلقه بمحذوف حال ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الواو استئنافية، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وميراث السموات مبتدأ مؤخر، والأرض عطف على السموات ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وبما جار ومجرور متعلقان بخير، وجملة تعملون صلة الموصول، وخير خبر.

□ البلاغة:

في هذه الآية:

- (١) الطباق بين خير وشر، وبين السموات والأرض، فالكلام مقابلة.
- (٢) الالتفات: فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب بقوله ﴿تَعْمَلُونَ﴾ زيادة في النكال، وتأكيداً للوعيد والإنذار.

* الفوائد:

- (١) قرء «ولا تحسبن» - بالتاء - فلا حذف في الكلام؛ لأن الذين هو المفعول الأول، وخيراً هو المفعول الثاني، ويرد على هذا إشكال، وهو أن أصل مفعولي حسب وأخواتها المبتدأ والخبر، ولا يظهر ذلك في الآية لعدم

صحة الحمل ، والجواب عن هذا الإشكال أن في الآية إيجازاً ، والتقدير : ولا تحسبن بخل الذين ييخلون بإظهار ما آتاهم الله هو خيراً لهم ، فيتم تقدير الكلام .

(٢) حذف أحد مفعولي القلوب يكون للاختصار إذا كان هناك دليل عليه ، وقد أجازته الجمهور ، واستدلوا عليه بالآية ، ويقول عنتره العبسي :

ولقد نَزَلَتْ فلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

والتقدير : فلا تظني غيره مني واقعاً ، فحذف المفعول الثاني ، ومنعه بعضهم وقالوا : إن المفعول به الثاني هو قوله مني تنازعه نزلت وتظني ، وفي الباب الخامس من «مغني اللبيب» بحث ممتع نلخصه بما يلي : جرت عادة النحويين أن يقولوا : يحذف المفعول به اختصاراً واقتصاراً ، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ، وبالاقتصار الحذف لغير دليل ، ويمثلونه بنحو : «كلوا واشربوا» أي : أوقعوا هذين الفعلين ، وقول العرب : «من يسمع يخل» أي : تكن منه خيلة ، والتحقيق أن يقال : إنه تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه ، أو من أوقع عليه ، فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام ، فيقال : حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل ، فيقتصر عليهما ، ولا يذكر المفعول ، ولا ينوي ؛ إذ المنوي كالثابت ، ولا يسمى محذوفاً ، لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له ، ومنه : ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٩] و﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف : ٣١] إلى آخر هذا البحث ، فارجع إليه .

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا

قَدَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

○ الإعراب:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان نماذج من أراجيف اليهود وكذبهم وافتئاتهم على الله، واللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وسمع فعل ماضٍ، والله فاعله، وقول مفعوله، والذين اسم موصول مضاف إليه، وجملة قالوا صلة الموصول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الجملة مقول القول، وإن واسمها وخبرها، ونحن الواو عاطفة، ونحن مبتدأ، وأغنياء خبر، والجملة معطوفة على ما قبلها ﴿سَكَتُ مَا قَالُوا﴾ الكلام مستأنف، والسين حرف استقبال، وما اسم موصول مفعول به لنكتب، وجملة قالوا صلة لا محل لها، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: قولهم، ولعله أولى، والجملة صلة للموصول الحرفي ﴿وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الواو عاطفة، وقتل معطوف على ما أو على المصدر المؤول، والهاء ضمير في محل جر بالإضافة، والأنبياء مفعول به للمصدر الذي هو القتل، وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع نصب على الحال ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الواو عاطفة، وجملة ذوقوا في محل نصب مقول القول، وعذاب الحريق مفعول ذوقوا ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، واسم الإشارة مبتدأ، وبما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة قدمت صلة الموصول، وأيديكم فاعل قدمت ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ الواو حرف عطف، وأن وما في حيزها في محل رفع عطفاً على الخبر، وأن واسمها، وجملة ليس في محل رفع خبر أن، واسم ليس ضمير مستتر، وبظلام الباء حرف جر زائد، وظلام مجرور لفظاً في محل نصب خبر ليس، ولك أن تجعل الواو استئنافية، وجملة أن وما بعدها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: والأمر أن الله... الخ، وهو جيد.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة المكنية في قوله: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وقد تقدمت الإشارة إليها بحروفها.

(٢) الطباق بين فقير وأغنياء.

(٣) المجاز المرسل في ﴿أَيَّدِيكُمْ﴾ إذ المراد سيئاتكم، والعلاقة هي السببية؛ لأن اليد هي السبب فيما يقتترفه الإنسان من أعمال.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

○ الإعراب:

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ الذي بدل من الموصول السابق في قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ﴾ أو نعت له، أو خبر لمبتدأ محذوف، فتكون الجملة مستأنفة، وجملة قالوا صلة الموصول، وجملة إن الله... الخ في محل نصب مقول القول، وإن واسمها، وجملة عهد خبرها، وإلينا جار ومجرور متعلقان بعهد ﴿أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ أن المصدرية، وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: أمرنا في التوراة بأن لا نؤمن لرسول، ولرسول جار ومجرور متعلقان بنؤمن ﴿حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويأتينا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وبقربان جار ومجرور متعلقان بيأتينا، وجملة تأكله النار صفة لقربان، و«ال» في النار للعهد، أي: المعهودة لديهم بأنها تنزل من السماء، والتفاصيل يرجع إليها في المطولات ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي﴾ الكلام مستأنف، مسوق

لتوبيخهم على الكذب والافتئات، وقل فعل أمر، وفاعله أنت، وجملة قد جاءكم في محل نصب مقول القول، ورسَل فاعل، ومن قبلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسَل ﴿يَا بَيِّنَاتٍ وَيَا لَذِي قُلُومٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بجاءكم، وبالذي عطف على قوله بالبينات، وجملة قلتم صلة الموصول ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الفاء عاطفة، واللام حرف جر، وما الاستفهامية المحذوفة الألف في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بقتلتموهم، وقتلتموهم فعل وفاعل ومفعول به، والواو لإشباع حركة الميم، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وصادقين خبرها، وجواب الشرط محذوف تقديره: فلم قتلتموهم.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ١٨٤ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
الْقِسْمَةِ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ١٨٥

☆ اللفظة:

﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ المتاع: كل ما استمتع به الإنسان من مال وغيره، والغرور: مصدر غرّ، أي: خدع، والغرور: الباطل.

○ الإعراب:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ، والفاء استئنافية، وإن شرطية، وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، فقد: الفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، وكذب فعل ماض مبني للمجهول، ورسَل نائب فاعل، ومن قبلك جار

ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الجملة صفة لرسل، وبالبيّنات جار ومجرور متعلقان بجاءوا، وما بعده عطف عليه، والمنير صفة للكتاب ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ كلام مستأنف، مسوق ليكون تنمة لتسليته ﷺ، وكل نفس مبتدأ، وذائقة الموت خبره ﴿وَلَا تَمَنَّاهُمْ أَنْ يَمُوتُوا وَهُمْ لَا يَرْجُونَ حَرْبًا مَعَ اللَّهِ﴾ والواو حالية، أو استئنافية، وإنما كافة ومكفوفة وتوفون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وأجوركم مفعول به ثان، ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتوفون ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْفَارِ وَأُذْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وزحرح فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وهو مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو، وعن النار جار ومجرور متعلقان بزحرح، وأدخل عطف على زحرح، ونائب الفاعل مستتر، والجنة منصوب بنزع الخافض، والفاء رابطة لجواب الشرط، وقد حرف تحقيق، وفاز فعل ماض، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط، وجوابه خبر «من» ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، والحياة مبتدأ، والدنيا صفة، وإلا أداة حصر، ومتاع الغرور خبر.

□ البلاغة:

في الآية تشبيه بليغ، فقد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به بائعه على طالبه حتى ينخدع ويشتره. وقد أخرج سبحانه الكلام بهذا التشبيه مخرج الإنكار على من جعل ديدنه الاغترار بالدنيا، وتلمّظ أفاويقها، وهي في الواقع لا نفع فيها ولا طائل تحتها، وأية فائدة ترجى من الشيء الذي يعتوره الفناء؟!!

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

☆ اللفظة:

﴿عَزَمِ الْأُمُورِ﴾: أي: معزوماتها فجعل المصدر بمعنى اسم المفعول.

○ الإعراب:

﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ اللام موثقة للقسم، وتبلون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل، والنون المشدودة نون التوكيد الثقيلة، وفي أموالكم جار ومجرور متعلقان بتبلون، وأنفسكم عطف على أموالكم، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب قسم مقدر، وجملة القسم مستأنفة، مسوقة للشروع في تسلية النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين عما سيستهدفون له من المكاره، وفائدة التسليّة: توطئ النفس على احتمال المكاره عند وقوعها، والاستعداد للنتائج مهما تكن ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب قسم مقدر أيضاً، وتسمعن تعرب مثل تبلون، ومن الذين جار ومجرور متعلقان بتسمعن، وجملة أوتوا صلة الموصول، والواو في أوتوا نائب فاعل، والكتاب مفعول به ثان، ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ ومن الذين جار ومجرور معطوفان على ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهما متعلقان بتسمعن، وأذى مفعول به لتسمعن، وكثيراً صفة ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتصبروا فعل الشرط، وتتقوا عطف على تصبروا، فإن الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن حرف شبه بالفعل، وذلك اسمها، ومن عزم الأمور جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة المقترنة بالفاء لا محل لها من الإعراب؛ لأنها بمثابة تعليل لجواب الشرط المحذوف واقع موقعه،

والتقدير: وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم، أو فقد أحسستم أو أصبتم شاكلة الصواب، ولك أن تجعلها هي الجواب، وتكون الإشارة إلى صبر المخاطبين.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ﴾

☆ اللفظة:

(النَّبَذ) الطرح وراء الظهر. مثل في ترك الاعتداد بالشيء، والإعراض عنه بالكلية. وقد تقدم مستوفى في سورة البقرة، كما تقدم القول في أن بعض العلماء جعله من أفعال التحويل، كما سيأتي.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان كتمانهم شواهد نبوته، ومخايل صدقه. والواو استئنافية، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف، أي: اذكر وقت أخذ الله الميثاق. وأخذ فعل ماض، والله فاعل، وميثاق الذين مفعول به، والجملة في محل جر بالإضافة، وجملة: أوتوا الكتاب صلة الموصول، والواو نائب فاعل، والكتاب مفعول به ثان ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ اللام جواب للقسم الذي يدل عليه أخذ الميثاق، كأنه قال لهم: بالله لتبيننه. وقرىء بالياء. وتبيننه: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وقد تقدمت له نظائر وما بالعهد من قدم، وللناس جار ومجرور متعلقان بـ «تبيننه»، ولا تكتُمونه الواو عاطفة، وتكتُمونه جملة معطوفة على تبيننه، ولك أن تجعل الواو حالية، فتكون الجملة نصباً على الحال ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ الفاء عاطفة، ونَبَذُوهُ فعل وفاعل ومفعول به، ووراء ظهورهم نصب على المفعولية الثانية، كما تقدم في سورة البقرة،

وأعربه الكثيرون ظرفاً، ولم يشترطوا كون الفاعل مستقراً مع الظرف ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مُمْنًا قَلِيلًا﴾ الواو عاطفة، واشتروا عطف على نبذوه، وبه جار ومجرور متعلقان باشتروا، وثمناً مفعول به، وقليلًا صفة ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ الفاء استئنافية، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وما نكرة تامة منصوبة على التمييز، وقد ميزت فاعل بئس، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر هو الفاعل، أي: شراؤهم، وقد تقدمت. والمخصوص بالذم محذوف، أي: هذا.

□ البلاغة:

(١) الالتفات، فقد انتقل من الغيبة في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ ثم عاد إلى الغيبة، والفائدة من ذلك زيادة التسجيل المباشر عليهم.

(٢) الاستعارة المكنية في اشتروا به، وقد تقدمت.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٨)

☆ اللفظة:

(المفازة) مكان الفوز والنجاة، ويجوز أن تكون مصدرًا ميميًا. وسميت الصحراء مفازة تفاؤلاً بالسلامة والفوز.

○ الإعراب:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان غفلتهم وانسياقهم مع أوهامهم. ولا ناهية، وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا، والفاعل مستتر تقديره أنت، والذين مفعول به، وجملة يفرحون صلة الموصول، وبما جار ومجرور

متعلقان بيفرحون، وجملة أتوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ ويحبون معطوف على يفرحون، وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان بيمحمدوا، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون، والجملة صلة الموصول ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ الفاء زائدة لتحسين اللفظ، وقد أنشدوا على زيادة الفاء في مثل هذا التركيب قول الشاعر:

وحتى تركت العائدات يعدنه يقلن فلا تبعذ وقلت له ابعذ

أي: لا تبعذ، هكذا أعربها المعربون، وتبعهم المفسرون. وأرى أنها الفصيحة، وهي تسبق عادة جملة التطرية لنشاط القارئ بعد حذف المفعول الثاني لتحسين الأولى، أي: لا تحسبنهم ناجين. وإذا شئت أن تتأكد مصيرهم تماماً فلا تحسبنهم. وبمفازة جار ومجرور في موضع المفعول الثاني لتحسبنهم، ومن العذاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف بصفة لمفازة، إن اعتبرت اسم مكان، وبمفازة إن اعتبرت مصدراً ميمياً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم نعت.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١)

○ الإعراب:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الواو عاطفة، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ملك مبتدأ مؤخر، والسموات مضاف إليه، والأرض

عطف على السموات ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير، وقدير خبر ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان قدرته سبحانه، ووجوده، وعلمه. وإن حرف مشبه بالفعل، وفي خلق السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ عطف على خلق ﴿لَا يَلَيْتُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ اللام المرحقة، وآيات اسم إن المؤخر، ولأولي الأبواب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآيات ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ الذين صفة لأولي الأبواب، وجملة يذكرون الله صلة، وقياماً وقعوداً حالان، وعلى جنوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مضطجعين، والمعنى يذكرونه في جميع الأحوال قياماً وقعوداً ومضطجعين. وللفقهاء استدلالات وإيماءات بارعة، ومن طريف حجاج الشافعي أنه استدل بها على إضجاع المريض على جنبه في الصلاة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لك أن تجعل الواو عاطفة، فتكون الجملة معطوفة على سابقتها، فتكون داخلة في حيز الصلاة، ولك أن تجعل الواو حالية، فتكون الجملة نصباً على الحال ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً﴾ ربنا منادى مضاف، ولا بد من تقدير قول، أي: يقولون ربنا، فالجملة نصب على الحال، وما نافية، وخلقت فعل وفاعل، وهذا مفعول به، وباطلاً منصوب بنزع الخافض، أي: بالباطل، أو نعت لمصدر محذوف، أي: خلقاً باطلاً، أو حالاً من هذا، ورجح أبو حيان هذا الوجه على غيره. وعندنا أنها متساوية الرجحان ﴿سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ سبحانه مفعول مطلق، وهو مع فعله المحذوف جملة معترضة لا محل لها. فقنا: الفاء عاطفة للترتيب، أي: نزهناك فقنا. ولك أن تجعلها الفصيحة لمعنى الجزاء المقدر، أي: إذا شئت جزاءنا فقنا. وقى فعل أمر، ونا مفعول به أول، وعذاب النار مفعول به ثان.

□ البلاغة:

(١) الطباق : الذي جمع حالات الإنسان الثلاث في الصلاة، وهي القيام والقعود والاضطجاع على الجنب، كما يقول الشافعي، أو الاستلقاء؛ لأنه أخف، كما يقول أبو حنيفة.

(٢) المجاز المرسل بعلاقته المحلية، فقد ذكر السموات والأرض، ومراده ما فيهما من أجرام عظيمة بديعة الصنع صالحة للاستغلال في سبيل النفع الإنساني الشامل.

(٣) الإيجاز في قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حيث انطوى تحت هذا الإيجاز كل ما تمخض عنه العلم من روائع المكتشفات وبدائع المستنبطات. وفي الحديث: «لا عبادة كالتفكير».

* فلسفة الأفكار لديكارت:

ولا مندوحة لنا هنا عن الإشارة إلى أن فلسفة ديكارت الفرنسي عرفت في العصر الحديث بأنها فلسفة الأفكار الواضحة المتميزة، كما كانوا يسمونها في القرن السابع عشر. فقد أرادت تلك الفلسفة أن تخلص الفكر من وطأة السلطات أيّاً كانت، فلم تقبل دليلاً على الحق إلا البداهة العقلية، أي: بداهة العقل الذي يراه الفيلسوف أعدل الأشياء قسمة بين الناس، وحظوظ الناس منه متساوية، فلا فرق بين شعب وشعب، ولا تفاضل بين جنس وجنس. وقد كان لديكارت فضل في بناء صرح المذهب العقلي الحديث حين وضع قاعدته المشهورة: يجب أن لا أقبل شيئاً أبداً على أنه حق ما لم يتبين لي ببداهة العقل أنه كذلك، ويجب أن لا أحكم على الأشياء إلا بما يتمثله ذهني بوضوح وتميز ينتفي معهما كل سبيل إلى الشك.

* بين ديكارت ومحمد عبده:

وقد تجلّى أثر هذه الفلسفة عند الأستاذ الإمام محمد عبده في السنوات

الأولى من هذا القرن العشرين، إذ لا يخفى أن الدعوة التي نهض بها الإمام محمد عبده لإصلاح المجتمع الإسلامي عموماً، إنما تقوم على اصطناع منهج ديكارت في «الأفكار الواضحة المتميزة» وفي تغليب حكم العقل على أحكام الهوى والعاطفة، وفي اصطناعه اليقين والبداهة معياراً لصحة الروايات أو تلفيقها.

* تأملات ديكارت :

ومن المفيد أن نلخص تأملات ديكارت الستة، وهي :

١ - بداهة العقل عند الفيلسوف معيار اليقين، أي: العلامة المميزة للمعرفة الصحيحة.

٢ - فناء الجسم الإنساني أمر ممكن ميسور، أما الذهن فباق بطبيعته.

٣ - فكرة موجود كامل فينا تشمل قدراً من الحقيقة الموضوعية، أي: تشارك بالتصور في قدر من درجات الوجود والكمال، بحيث يلزم أن تصدر عن علة كاملة على الإطلاق.

٤ - جميع الأشياء التي نتصورها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً هي كلها صحيحة، وتتصل بالحقائق العقلية التي يمكن معرفتها بمعونة النور الطبيعي وحده.

٥ - وفي التأمل الخامس يتحدث عن ماهية الأشياء المادية، ثم يعود إلى الحديث عن الله ووجوده، وهو يستند إلى معيار البداهة. ولما كان ديكارت عالماً رياضياً، وكان المثل الأول للبداهة عنده هو مثل البداهة الرياضية، فهو ينظر إلى الفكرة الواضحة التي تكون في أذهاننا عن الله، فيجد أن شأنها كشأن المثلث، وينتهي إلى القول: إن القضيتين مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين، والله موجودهما قضيتان متعادلتان في اليقين.

٦ - وانتهى ديكارت في التأمل السادس بتمييز فعل الفهم من فعل المخيلة، فقال: وأصف علامات التمييز، وفيه أبين أن نفس الإنسان متميزة

عن الجسم حقاً، وأنها مع ذلك ملتئمة معه التئاماً ومتحدة به اتحاداً يجعلها وإياه شيئاً واحداً، وفيه أبسط جميع ضروب الخطأ الناشئة من الحواس، مبيناً الوسائل لاجتنابها. وأورد أخيراً جميع الأدلة التي يمكن أن يستنتج منها وجود المادية، لا لأنني أرى لها فائدة كبيرة في إثبات ما نشئته - أعني : أن العالم موجود، وأن للناس أجساماً وما شابه ذلك من أشياء لم يشك فيها قط إنسان ذو عقل سليم - بل لأن إنعام النظر فيها يطلعنا على أنها لم تبلغ من المتانة والبدهة مرتبة الأدلة؛ التي توصلنا إلى معرفة الله ومعرفة النفس، وبهذا الاعتبار تكون الأدلة الأخيرة أوثق وأبين ما يمكن أن يقع للذهن الإنساني من معرفة.

(٤) - المطابقة المتعددة حتى تسمى مقابلة، فقد طابق بين السموات والأرض، وبين الليل والنهار، والقيام والقعود.

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١٩٢) رَبَّنَا
إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكُفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣)

○ الإعراب:

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتتمة الابتهالات الرقيقة الرائعة؛ التي شرع فيها في خاتمة سورة آل عمران. وربنا منادى مضاف، وإنك: إن واسمها، ومن اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم، وتدخل فعل الشرط، والنار منصوب بنزع الخافض، أو مفعول به ثان على السعة، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط لاقتران الجواب بقد، وأخزيته فعل وفاعل ومفعول به، والجملة المقرونة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، والجملة في محل رفع خبر إن ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ الواو استئنافية، أو حالية، وما نافية، وللظالمين جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد وأنصار مجرور لفظاً بمن مرفوع بالابتداء محلاً، ولك أن تجعل ما حجازية عاملة عمل ليس؛ لأنهم أجازوا تقديم الخبر إذا كان ظرفاً، أو جاراً ومجروراً ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ ربنا منادى مضاف، وإن واسمها، وجملة سمعنا خبرها، ومنادياً مفعول سمعنا، وجملة ينادي صفة، وللإيمان جار ومجرور متعلقان بينادي. ويلاحظ أن ضمير المتكلم وهو «نا» استعمل في حالاته الثلاث الجر بالإضافة لـ «رب» والنصب لأنه اسم إن، والرفع على الفاعلية. والجمله كلها مستأنفة مسوقة لتتمة الابتهالات ﴿أَنۢ أَمۡنُوا بِرَبِّكُمۡ فَآمَنَّا﴾ أن مصدرية، وآمنوا فعل أمر، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، ويكون الجار والمجرور متعلقين بينادي، ويجوز أن تكون أن هي المفسرة، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، فتكون الجملة لا محل لها. وبربكم جار ومجرور متعلقان بآمنوا، فآمنا الفاء حرف عطف للترتيب والتعقيب، مؤذن بتعجيل الانصياع للنداء والإيمان من غير مهلة؛ لأن المنادي هو محمد ﷺ أو القرآن، وكلاهما حافز إلى الامتثال والإيمان ﴿رَبَّنَا فَآغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أعاد النداء استعذاباً للترتيب، وزيادة في الاستعطاف والابتهال، والفاء في قوله «فاغفر» عاطفة مؤذنة بالإشعار بترتب المغفرة على الإيمان به تعالى، والإقرار بربوبيته، وليس هناك أدعى إلى المغفرة من ذلك. ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر، وذنوبنا مفعول به، وكفر عطف على اغفر، وعنا جار ومجرور متعلقان بكفر، وسيئاتنا مفعول به ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبۡرَارِ﴾ عطف على ما تقدم، وتوف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، ونا مفعوله، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف حال، والأبرار مضاف إليه.

□ البلاغة:

(١) في الآية الإطناب، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة بأمور،

منها:

أ - ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأجزاب: ٧٢] فذكر الجبال بعد الأرض وهي جزء منها، إطناب يراد به التفخيم والتهويل، باعتبار أن الجبال تروعا بشموخها ورسوخها، ومع ذلك جئنا عن حمل الأمانة.

ب - ذكر العام بعد الخاص، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨] وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك. والغرض من ذلك إفادة الشمول مع العناية بالخاص الذي ذكره مرتين، مرة وحده، ومرة مندرجاً تحت العام.

ج - الإيضاح بعد الإبهام، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: ٦٦] فقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ الأمر.

د - التكرير، وقد سبقت الإشارة إليه، كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة:

فيا قبرَ معن أنتَ أوَّلُ حفرةٍ

من الأرضِ خَطَّتْ للسماحةِ موضعاً

ويا قبرَ معنٍ كيف واريثَ جوده

وقد كان منه البرُّ والبحرُ مترعاً

والغاية منه تقرير المعنى في النفس، وهو الأصل. وقد يكون للإنذار كما يرد في خطب الخطباء، أو التحسر كما يصنع الراثون، أو الاستلذاذ كما يفعل الغزلون.

هـ - الاعتراض: وهو أن يؤتى خلال الكلام أو بين كلامين متصلين في

المعنى بجملة لا محل لها من الإعراب لفائدة ثانوية، كالجملية الدعائية في قول عوف بن محلم الخزاعي:

إِنَّ الثَّمَانِينَ، وَبُلَّغْتَهَا قَدْ أَحْجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

فقوله: وبلغتها، جملة دعائية تعطف قلب الممدوح، وتلطّف في ذكر المراد، وهو أنه أصمّ لا يسمع كلامه ليرفع صوته. وقد مرت الإشارة إليه.

و - الاحتراس، وهو كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً، كقول أبي الطيب المتنبّي:

إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ

وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ

ففي البيت إطناب بالاحتراس في موضعين: أولهما في الشطر الأول بذكر «وهو بي كرم»، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر «وهو بي جبن» لدفع ما قد يوهمه الحلم مجرداً. وهناك أغراض أخرى ترد الإشارة إليها في مضامين هذا الكتاب. وفي الآية إطناب بال تكرار، وهو الجمع بين «منادياً» و«ينادي» وذلك أنه ذكر النداء في الأول مطلقاً ثم ذكره في الثاني مقيداً بالإيمان، تفخيماً لشأن المنادي، لأنه لا منادي أعظم من مناد يدعو إلى الإيمان، وهو محمد ﷺ أو القرآن الذي أنزل عليه. ورجّح ابن جرير الطبري أن يكون المنادي هو القرآن، واحتج لذلك بأن كثيرين ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي ﷺ، فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه، ولكنه القرآن.

(٢) وفي الآية فنّ وضع الظاهر موضع المضمّر. فقد كان مقتضى الظاهر أن يقال: ومالهم من أنصار أو وماله من أنصار، مراعاة لمعنى «من» أو لفظها، ولكنه أظهر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم.

* الفوائد:

قال أبو حيان: «سمع» إن دخل على مسموع تعدّى لواحد نحو: سمعت

كلام زيد، كغيره من الأفعال. وإن دخل على ذات وجاء بعده فعل أو اسم في معناه، نحو: سمعت زيدا يتكلم، وسمعت زيدا يقول كذا، ففي هذه المسألة خلاف، منهم من ذهب إلى أن ذلك الفعل أو الاسم إن كان قبله نكرة كان صفة لها، أو معرفة كان حالاً منها. ومنهم من ذهب إلى أن ذلك الفعل أو الاسم هو في موضع المفعول الثاني لـ «سمع» وجعل «سمع» مما يتعدى إلى واحد إن دخل على مسموع، وإلى اثنين إن دخل على ذات.

﴿ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝١٩٤ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَأَلَدِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝١٩٥ ۝﴾

○ الإعراب:

﴿ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ كلام معطوف على ما تقدم من ابتهالات، وربنا منادى مضاف، وآثنا عطف على أفعال الدعاء المتقدمة، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، وما اسم موصول مفعول به ثان، وجملة وعدتنا صلة الموصول، وعلى رسلك جار ومجرور متعلقان بوعدتنا، ولا بد من حذف مضاف، أي: على السنة رسلك، أو على تصديق رسلك، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال، أي: منزلاً على رسلك، أو محمولاً على رسلك؛ لأن الرسل محملون ذلك ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتخزنا فعل مضارع مجزوم بلا، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به، ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتخزنا ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الجملة تعليلية لا محل لها؛ لتعليل السؤال منهم، وهو باب من أبواب اللجوء إلى الله، وإلا فإن الله لا يخلف الميعاد. وإن واسمها، وجملة

﴿لَا تَحْلِفُوا بِالْعَادَةِ﴾ خبر إن ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾ الفاء استئنافية، واستجاب فعل ماض، ولهم جار ومجرور متعلقان باستجاب، وربهم فاعل، وأني: أن واسمها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان باستجاب لتبيان السبب، كأنه قال: فاستجاب لهم ربهم بسبب أني لا أضيع، وجملة لا أضيع خبر أن، وعمل عامل مفعول به، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعامل ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من عامل بعد وصفه، أي: استقر منكم حالة كونه من ذكر أو أنثى، أو صفة ثانية لعامل. وأعر به أبو البقاء بدلاً مطابقاً من منكم، وهو سائغ أيضاً، وبعضكم مبتدأ، ومن بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، والجملة مستأنفة مسوقة لتبيين شركة النساء مع الرجال في الثواب، وجعلها بعضهم معترضة، وما أحسبها بعيدة؛ لأنها وقعت بين قوله «عمل عامل» وبين ما فصل به عمل العاملين، فصح كونها واقعة بين كلامين متصلين، ورَجَّحها الزمخشري ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الفاء استئنافية للتفريع، وذلك للدلالة على أن الجزاء لا يكون إلا لمن جمع هذه الصفات متعددة، فالجملة مستأنفة لا محل لها، والذين مبتدأ، وجملة هاجروا صلة الموصول، وأخرجوا عطف على هاجروا، ومن ديارهم جار ومجرور متعلقان بأخرجوا ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلٍ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ الجملة كلها معطوفة داخلية في حيز الصلة ﴿لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ اللام جواب قسم محذوف، وأكفرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والجملة القسمية خبر الذين، وهنا لا بد من دفع اعتراض معترض يقول: إن الجملة الواقعة جواباً للقسم لا محل لها، فكيف ساغ أن تكون هنا خبراً، ويتلخص الدفع بأن المقصود مجموع القسم وجوابه. وعنهم جار ومجرور متعلقان بكفرن، وسيئاتهم مفعول به ﴿وَلَا دُخِلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الواو عاطفة، ولأدخلنهم عطف على لكفرن، والهاء مفعول به، وجنات منصوب بنزع الخافض، أو مفعول به ثان على السعة، وجملة تجري من تحتها الأنهار

صفة لجنات ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ثواباً مفعول مطلق لفعل محذوف يفيد التأكيد، وأجازوا إعرابها حالاً من جنات، أي: مثاباً بها، أو من الضمير الواقع مفعولاً به، أي: حال كونهم مثابين، وهو جائز. ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لثواباً ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعنده ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وحسن الثواب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر «الله».

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فن منقطع النظير يمكن تسميته «الإسجال» وحده أن يقصد المتكلم غرضاً من الأغراض، فيأتي بالفاظ تقرر ذلك الغرض: فقد سجل المولى سبحانه على السنة عباده تحقيق موعوده على لسان رسوله، وتأمل كلمة ﴿مَا وَعَدْنَاهُ﴾ تجد أن هذا الوعد أصبح مبرماً لا انفكاك لإبرامه. ومن طريف ما ورد منه شعراً قول ابن نباتة السعدي:

جاء الشتاء وما عندي له عدد

إلا ارتعادي وتصفيفي بأسناني

فإن هلكت فمولانا يكفني

هَبْنِي هَلَكْتُ فَهَبْنِي بَعْضُ أَكْفَانِي

والأسجال واضح في تقريره: هَبْنِي هَلَكْتُ، وما أجمل الجناس بين هَبْنِي بمعنى احسبني، وهَبْنِي بمعنى أعطني هبة.

(٢) الالتفات في قوله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فقد التفت من الغيبة إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بصدد الاستجابة، وتشريف الداعين، وتسوية الرجال والنساء، وشركة النساء مع الرجال في العمل والجزاء عليه، بعد أن كانت المرأة مغموطة الحق في الجاهلية.

روي أن أم سلمة قالت: يا رسول الله! إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة، ولا يذكر النساء؟! فنزلت.

﴿ لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۚ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۚ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۚ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا
يَسْتُرُونَ بِكَائِدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ يَتَأَنَّى الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِيرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾

☆ اللغة:

(النزل) - بضمين وبضم فسكون - : ما يقام للنزل ، أو طعام الضيف ،
قال أبو الشعواء الضبي :

وكنّا إذا الجبّار بالجيش ضافنا

جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

(رابطوا) أقاموا في الثغر ، والأصل : أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم
مترصدين مستعدين للغزو .

ورباط الخيل : حبسها . قال :

فينا رباط جياذ الخيل معلمة

وفي كليب رباط الدّل والعار

○ الإعراب:

﴿ لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۚ ﴾ جملة مستأنفة ، مسوقة لنهي
النبي ﷺ عن الاغترار ، وهو في الحقيقة نهي لأصحابه وأتباعه عن الاغترار
بما يرونه من تبسّط الكافرين والظالمين العتاة في الأرض ، واستبحارهم في

القوة والعمران، على نحو ما هو مشاهد اليوم. ولا الناهية، ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والكاف مفعول به، وتقلب فاعل، والذين اسم موصول مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، وفي البلاد جار ومجرور متعلقان بتقلب لأنه مصدر ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ متاع خبر لمبتدأ محذوف، وقليل صفة، أي: هو متاع ضئيل لا يؤبه له، وهو مهما تطاول آيل إلى الزوال، والجملة مستأنفة. ثم حرف عطف للتراخي، ومأواهم مبتدأ، وجهنم خبر ﴿وَيَسَّسَ آلِهَادُ﴾ الواو حالية، ويسس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمهاد فاعل بس، والمخصوص بالذم محذوف، أي: وجهنم، والجملة نصب على الحال ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ لكن مخففة مهملة لمجرد الاستدراك، والذين مبتدأ، وجملة اتقوا ربهم صلة الموصول، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجنات مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر الذين، وجملة لكن مستأنفة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الجملة صفة لجنات، ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري، والأنهار فاعل، وخالدين حال، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين ﴿نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ نزلاً حال من جنات، وإن جعلته مصدراً فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة «نزلاً» ﴿وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ الواو استئنافية، أو حالية، وما اسم موصول مبتدأ، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صلة ما، وخير خبر، ولأبرار جار ومجرور متعلقان بخير، والجملة مستأنفة، أو حالية ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الواو استئنافية، وإن حرف مشبه بالفعل، ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم، ولمن اللام المرحقة، ومن اسم موصول اسم إن المؤخر، وجملة يؤمن بالله صلة الموصول، وبالله جار ومجرور متعلقان بيؤمن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ الواو حرف عطف، وما اسم موصول معطوف على الله، وجملة أنزل إليكم صلة، وما أنزل إليهم عطف أيضاً، وخاشعين حال من الضمير في يؤمن، والله جار ومجرور متعلقان بخاشعين

﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِعَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ جملة لا يشترون حالية، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان يشترون، وثمناً مفعول به، وقليلاً صفة ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ الجملة مستأنفة، واسم الإشارة مبتدأ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأجرهم مبتدأ مؤخر، وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال، أي: مستقراً عند ربهم، والجملة خبر «أولئك» ﴿ إِنْكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ جملة مستأنفة، وإن واسمها وخبرها ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ أفعال دعاء ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ عطف أيضاً ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لعل واسمها، والجملة خبرها، وجملة الرجاء حالية.

□ البلاغة:

جاء ختام سورة آل عمران حسناً جداً، وكما جاء ختام سورة البقرة مشتملاً على الدعاء جاء ختام سورة آل عمران مشتملاً على عدد من الوصايا النافعة، وهذا هو حسن الختام؛ ليبقى راسخاً في الأسماع، وهذا هو حسن البيان.



سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

☆ اللغة:

﴿تَسَاءَلُونَ﴾ فعل مضارع، وأصله: تتساءلون، فحذفت إحدى التاءين، أي: يسأل بعضكم بعضاً.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ جمع رحم، وهي: القرابة.

○ الإعراب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ يا أيها: تقدم إعرابها كثيراً، والناس بدل من «أي»، واتقوا ربكم فعل وفاعل ومفعول به ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ الذي صفة لـ «ربكم»، وجملة خلقكم صلة الموصول، ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم، وواحدة صفة، والجملة مستأنفة مسوقة لبحث بدء الخلق

والتكوين ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الواو حرف عطف، وخلق فعل ماض، ومنها جار ومجرور متعلقان بخلق، وزوجها مفعول به ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ الواو عاطفة، وبث فعل ماض، ومنهما جار ومجرور متعلقان ببث، ورجالاً مفعول به، وكثيراً صفة، ونساء عطف على «رجالاً» ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ الواو عاطفة، واتقوا الله فعل أمر، والذي صفة، وجملة تساءلون صلة، وبه جار ومجرور متعلقان بتساءلون، والأرحام عطف على الله، وفي هذا العطف تنويه بمنزلة القرابة ووجوب البر بها ومراعاتها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا﴾ الجملة تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة كان وما في حيزها خبر إن، وكان فعل ماض ناقص، وعليكم جار ومجرور متعلقان بـ «رحيماً»، واسم كان مستتر، ورحيماً خبرها.

□ البلاغة:

في الآية الآنفه فن براعة الاستهلال؛ فقد استهل السورة بالإشارة إلى بدء الخلق والتكوين، وألمع إلى دور المرأة المهم، وأوصى بصلة الرحم. وقد حفل الشعر العربي بذكر صلة الرحم ومنزلتها عند الله، وحسبنا أن نشير إلى قصيدة معن بن أوس التي مطلعها:

وذي رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه بحلمي وهو ليس له حلمٌ
وهي قصيدة رائعة يكاد لا يخلو منها كتاب أدبي، فليرجع إليها من يشاء.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّكُمْ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

☆ اللفظة:

﴿الْيَتَامَىٰ﴾ الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم، واليتيم: الانفراد. ومنه الرملة اليتيمة، والدرة اليتيمة، وقيل: اليتيم في الأناسي من قبل الآباء، وفي

البهائم من قبل الأمهات. واليتامى: جمع الجمع، فقد جمع اليتيم على يتمى كأسرى، ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى على أسارى. ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء، نحو: صاحب، وفارس، فيقال: يتائم ثم يتمى، على القلب.

(الحوب) - بضم الحاء وفتحها -: الذنب العظيم، وهو مصدر حاب حوباً وحاباً.

○ الإعراب:

﴿وَأَتُوا آلَيْنَمَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الواو يصح أن تكون استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة مسوقة للشروع في كيفية الالتقاء وطرقه، وقدم اليتامى لكمال العناية بأمرهم. ويصح أن تكون عاطفة على ما تقدم، فيكون السرد متلاحقاً. وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، واليتامى مفعول به أول، وأموالهم مفعول به ثان ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ عطف على ما تقدم، ولا ناهية، وتبدلوا فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والخبيث مفعول به، والباء حرف جر، والطيب وهو المتروك مجرور بها، وهما متعلقان بتبدلوا ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا، وأموالهم مفعول به، وإلى أموالكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مضمومة إلى أموالكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ إن واسمها، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها، ولهذا كسرت همزة إن.

□ البلاغة:

في هذه الآية مواطن من البلاغة بالغة حد الإعجاز، نلخصها فيما يلي:

(١) المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَيْنَمَ أَمْوَالَهُمْ﴾ لأن الله سبحانه لا يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموالهم، فهذا غير معقول، بل الواقع

أن الله يأمر بإعطاء الأموال مَنْ بلغوا سن الرشد، بعد أن كانوا يتامى : فكلمة اليتامى هنا مجاز مرسل، لأنها استعملت في الراشدين . والعلاقة اعتبار ما كانوا عليه .

(٢) الاستعارة المكنية بأكل أموال اليتامى . فقد شبه أموالهم بطعام يؤكل، ثم استعار لها ما هو من أبرز خصائص الطعام، وهو الأكل، وفي هذه الاستعارة سرّان من أدق الأسرار:

أ - إن طريق البلاغة النهي عن الأدنى تنبيهاً على الأعلى إذا كان المنهي عنه درجات، فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير إليه حتى يلزم نهى الغني عنه عن طريق الأولى، فلا بُدَّ من سر يوضح فائدة تخصيص الأعلى بالنهي، في هذه الآية، وذلك ما يفهم من كلمة ﴿إِلَّا أَمْوَالَكُمْ﴾، والسّر في ذلك أن أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أصبح صور الأكل، فخصّص بالنهي تشبيهاً على من يقع فيه .

ب - والسّر الثاني في تخصيص الأكل؛ لأن العرب كانت تتذمّم بالإكثار من الأكل، وتعدُّ من البطنة المساوية للبهيمية، فكأن أكل مال اليتيم - في حال استغنائه عنه وكثرة المال لديه - شرٌّ من أكله وهو مملق شديد الحاجة إليه، وإن اشتركا في أكل ما هو محرم، وكانا منتظمين في قرن واحد، ومعلوم أن المنهي عنه كلما كان أوغل في القبح، وأفرط في الدمامة، كانت النفس بطبيعة الحال أنفر عنه .

(٣) الطباق بين الخبيث وهو الحرام من المال، والطيب وهو الحلال المستساغ .

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًىٰ وَتِلْكَتَّ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَنُكُمْ أَلَّا تَعُولُوا ۚ﴾ وَءَاتُوا

النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾

☆ النِّسَاءُ:

﴿نُقْسِطُوا﴾ مضارع أقسط الرباعي، ومعناه: عدل، والثلاثي معناه جار.

﴿تَقُولُوا﴾ من قولهم: عال الميزان إذا مال، وميزان فلان عائل، وعال الحاكم في حكمه: إذا جار. وذكر أبو بكر بن العربي أن عال تأتي لسبعة معان:

الأول: عال، أي: مال.

والثاني: زاد.

والثالث: جار.

والرابع: افتقر.

والخامس: أثقل.

والسادس: قام بمؤونة العيال، ومنه قوله: وابدأ بمن تعول.

والسابع: عال: أي: غلب، ومنه: عيل صبري.

وقد وردت عال لمعان غير السبعة غير التي ذكرها ابن العربي منها: عال: اشتد وتفاقم، حكاة الجوهري، وعال الرجل في الأرض إذا ضرب فيها، حكاة الهروي. وعال إذا أعجز، حكاة الأحمر. فهذه ثلاثة معان غير السبعة. والرابعة عال، أي: كثر عياله. فجملة معاني عال أحد عشر معنى، وسيأتي مزيد من بحث هذه المادة في باب: الفوائد.

(الصدقات) المهور، مفردها صدقة: بفتح الصاد وضم الدال. والمهر له أسماء كثيرة أيضاً، منها صدقة بفتحيتين، وفتح فسكون، وصادق: بكسر الصاد وفتحها.

﴿نِحْلَةً﴾ مصدر نحله كذا، أي: أعطاه إياه هبة له عن طيب نفس،

﴿هَيِّئْ مَرِيَّةً﴾ صفتان من هُنَّ الطعام أو الشراب: إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه. وقيل: الهنيء: ما يلذه الآكل، والمريء: ما يحمد عاقبته. وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة: المريء لمروء الطعام فيه، أي: انسياغه.

○ الإعراب:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية، وخفتم فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وأن حرف مصدري ونصب، ولا نافية، وتقسطوا فعل مضارع منصوب بأن، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول به، وفي اليتامى جار ومجرور متعلقان بتقسطوا، وسيأتي في باب: الفوائد المراد بذلك ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾ الفاء رابطة للجواب، وانكحوا فعل أمر، والواو فاعل، والجملة في محل جزم فعل الشرط، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة طاب لا محل لها لأنها صلة، ولكم جار ومجرور متعلقان بطاب، ومن النساء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ضمير الفاعل، ومثنى وثلاث ورباع أحوال، وأعربها أبو علي الفارسي بدلاً من «ما» وسيأتي مزيد من القول فيها في باب: الفوائد ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وخفتم فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وأن لا تعدلوا: المصدر المؤول مفعول به، فواحدة الفاء رابطة لجواب الشرط، وواحدة مفعول به لفعل محذوف، أي: فالزموا واحدة، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أو حرف عطف، وهي للتخيير، أي: من الإماء اللواتي في حوزتكم؛ لما في ذلك من اليسر والسهولة. وما اسم موصول معطوف على «واحدة»، وجملة ملكت أيما نكم لا محل لها ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وأدنى خبره، والجملة استئنافية، وأن لا تعولوا: المصدر المؤول منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بأدنى، أي: أقرب من العدل وعدم

الجور. وللفقهاء تعليلات طريفة في الجمع بين الإماء والحرائر في السهولة واليسر، تجد منها شيئاً في باب: الفوائد ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ الواو عاطفة، وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنساء مفعول به، وصدقاتهن مفعول به ثان، ونحلة نصب على المصدر؛ لأن النحلة والإيتاء مترادفان بمعنى الإعطاء، فكأنه قيل: وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة، أي: أعطوهن مهورهن عن طيب نفس. ويجوز نصبها على الحال من المخاطبين بعد تأويلها بالمشتق، أي: آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبين النفوس بالإعطاء، أو على الحال من «صدقاتهن» أي: منحولة معطاة عن طيب نفس. وقيل: نحلة من الله، أي: عطية من عنده، وتفضلاً منه عليهن. وقيل: النحلة: الملة والدين. والمعنى: آتوهن مهورهن ديانة، فتعرب عندئذ مفعولاً لأجله. وإنما أوردنا هذه الأوجه لأنها متعادلة الرجحان ﴿إِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وطبن فعل ماض مبني على السكون، ونون النسوة فاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وعن شيء جار ومجرور متعلقان بطبن، ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء، ونفساً تمييز ﴿فَكُلُّهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وكلوه فعل أمر ومفعول به، وهنيئاً مريئاً صفتان لمصدر محذوف، أي: أكلأ هنيئاً مريئاً، أو حال من الضمير، أي: كلوه وهو هنيء ومريء.

□ البلاغة:

في هذه الآية فن التغليب، فقد قال: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ولم يقل «من» كما هو المتبادر في استعمال «من» للعاقل و«ما» لغير العاقل تغليباً، لأن «ما» تأتي لصفات من يعقل، وقد وصفهن بالطيب، فصح استعمال «ما»، وهذا سر بديع، تقيس عليه ما يرد منه، فتدبره، والله يعصمك.

* الفوائد:

(١) يحدث التاريخ في تعليل نزول هذه الآية: أنه كان الرجل يجد

اليتيمة الموسومة بالجمال والمال ويكون وليها، فيتزوجها ضناً بها عن غيره، وربما اجتمعت عنده عشر منهن، فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن، ويفرط فيما يجب لهن، فقليل لهن: إن خفتم أن لا تقسطوا - أي: تعدلوا - في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم. فجاءت الآية محذرة من التورط، وأمرأ بالاحتياط، وفي غيرهن مندوحة إلى الأربع.

(٢) ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ صفات معدولة عن أعداد مكررة، ولذلك منعت من الصرف، أي: اثنتان اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. ومن طريف ما تمسك به بعض الذين ضلت عنهم أسرار العربية الشريفة من جواز التزويج بتسعة، أنهم قالوا: لأن اثنتين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة، ولأن النبي ﷺ مات عن تسعة. وهذا كما ترى ناشئ عن جهل بأسرار العربية المبينة؛ لأنك إذا قلت: جاء القوم مثنى وثلاث ورباع، معناه أنهم جاؤوا اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، فتتصب ذلك كله على الحال. والحال هي التي تبين هيئة الفاعل، أو المفعول به. فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم، أي: لم يجيئوا جماعة ولا فرادى، فالله سبحانه أبان ما أباحه من النكاح، وأما النبي ﷺ فإن ذلك من خواصه التي تفرد بها.

هذا وقد كثر كلام أهل العربية حول العدد المعدول، هل هو من الواحد إلى العشرة؟ أو هو ما نطق به القرآن الكريم فقط؟ قال قوم: إنه ينتهي إلى رباع، وقال آخرون: إلى سداس، وقيل: إلى عشار. وقد جاء لأبي الطيب المتنبي قوله:

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيُيَلِّتَنَا الْمُنَوَّطَةُ بِالتَّنَادِ؟

قالوا: إن أبا الطيب لحن في هذا البيت عدة لحنات، فقال: أحاد وسداس، ولم يسمع في الفصح إلا مثنى وثلاث ورباع، والخلاف في خماس وسداس إلى عشار. ومنها أنه صغر ليلة على «لييلة»، وإنما تصغر على «لييلة». ومنها أنه صغرها، والتصغير دليل القلة، فكأنها قصيرة، ثم

قال : « المنوطة بالتناد » ولا شيء يكون أطول منها حينئذ ، فناقض آخر كلامه أوله . ولنا أن ندافع عن أبي الطيب في زعمهم عليه التناقض ؛ لأن التصغير يأتي في كلامهم أحياناً للتعظيم ، كقول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصفر منها الأنامل

فأبو الطيب قد صغر الليل هنا للتعظيم ؛ لأنه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد . ومنه قول النبي ﷺ لعائشة : « يا حميراء . ويحتمل أنها صغرت لدقتها وخفائها . ومستعظم الأمور من مستصغر الشرر . وأما قوله : أحاد وسداس ، فإنه استعمل الجزء وهو واحد وست مفردين ، أي : أنه لم يردّها «أحاد» مكررة ولا ستاً مكررة كما هو مدلول العدد المعدول ، بل أراد الأفراد ، واستعمل فيه المعدول الدال على التكثير تجوّزاً من اسم إطلاق الكل ، وهو أحاد وسداس في الجزء ، وهو واحدة واحدة وست ست . وهذا الاستعمال مجاز ، والتجوّز ليس بلحن . هذا وقد ورد عشار في شعر الكميّ ابن زيد ، وهو حجة :

فلم يستريثوك حتّى رميت فوق الرجال خصالاً عشارا

لماذا منعت من الصرف ؟

أما المذاهب المنقولة في علة منع الصرف فهي أربعة :

- (١) قول سيبويه والخليل وأبي عمرو ، وهو العدل والوصف .
- (٢) قول الفراء ، وهو أنها منعت للعدل والتعريف بنية الألف واللام ، ومنع ظهور الألف واللام كونها في نية الإضافة .
- (٣) قول الزجاج ، وهو أنها معدولة عن اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، وأنه عدل عن التأنيث .

(٤) ما نقله أبو الحسن عن بعض النحويين ، وهو أن العلة المانعة من الصرف هي تكرار العدل فيه ؛ لأنه عدل عن لفظ اثنين ، وعدل عن معناه ، وذلك أنه لا يستعمل في موضع تستعمل فيه الأعداد غير المعدولة ، تقول :

جاءني اثنان وثلاثة، ولا يجوز: جاءني مثنى وثلاث، حتى يتقدم قبله جمع؛ لأن هذا الباب جعل بياناً لترتيب الفعل فإذا قال: جاءني القوم مثنى أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين. فأما الأعداد غير المعدولة فإنما الغرض منها الإخبار عن مقدار المعدود دون غيره. ولا بن هشام فصل رائع في «مغني اللبيب» كتبه حول هذه الآية في الباب السادس من كتابه: في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها. فارجع إليه إن شئت.

﴿هَيْنَأَ مَرِيئًا﴾ يعربان وصفاً للمصدر وحال.

فأما قول أبي الطيب المتنبي:

هَيْنَأَ لَكَ الْعَيْدُ الَّذِي أَنْتَ عَيْدُهُ وَعَيْدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَى وَعَيْدًا

فيتحتم إعرابهما حالاً؛ لأنه ليس هناك ما يدل على المصدر الذي يصح أن يوصف بهما. والعيد فاعل هينئاً لأنها صفة مشبهة.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وَأَبْلَوْا الَيْنَمَى حَقٌّ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

☆ الفة:

﴿السُّفَهَاءُ﴾ المبذرون الذين ينفقون أموالهم فيما لا ينبغي إنفاقه، أو فيما لا طائل تحته.

﴿قِيَمًا﴾ مصدر قام، أي: يقومون بها، وتنتعشون. ولو ضيعتموها لضعتم، فكانها قيامكم وانتعاشكم.

﴿ءَأَنْتُمْ﴾ أبصرتهم، واستوضحتم.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى. ولا ناهية، وتؤتوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والسفهاء مفعول به وأموالكم مفعول به ثان، والتي اسم موصول في محل نصب صفة لأموالكم، وجملة جعل الله لكم صلة الموصول، وقياماً مفعول به ثان لجعل التي بمعنى صير، والمفعول الأول محذوف، والتقدير: التي صيرها لكم قياماً، ولكم جار ومجرور متعلقان بـ «قياماً»، وإن كانت جعل بمعنى خلق فقياماً حال من العائد المحذوف، أي: جعلها في حال كونها قياماً ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وارزقوهم الواو حرف عطف، وارزقوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وفيها جار ومجرور متعلقان بارزقوهم، واكسوهم عطف على ارزقوهم، وقولوا عطف على وارزقوهم أيضاً، ولهم جار ومجرور متعلقان بقولوا، وقولاً مفعول مطلق، ومعروفاً صفة ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ يَزْنُونَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ الواو عاطفة، والكلام معطوف، وفيه تعيين وقت تسليم أموال اليتامى إليهم، واليتامى مفعول به للفعل ابتلوا، وحتى حرف غاية وجر، جعل البلوغ وإيناس الرشد غاية للإيتاء. وقيل: حتى ابتدائية، ولكنها تفيد الغاية، وهي حتى التي تقع بعدها الجمل، كقوله:

فما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة بلغوا النكاح في محل جر بالإضافة ﴿فَإِنْ ءَأَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن شرطية، وأنتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وجملة فإن أنتم لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومنهم جار ومجرور متعلقان بأنتم، ورشداً مفعول به ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ الفاء رابطة، وادفعوا فعل أمر، والواو فاعل، وإليهم جار ومجرور متعلقان بادفعوا وأموالهم مفعول

به، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾
الواو استئنافية، ولا ناهية، وتأكلوها فعل مضارع مجزوم بلا، والواو
فاعل، والهاء مفعول، وإسرافاً وبداراً مصدران في موضع الحال، أي:
مُسرفين ومبادرين، أو هما في موضع المفعول لأجله، أي: لإسرافكم
ومبادرتكم كبيرهم، وأن يكبروا مصدر مؤول مفعول به للمصدر، أو مفعول
لأجله، والمفعول به محذوف، ولا بد من تقدير مضاف عندئذ، أي: مخافة
أن يكبروا، والجملة مستأنفة. وإنما جعلنا الواو استئنافية، وظاهر الكلام
يوحي أنها معطوفة؛ لأن المعنى يصبح اذهبوا ولا تأكلوها، وهذا فاسد؛
لأن الشرط وجوابه مترتبان على بلوغ النكاح، فيلزم منه ترتبه على ما ترتب
عليه، وذلك ممتنع ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم
شرط جازم مبتدأ، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر تقديره: هو،
وغنياً خبرها، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر للمبتدأ من، فليستعفف؛ الفاء
رابطة لجواب الشرط، واللام لام الأمر، ويستعفف مجزوم بها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا
فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ عطف على ما تقدم، وقد سبق إعرابها، وبالمعروف جار
ومجرور متعلقان بياكل، والآية تقسيم لحال الوصي بين أن يكون غنياً وبين أن
يكون فقيراً، فالغني يقتنع بما أفاء الله عليه، والفقير يأكل بالمعروف محتاطاً
جهده حرصاً على مال اليتيم، وجملة فليأكل في محل جزم جواب الشرط، وفعل
الشرط وجوابه في محل رفع خبر من ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾
الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة دفعتم إليهم أموالهم
في محل جر بالإضافة، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأشهدوا فعل أمر
وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعليهم جار
ومجرور متعلقان بأشهدوا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسيبًا﴾ الواو استئنافية، وكفى فعل
ماض، وبالله الباء حرف جر زائد، والله فاعل كفى مجرور لفظاً بالباء،
وحسيباً تمييز.

□ البلاغة:

في هذه الآية نوع طريف من أنواع البيان يطلق عليه اسم «قوة اللفظ لقوة المعنى»، وذلك في قوله «فليستعفف» فإن «استعفف» أبلغ من «عف» كأنه يطلب زيادة العفة من نفسه هضماً لها، وحلاً على النزاهة؛ التي يجب أن تكون رائد أبناء المجتمع. ومن المعلوم أن اللفظ إذا كان على وزن من الاوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بُدَّ من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ دالة على المعاني، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت الزيادة زيادة في المعاني، وهذا النوع لا يستعمل إلا في المبالغة. فمن ذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا: اعشوشب. ومنه: قدر واقتدر، فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر، فلذلك قال تعالى: ﴿فَاَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [القمر: ٤٢]. وقد تطلع أبو نواس إلى هذه النكتة فقال:

فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوٌ مُّقْتَدِرٌ حَلَّتْ لَهُ رِقْمٌ فَأَلْغَاهَا

أي: عفوت عني عفو متمكن من القدرة، لا يرده شيء عن إمضاء قدرته.

* الفوائد:

(كفى) فعل ماض على الأصح تزداد الباء في فاعله، كما في هذه الآية. وقد تزداد في المفعول به، كقول أبي الطيب المتنبّي:

كَفَى بِجَسَمِي نُحُولاً أَتْنِي رَجُلٌ

لَوْلا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

وقلّ أن يجيء فاعل كفى مجرداً من الباء، كقول سحيم:

عُمَيْرَةٌ وَدَّعْ إِن تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

ولا تزداد الباء في فاعل كفى أو مفعولها إذا كانت بمعنى أجزأ، أو أغنى، كقوله:

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ

ولا كفى التي بمعنى وقى من الوقاية، كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 أَلْفِتَالٌ ﴿١﴾. هذا؛ وقد انتقدوا على أبي الطيب زيادتها في فاعل كفى بمعنى أجزأ
 أو أغنى، إذ قال:

كَفَى نُعَلًا فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لَأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلٌ

وقد أفاض النقاد في شرح هذا البيت، فارجع إليه في ديوانه.

التشدد في أمر اليتيم:

وقد تشدّدت الشريعة الإسلامية في أمر اليتيم ومعاملته بما هو معروف،
 على أنها جعلت للموصي حقاً لقيامه على أمواله، فعن النبي ﷺ: أن رجلاً
 قال له: إن في حجري يتيمًا، أفأكل من ماله؟ قال: «بالمعروف، غير متأثّل
 مالا، ولا واق مالك بماله». فقال: أفأضربه؟ قال: «مما كنت ضارباً منه
 ولدك».

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ﴿٧﴾

○ الإعراب:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتفنيد
 ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار. وللرجال جار
 ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ونصيب مبتدأ مؤخر، ومما جار
 ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب، وجملة ترك الوالدان صلة
 الموصول، والأقربون عطف على الوالدان ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ﴾ عطف على ما تقدم ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ الجار
 والمجرور بدل من «مما» السابقة، والجملة صلة الموصول، ومنه جار ومجرور
 متعلقان بقل، وأو كثر عطف على قل، ونصيباً مفروضاً يجوز أن يعرب مفعولاً
 مطلقاً؛ لأنه واقع موقعه؛ إذ التقدير عطاء، ويجوز أن يعرب حالاً من فاعل

«قل»، أي: مما تركه قليلاً أو كثيراً. واختار الزمخشري نصبه على الاختصاص بفعل محذوف بمعنى: أعني نصيباً، ولا داعي لذلك.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا يَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة حضر القسمة في محل جر بالإضافة والقسمة مفعول به، وأولو القربى فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، واليتامى والمساكين عطف على أولو القربى ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، وارزقوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ومنه جار ومجرور متعلقان بقولوا، وقولوا عطف على ارزقوهم، ولهم جار ومجرور متعلقان بقولوا، وقولاً مفعول مطلق، ومعروفاً صفة ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ الواو حرف عطف، واللام لام الأمر، ويخش فعل مضارع مجزوم باللام، والذين اسم موصول فاعل، ولو شرطية، وتركوا فعل وفاعل، ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بتركوا، وذرية مفعول به، وضعافاً صفة ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وعليهم جار ومجرور متعلقان بخافوا، ومفعول خافوا محذوف تقديره الضياع والهيام، وسيأتي مزيد منه في باب: البلاغة ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ الفاء تعليلية؛ لأن التقوى مسببة عن الخوف الذي هو الخشية، واللام لام الأمر، ويتقوا فعل مضارع مجزوم باللام، والواو فاعل، والله مفعول به ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الجملة عطف على فليتقوا، وقولاً مفعول مطلق، وسديداً صفة.

□ البلاغة:

في الآية فن الإيجاز بالحذف، وهو هنا في حذف مفعول خافوا، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، ولتفتن في تصوير الخوف من المصير المحتوم الذي يؤول إليه أمر الضعاف في هذه الحياة. ولك أن تقدره بمثل الضياع والهيام والتشرد في مسارب الحياة ومسالكها المتشعبة، من دون كافل يكفلهم، أو مدبر يدبر شؤونهم. وقد رمق الشاعر سماء هذا المعنى بقوله الممتع في الاعتذار عن الخوف والتخلف متعللاً ببناته:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حباً بناقي إنَّهنَّ من الضَّعافِ
أحاذرُ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدي وأن يشرَبْنَ رَنَقاً غيرَ صافِ
وأن يعرينَ إن كسي الجَّواري فتنبو العينُ عن كرم عجافِ
ولولا هن قد سوَّيت مهري وفي الرحمن للضعفاء كافِ

هذا؛ ولحذف المفعول به من الكلام لطائف وتعاجيب، كقولنا: فلان يحلّ ويعقد، ويبرك وينقض، ويضر وينفع. والأصل في ذلك على إثبات المعنى المقصود في النفس للشيء على الإطلاق.

* الفوائد:

قول صاحب «المغني» ومناقشته:

اختلف في «لو» هذه اختلافاً كثيراً. وسنورد قول صاحب «المغني» في إعراب هذه الآية، ثم نناقشه. ولا يخلو ذلك من متعة وفائدة. قال: القسم الثاني من أقسام «لو» أن تكون حرف شرط في المستقبل إلا أنها لا تجزم، كقول توبة بن الحمير في ليلي الأخيلية:

ولو أن ليلى الأخيلية سلَّمتُ عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلَّمتُ تسليماً البشاشة أو زقا

إليها صدى من جانب الأرض صائحُ

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ...﴾ الآية. أي: وليخش الذين إن شاربوا وقاربوا أن يتركوا. وإنما أولنا الترك بمشارفة الترك؛ لأن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك؛ لأنهم بعده أموات. هذا ما قاله في «المغني». والتأويل المذكور لا يتقيد بكون الخطاب للأوصياء، بل هو جار، ولو قلنا: إنه للورثة، أو للجالسين عند المريض أيضاً، وحينئذ فذكر الأوصياء ليس للاحتراز، بل هو اقتصار على أحد المعاني. وقد أشار صاحب «الكشاف» إلى أنه لا بد من حمل «تركوا» على المشارفة لا لما ذكره صاحب «المغني»، ولكن ليصح وقوع خافوا جزاء، وذلك لكون الخوف متتقياً بعد الموت، فلا يتأتى خوف بعد الترك. فإن قلت: ما معنى وقوع «لو تركوا» وجوابه صلة للذين؟ قلت: معناه: وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شاربوا أن يتركوا خلفهم ذرية، وذلك عند احتضارهم، خافوا عليهم الضياع بعدهم، لذهاب كافلهم وكاسبهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَّا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا﴾ كلام مستأنف، مسوق للنهي عن ظلم اليتامى من الأولياء والأوصياء. وإن واسمها، وجملة يأكلون صلة الموصول، وأموال اليتامى مفعول به، وظلماً حال مؤوَّلة، أي: ظالمين. ولك أن تعربها مفعولاً لأجله، وشروط النصب متوفرة. ولك أن تعربها مفعولاً مطلقاً لبيان نوع الأكل، أي: أكل ظلم ﴿إِنَّمَّا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ إنما كافة ومكفوفة لا عمل لها، ويأكلون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة خبر إن الأولى، وفي بطونهم جار ومجرور متعلقان بيأكلون، أو بمحذوف حال؛ لأنه كان في

الأصل صفة له «ناراً» ثم تقدمت . وناراً مفعول به ، وسيصلون عطف على يأكلون ، وسعيراً مفعول به .

□ البلاغة:

انطوت هذه الآية على تجسيد بديع ، يتجلى في فئين من فنون البيان :

(١) الإسهاب في قولهم ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ فقد ذكر البطون ؛ لأن الأكل لا يستقر إلا فيها ، تجسيداً لبشاعة الجرم المقترف بأكل مال اليتيم ، ومثله ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي : تشدقوا بها ، وقالوها بملء أفواههم .

(٢) المجاز المرسل في أكل النار ، والعلاقة هي المسببية : فالنار لا تؤكل ، وإنما يؤكل مسببها ، والآيل إليها ، وهو مال اليتيم .

(٣) جاء «يأكلون» بالمضارع دون سين الاستقبال ، وسيصلون بالسين ؛ لأنه لما كان لفظ «ناراً» مطلقاً قيد في قوله «سعيراً» إذ هو الجمر المتقدم .

(٤) التعريض : فقد عرض بذكر البطون لحسنتهم واتضاع أمرهم ، وهو أن أنفسهم والعرب تنضم من ذلك ، ألا ترى الخطيئة كيف اكتفى من هجائه بهذا القدر يلمع إليه ، وذلك بقوله :

دَعِ الْكَارِمَ لَا تَزَحَلْ لِبُغْيَتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
أي : المطعوم والمكسوّ .

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ

ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

○ الإعراب:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾. ويوصيكم فعل مضارع، والكاف مفعوله المقدم، والله فاعله المؤخر، وفي أولادكم جار ومجرور متعلقان بيوصيكم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتبيين الوصية. وللذكر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومثل صفة لمبتدأ محذوف مؤخر، أي: حظ مثل.. فالجملة كالموضحة للأولى فهي في محل نصب مقول يوصيكم؛ لأنه بمعنى القول، وإيثار الذكر بهذه المزية لأنه القائم على الإعالة، ولأن الأنثى ستصرف بحكم المهمة الموكولة إليها إلى تدبير شؤون البيت، ورعاية الأبناء، وكفالتهم، فاستلزم ذلك توفير حظّه من الميراث ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الفاء تفرعية، والجملة بعدها لا محل لها؛ لأنها بمثابة الاستثنائية والتعليلية، وإن شرطية وكنّ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والنون اسمها، والنساء خبرها، وفوق ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة لنساء، أي: زائدات على اثنتين، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان، فلهن الفاء رابطة لجواب الشرط، ولهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وثلثا مبتدأ مؤخر، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة ترك صلة الموصول، وجملة فلهن ثلثا: في محل جزم جواب الشرط ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وكانت فعل ماض ناقص، والتاء التأنيث الساكنة، وهو في محل جزم فعل الشرط، واسمها مستتر تقديره هي، أي: المولودة، وواحدة خبر كانت، والفاء رابطة للجواب، ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والنصف مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَلِلْبَنَاتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الواو

عاطفة، منسوقة على ما تقدم للشروع في إرث الأصول، ولأبويه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ولكل واحد جار ومجرور، يوحى ظاهر الكلام أنهما بدل بإعادة الجار، وهذا ما نص عليه أكثر المعربين وعلى رأسهم الزمخشري، ودعم هذه البدلية بقوله: إنه لو قيل ولأبويه السدس لكان الظاهر اشتراكهما فيه، ولو قيل: ولأبويه السدسان، لأوهم قسمة السدسين عليها على التسوية وعلى خلافها. فإن قلت: فهلا قيل: ولكل واحد من أبويه السدس؟ وأي: فائدة في ذكر الأبوين أولاً، ثم في الإبدال منهما؟ قلت: لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيد وتقوية كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير. هذا ما قاله الزمخشري، ونقله بحروفه جميع المعربين والمفسرين، ولكن هناك نقداً لهذا الإعراب تراه في باب: الفوائد. ومنهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لواحد، والسدس مبتدأ مؤخر، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وجملة ترك صلة الموصول، وإن شرطية، وكان له ولد: كان وخبرها المقدم واسمها المؤخر، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فكل واحد، وجملة الشرط مستأنفة ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، ولم حرف نفى وقلب وجزم، ولكن فعل مضارع ناقص مجزوم، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وولد اسمها المؤخر، وورثه عطف على لم يكن، والهاء مفعول به، وأبواه فاعل ﴿فَلَأُمِّيهِ الثُّلُثُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولأمه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والثالث مبتدأ مؤخر، والجمله الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمِّيهِ السُّدُسُ﴾ عطف على ما تقدم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ اضطراب كلام المعربين والمفسرين في تعليق هذا الجار والمجرور، فقد علقهما الزمخشري بما تقدم من قسمة الموارث لا بما يليه وحده، يريد الزمخشري أن يقول: إنهما متعلقان بقوله: يوصيكم الله، وما بعده. وفي هذا التعليق ارتباك ملحوظ، ولهذا عدل أبو حيان عنه إلى تعليقهما بفعل محذوف، أي: يستحقون ذلك من بعد وصية. وفيه تسامح عاجز وهروب من التعليق، ونريد أن نتفاداهما في القرآن

الكريم، وعلقهما أبو البقاء بمحذوف حال من السدس، وتقديره: مستحقاً من بعد وصية، وهو أشد من الأولين ارتباكاً، فالأولى أن نعلقهما - كما أرى - بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: قسمة هذه الأنصبة كائنة من بعد وصية. وجملة يوصي - بالبناء للمعلوم والمجهول - وقرىء بهما - صفة لوصية، وأو حرف عطف لإباحة الشئنين، ودين عطف على وصية ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ الجملة معترضة بين قوله: «من بعد وصية»، وقوله: «فريضة من الله». وأبأؤكم مبتدأ، وأبناؤكم عطف على «أبأؤكم». وجملة لا تدرون خبر، وأيهم: اسم استفهام مبتدأ، وأقرب خبره، والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون؛ لأنها علققت بالاستفهام، ولكم جار ومجرور متعلقان بأقرب، ونفعاً تمييز. ويجوز أن تعرب أي - كما يقول سيبويه - موصولة مبنية على الضم، وهي مفعول تدرون، وأقرب خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم أقرب، أما مفعول تدرون الثاني فهو محذوف، وكلا الوجهين سائغ ومقبول ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فريضة مفعول مطلق لفعل محذوف يفهم من الجملة السابقة من الوصية، هكذا أعربوه. وفيه أن الفريضة ليست مصدرأ، ولكنها فعيلة بمعنى مفعولة، فالأولى جعلها حالاً مؤكدة، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريضة، وإن واسمها، وجملة كان عليماً حكيماً خبرها، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها.

❖ الفوائد:

قلنا: إن المعربين جميعاً تضافروا على إعراب «لكل واحد» بدلاً بإعادة الجار، ويرد على هذا الإعراب نظر لا بد من مراعاته، وذلك أنه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء، وهما كعين واحدة، ويكون أصل الكلام: والسدس لأبويه لكل واحد منهما. ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس، كما قال: ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَّا تَرَكَ﴾ فاقضى اشتراكهما فيه فيقتضي البدل لو قدر إهدار الأول أفراد

أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةَ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

☆ اللفظة:

﴿ كَلَالَةً ﴾ : مصدر كل فلان ؛ إذا لم يكن ولداً أو والدًا . أي : كل عن بلوغ القرابة المماسية . قال الطُّرِّمَاح يصف الثور :

يهزّ سلاحاً لم يرثه كلالَةً يشكُّ به منها غموض المغابن

وقد تكلم علماء الفقه والتفسير كثيراً عن الكلاله ، وسيأتي مزيد من القول في هذه السورة عن هذه اللفظة .

○ الإعراب:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ الواو حرف عطف ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ونصف مبتدأ مؤخر ، وما اسم موصول مضاف إليه ، وجمله ترك صلة الموصول ، وأزواجكم فاعل ﴿ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ إن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكن فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط أيضاً ، ولهن خبر يكن المقدم ، وولد اسمها المؤخر ، وجمله الشرط في محل نصب على الحال ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ الفاء عاطفة ، وإن شرطية ، وكان خبرها المقدم واسمها المؤخر ، والجمله معطوفة ﴿ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ ﴾ الفاء رابطة ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والرابع مبتدأ مؤخر وما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجمله تركن صلة الموصول ، والجمله المقترنة بالفاء جواب الشرط ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، ووصية مضاف إليه وجمله يوصين صفة لوصية ، وبها جار ومجرور متعلقان بيوصين ،

وأو حرف عطف، ودين عطف على وصية ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تَوْصُوتٍ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ تقدم إعراب ذلك كله فعرّج عليه ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وكان يجوز فيها النقصان والتمام، فإذا كانت ناقصة فرجل اسمها، وجملة يورث بالبناء للمجهول خبرها، وكلالة حال، وإن كانت تامة فرجل فاعل، وجملة يورث صفة وكلالة حال، ويجوز إعراب كلالة مفعولاً لأجله، ويكون معناها القرابة، أو نعت لمصدر محذوف إذا كان معناها الورثة، أي: يورث وراثته كلالة، وأجاز بعضهم أن تكون مفعولاً به ثانياً، ولا أراه مستساعاً ﴿أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أو حرف عطف، وامرأة عطف على رجل، وله الواو حالية، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأخ مبتدأ مؤخر، وأو حرف عطف، وأخت على أخ ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ الفاء رابطة، ولكل جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وواحد مضاف إليه، ومنهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لواحد، والسدس مبتدأ مؤخر، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والواو اسم كان، وأكثر خبرها، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بأكثر، والفاء رابطة، وهم مبتدأ، وشركاء خبر، وفي الثلث جار ومجرور متعلقان بشركاء ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ تقدم إعرابه، فجدد به عهداً ﴿غَيْرَ مُضَاعَفٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ غير مضاعف حال من ضمير يوصى، ووصية مفعول مطلق مؤكد ليوصيكم، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لوصية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وعليم حلیم خبراه.

* الفوائد:

(١) مناقشة طريفة:

قال الشلوبين: حكى لي أن نحويًا سئل عن إعراب «كلالة» من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ فقال: أخبروني: ما كلالة؟ فقالوا له: الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سفل. فقال: فهي إذن تمييز. وتوجيه قوله أن يكون الأصل: وإن كان رجل يرثه كلالة، ثم حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول، فارتفع الضمير واستتر، ثم جيء بكلالة تمييزاً.

رد ابن هشام:

وقد رد ابن هشام على هذا النحوي بقوله: ولقد أصاب هذا النحوي في سؤاله وأخطأ في جوابه، فإن التمييز بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف لأجله، وتراجع عما بنيت الجملة عليه من طي ذكر الفاعل فيها، ولهذا لا يوجد في كلامهم مثل: ضرب أخوك رجلاً، واستطرد ابن هشام كعادته، إلى أن قال: والصواب في الآية أن «كلالة» بتقدير مضاف، أي: ذا كلالة، وهو إما حال من ضمير يورث فـ «كان» ناقصة، ويورث خبر، أو تامة فيورث صفة. وإما خبر فيورث صفة. ومن فسر «كلالة» بالميت الذي لم يترك ولداً ولا والدًا، فهي أيضاً حال أو خبر، ولكن لا تحتاج إلى تقدير حذف مضاف. ومن فسرهما بالقرابة فهي مفعول لأجله.

(٢) عادة العرب إذا ردّدت بين اسمين بأو أن تعيد الضمير إليهما جميعاً، تقول: من كان له أخ أو أخت فليصلهما، أو إلى أحدهما أيهما شئت تقول: من كان له أخ أو أخت فليصله، وإن شئت فليصلها.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

○ الإعراب:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما تقدم من تشريع هو من حدود الله لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها. وتلك مبتدأ، وحدود الله خبر ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويطيع الله ورسوله فعل الشرط، ويدخله جواب الشرط، والهاء مفعول به، وجنات منصوب بنزع الخافض، أو مفعول به ثان على السعة، وجملة الشرط، والجواب في محل رفع خبر. ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ جملة تجري صفة لجنات، ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري، والأنهار فاعل، وخالدين حال، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وذلك مبتدأ، والفوز خبر، والعظيم صفة ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ تقدم إعرابها، فعرّج عليه.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فنّ غريب يطلق عليه اسم «جمع المختلفة والمؤتلفة». وحده بأنه عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين أو مذمومين، أو اثنين أحدهما ممدوح والآخر مذموم، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بما لا ينقص من الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية، فقد جمع ضمير الخالدين في الجنة؛ لأن كل من دخل الجنة كان خالداً فيها أبداً، أو لتفاوت درجات الخالدين. أما أهل النار فينهم الخالدون وغير الخالدين من عصاة المؤمنين، فساغ الجمع هناك، ولم يسغ هنا؛ لأن الخالدين

في النار فرقة واحدة، أما الخالدون في الجنان فهم طبقات بحسب تفاوت درجاتهم. وهذا من أسمى مراتب البيان. ومن أمثله البديعة في الشعر قول الخنساء، وقد أرادت مساواة أخيها صخر في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد، فقالت:

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا	يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةَ الْحُضْرِ
وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا	صَقْرَانِ قَدْ حَطَّآ عَلَى وَكْرٍ
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ	لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرَ بِالْعُذْرِ
وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ أَتَيْهِمَا	قَالَ الْمَجِيبُ هُنَاكَ: لَا أُدْرِي
بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِ وَالِدِهِ	وَمَضَى عَلَى غُلُوءِهِ يَجْرِي
أُولَى فَأُولَى أَنْ يَسَاوِيَهُ	لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

فقد ساوت بينهما في الجرأة، وخوض غمار الحرب، والإسراع في العدو والسباق في البيت الأول، والحضر بضم الحاء: السباق والعدو، والملاءة بضم الميم: الرِيطة، وهي: كل ثوب رقيق.

ثم ساوت في البيت الثاني بينهما في جعلهما بمثابة صقرين سريعين، وفي البيت الثالث أرادت أن تصف الحرب، وكيف لرب بعض عذر اللحم على بعضها الآخر؛ ثمّ يدلُّ على المساواة في العدو، وتساءل الناس في البيت الرابع أيهما الوالد وأيهما الولد لشدة تشابههما، ثم انتهت في البيت الخامس إلى ترجيح الوالد ببريق صفحة وجهه، أي: أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيه سبقاً، وفي البيت السادس قالت إن الولد كان قادراً على مساواة الوالد لولا ما التزمه من الأدب مع برّ أبيه ومعرفته بحقه، فغضّ من عنانه، وخفض من جناح فضله ليؤثر أباه بالفضل على نفسه. ومثله لنصر الله بن أحمد البصري المعروف بالخبز أرزي، وكان أمياً يخبز خبز الأرز بالبصرة، وينشد أشعار الغزل. فمن ذلك قوله:

رَأَيْتَ الْهَلَالَ وَوَجْهَ الْحَبِيبِ	فَكَانَا هَلَالِينَ عِنْدَ النَّظَرِ
فَلَمْ أَدْرِ مَنْ حَيَّرَنِي فِيهِمَا	هَلَالِ السَّمَا مِنْ هَلَالِ الْبَشَرِ

ولولا التَّورْدُ في الوَجْتَيْنِ وما لاحَ لي من خلال الشعر
لكنْتُ أظنُّ الهلالَ الحبيب وكنتُ أظنُّ الحبيبَ القمر
فقد سوَّى بينهما أولاً، ثم رجع ففضَّل الحبيب على الهلال .
(٢) بين الأفراد والجمع :

ووثب أبو السعود العمادي مفتي القسطنطينية في تفسيره إلى أوج الذكاء عندما قرر بالهام مُوفِّق أن نكتة الأفراد في قوله : «خالدًا» فيها الإيذان بأن الدخول في دار العقاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة ، أما مجالس اللجنة فهي بين الأخلاء والأحباء والاجتماع أدعى إلى تبديد الوحشة .

﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦﴾

○ الإعراب :

﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ﴾ كلام مستأنف ، مسوق للشروع في أحكام الزانية . والواو استئنافية ، واللاقي اسم موصول وجملة يأتين الفاحشة صلة الموصول ، ومن نسائك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ الفاء رابطة ؛ لما في الموصول من رائحة الشرط ، ولذلك جاز أن يخبر بالأمر عن المبتدأ بقوله : استشهدوا ، ولك أن تجعل الخبر محذوفاً ، أي : فيما يتلى عليكم حكم اللاقي . وعليهن جار ومجرور متعلقان باستشهدوا ، وأربعة مفعول به ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وشهدوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة ،

وأمسكوهن فعل أمر، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وفي البيوت جار ومجرور متعلقان بأمسكوهن، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ حتى حرف غاية وجر، ويتوفاهن فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد حتى، والهاء مفعول به، والموت فاعل، وأن المضمرة وما في حيزها مصدر مؤول في محل جر بحتى، والجار والمجرور متعلقان بأمسكوهن، وأو حرف عطف، ويجعل فعل مضارع معطوف على «يتوفاهن»، والله فاعل، ولهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لـ «سبيلاً» وتقدمت، وسبيلاً مفعول به ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا﴾ الواو حرف عطف، واللذان مبتدأ، وأراد بهما الزاني والزانية، وجملة يأتياها صلة، والضمير يعود على الفاحشة، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والفاء رابطة، وأذوهما فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة خبر، وقد تقدم نظيره. ومعنى الإيذاء: السب، والتوبيخ، والضرب ﴿فَإِنْ تَابَا وَأُصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ فإن الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتابا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وأصلحا عطف على «تابا» والفاء رابطة، وجملة أعرضوا عنهما في محل جزم جواب الشرط ﴿إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ إن واسمها، وجملة كان واسمها المستتر وخبرها في محل رفع خبر إن، ورحيماً خبر كان الثاني.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾

☆ **اللمعة:**

﴿أَعْتَدْنَا﴾ أحضرنا وهيأنا، وهو عتيد، أي: حاضر مهياً، وأصلها

أعددنا، أبدلت الدال الأولى تاء.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ كلام مستأنف لل شروع في بحث التوبة وشروطها، وإنما كافة ومكفوفة، والتوبة مبتدأ، وعلى الله جار مجرور متعلقان بمحذوف حال، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة يعملون صلة الموصول، والسوء مفعول به، وبجهالة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حالة كونهم جاهلين سفهاء ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ ثم حرف عطف للإشعار بأن التوبة جاءت متأخرة، ولكنها قبلت على كل حال قبل وقت الاحتضار ومعاناة الموت، ويتوبون عطف على يعملون، ومن قريب جار ومجرور متعلقان بيتوبون ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاء استئنافية، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، وجملة يتوب الله عليهم خبر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الواو استئنافية، وكان واسمها وخبرها، وحكيماً خبر ثان ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ الواو عاطفة، وليس واسمها، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة يعملون السيئات صلة ﴿ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ حتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل، وجملة حضر أحدهم الموت في محل جرباً لإضافة، وأحدهم مفعول به مقدم، والموت فاعل مؤخر، ولم تجز «حتى» «إذا» لأن أدوات الشرط لا يعمل فيها ما قبلها، ولكن الجملة الشرطية كلها في محل جرب حتى، والجار والمجرور متعلقان بيعملون ﴿ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وإن واسمها، وجملة تب خبرها، والآن ظرف متعلق بتبت، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، والذين عطف على الذين يعملون، وجملة يموتون صلة، والواو حالية، وهم مبتدأ، وكفار خبر، والجملة نصب على الحال ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الجملة مستأنفة،

ولك أن تجعلها مفسرة، وعلى كل حال لا محل لها، واسم الإشارة مبتدأ، وجملة أعتدنا خبر، ولهم جار ومجرور متعلقان بأعتدنا، وعذاباً مفعول به، وأليماً صفة.

✽ الفوائد:

(١) شغلت هذه الآية العلماء والمربين والمفسرين، وسنلخص لك بعض آرائهم في قوله «بجهالة»:

أ- إنها كل معصية يفعلها العبد بجهالة، وإن كانت على سبيل العمد؛ لأنه يدعو إليها الجهل، ويزينها للعبد.

ب- إن معنى «بجهالة» أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة، كما يعلم الشيء ضرورة.

ج- إن معنى «بجهالة» أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص، فيفعلونها إما بتأويل خاطيء، وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها. وضعف الزماني هذا القول بأنه خلاف ما أجمع عليه المفسرون، ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة.

(٢) هذا ولا مندوحة لنا عن الإشارة إلى الخلاف الذي شجر بين أهل السنة والاعتزال حول قوله: «على الله» فقد قال الزمخشري: يعني إنما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء. وهو يجري في ذلك على سنن المعتزلة. وقد فتد أهل السنة هذا القول بأنه قياس الخالق على الخلق، وأنه لإطلاق يتقيد عنه لسان العاقل، إلى آخر تلك المناظرة الفريدة.

(٣) وقال أبو حيان: وارتفاع التوبة على الابتداء والخبر هو «على الله» و«للذين» متعلق بما تعلق به «على الله» والتقدير: إنما التوبة مستقرة على فضل الله وإحسانه للذين.

(٤) وقال أبو البقاء: في هذا الوجه يكون ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ حالاً من الضمير في قوله: «على الله» والعامل فيها الظرف والاستقرار، أي: ثابتة

للذين، وأجاز أبو البقاء أن يكون الخبر «للذين» ويتعلق «على الله» بمحذوف، ويكون حالاً من محذوف أيضاً، والتقدير: إنما التوبة إذا كانت أو إذ كانت على الله للذين، وكان تامة، وصاحب الحال ضمير الفاعل لكان. وإنما أوردنا هذه الأقوال للتدريب على ما راض علمائنا أنفسهم على فهم كتاب الله تعالى، وما أوردناه كاف.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءَاتِيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾

☆ اللغة:

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ مضارع عَضَلَ على فلان، أي: ضيق عليه أمره، وحال بينه وبين ما يريد. والعَضْل: الحبس والتضييق، وعَضَلَت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به، فخرج بعضه وبقي بعضه، فيكون استعمال ذلك مجازاً. ومن رائع الشعر قول أوس:

تَرَى الْأَرْضَ مِنَّا بِالْفَضَاءِ مَرِيضَةً

مُعَضَّلَةٌ مِنَّا بِجَمْعِ عَرْمَرَم

وردد النابغة هذا المعنى فقال يصف جيشاً:

لَجِبُ يَظُلُّ بِهِ الْفَضَاءُ مُعَضَّلًا

يدعُ الإكام كأنهن صحاري

والمراد به هنا في الآية: لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكنهن حتى ترثوا منهن، وهن غير راضيات. وكان الرجل إذا تزوج امرأة، ولم تكن من حاجته، حبسها مع سوء العشرة والقهر؛ لتفتدي منه بمالها وتحتلع، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءَاتِيْتُمُوهُنَّ﴾. هذا وقد تقدم

الكلام عن وقوع العين والضاد فاء وعيناً للكلمة، وما ترمز إليه حيثند من معاني القوة والشدة.

○ الإعراب:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لإنصاف المرأة مما كانت تسام به من ظلم وافتيات، ولا نافية، ويحل فعل مضارع مرفوع، ولكم جار ومجرور متعلقان بيحل، وأن ترثوا النساء المصدر المؤول فاعل يحل، والنساء مفعول به، وكرهاً بضم الكاف وفتحها، وهما قراءتان، حال، أي: كارهات ﴿وَلَا تَقْضُوا لَهُنَّ إِنْ تَزَهِبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وتعضلوهن عطف على ترثوا، أي: ولا أن تعضلوهن، ولتذهبوا: اللام للتعليل، وتذهبوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بتعضلوهن، وبيعض جار ومجرور متعلقان بتذهبوا، وما اسم موصول مضاف إليه، وجملة آتيتموهن صلة الموصول ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ إن كان الاستثناء منقطعاً كان المصدر المؤول واجب النصب على الاستثناء، وإن كان متصلاً بما قبله كان الاستثناء من أعم الأحوال، فيعرب حالاً. وأعربه أبو حيان مستثنى من أعم الظروف أو العلل، فهو منصوب عنده على الظرفية الزمانية، أو على أنه مفعول لأجله، كأنه قيل: ولا تعضلوهن في وقت من الأوقات إلا وقت أن يأتين، أو لا تعضلوهن لعله من العلل إلا أن يأتين، وهما سائغان. ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب بأن، وبفاحشة جار ومجرور متعلقان بيأتين، ومبينة بفتح الياء وكسرهما قراءتان ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الواو عاطفة، عاشروهن فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: محسنين ومجملين في القول والعمل ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الفاء

استثنائية، وإن شرطية، وكرهتموهن فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، فعسى: الفاء رابطة وعسى هنا تامة، وهي فعل جامد، وأن وما بعدها فاعل، ويجعل فعل مضارع معطوف بالواو على تكرهوا منصوب مثله، والواو فاعله، فيه جار ومجرور متعلقان بيجعل، فهو بمثابة المفعول الثاني ليجعل، وخيراً مفعولها الأول، وكثيراً صفة.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

☆ اللفظة:

(القنطار) تقدم القول فيه، والمراد به هنا: المال العظيم، من قنطرت الشيء إذا رفعته، ومنه القنطرة: لأنها بناء مشيد، قال:

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَفْسَمَ رَبُّهَا لَتُكْتَنَفَنَ حَتَّى تُشَادَ بِقِرْمِدِ

(البهتان) أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه، لأنه يبهت عند ذلك، أي: يتحير. ومن الأبيات التي استعمل فيها لفظ بهت، وعبرت تعبيراً نفسياً قوله:

وما هي إلا أن أراها فُجاءة فُأبَهِتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ

وجميع الأفعال التي فاؤها باء وعينها هاء تتعلق بشعور نفسياني وقد أحصينا الكثير منها، فلم يشذ واحد منها على هذا التحديد العجيب، فمن ذلك بهج به وابتهج، أي: سره ذلك، وهو أمر يتعلق بصميم النفس، قال النابغة:

كَمْضِيئَةٍ صَدْفِيَّةٍ غَوَّاصُهَا بِهَجٍّ مَتَى يَرَاهَا يُهْلُ وَيَسْجِدُ
وبهره: غلبه، وبهرأ دعاء عليه بالغلبة. قال عمر بن أبي ربيعة:

ثُمَّ قَالُوا: تَحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالثَّرَابِ

وبهرج في كلامه، أي: خالطه بما يسوء النفس. والكلام في هذا يطول.

○ الإعراب:

﴿وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجَ مَكَاتٍ زَوْجٌ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية، وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعل، واستبدال زوج مفعول به، ومكان زوج ظرف مكان متعلق باستبدال ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ الواو حالية، وآتيتم فعل وفاعل، والجملة نصب على الحال، وإحداهن مفعول به أول، وقنطاراً مفعول به ثان، فلا: الفاء رابطة، ولا ناهية، وتأخذوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، ومنه جار ومجرور متعلقان بتأخذوا، وشيئاً مفعول به، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الهمزة للاستفهام والتوبيخ والإنكار، والجملة استئنافية، وتأخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وبهتاناً حال، أو مفعول لأجله، وإثماً عطف على بهتاناً، ومبيناً صفة ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الواو حرف عطف، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، وتأخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والواو حالية، وقد حرف تحقيق، وأفضى بعضكم فعل وفاعل، وإلى بعض جار ومجرور متعلقان بأفضى، وأخذن عطف على أفضى، والنون فاعل، وميثاقاً مفعول به، وغليظاً صفة.

□ البلاغة:

الكناية في الإفضاء إلى الشيء؛ لأنه عبارة عن المباشرة له، والذي عنى الإفضاء في هذا الموضع هو الجماع عند الشافعي، وهو قول ابن عباس أو الخلوة وإن لم يجامع، كما هو اختيار أبي حنيفة، والفراء.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ٢٢ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّنُكُمْ وَحَلَائِلُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرُّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ
نِسَائِكُمْ وَزَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي
دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ
الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

☆ الفة:

(الربائب) جمع ربيبة، وهي: بنت الزوجة من غيره.

(الحجور) جمع حجر، بفتح الحاء وكسرها، مقدم الثوب، والمراد به هنا
لازم الكون في الحجور، وهو: الكون في تربيتهم.

(الحلائل) جمع حليلة، وهي: الزوجة، قال الفرزدق:

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلالاً لمن يبنني بها لم تطلق

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كلام مستأنف، مسوق
للشروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم. والواو استئنافية،
ولا ناهية، وتنكحوا فعل مضارع مجزوم بلا، وما اسم موصول مفعول به،
وهي واقعة على النوع كالتي في قوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي:
ولا تنكحوا النوع الذي نكح آبائكم، وقال قوم: ما مصدرية، والتقدير:
لا تنكحوا نكاح آبائكم، أي: مثل نكاح آبائكم الفاسد، فهي مع مدخولها
مفعول مطلق، ولا بأس بذلك ونكح آبائكم فعل وفاعل، ومن النساء جار
ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَكِيلًا﴾ إلا أداة استثناء، وما مستثنى منقطع؛ لأن الماضي لا يستثنى
من المستقبل، ويجوز أن يكون متصلاً. وسيرد مزيد عنه في باب: البلاغة.

وجملة قد سلف صلة، وإن واسمها، وجملة كان فاحشة خبر إن، وجملة إنه تعليلية لا محل لها، ومقتاً عطف على فاحشة، وساء فعل ماضٍ لإنشاء الذم، والفاعل مبهم مستتر يفسره التمييز وهو «سبيلاً»، والجملة إما مستأنفة، وإما عطف على خبر كان محكية بقول مضمّر ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ حرم فعل ماضٍ مبني للمجهول، والتاء تاء التأنيث الساكنة، وعليكم جار ومجرور متعلقان بحرمت، وأمهاتكم نائب فاعل ﴿وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ عطف على أمهاتكم، فهي داخلة في نطاق التحريم ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ عطف أيضاً ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعِ﴾ عطف أيضاً، والجار والمجرور نصب على الحال من أخواتكم ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُم﴾ عطف أيضاً، وفي حجوركم متعلقان بمحذوف صلة، ومن نسائكم متعلقان بمحذوف حال من ربائبكم ﴿الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اسم الموصول صفة لنسائكم، وجملة دخلتم بهن صلة، والباء للتعدية، أي: دخلتم الخلوة بهن ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الفاء استثنائية، ولم تكونوا فعل الشرط، وجملة دخلتم بهن خبر كان، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وجناح اسمها، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ عطف على ما تقدم، والذين صفة لأبنائكم، ومن أصلابكم الجار والمجرور صلة الموصول ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المصدر الأول عطف أيضاً، وبين ظرف متعلق بتجمعوا، والأختين مضاف إليه، وإلا أداة استثناء، وما مستثنى منقطع أو متصل، وقد تقدم إعرابها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ إن واسمها، وكان واسمها، وخبرها، والجملة خبر إن، وجملة إن الله استثنائية.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية فن المبالغة بقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وذلك أن المنهَى

عنه ، وهو : نكاح ما نكح الآباء من النساء أمر مستنكر عند أكثر الخلق ، وقد بلغ حداً من البشاعة والاستهجان أنه كان ممقوتاً قبل ورود الشرع به ، جدير بأن يمثل النهي عنه .

(٢) الكناية في قوله : ﴿ دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ فهي كناية عن الجماع كما تقدم أو الخلوة .

(٣) حسن النسق في ترتيب العطف ، وهو ظاهر .

* الفوائد :

- (١) (الأمهات) جمع أم ، فالهاء زائدة في الجمع فرقاً بين العقلاء وغيرهم . يقال في العقلاء أمهات وفي غيرهم : أمات . وقد يتقارضان .
- (٢) أخت وبنت أصلهما أخو وبنو حذفت واوهما ، وعوض عنها التاء .

* * *

فهرس الآيات

٢٣	بسم الله الرحمن الرحيم
	سورة الفاتحة
٢٨/١	تفسير الآيات (١-٧)
	سورة البقرة
٣٦	تفسير الآيات (١-٥)
٤٢-٤١	تفسير الآيات (٦-٧)
٤٤	تفسير الآيات (٨-١٠)
٤٧	تفسير الآيات (١١-١٣)
٥٠	تفسير الآيتين (١٤-١٥)
٥٣	تفسير الآيتين (١٦-١٧)
٥٨	تفسير الآيات (١٨-٢٠)
٦٣	تفسير الآيات (٢١-٢٢)
٦٦	تفسير الآيتين (٢٣-٢٤)
٧٢	تفسير الآية (٢٥)
٧٥	تفسير الآيتين (٢٦-٢٧)
٨١	تفسير الآيتين (٢٨-٢٩)
٨٣	تفسير الآية (٣٠)
٨٦	تفسير الآيات (٣١-٣٣)

٨٩	تفسير الآيات (٣٤-٣٦)
٩٢	تفسير الآيتين (٣٧-٣٨)
٩٣	تفسير الآيتين (٣٩-٤١)
٩٦	تفسير الآيات (٤٢-٤٣)
٩٧	تفسير الآيات (٤٤-٤٦)
١٠٠	تفسير الآيتين (٤٧-٤٨)
١٠١	تفسير الآية (٤٩)
١٠٢	تفسير الآيات (٥٠-٥٢)
١٠٤	تفسير الآيتين (٥٣-٥٤)
١٠٦	تفسير الآيتين (٥٥-٥٦)
١٠٧	تفسير الآية (٥٧)
١٠٨	تفسير الآية (٥٨)
١٠٩	تفسير الآية (٥٩)
١١٠	تفسير الآية (٦٠)
١١٢-١١١	تفسير الآية (٦١)
١١٤	تفسير الآية (٦٢)
١١٦-١١٥	تفسير الآيتين (٦٣-٦٤)
١١٧	تفسير الآيتين (٦٥-٦٦)
١١٩-١١٨	تفسير الآية (٦٧)
١٢٠	تفسير الآيات (٦٩-٧١)
١٢٣	تفسير الآيتين (٧٢-٧٣)
١٢٤	تفسير الآية (٧٤)
١٢٦	تفسير الآية (٧٥)
١٢٧	تفسير الآيتين (٧٦-٧٧)
١٢٨	تفسير الآيتين (٧٨-٧٩)
١٣٠	تفسير الآيات (٨٠-٨٢)

١٣٢	تفسير الآية (٨٣)
١٣٣	تفسير الآيتين (٨٤-٨٥)
١٣٥	تفسير الآية (٨٦)
١٣٦-١٣٥	تفسير الآية (٨٧)
١٣٧	تفسير الآية (٨٨)
١٣٧	تفسير الآيتين (٨٩-٩٠)
١٣٩	تفسير الآية (٩١)
١٤١	تفسير الآيتين (٩٢-٩٣)
١٤٢	تفسير الآيتين (٩٤-٩٥)
١٤٤	تفسير الآية (٩٦)
١٤٥	تفسير الآيتين (٩٧-٩٨)
١٤٧-١٤٦	تفسير الآيات (٩٩-١٠١)
١٤٩-١٤٨	تفسير الآية (١٠٢)
١٥١	تفسير الآيتين (١٠٣-١٠٤)
١٥٣	تفسير الآية (١٠٥)
١٥٤	تفسير الآيتين (١٠٦-١٠٧)
١٥٦	تفسير الآية (١٠٨)
١٥٦	تفسير الآية (١٠٩)
١٥٧	تفسير الآية (١١٠)
١٥٨	تفسير الآيتين (١١١-١١٢)
١٥٩	تفسير الآية (١١٣)
١٦٠	تفسير الآيتين (١١٤-١١٥)
١٦٢	تفسير الآيتين (١١٦-١١٧)
١٦٤	تفسير الآيتين (١١٨-١١٩)
١٦٥-١٦٤	تفسير الآيتين (١٢٠-١٢١)
١٦٦	تفسير الآيتين (١٢٢-١٢٣)

١٦٧	تفسير الآية (١٢٤)
١٧٠	تفسير الآية (١٢٥)
١٧٢-١٧١	تفسير الآية (١٢٦)
١٧٢	تفسير الآية (١٢٧)
١٧٣	تفسير الآيتين (١٢٨-١٢٩)
١٧٤	تفسير الآية (١٣٠)
١٧٥	تفسير الآيتين (١٣١-١٣٢)
١٧٧	تفسير الآية (١٣٣)
١٧٨	تفسير الآيتين (١٣٤-١٣٥)
١٨٠-١٧٩	تفسير الآية (١٣٦)
١٨١-١٨٠	تفسير الآية (١٣٧)
١٨٢-١٨١	تفسير الآيتين (١٣٨-١٣٩)
١٨٣	تفسير الآيتين (١٤٠)
١٨٤	تفسير الآيتين (١٤١-١٤٢)
١٨٥	تفسير الآية (١٤٣)
١٨٩	تفسير الآية (١٤٤)
١٩١	تفسير الآية (١٤٥)
١٩٢	تفسير الآيتين (١٤٦-١٤٧)
١٩٣	تفسير الآية (١٤٨)
١٩٤	تفسير الآية (١٤٩)
١٩٥-١٩٤	تفسير الآيتين (١٥٠-١٥١)
١٩٦	تفسير الآيات (١٥٢-١٥٤)
١٩٨-١٩٧	تفسير الآيات (١٥٥-١٥٧)
١٩٩	تفسير الآية (١٥٨)
٢٠٠	تفسير الآيتين (١٥٩-١٦٠)
٢٠٢	تفسير الآيات (١٦١-١٦٣)

٢٠٦	تفسير الآية (١٦٤)
٢٠٩	تفسير الآية (١٦٥)
٢١١-٢١٠	تفسير الآيتين (١٦٦-١٦٧)
٢١٣	تفسير الآيتين (١٦٨-١٦٩)
٢١٥	تفسير الآية (١٧٠)
٢١٦	تفسير الآية (١٧١)
٢١٨	تفسير الآيتين (١٧٢-١٧٣)
٢٢٢	تفسير الآيات (١٧٤-١٧٦)
٢٢٥	تفسير الآية (١٧٧)
٢٢٨-٢٢٧	تفسير الآيتين (١٧٨-١٧٩)
٢٣١	تفسير الآيات (١٨٠-١٨٢)
٢٣٤-٢٣٣	تفسير الآيات (١٨٣-١٨٥)
٢٤١	تفسير الآيتين (١٨٦-١٨٧)
٢٤٦	تفسير الآية (١٨٨)
٢٤٨	تفسير الآية (١٨٩)
٢٥٠	تفسير الآيات (١٩٠-١٩٢)
٢٥٢	تفسير الآيتين (١٩٣-١٩٤)
٢٥٤	تفسير الآية (١٩٥)
٢٥٦	تفسير الآية (١٩٦)
٢٦٠	تفسير الآية (١٩٧)
٢٦٢	تفسير الآيتين (١٩٨-١٩٩)
٢٦٥-٢٦٤	تفسير الآيات (٢٠٠-٢٠٢)
٢٦٨	تفسير الآية (٢٠٣)
٢٧٠-٢٦٩	تفسير الآيات (٢٠٤-٢٠٦)
٢٧١	تفسير الآيات (٢٠٧-٢٠٩)

٢٧٣-٢٧٢	تفسير الآيتين (٢١٠-٢١١)
٢٧٥	تفسير الآية (٢١٢)
٢٧٦	تفسير الآية (٢١٣)
٢٧٩-٢٧٨	تفسير الآية (٢١٤)
٢٨٠	تفسير الآية (٢١٥)
٢٨٢-٢٨١	تفسير الآية (٢١٦)
٢٨٣	تفسير الآيتين (٢١٧-٢١٨)
٢٨٥	تفسير الآيتين (٢١٩-٢٢٠)
٢٨٩	تفسير الآية (٢٢١)
٢٩١-٢٩٠	تفسير الآيتين (٢٢٢-٢٢٣)
٢٩٣	تفسير الآيتين (٢٢٤-٢٢٥)
٢٩٤	تفسير الآيات (٢٢٦-٢٢٨)
٢٩٧	تفسير الآية (٢٢٩)
٢٩٩-٢٩٨	تفسير الآيتين (٢٣٠-٢٣١)
٣٠١	تفسير الآية (٢٣٢)
٣٠٣	تفسير الآية (٢٣٣)
٣٠٦	تفسير الآيات (٢٣٤-٢٣٧)
٣١٢-٣١١	تفسير الآيات (٢٣٨-٢٤٠)
٣١٤	تفسير الآيتين (٢٤١-٢٤٢)
٣١٤	تفسير الآيتين (٢٤٣-٢٤٤)
٣١٦	تفسير الآية (٢٤٥)
٣١٧	تفسير الآية (٢٤٦)
٣١٩	تفسير الآيتين (٢٤٧-٢٤٨)
٣٢٢	تفسير الآيات (٢٤٩-٢٥٢)
٣٢٧	تفسير الآية (٢٥٣)
٣٢٩	تفسير الآية (٢٥٤)

٣٣٠	تفسير الآية (٢٥٥)
٣٣٥-٣٣٤	تفسير الآيتين (٢٥٦-٢٥٧)
٣٣٨-٣٣٧	تفسير الآيتين (٢٥٨-٢٥٩)
٣٤٦	تفسير الآية (٢٦٠)
٣٤٨	تفسير الآيتين (٢٦١-٢٦٢)
٣٥١	تفسير الآيات (٢٦٣-٢٦٥)
٣٥٤	تفسير الآية (٢٦٦)
٣٥٩	تفسير الآية (٢٦٧)
٣٦١-٣٦٠	تفسير الآيات (٢٦٨-٢٧٠)
٣٦٢	تفسير الآيتين (٢٧١-٢٧٢)
٣٦٤	تفسير الآيتين (٢٧٣-٢٧٤)
٣٦٧	تفسير الآيتين (٢٧٥-٢٧٦)
٣٧٠	تفسير الآيات (٢٧٧-٢٧٩)
٣٧١	تفسير الآيتين (٢٨٠-٢٨١)
٣٧٣	تفسير الآية (٢٨٢)
٣٨١	تفسير الآية (٢٨٣)
٣٨٣	تفسير الآيات (٢٨٤-٢٨٦)

سورة آل عمران

٣٩٠	تفسير الآيات (١-٦)
٣٩٢	تفسير الآية (٧)
٣٩٦	تفسير الآيات (٨-١٠)
٣٩٨	تفسير الآية (١١)
٣٩٩	تفسير الآية (١٢)
٤٠٠	تفسير الآية (١٣)
٤٠٣	تفسير الآية (١٤)

٤٠٥	تفسير الآية (١٥)
٤٠٦-٤٠٧	تفسير الآيات (١٦-١٨)
٤١٠	تفسير الآية (١٩)
٤١٢-٤١١	تفسير الآية (٢٠)
٤١٤-٤١٣	تفسير الآيتين (٢١-٢٢)
٤١٦-٤١٥	تفسير الآيتين (٢٣-٢٤)
٤١٧	تفسير الآيات (٢٥-٢٧)
٤٢٠	تفسير الآية (٢٨)
٤٢٢	تفسير الآية (٢٩)
٤٢٣	تفسير الآية (٣٠)
٤٢٤	تفسير الآيتين (٣١-٣٢)
٤٢٦	تفسير الآيتين (٣٣-٣٤)
٤٢٧	تفسير الآيتين (٣٥-٣٦)
٤٣١-٤٣٠	تفسير الآية (٣٧)
٤٣٣	تفسير الآيات (٣٨-٤١)
٤٣٧	تفسير الآيتين (٤٢-٤٣)
٤٣٨	تفسير الآيات (٤٤-٤٦)
٤٤٢-٤٤١	تفسير الآيات (٤٧-٥٠)
٤٤٥	تفسير الآيات (٥١-٥٤)
٤٤٨	تفسير الآيات (٥٥-٥٧)
٤٥٠	تفسير الآيات (٥٨-٦٠)
٤٥١	تفسير الآيات (٦١-٦٣)
٤٥٤-٤٥٣	تفسير الآية (٦٤)
٤٥٥	تفسير الآيتين (٦٥-٦٦)
٤٥٧	تفسير الآيتين (٦٧-٦٨)
٤٥٨	تفسير الآيات (٦٩-٧١)

٤٥٩	تفسير الآيات (٧٢-٧٤)
٤٦٥	تفسير الآية (٧٥)
٤٦٧-٤٦٦	تفسير الآيتين (٧٦-٧٧)
٤٦٨	تفسير الآية (٧٨)
٤٧٠	تفسير الآيتين (٧٩-٨٠)
٤٧٣	تفسير الآية (٨١)
٤٧٧	تفسير الآيتين (٨٢-٨٣)
٤٧٨	تفسير الآية (٨٤)
٤٧٩	تفسير الآيات (٨٥-٨٩)
٤٨١	تفسير الآيتين (٩٠-٩١)
٤٨٤	تفسير الآيات (٩٢-٩٤)
٤٨٧-٤٨٦	تفسير الآيات (٩٥-٩٧)
٤٩١-٤٩٠	تفسير الآيتين (٩٨-٩٩)
٤٩٢	تفسير الآيتين (١٠٠-١٠١)
٤٩٤	تفسير الآيتين (١٠٢-١٠٣)
٤٩٨	تفسير الآيتين (١٠٤-١٠٥)
٤٩٩	تفسير الآيتين (١٠٦-١٠٧)
٥٠١	تفسير الآيتين (١٠٨-١٠٩)
٥٠٢	تفسير الآية (١١٠)
٥٠٤-٥٠٣	تفسير الآيتين (١١١-١١٢)
٥١١	تفسير الآيات (١١٣-١١٥)
٥١٢	تفسير الآيتين (١١٦-١١٧)
٥١٥-٥١٤	تفسير الآية (١١٨)
٥١٨	تفسير الآية (١١٩)
٥٢١	تفسير الآية (١٢٠)
٥٢٢	تفسير الآيتين (١٢١-١٢٢)

٥٢٣	تفسير الآيات (١٢٣-١٢٥)
٥٢٥	تفسير الآيتين (١٢٦-١٢٧)
٥٢٧	تفسير الآيتين (١٢٨-١٢٩)
٥٢٩	تفسير الآيات (١٣٠-١٣٢)
٥٣٠-٥٢٩	تفسير الآيتين (١٣٣-١٣٤)
٥٣١	تفسير الآيتين (١٣٥-١٣٦)
٥٣٢	تفسير الآيتين (١٣٧-١٣٨)
٥٣٤-٥٣٣	تفسير الآيات (١٣٩-١٤١)
٥٣٥	تفسير الآيتين (١٤٢-١٤٣)
٥٣٧	تفسير الآية (١٤٤)
٥٣٩	تفسير الآية (١٤٥)
٥٤٠	تفسير الآية (١٤٦)
٥٤٢	تفسير الآيتين (١٤٧-١٤٨)
٥٤٣	تفسير الآيات (١٤٩-١٥١)
٥٤٥	تفسير الآيتين (١٥٢-١٥٣)
٥٤٨	تفسير الآية (١٥٤)
٥٥٣	تفسير الآية (١٥٥)
٥٥٤	تفسير الآية (١٥٦)
٥٥٦	تفسير الآيتين (١٥٧-١٥٨)
٥٥٧	تفسير الآية (١٥٩)
٥٦٠	تفسير الآية (١٦٠)
٥٦١	تفسير الآيات (١٦١-١٦٣)
٥٦٤	تفسير الآية (١٦٤)
٥٦٨	تفسير الآية (١٦٥)
٥٧٠	تفسير الآيتين (١٦٦-١٦٧)
٥٧٢	تفسير الآية (١٦٨)

٥٧٤	تفسير الآيتين (١٦٩ - ١٧٠)
٥٧٦	تفسير الآيتين (١٧١ - ١٧٢)
٥٧٧	تفسير الآيات (١٧٣ - ١٧٥)
٥٧٩	تفسير الآية (١٧٦)
٥٨٠	تفسير الآيتين (١٧٧ - ١٧٨)
٥٨٢ - ٥٨١	تفسير الآية (١٧٩)
٥٨٣	تفسير الآية (١٨٠)
٥٨٦ - ٥٨٥	تفسير الآيتين (١٨١ - ١٨٢)
٥٨٧	تفسير الآية (١٨٣)
٥٨٨	تفسير الآيتين (١٨٤ - ١٨٥)
٥٩٠ - ٥٨٩	تفسير الآية (١٨٦)
٥٩١	تفسير الآية (١٨٧)
٥٩٢	تفسير الآية (١٨٨)
٥٩٣	تفسير الآيات (١٨٩ - ١٩١)
٥٩٧	تفسير الآيتين (١٩٢ - ١٩٣)
٦٠١	تفسير الآيتين (١٩٤ - ١٩٥)
٦٠٤	تفسير الآيات (١٩٦ - ٢٠٠)

سورة النساء

٦٠٧	تفسير الآية (١)
٦٠٨	تفسير الآية (٢)
٦١١ - ٦١٠	تفسير الآيتين (٣ - ٤)
٦١٦	تفسير الآيتين (٥ - ٦)
٦٢٠	تفسير الآية (٧)
٦٢١	تفسير الآيتين (٨ - ٩)
٦٢٣	تفسير الآية (١٠)

٦٢٥-٦٢٤	تفسير الآية (١١)
٦٢٩-٦٢٨	تفسير الآية (١٢)
٦٣٢-٦٣١	تفسير الآيتين (١٣-١٤)
٦٣٤	تفسير الآيتين (١٥-١٦)
٦٣٥	تفسير الآيتين (١٧-١٨)
٦٣٨	تفسير الآية (١٩)
٦٤٠	تفسير الآيتين (٢٠-٢١)
٦٤٢-٦٤١	تفسير الآيتين (٢٢-٢٣)